ذيل نفحة الريحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبي
١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق
عبد الفتاح محمد الحلو

عيسى البابي الحلبي وشركاه

ذيل نفحة الريحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبي

١٠٦١ — ١١١١ هـ

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء السادس

عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى

(١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

و به ثقتى

١

هذا كتاب « ذيل نفحة الريحانة » استدرك به مؤلِّفُه محمد أمين بن فضل الله المحبّى ما فاته فى كتابه « النفحة » فترْجم لبعض شعراء دمشق والمدينة المنورة وحلب .

وقد نشط لهذا العمل بعد تمام كتابه « النفحة » وتعقُّب بعض معاصريه له ، واتهامِه بالغرض فى ترك ترجمة بعض الأدباء[١] ، فكان هذا حافزاً له على استدراك ما فاته ، إلا أن المنيّة اخترمتْه قبل أن يرتب أوراقه ، فقام بهذا العمل من بعده تلميذه محمد بن محمود بن محمود المحمودىّ السُّؤالاتىّ الحنفىّ العثمانىّ ، معتمداً فى ذلك على قطعةٍ بخط المحبى تُشير إلى هذا الترتيب[٢] ، وأثبت فى صدر الكتاب مقدمة أستاذه المحبى ، ثم قسمه إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى مَن انتشا من بلغاء دمشق الشام .

الفصل الثانى : فى مَن انتشا من بلغاء المدينة المنورة .

الفصل الثالث : فى نبهاء حلب الشهباء .

ولم يكتف السؤالاتىّ بهذا ، وإنما أضاف إلى تراجم الدمشقيين من شعرهم ما لم يُثبِتْه المحبى ، وما لم يدركه ، بل إنه يذكر أن غالب التراجم كان خالياً من الأشعار[٣] ، فملأ هذا الفراغ ، وسدّ هذه الثُّلْمة ، ثم ترْجم لأستاذه المحبّى فى آخر الكتاب ، وأتم هذا العمل فى أواخر شوال ، سنة إحدى عشرة ومائة وألف ، أى بعد وفاة المحبى بنحو خمسة شهور ، فقد كانت وفاته فى ثامن عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، ولكن السؤالاتىّ عاد فأضاف إلى الكتاب بعد هذا التاريخ ، وإن لم يذكر هذا فى خاتمته ،

---

(١) انظر مقدمة المحبى ٦ — ٨ . (٢) انظر مقدمة السؤالاتى ٤ .

(٣) انظر مقدمة السؤالاتى ٥ .

ويدلُّ لهذا كثيرٌ من القصائد المؤرخة ، ويقع تاريخ أدناها فى سنة أربع عشرة ومائة وألف ، وتاريخ أقصاها فى سنة أربع وثلاثين ومائة وألف[1] .

ولو استقام الأمر على هذا النحو لسلم للسؤالاتيِّ تفرُّده بصنعة كتاب أستاذه ، ولكنا نعثر على صنعة أخرى للكتاب صنعها محمد بن السَّمان ، والعجيب أن مقدمة ابن السمان تتفق مع مقدمة السؤالاتيِّ إلّا فى البدء ، وفيما صنعه كل منهما .

فمقدمة ابن السَّمان تبدأ بقوله : « ربِّ أوْزِعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمتَ علىَّ ، حيث أتحفتنى بتحائف درر تضىء بين يدى ، بل صحائف غُرَر حوتْ كل معنى مبتكر ، وبدائع تعجز أن تُوَلِّد مثالها الفكر ، لولا خاتمة البلغاء . . . » ثم تتفق مع مقدِّمة السؤالاتيِّ حتى قوله : « وقالوا : إن هى إلا نفحات سيدنا الأمين » ، ثم يسقط من مقدمة ابن السَّمان ما بعد هذا إلى قول السؤالاتيِّ : « هم من الأدب محل الغرر » ، ثم يتفق سياقُ المقدمتين إلى قوله : « لكن منعته المنية عن نشر أزهارها العنبرية » ، ثم يختلف السياقُ بعد هذا إلى نهاية المقدمتين ، وتتمة مقدمة ابن السَّمان قوله : « وكان يجول فى خَلَدى ، وأنا الفقير إلى الملك الديَّان ، محمد المعروف بابن السَّمان ، أن أجمع دررها المنتثرة ، حيث كانت عند ذوى الآداب معتبرة ، مع حسن الانسجام ، وذكْر ما يناسب من بديع النظام ، ولكن يمنعنى عن ذلك القصور ، واعترافى بأن مثلى ليس من غُوَّاص هذه البحور ، ولا من رُوَاة هذا اللسان ، ولا من فرسان هذا الميدان ؛ لكنى لما رأيت أدباء العصر فى حِلَق الحميَّة ، مستحسنين جمع هذه الجواهر السنية ، جمعت شملها المبدَّد ، وضممته إليها دُرًّا منضَّد ، من نظم من ترْجمهم فى تذييله وتأليفه ، وأودعت خلال تلك النظام فرائدَ على نسق الأصل وترْصيفه ، وقرنْتُ من أفرد بالذكر من بلغاء المدينة بأديب ثانى ، لما ستقف عليه وإن أحسن النغمة المثانى ، رافعاً عند ذلك أكُفَّ الضراعة ، ومبتهلا بقوله عليه الرحمة إلى قيام الساعة : اللهم إنى أسألك نفحة ... » ثم ساق مقدمة المحبِّى للكتاب .

---

(١) تجد هذه التواريخ فى صفحات : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

ويُنبيءُ هـذا القول لابن السمان بأنه فعَل فعْل السؤالاتيّ من ترتيب التراجم والإضافة إليها ، وترجمة أحمـد بن إبراهيم الخياريّ فى الفصل الثانى فى مَن انقشا من بلغاء المدينة المنورة ، وكان المحبيُّ قد أشار إليه فى ترجمة أبيه فى النفحة ، ووعد بأنه إذا بلغه شيء من شعره فسيُذهِّب به كتابه ويُحَشّيه[1] ، فاستكمل السؤالاتيُّ وابنُ السمّان هذا الفصل بترجمة أحمد الخياريّ .

واتفاق السؤالاتيّ وابن السمّان فى بعض ما ورد فى مقدمتيهما لذيل النفحة ، يؤكد أن واحداً منهما سبَق بصنعة الكتاب فاقتبس منه التالى ، ولست أقطع بالسابق منهما ، ولكنى حين نظرت فى صنعتيهما وجدت صنعةَ السؤالاتيّ أتمّ وأوفى ، فآثرتها بصُلْب الكتاب ، وأشرت إلى زياداتها عن صنعة ابن السمّان ، وتجد هذه الزيادات فى صفحات : ٣ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨١ ، ٨٤ـ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ـ١١٣ (بقية ترجمة) ، ١٣٥ـ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ـ ١٧٤ (ترجمة كاملة) ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ـ٢٠٥ (بقية ترجمة) ، ٢١٩ـ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ـ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ـ ٢٥٣ (بقية ترجمة) ، ٢٥٥ ، ٢٧٢ ـ ٢٧٥ ، ٢٩٦ ـ ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ (بقية ترجمة) ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ـ ٣٤٦ ، ٣٤٨ ـ ٣٥٠ (بقية ترجمة) ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ (بقية ترجمة) ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ـ ٣٨٥ (بقية ترجمة) ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ (بقية ترجمة) .

أما ترجمة المحبى فإن ابن السمان لم يَعِدْ بها كما فعل زميله السؤالاتيُّ فى المقدمة ، ولذلك خلتْ صنعته عنها ، ولكنى وجدت فى النسخة التى اعتمدتُها من صنعته نُتَفًا من بعض المراثى مختلطة بآخر ترجمة الدّادِيخيّ وقد أشرت إلى ذلك فى موضعه[2] .

ورغم هذه الكثرة الهائلة من الزيادات فى صنعة السؤالاتيّ فقد تفرّدَت صنعةُ ابن السمّان بزيادات أثبتها فى حواشى صفحات : ٤ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٨٢ ـ ٨٤ ، ١٠٢ ، ١٣٩ ،

---

(١) انظر صفحتى ٣٢٣ ، ٣٢٤ من هذا الذيل .

(٢) صفحات ٤٠٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ .

١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٢٩٦ – ٢٩٨ ، ٣١٦ ، ٣٧٤ ، وبذلك جمعت هذه النسخة بين الصنعتين .

٢

والسؤالاتى : هو محمد بن محمود بن محمود الحمودى السؤالاتى الحنفى العثمانى . كذا جاء فى آخر صنعته لذيل النفحة ، وتجد فى ثنايا التراجم شعرا يُقدِّم له بقوله : « ولجامعه محمد الحمودى » ، وقد رجحتُ أنه محمد بن محمود الحمودى ، المترجم فى صفحات ٧٩ – ١٠٠ من الكتاب ، ولم أجد له ترجمة فيما بين يدىَّ من مصادر ، وقد ترجم المرادى[1] لمحمد السؤالاتىّ الشافعىّ الدمشقىّ الخلوتىّ ، وذكر أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف ، ولم يذكر له شعراً ، وليس هو بالقطع صانعَ « ذيل النفحة » لأن السؤالاتىّ الذى يعنينا كان حيًّا سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ، فقد ذكر فى ذيل النفحة ٢٥٢ تأريخ حامد العِمادىّ لإتمام كتابه « الحواشى على دلائل الخيرات » فى السنة المذكورة .

أما ابن السمَّان : فهو محمد بن السَّمَّان ، كما جاء فى مقدمة صنعته لـ « ذيل النفحة » ، ولم أجد له أيضا ترجمةً فيما بين يدىَّ من مصادر ، وقد ترجم المرادى[2] لمحمد بن عبد الكريم المدنى الشافعى ابن السمَّان ، وذكر أن مولده بالمدينة المنورة سنة ثلاثين ومائة وألف ، وأن وفاته كانت بها سنة تسع وثمانين ومائة وألف ، وواضح أنه غير صانع « ذيل النفحة » ؛ لأن مولده كان بعد وفاة المحبى بتسعة عشر عاما ، فكيف يذكُر أنه أستاذه !! .

٣

وقد اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على النسخ الآتية :

أولا ، صنعة السؤالاتى :

١ – نسخة كتبت بقلم معتاد ، سبق وصفها فى مقدمة « نفحة الريحانة » ، ورمزت لها فى

---

(١) سلك الدرر ١٢٤/٤ . (٢) سلك الدرر ٦٠/٤ .

النفحة والذيل بالرمز « ب » ، ويبدأ « ذيل النفحة » فيها فى ظهر ورقة ٢٦٨ ، وينتهى فى آخر وجه ورقة ٣٢٣ .

٢ — نسخة كتبت بخط نسخي ، كتبها عبد العزيز بن محسن ، فرغ من كتابتها صبيحة يوم الأحد المبارك ، لخمس بَقِين من ذى القَعْدة الحرام ، سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف ، وعليها ختم « صالح نائلى »، وتقع فى ٢٥٢ صفحة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا، وهى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٢٧٠ أدب .

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف « ص » :

وتمتاز هذه النسخة بكتابة التأريخ بالأرقام تحت كلمات الأبيات التى تضمَّنته .

ثانيا ، صنعة ابن الشَّمَّان :

١ — نسخة كتبت بخط نسخي، كتبها محمد بن أحمد أبى الكرم ، فرغ من كتابتها فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ، وبعض أوراقها الأخيرة كتبت بخط محدث ، وقد رسمت أسماء المترجمين ومقدمات المختارات الشعرية والنثرية بالحمرة .

وهذه النسخة هى تمام نسخة « نفحة الريحانة » المحفوظة بظاهرية دمشق (تاريخ ٦٤ - ٢٧ و ٢٨)، وهى مصورة بمعهد المخطوطات (جامعة الدول العربية)، ومصورتها محفوظة به برقم ٢٩١ تاريخ .

ويشغل « ذيل النفحة » اللوحات من ٤٣٤ - ٤٣٧ ، ثم يتتابع الترقيم بالصفحات بعد هذا ، حتى ينتهى الذيل فى صفحة ٤٩٨ .

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف « س » .

وتشتمل هذه النسخة على تقاريظ ، أولها تقريظ إبراهيم الخِيارِىّ المدنىّ ، ومطلعه :

فاحَ من ذيل نفحة الريحانهْ   نَشْرُ طِيبِ الآدابِ فى كلِّ حانهْ

وثانيها تقريظ الشيخ عبد الغنى النَّابُلسِىّ ، ومطلعه :

هبَّ من ذيل نفحة الريحانَهْ   ما به كلُّ فكرةٍ نَشْوانَهْ

وثالثها تقريظٌ لم أستطع قراءته لتلف النسخة وسوء تصويرها ، ولم أستطع تبيُّن اسم صاحبه على التمام ، وإنما قرأت من أوله لفظ « محمد » .

وهناك نسختان أُخْرَيان من هذه الصنعة ؛ الأولى محفوظة بالمكتبة الأزهرية برقم ٧٠٤٣ أدب أباظة ، والثانية محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٥٢ تاريخ تيمور ، وهذه النسخة الأخيرة منقولة عن الأولى ، وجاء فى آخرها : « قد وقع الفراغ من نسخ ذيل النفحة فى صباح يوم السبت ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤٨ هـ ، الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م ، نقلا عن نسخة الأصل المحفوظ بدار كتب الأزهر الشريف رقم ٧٠٤٣ أدب من كتب أباظة ، وهذه النسخة بها بياضات متروكة ، وفى بعض صحائفها شَطب كثير ، وعلى ظنى ربما تكون هى مُسَوَّدة المؤلف ، ونَسخ ذلك الراجى عفو مولاه محمود صدقى النسَّاخ بدار الكتب المصرية ، عمرها الله » .

وتقع نسخة التيمورية هذه فى ٢١٥ صفحة ، ومسطرتها ٢١ سطرا ، وخطها نسخى واضح ، وعليها مقابلة بالأصل المنتَسخ منه ، وبأولها فهرس للمترجمين بخط العلامة أحمد تيمور باشا .

وللنقص الكبير والاضطراب فى هاتين النسختين لم أفد منهما فائدة كبيرة .

***

وقد اعتبرتُ عملى فى « ذيل نفحة الريحانة » تمامَ عملى فى « نفحة الريحانة » ، فسرتُ على النَّهج الذى سلكتُه فيها ، وأحكمت الصِّلات بين الكتابين ، وربطت بينهما بأوْثَق العُرَى .

واللهَ أسألُ أن ينفعنى ببركةِ العلم ، وأن يسلكنى فى عِداد مُريديه ، وأن يجعله حُجَّةً لى يوم يقوم الناسُ لربِّ العالمين .

القاهرة فى { أول صفر الخير سنة ١٣٩١ هـ
٢٨ من مارس سنة ١٩٧١ م }

عبد الفتاح محمد الحلو

ذيل نفحة الريحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبي
١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق
عبد الفتاح محمد الحلو

بسم الله الرحمن الرحيم

و به العون

مقدمة السؤال الآتي

يقول المتمسّك بذيل الأدب ، والفرعُ الباسق من جُرثومة العرب .

الراجي لُطْفَ ربه الموجود ، محمد بن محمود بن محمود :

قد ظفِرتْ يدى بُدَرر فى مُسوَّدات المرحوم ، مَن عُجِنت طينتُه بماء العلوم .

خاتمة البلغا ، وواسطة عِقْد النُّبَغا .

مَن قلَّد جِيدَ الآداب ، فرائدَ ترُوق لذوى الألباب .

وأطْلَع فى سماء البيان ، فوائدَ يبْتهج بها الزمان .

ووشَّح بعرائس أفكارِه الدفاتر ، وأخْجَل بنفائسِ أبْكاره الجواهر .

(1) مالكُ أعِنّة التدقيق ، سالكُ طريق التحقيق .

مَن إذا تكلّمَ أسْكت كلَّ ذى لَسَن ، واهتزّتْ الأعطافُ لبراعته وعبارته وحارتِ الفِطَن .

متى نِيطَ الإنشاء بغيره فهو مظلوم ، ومتى أُسْنِد القريضُ لسواه فهو نكرةٌ غيرُ معلوم .

فسُوَر أقلامه إن تُليتْ على البلغاء ظلّتْ أعناقُهم لها خاضعين (2) ، وقالوا : إن هى إلا نفحاتُ سيِّدنا محمد الأمين .

(3) ألا وهو المولى الهمام ، من قَصُرت عن إدراك كمالاته الأفهام .

---

(1) من هنا إلى قوله : « غير معلوم » الآتى لم يرد فى : س .

(2) ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ . الآية الرابعة من سورة الشعراء .

(3) من هنا إلى قوله : « محل الغرر » الآتى لم يرد فى : س .

الشريف الأديب الأربب، اللطيف الحسيب النَّسيب .

السيد محمد الأمين المُحِبِّي، أفاض عليه سِجالَ الرحمةِ رَبِّى .

قد نظَمَ تلك الدُّرَر، وتَرْجَم بها شِرْذِمةً هم من الأدب محَلُّ الغُرَر .

طرّز بها ذيلَ كتابه «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، [1] ورام إلحاقَها به فمنعه الدهرُ عن مَرامِه وخانَه [1] .

وافْتتَحها بخطبة تُطرب الأسماع، وزَواهرِ فِقَر أبْدع فيها أىَّ إبْداع .

لكنْ منعتْه المنيَّة، عن نشرِ أزْهارها العَنْبَريَّة .

[2] فالتقطْتُ تلك الدُّرَرَ والعِقْيان، وحلَّيتُ بها جِيدَ الزمان .

ورتَّبْتُها بهذا الترتيب النَّضِير، معتمِداً فى ذلك على قطعةٍ بخطِّ المرحوم إلى [3] ذلك تُشِير .

على أنه لا اعْتبار بالتقديم والتأخير، بل المقصودُ ذِكرُ الأثر الدَّالِّ على المُثير .

وجعلتُها ثلاثة فصول، وإن كنتُ فى ذلك من أهل الفُضول .

وعزمتُ أن أجمع دُرَرَها المنتثِرة، لأنها عند ذَوِى الألباب مُعتبَرة .

مع حُسْنِ الانْسجام، ولُطْف الانتظام .

ورأيتُ أدباءَ العصر فى دمشق المحميّة، مُستحسِنين جمعَ هذه الجواهر السنيَّة .

---

(١) مكان هذا فى س :

وَيَا حَبَّذَا ذَيْلٌ كَسَاهَا مُحَمَّدٌ ... سُلَالَةُ فَضْلِ اللهِ مَنْ هُوَ سَبَّاقُ

وَذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَا ... وَحَسْبُكَ أَنَّ الْفَضْلَ وَالْعِلْمَ أَرْزَاقُ

وتقدم هذان البيتان فى نفحة الريحانة ٣/٥٩٧ ضمن قصيدة للسيد أحمد بن أحمد الآنسى، المعروف بالزنه يمدح بهما كتاب المؤلف «نفحة الريحانة»، وهو المعنى بالذيل فيهما، إذ أنه ذيل على «الريحانة» للشهاب الخفاجى، ولكن السمان أراد هنا «ذيل النفحة» .

(٢) من هنا إلى نهاية هذه المقدمة لم يرد فى : س .

(٣) فى ب : «فى»، والمثبت فى : س .

فجمعت شَمْلَها المُبدَّد ، وضممتُ إليها دُرًّا مُنضَّد .

مِن نَظْمِهم اللطيف ، و نَثْرِهِم المُنِيف .

بعد أن كان غالبُ التَّراجم خاليا من الأشعار ، فأثبتُّ ما طاب للنفس إثباتُه مع أنِّي مِمَّن لم يلْحَقْ لفُرسان هذا المَيْدان غُبار .

وذكرتُ بعد ذلك قليلا من أوصاف وأشعار المصنِّف ، وختمتُ به لأنه خاتمةُ كل مُحرَّر ومُؤلَّف .



مقدمة المحبّي

قال المؤلِّف ، رحمه الله تعالى :

اللهم إني أسألك نفحةً من نفحات أُنْسِك ، تُعطِّر بها مَجارِي أنفاسي بفَيْض قُدْسِك ، فأتحقَّق بذِكْرِك ، وأتهيَّأ لحمدِك[1] وشكرِك .

مُصلِّيا على نَبِيٍّ مُطوَّلُ كلِّ مدحٍ فيه مختصَر ، وكلُّ لسانٍ في الإطراء بمدحِهِ منسوبٌ إلى عِيٍّ وحَصَر .

وعلى آله آلِ الجود ، وأصحابِه نُخَبِ هذا الوجود .

ما مُدِح ممدوح بما اقْتضتْه مَعاليه ، ونبَغ أريبٌ فازْدانت به أيّامُه ولياليه .

وبعد ، فإنى بعَوْن ربِّى سبحانه ، لمَّا أتْممْتُ كتاب « نفحة الريحانة » .

وقرَّ بلُطفه من أبْناء العِين كُلَّ عَيْنٍ ، وجاوَز في الشُّهْرة كلَّ مكانٍ حتى قيل : إلى أيْن .

قيَّض اللهُ شيطانًا حاسدا لم يكن في بالِي ، وسببُه أنِّي لم أنوِّهْ به ، لأنِّى بمثله لا أُبالى .

فأراد مُناظرته مع نَوع ازْدِرا ، وكتب منه على ما سمعتُ قدراً نَزْرا .

ومن جُملة ماعابَه تَرْكُ إناس ممَّن يُتَرجَم ، ونسَبها إلى الغَرَضِ في تَرْكهم وحاشايَ من زَعْمٍ مُرَجَّم .

ثم رأى أن الشَّوطَ بعيد ، وتقلَّب في أمرِه بين وعدٍ ووعيد .

فقد بلَغه أنِّي الْتزمتُ أن أضَع عليه وَضْعاً جَزْلا ، يُصيِّره في العالَم ضُحْكَةً[2] وهَزْلا .

فأعْرَض إعْراضَ مُرِيب ، وهو غريبٌ فِفعْلُه غريب .

---

(١) في ب : « بحمدك » ، والمثبت في : س ، ص . (٢) رجل ضحكة ، وزان غرفة : يكثر الناس الضحك منه . المصباح المنير ٤٢٢ .

فإذا لم يَتِمّ بِفِعْلِه الوفا ، فأغْلَظُ المواطِي الحصاَ على الصَّفا .

فما على ما قاله ينْصب التَّعْويل ؛ فإنما طعامه من القَفْعاء والتَّأْويل[١] .

ودخولُه في هذا الحَيِّز ، عند الحاذِق المُميِّز .

دخولُ اللَّام ، على الأعْجميّ من الأعلام .

فمتى كان بأهْل ، لمُجادلة سَهْل[٢] .

ومَن له بمعارضة أبان[٣] ، أو مُساجلة حسَّان .

أو بَداهة ابن العَميد ، أو عُجالة عبد الحميد .

أو مُحاكاة البديع ، الجارِي من البديع .

حَسْبُه أن يُقال فيَعِي ، ويُراض فيَرْتعِي .

هذه سُبُل واضحة ، ما فيها إلّا تُهْمة فاضِحة .

فمن يُعانِد الحق ببُهتانه ، أو يُسابق العِتاق بأتانه .

أو يُباهي[٤] الضُّحَى بِسراجِه ، أو يَرُدُّ السَّيل عن أدْراجِه .

فما كلُّ هَدْيٍ مُرْتَضى ، ولا كلُّ سيفٍ مُنْتَضَى .

فهو أحَطُّ عن تفْهيمه مكانَه ، وأفْرَطُ ضَيْعةً واسْتكانة .

ياليت شِعري متى تفرَّغ ، وفي أي بُحْبُوحة تمرَّغ .

وهو في تنقُّلات دائمة ، وغُلَّة على تحْصيل فَلْسٍ حائمة .

---

(١) القفعاء : خشبة خوارة ، أو شجرة ينبت فيها حلق كحلق الخواتيم إلا أنهـا لا تلتقي ، تكون كذلك ما دامت رطبة فإذا يبست سقطت . والتأويل : بقلة طيبة الريح . القاموس (ق ف ع ، أ و ل) .

(٢) هو سهل بن هارون بن راهبون الدستميساني الكاتب ، كان رفيع المنزلة عند هارون الرشيد ، وكان صاحب خزانة الحكمة في أيام المأمون ، توفي سنة خمس عشرة ومائتين .

فوات الوفيات ١/٣٦٨ ، معجم الأدباء ١١/٢٦٦ .

(٣) أبان بن عبد الحميد اللاحقي ، شاعر الرشيد والبرامكة ، المتوفى سنة مائتين .

انظر خزانة الأدب ٣/٤٥٨ ، النجوم الزاهرة ٢/١٦٧ .

(٤) في س : « يضاهي » ، والمثبت في : ب .

وما أدرى متى اشْتغَلَ إلا بقِيل وقال ، أو متى روَى وهو منْهمِك فى حَمْلِ أثقْال .

وأنا بحمد الله من منذ مَيّزْت ، تهيَّأْتُ لموادّ القبول وتحيَّزْت .

فَبَتُّ مُدّةَ عمرى ثبات[1] الصخْر ، وتناولتُ من الفوائد ما يفخر به الفخر .

ولو جُمِع ما قرّرتُه ، أو كتبته وحرّرتُه ، لبلغ ألفَ جِلْدٍ ضِخام ، وذلك مما يعِزّ على الموجودين من قادةٍ فِخام .

فهذا كتابى فى المَيْدان وأمثاله ، فمن له أدْنَى رأيٍ يعلم أنه لم يجتمِع بمثالِه .

ولو لم يكن فيه إلّا لطائفُ العبارات ، وحُسْن المُناسبات ، التى أخذَت بعجائب الإشارات ، لكان ذلك حَسْبُه فى بابِه ، كيف وقد أخَذ من اللُّطف بلُبِّ لُبابِه .

فالخِنْصر يُحلَّى وإن طالته الأنامل ، والمُدىُّ تفتك حيث لا تفتك العَوامل .

وصِغارُ الشُّهب أكثرُها حركة ، والناظِرُ أكثرُ أجزاء العين بركة .

والسهمُ يسبِق على ما فيه من قِصَرِه ، والنجمُ يُسْتصغَر والذنبُ للبصَر .

وقد استدركتُ الآنَ مَن لم يُذْكَر ، ورأيتُهم أحقّ مَن يُحْمَد مِن مثلى ويُشكَر .

فشرعتُ بفضل الهِمّة ، فى هذه التَّتِمّة المُهِمّة .

وأنا ألتجئُ إلى حِمَى الله المَنيع ، وأنتظر من صُنْعِ الرَّبِّ الصَّنيع .

فرَزَمَةٌ ولَا دِرَّة[2] ، وصَدَقةٌ ولا دُرّة :

كم من قليلٍ فى مَواقِعِه فضَلَ كثيرٌ أمرُهُ نَزْرُ

يُجْزِى الحصا رَمْىَ الجِمارِ ولا يُجْزِى اللآلِى فيه والتِّبْرُ

***

---

(١) فى س : « ثبوت » ، والمثبت فى : ب .

(٢) الرزمة : حنين الناقة ، والدرة : كثرة اللبن وسيلانه . وهذا مثل يضرب لمن يعد ولا يفى . انظر القاموس (رزم) ، مجمع الأمثال ٢/٢٠٦ .

الفصل الأول

في من أنشأ من بلغاء دمشق الشام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١

محمد بن إبراهيم العِمادِىّ *

عنوانُ الشرف الوافى ، وحَظُّ النفوس من الأمل المُوافِق .

ومَن طلع أسْعَد طالِـع فى تمامِه ، فتستَّر البدرُ خجلاً منه بذَيْل غَمامِه .

فوردت طلائعُ المدائح عليه ، تقرأ نسخةَ الحمدِ إذا نظَرتْ إليه .

ومحَلُّه من ناظِر المجد فى أماقِيه ، ومُقامُه ما بَيْن حَنْجرته وتَراقِيه .

ففضائلُه أنْطقتْنى بمـا نظمتُه فيـه من الغُرَر ، فـكنتُ كمن قلَّد البحرَ من فرائده بعُقودِ الدُّرَر .

وقد سلِم من[1] أن يشُوب بالَه غَرَض ، لأن جواهرَ الأغراض عنده كلها عَرَض .

لخضرتُه أرَّجتِ الأرْجا بطِيب شمـائِله ، وقد راض الرِّياض فأصبحتْ راضِيةً عن صَوْبِ أنامِلِه .

بحديثٍ يمُدُّ فى الآجال ، ومنطقٍ مُهزِم البُوسِ ومَرْهمِ الأوْجال[2] .

وعهدٍ لم يطْرُقْه الرَّيب ، وعِرضٍ لم يَرْنُ إليه العيب .

(*) محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن العمادى الحنفى الدمشقى .

ولد بدمشق ، سنة خمس وسبعين وألف ، ومات والده وهو ابن أربع سنين ، فنشأ فى حجر أخيه المولى على العمادى المفتى .

وقرأ القرآن ، ثم اشتغل بطلب العلم على شيوخ كثيرين ، منهم : أبو المواهب الحنبلى ، وإبراهيم الفتال ، وعثمان القطان ، ويحيى الشاوى المغربى .

وبرع فى الفنون ، وساد وتقدم ، فولى تدريس السليمانية بالميدان الأخضر بعد وفاة أخيه ، ثم تولى إفتاء الحنفية بدمشق ، سنة إحدى وعشرين ومائة وألف .

وكان عالماً محتشما ، أديباً بارعاً ، معظماً .

توفى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ، ودفن بباب الصغير .

سلك الدرر ٤/١٧–٢٣ ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبى له ، كما ذكر شعره .

(١) ليس فى سلك الدرر .　　(٢) الأوجال : جمع الوجل : وهو الخوف .

وأما فضلُه فكلُّ فضلٍ عنده فُضول ، وله من الأدب أنواعٌ تكاثرتْ وفُصول .
وأنا داعِيه ، وشاكرٌ مَساعِيه .
فإذا رأيته رأيتَ القمر الزاهر ، وإذا دنَوت منه أشرقت[١] أنفَس الجواهر .
على أنى حين أمْثُل لديه ، لا أستطيع من مهابتِه النظرَ إليه .
إلا المُخالسةَ بالنَّظَر الثانى ، فأُعِيذه بالسَّبْع المَثانِى[٢] .

***

وشعرُه يُزْرِى بقلائد الُجمان ، فى نُحور الحِسان .
فمنه قولُه ، من نَبويّة أرسلها صُحْبة النَّجاب ، مُتشوِّقا إلى المدينة المنوَّرة ، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام ، وهى[٣] :

أيا بارقًا من نحوِ رَامَةَ أبْرَقَا ... حَىِّ العَوالِى واللِّوَى والأبْرَقَا
واسْأل كِراماً نازلين بطَيْبَةٍ ... عن قلب مُضْنًى فى حِماهم أُوبِقَا[٤]
ركِب النَّجائبَ حين أمَّ رِحابَها ... صَحْبُ الفؤادِ وقادَه مُتشوِّقَا
كم أنْتَشِى ريحَ الصَّبا مِن نحوِها ... وأشِمُّ فيهــا بارِقًا مُتألِّقَا[٥]
وأبِيتُ أرْقُبُهــا سُحَيراً علَّها ... تَسْرِى فأعرف عَرْفَ مَن حَلَّ النَّقَا
وإذا كتمتُ الوجدَ خِيفةَ شامتٍ ... آلتْ جُفونِى حِلْفةً أن تنطِقَا
يا مَن سعَى بالقلبِ ثم رمى به ... جمرَ التَّفرُّقِ مُحْــرِماً عينى اللِّقَا
وقضَى بخَيْفِ مِنًى نِهاياتِ المُنَى ... هَلَّا ذكرتَ مُتيَّماً مُتحرِّقَا

---

(١) فى سلك الدرر : « استرقت » ، ولعله الأولى .
(٢) بعد هذا إلى نهاية الترجمة ساقط كله من : س .
(٣) القصيدة فى سلك الدرر ٤/١٨ ــ ٢٠ .
(٤) فى سلك الدرر : « فى حماها أوبقا » . وأوبقه : حبسه .
(٥) فى سلك الدرر : « كم تأتنى ريح الصبا » .
ولعل الصواب فى رواية عجز البيت : « وأشيم فيها بارقا متألقا » .

يا مَن تمتّع مُفرداً مُشتاقَهُ ... رِفقاً فإنّى قد عهدتُك مُشفِقا(١)

يا رائداً للخير يقصِد طَيْبَةً ... مُتشوِّقاً فى سَيْرِه مُتأنِّقا

يَمِّمْ حِمَى هذا الشفيعِ المُرتجَى ... واسألْ أناملَه الغمامَ المُغدِقا

واقْرَ السلامَ مع الصلاةِ على الذى ... جبريلُ كان خَديمَه لمّا رَقَى

هٰذِى الغيوثُ الهاطلاتُ بجُودِها ... ما كلُّ غيثٍ فى الورى مُتدفِّقا

مَن أخجل الكُرَماءَ لمّا جاءهم ... مُتحدِّياً بمَفاخرٍ لن تُسْبَقا(٢)

فاذهبْ لحضرته الشريفة ضارعاً ... واهْدِ السلامَ وقُلْ مَقالاً مُونِقا(٣)

يا سيِّدَ الرُّسلِ الكرامِ ومَن غدا ... لجَنابِه السامِى نَشُدُّ الأيْنُقا

يا راحمَ الضعفاءِ نظرةَ رحمةٍ ... لمُعذَّبٍ مُضنَى الفؤادِ تشوُّقا

يرجوك فضلاً أن تَمُنَّ ترحُّماً ... بشفاعةٍ تمحُو ذنوباً سُبَّقا

فالعبدُ فى سجنِ الأثامِ مُقيَّدٌ ... إنّ الكريمَ إذا تفضّل أطلقا

أنتَ المَلاذُ إذا الذنوبُ تراكمتْ ... والغوثُ أنت إذا رجانا أخفقا(٤)

أنْجِدْ لعبدٍ قد تملّكَ قلبَه ... حُبُّ الجنابِ وعُمرَه ما أعْتَقا

هاجتْ له الأشواقُ جمرةَ لوعةٍ ... فى قلبِه فقضتْ بسُقْمٍ أحْرَقا

ما حالَ يوماً عن غرامٍ صادقٍ ... لا والذى قِدَماً تفرّد بالبَقا

إن كان يوماً بالدِّيار مُخلَّفاً ... فالقلبُ منه حيثُ أنتم أُوثِقا

أو كان قيَّده القضاءُ بجسمِه ... فالشوقُ قد وافَى لنحوِك مُطلَقا

فاشفعْ لعبدِك كى يزورَك سيدى ... ويرى ضريحاً بالرِّسالة مُشرِقا

---

(١) فى سلك الدرر: «يامن تمتع»، وهى رواية تشير إلى التمتع فى الحج، وهو أنه إذا أحرم بالعمرة فى أشهر الحج وبعد تمامها يحرم بالحج فإنه بالفراغ من أعمالها يحل له ما كان حرم عليه، وهذا التمتع يقابل القران، وهو الجمع بين العمرة والحج بإحرام واحد.

(٢) فى الأصول: «متنجدياً بمفاخر»، والمثبت فى سلك الدرر. (٣) مونقاً: حسناً معجباً.

(٤) فى ب: «إذا رجانا حققا»، وفى ص: «إذا رجانا خفقا» والمثبت فى سلك الدرر.

حيث القَبولُ لوافدٍ بأثامِــه والعفوُ عن جانٍ أتى متملقَا
مَن لى بلَثْم تراب ذيّاك الحمَى أو أن أكون لِعَرْفِه مُتنشِّمَا
تلك المَشاهدُ إن يفُزْ جانٍ بهـا يَلْقَ النجاحَ مع السماحِ مُحقَّقا(١)
مَثْوَى حبيبٍ قد ثوَى فى مُهجتِى ومُقامُ ذى الشرفِ الرفيعِ المُنتقَى
هو غَيْثُنا وغياثُنـا بل غَوْثُنا من كلِّ خَطْبٍ فى القيامةِ أحْدَقَا
مَن جاء بالفُرقانِ نورًا ساطعـاً وغـدا الوجودُ بهَدْيِهِ متألّقا
يا هادياً أوْفَى بأوضحِ مَنْهجٍ لولاك ما عُرِفَ السبيلُ إلى التُّقَى(٢)
يا مَلْجأَ المسكين عنـد كُروبِهِ يا مُنْجياً من هَولِ ذنبٍ أقلقَا
يا مَن به طابتْ مَعالمُ طَيْبـةٍ وتمسّكتْ منـه بطِيبٍ أعبقَا
أنت الذى مازلتَ تِرْبَ نُبُوّةٍ من منـذ كوّنك الإلهُ وخلّقَا
العبدُ من خوفِ الجنـايةِ مُشْفِقٌ وبذَيْلِ جاهك يا شفيعُ تعلّقَا
صلّى عليك اللهُ ما رَكْبٌ سرَى نحوَ الحِجازِ وقاصداً أرضَ النّقَا(٣)
والآلِ والصَّحْبِ الذين بحُبِّهم يُرْجَى النَّجاةُ بهَولِ يوم أوْبقَا(٤)
وعلى الُخصوصِ السيدُ الصِّدّيقُ مَن أضحى به نورُ الهـداية مُشرِقا
ورفيقُـه اللّيثُ الغضَنْفَرُ غَوثُنا مَن رأيُه نَصَّ التلاوة وافقَا
والصِّهرُ عثمانُ بنُ عفّانَ الذى حاز الحيـاءَ مع المَهابةِ والتُّقَى(٥)
والشَّهْمُ حَيْدرةُ الحروبِ مدينـةُ الْـ علمِ الذى حاز السَّنـاءَ الأسبقَا
فعليهمُ منّى السلامُ مُحلّقـاً نحوَ الحجـازِ وبالعَبيرِ مُخلّقَا
ما سارت الرُّكْبانُ نحوَ تِهـامَةٍ يحْدُو بهـا حادِى الغرامِ مُشوّقَا

***

(١) فى ب : « تلك المعاهد » والمثبت فى : س ، وسلك الدرر .
(٢) فى سلك الدرر : « ياهادياً وافى » .
(٣) فى س : « وقاصداً أرض النقا » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .
(٤) أوبق : أهلك . (٥) فى س : « والصدر عثمان » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

ومما امتدحه به مولانا المرحومُ المؤلف بقوله :

أوقفتْنا آمالُنـــا فى التمادى فلنـــا حرْ غُلّةٍ فى الصّوادِى
نتمنّى ما دونه لحظاتٌ قطّعتْ دوننـــا طريقَ الرشادِ
هكذا يطلبُ النتائجَ قلبٌ لا تراه أهلاً لدركِ المبادِى
والدّرارِى فى البحر تخفَى ولكنْ هى عند الجُهّالِ فيـه بوادِى
أمرضتْنى المرْضَى الصّحاح وخلّتْ بين جنْبى وبين شوْكِ القتادِ
فاض دمعى دمًا فقلتُ نجيعٌ صبّغتْه عُصـــارةُ الأكبادِ
لا رعَى اللهُ سِربَ زائرِ فوْدٍ حلّ كرْهًا فارْتاعَ منه فؤادِى
من بياضٍ أضاف فيـه سوادًا فأباد البياضُ شخصَ السوادِ
أين عهدى والوقتُ طلْقُ المحيّا حين سلّمتُ للغرامِ قِيادِى
ومِياهُ الصّبا أوانَ التّصابى سائغات الإصْدارِ والإيرادِ
ورياضُ الآمالِ ألقتْ عليهـــا خِلْعةَ النّبْتِ والزّهورِ الغوادِى
لم يرُعْ تُرْبهـــا نسيمٌ تراهُ موقظًا طرْفَ نوْرِها من رُقادِ
رحَل العِيسُ فاغتديتُ كحرْفٍ ساقطٍ فى مَراتبِ الأعدادِ
وجَفانِى مَن كنتُ أرغبُ فيه لا لذنبٍ بل ضِنّـــة بالودادِ
فتفرّدتُ فى صِحابى وحُزْنِى كالعِمادِىّ دامَ فى الأمجـــادِ
مَن ترى وجهَه فتُنكِر أن الْ بدرَ حُسْنًا له من الأندادِ
يُتوقّى فى بُرْدتيْه مُهـــابٌ وتُوَقّى السيوفُ فى الأغمـــادِ
حلّ من مُهجةِ العُلَى والأمانِى بمَحلّ الأرواح فى الأجسادِ
أوْقعتْه على الحقـــائق نفْسٌ أدركتْ مُنتهَى النّهَى فى المِهادِ
إنْ يُفوّقْ آراءَه لعويصٍ فسِهامٌ يُصيب لُبَّ السّدادِ

جمع الفضلَ لم يَدَعْ منه شيئاً لِسواهُ إلّا عَنا الاجْتهادِ
ضلَّ حُسَّادُه الطريقَ فأضْحَوْا في هَوامٍ عُمياً بلا قُوّادِ
مَن يُؤمِّلْ سِواه فهْو كساعٍ لِسَرابٍ بمَهْمَهٍ وهو صادِ
يا عِمادي دُمْ مَوْئِلي وعِياذي ومَلاذي ومُسْندي واعْتمادي
أنا مَن قد تخِذتُ حُبَّك ديني حَلَّ من مُهجتي محَلَّ اعتقادي
ووِدادِي كما علمتَ وِدادي لم يزلْ مُدَّةَ البقا في ازْديادِ
فأَنِلْني رِضاكَ في كلِّ حالٍ واكْفِني بُؤسَ وَصْمةِ الأحْقادِ
واغتفرْ مِدحةً تُوافيك خَجْلَى من قُصورٍ في وَصْفِك المُعتادِ
لك أهْديتُهـا وإنّي مُهْدٍ باجْـتراءِ زَيْفاً إلى نَقّادِ
وابْقَ في نعمةٍ وأمْنٍ ويُمْنٍ عُوِّذٍ بالمُنَى ليوم المَعـادِ

***

ولصاحب الترجمة ، حفظه الله تعالى ، مُتغزّلا ومُضمِّناً بقوله :

ناديتُ مذ أبْدَى الصُّدودَ مُعذِّبي ولَوَى بجيدٍ للصَّبابة آخذِ
وَرَنا يصُولُ بجَوْهَريِّ قَوامِهِ وبسهْمِ ألحاظٍ بقلبي نافذِ
بِك منك إنّي مُستجيرٌ عائذٌ هـذا مقامُ المُستجيرِ العائذِ[1]

***

وله ، سلّمه الله تعالى وأبقاه[1] :

قمرٌ تبدَّى فوق غصنِ قَوامِ ورَنا يصولُ بناظرِ الآرامِ
وغدا لقَوْسَيْ حاجبيْه زاوياً يرْمِي بها نحوَ الوَرَى بسهامِ
فتَـكتْ نُصُولُ لِحاظِه بقلوبنا فعلى الدَّوامِ تصولُ وهْي دَوامِ

---

(١) تقدم نفحة الريحانة ٢/ ١٤ ـ ٧١ تضمينات كثيرة لعجز هذا البيت ، لشعراء دمشق الشام
(٢) القصيدة في سلك الدرر ٤/ ٢٠ .

نحن المرامِى والسهامُ لحاظُه ومن العجائب أنَّهنّ مَرامِى
فى لفظِـه أو لحظِه لعقولنـا خمـرٌ وسحرٌ ما هما بحَرامِ
ملَك الجمـالَ بحُسْنه وبهائِه وبغُنْجِ لحْظِيْه ولينِ قَوامِ
ليت الزمانَ به لشَمْلِي جامـعٌ لندومَ فى وَصْلٍ مدى الأيّامِ[1]
جُعِلتْ له منّى الحشاشةُ مَوْطِناً لمّا جفانى منـه طِيبُ منامِى
فعـلى م يُطْنِب لائِمى فى حُبِّه والوَجْدُ وَجْدِى والغرامُ غرامِى
ريحَ الصَّبا زُورِى حِماهُ وبلِّغِى مِـنِّى السلامَ وعرِّضِى بسَقامِى
واسْتقبلِى وجهاً غـدا مِن حُسْنِه قمـرَ الدُّجى مُتستِّراً بغَمامِ
واسْتَجْلِى خالًا فى مُقبَّلِ مَبْسَمٍ أضْحَى لكنزِ الدُّرِّ مِسْكَ خِتامِ
وتأمّلِى تلك المَحاسنَ وانظُرِى صُنْعَ الإلٰهِ وحكمةَ الأحكامِ
كالبدرِ لاح لناظرٍ والوردِ طا بَ لناشِقٍ والرُّوحِ فى الأجسامِ
وهَلُمَّ إن قَبِـل السلامَ فبشِّرِى أمـلِى وإلّا فارجِعِى بسَلامِ

***

وله، حرسَ اللهُ تعالى وُجودَه[2]:

يا سقَى اللهُ يوم أُنْسٍ بنـادٍ غلِط الدهرُ لى بطِيبِ التَّلاقِى
لستُ أنساه إذْ أدار علينـا فيه أقْداحَ خمـرةِ الأحْداقِ
بدرُ تِمٍّ أبـقَى الكمالَ له اللّٰـ ـهُ وأعطَى المَحاقَ للعُشّاقِ
وحَيـاه من قدِّه الرَّطْبِ تلتفُّ م غُصونُ الرياضِ فى الأوْراقِ[3]
رَقَّ جسمى كالخَصْرِ منـه وقلبى خافِقٌ مثـلُ بَنْدِه الخفّاقِ

(١) فى الأصول: « لشملى جامع »، والمثبت فى سلك الدرر. (٢) الأبيات فى سلك الدرر ٤/٢٠
(٣) لم يرد هذا البيت فى سلك الدرر.

يا كثيرَ الصُّدودِ رِفقاً قليـــلا بمُحِبٍّ مُضْنًى من الأشْواقِ
ذَابَ قلـــبي وقد تصدَّع حتى قطَّرتْه الجفونُ من آماقِ

***

وله ، أطال الله تعالى بقاه[1] :

رَنَا قمراً في جُنح ليـــلٍ من الشَّعْرِ فلم أدرِ ضوء البدر أم غُرةُ الفجْرِ
جلَا وَردَ خدٍّ معْ شقيقٍ يَزينُـــهُ عقيقُ شِفاهٍ فوق عِقْدٍ من الدُّرِّ
بَرَى صبَّهُ عِشقاً وما رَقَّ قلبُه فياليت شِعْرِى كان قلبُك من صخرِ[2]
جَرحْتَ فؤادى وانْطوَيت على الجفا وحكَّمت فيَّ الحبَّ من حيثُ لا أدرِى
لعل زمانى أن يجودَ بقُربكم وتُسعفنى الأيامُ فيكم مدى الدهرِ[3]
بُليتَ بمَن قلبى كمثالِ جُفونِه تساوتْ جميعاً فى البِناء على الكسرِ
يُنفِّذ من لحْظٍ لقلبىَ أسهُماً ويرشُق مِن قدٍّ بأمضَى من السُّمْرِ

***

وله ، حفظه اللهُ تعالى ووقاه[4] :

هل لقلبٍ قد هام فيك غراماً راحةٌ مِن جَفاك تشفى السّقاماَ
يا غزالًا منـــه الغزالةُ غابتْ عنـــدما لاح خَجْلةً واحتشاما
وبأوراقِهـــا الغصونُ توارتْ منـــه لمَّا انثَنى وهزَّ قواماَ
لك يا فاتنَ اللَّواحِظِ طَرْفٌ فتكُه فى القلوب فاق السِّهاماَ
عَجَباً من بقاءِ خالِك فى الخـــدِّ ونـــيرانُه تؤجّج ضِراماَ
ومِن الفَرْعِ وهْو فوق جَبينٍ يُخْجِلُ الشمسَ كيف مدَّ ظلاماً[5]
يا بديعَ الجمـــالِ يا كامِلَ الحُسْـــنِ ترفَّقْ بمَن غـــدا مُسْتهاماَ

(١) الأبيات فى سلك الدرر ٤/ ٢٠ ، ٢١ .
(٢) فى سلك الدرر : « برى حبه عشقا » .
(٣) فى سلك الدرر : « فيه مدى الدهر » .
(٤) الأبيات فى سلك الدرر ٤/ ٢٢ .
(٥) لم يرد هذا البيت فى سلك الدرر .

هو صَبٌّ ما مالَ عنك لِوَاشٍ ⁂ نَمَّق الزُّورَ فى هَواكَ ولَامَا

***

وله، حَماه اللهُ من كل سوءٍ ورَعاه(١) :

غرامى سليمٌ والفؤادُ سقيمُ ⁂ ودمعى نَمُومٌ واللسانُ كَتومُ

وخدَّىَ مِن وَدْقِ الدموعِ مُخَدَّدٌ ⁂ وبين ضلوعى مُقْعِدٌ ومُقيمُ

وما الدمعُ ماءٌ بل فؤادٌ مُصَعَّدٌ ⁂ مُذابٌ تُقطِّره الجفونُ كَلِيمُ

وقلبى لبُعْدِ الحِبِّ أصبح وَالِهاً ⁂ وفيه عذابٌ مِن جَفاك عظيمُ(٢)

وجسمى عليلٌ يُشْبه الخصرَ ناحلٌ ⁂ وحَظِّىَ مثلُ الفَرْعِ منه بَهيمُ

يلومونني فى حُبِّ مَن لو إذا بدا ⁂ مَساءً نَغابَ البدرُ وهْو ذَميمُ

ومَن لو رآه الغُصْنُ لا لْتَفَّ خَجْلةً ⁂ بأوراقِه واحْتار منه الرِّيمُ(٣)

فليس لشىءٍ من جميعِ جَوارحِى ⁂ مكانٌ سِواهُ والإلهُ عليمُ

وقد عاب قلبى بالمَحبَّةِ عاذلٌ ⁂ وكيف خَلاصِى والغرامُ غَريمُ

شكوتُ إليه طَرْفَه مُتظلِّماً ⁂ فقال سقيمٌ يشْتكيه سقيمُ(٤)

حديثَ الهوى من عَهْدِ آدمَ قد رَوَوْا ⁂ فَمَهْلاً فؤادى فالبلاءُ قديمُ

ولم أنْسَ لَيْلاً ضَمَّنا بعد فُرْقةٍ ⁂ برَغْمِ عَذُولٍ لامَ وهْو لئيمُ

فبات وكأسى ثَغْرُه ورُضابُه ⁂ مُدامِى إلى الإصْباحِ وهْو نَديمُ

إلى أن شَدَا فوق الأراكةِ طائرٌ ⁂ وهَبَّ علينا للقَبُولِ نَسيمُ

فقام لتَوْديعى وقد أوْدَع الحشَا ⁂ بَلابِلَ شوقٍ والفِراقُ أليمُ

فقلتُ له والجَفْنُ ينثُر دَمْعَه ⁂ كسِلْكِ لعِقْدٍ حُلَّ وهْو نَظيمُ

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٤/٢١ .

(٢) فى س : « وقلبى بعد الحب » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر

(٣) لم يرد هذا البيت فى سلك الدرر . (٤) لم يرد هذا البيت أيضاً فى سلك الدرر .

أيا جاعلاً حَظِّي سهامَ لِحاظِه ... ومِلْءُ الحشا من مُقْلتيهِ كُلومُ[1]

رُوَيْدًا رَعاكَ اللهُ قُرْبُكَ جَنّةٌ ... وبُعْدُكَ يا رَبَّ الجمالِ جحيمُ

فقال وقد أثْنَى القَوامَ تأدُّبًا ... تَصَبَّرْ فإنّى للوصالِ زعيمُ[2]

وسار وقد سار الفؤادُ أسيرَهُ ... ودمعِى مَسْجومٌ حَكَتْهُ غُيُومُ

فقلتُ وجَيْشُ الوجدِ سار كَمِينُه ... وجيشُ اصْطِبارى راحلٌ وهَزِيمُ[3]

فيا ليْتنى من قبلُ لم أعرفِ الهوى ... ولا ليْتَه لا كانَ ذاكَ اليُومُ[4]

***

وله ، شيّد اللهُ بناه ، ولا كان مَن يَشْناه[5] :

هل لِقلبِي مِن قامةٍ قتّالَهْ ... مَن مُجيرِى مِن مُقْلةٍ نبّالَهْ[6]

يا لَقلبِي مِن جَوْرِ ظَبْيٍ غَرِيرٍ ... بِلِحاظٍ فِعْلَ الظُّبا فعّالَهْ

بدرُ تِمٍّ أعْطَى المِحاقَ مُحيّا ... هُ وأبْقَى له الإلهُ كمالَهْ

لم أقِسْهُ بالبدرِ إلّا بِبُعْدٍ ... وبِصَوْنٍ عن ناظرٍ أن ينالَهْ

أين للبدرِ قَدُّ خَوْدٍ رَطِيبٌ ... أين للبدرِ مُقْلةٌ غزّالَهْ[7]

قد حكاه الغزالُ جِيدًا ولَحْظًا ... وحكَتْ وجهَه المُنيرَ الغزالَهْ

وغصونُ الرياضِ خَرَّتْ سجُودًا ... إذ تثنَّى بقامةٍ ميّالَهْ

لِهَواه كُلِّى فؤادٌ وكُلِّى ... أُذُنٌ كُلَّما سمعتُ مَقالَهْ

يا حبيبًا تفديه رُوحِى ويا مَن ... ما رأتْ فى الدُّنا عيونى مِثالَهْ

---

(١) فى سلك الدرر : « أيا جاعلا منى » .

(٢) فى سلك الدرر : « بالوصال زعيم » . (٣) لم يرد هذا البيت فى سلك الدرر .

(٤) فى حاشية سلك الدرر : « قوله : لا كان ذاك اليوم . كذا فى النسخة التى بأيدينا ، وهو ركيك غير مستقيم الوزن . اهـ » ، وهذا مبنى على فتح الياء من « اليوم » ، أما على ضم الياء فالوزن مستقيم .

(٥) القصيدة فى سلك الدرر ٤/٢١، ٢٢ (٦) فى سلك الدرر : « من مجير ومقلة نباله » .

(٧) فى سلك الدرر : « قد خوط رطيب » .

والخود : المرأة الشابة .

ما دموعى إلَّا فؤادٌ مُذابٌ   صاعدٌ والهوى كدمعِى أسالَهْ

فترفَّق بقلبِ صَبِّك فالشَّو   قُ بَراهُ وغيَّر السُّقْمُ حالَهْ(١)

لستُ أنْساه إذْ أشار لنَحْوِى   بقَوامٍ عند الوَداعِ أمالَهْ

وكَمِينُ الغرامِ ثار وصبرِى   حارَ بل راحَ مُذ رأى تَرْحالَهْ(٢)

أتمنَّى طعمَ الرقادِ عَساهَا   مُقْلتِى فى المَنامِ تَلقَى خيالَهْ

آهِ بل ألفُ آهةٍ لغرامٍ   بفؤادى نِيرانُه شعَّالَهْ

كيف أنْسَى أيامَ أُنْسِى بنادٍ   حَطَّ رَكْبُ السرورِ فيه رِحالَهْ(٣)

مع بدرٍ يميسُ عُجْباً ويَرْنُو   بقَوامٍ وأعْيُنٍ قتَّالَهْ

تارةً ألْثُمُ الخدودَ وطَوراً   ألْثُمُ الثَّغْرَ راشِفًا سَلْسالَهْ(٤)

وزَمانِى طَوْعُ القِيادِ ووافٍ   بمُنَى النفسِ ضامنٌ إقْبالَهْ

إن نكُن فى الصباحِ خالين مِن وَصْـ   لٍ فنُمْسِى مُستقْبلين وِصالَهْ

فسقَتْ عَهْدَنا البهيجَ عُهودٌ   بمُلِثٍّ كدَمْعَتِى الهطَّالَهْ(٥)

ماشدَتْ سُحْرةً بلابلُ رَوضٍ   وأهاجتْ مِن مُدْنَفٍ بَلْبالَهْ(٦)

***

وله ، حفظه الله تعالى ، من قصيدة يتخلَّص فيها لمدح الجناب الأكرم ، والرسول الجليل المعظَّم ، محمد صلى الله عليه وسلَّم (٧يقول فيها٧) :

نَبِيٌّ حبيبُ الله فينا مُشفَّعٌ   له الرُّتْبةُ العَلياءُ والنِّسْبةُ الغَرَّا

---

(١) لم يرد هذا البيت فى سلك الدرر .

(٢) فى الأصول : « وكَمِين الغرام صار » ، والصواب فى سلك الدرر

(٣) فى سلك الدرر : « أيام وصل بناد » .   (٤) هذا البيت والبيتان التاليان له لم يردوا فى سلك الدرر

(٥) الملث من المطر : المتتابع الغزير   (٦) فى ص : « ماشدى سحرة » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر . والبلبال : شجن النفس

(٧) فى ص : « بقوله منها » ، والمثبت فى : ب .
والأبيات فى سلك الدرر ٤/٢٢ ، ٢٣ .

تَسامَتْ على هام السِّماكِ بمجدِها ... فتاهتْ على الجَوْزاء وارْتفعَتْ قدرا [1]

أرُومُ امْتداحِيه بكُفء فأزْدرِى ... له من بَناتِ الفكرِ مَجْلُوَّةً بِكْرا

لَعَمْرِىَ لا أرضَى الدّرارى ولو دَنَتْ ... لأنْظِمها فى مدحِه قَدْرِ الدُّرّا [2]

وما مِدَحُ المدّاحِ تحصُر فضلَه ... وقَطْرُ الغَوادِى مَن يُطيقُ له حَصْرا [3]

ولو أنَّ أُلْفاً يَنظِمون مَديحَهُ ... لَمَا بلغُوا من بعضِ أفْضالِه العُشْرا [4]

وناهِيكَ مَن قد جاءنا فى مَدِيحِه ... مِن اللهِ آياتٌ مدَى دهرِنا تُقْرا

منها :

وصلَّى إلٰهِى مَعْ سلامٍ على الذى ... أنالَ الورَى فخراً يفُوق على الشِّعْرَى

مدَى الدهرِ ماغنَّى على الدَّوْحِ ساجِعٌ ... وما أسْبَل المشْتاقُ من دمعِه قَطْرا

***

وقد امتدحه جنابُ قاضى القضاة بدمشق الشام ، المولى المحترم مصطفى أفندى الشهير بمدحى ، بقصيدة سَنِيَّة ، مطلعُها قوله :

كأنَّ دِمَشْقَ الشام وَجْهُ حبيبةٍ ... تهلَّلَ نوراً مثل شمسِ الظَّهائرِ

***

فأجابه ، حفظه الله تعالى عنها ، بهذه القصيدة من الوزن والقافية :

ألَفْظُكَ أم دُرٌّ بأسْلاكِ ماهرِ ... أم الرَّوضُ قد وَشَّاه حُسْنُ الأزاهرِ

أم الزُّهْرُ لاحتْ فى سماء مَطالعٍ ... أم الزَّهْرُ بادٍ للعيونِ النَّواظِرِ

أم اللُّؤلُؤُ الرَّطْبُ النَّضِيدُ مُنظَّمٌ ... قلائدَ جِيدٍ ناضرِ الحُسْنِ باهرِ

أم السِّحْرُ وافَى من نِظامِك مُعْجِزاً ... بعَزْمٍ به حَلَّيْتَ عَزْمَ الكَواسِرِ

---

(١) السماك : أحد نجمين نيرين ، يقال لأحدهما الأعزل ، وللآخر الرامح .

(٢) فى سلك الدرر : « لعمرى ولا ... ولو دنت » .

(٣) فى سلك الدرر : « من يطيق لها حصرا » .

(٤) فى سلك الدرر : « من قدر أفضاله » .

مَعانيه فاقَتْ فى بديعِ بَيانِها — فأطْرَقَ إجلالاً له كلُّ ماهرِ

كَتبتَ فوشَّيْتَ الطُّروسَ براحةٍ — لها راحةٌ فى الفضلِ بين الأكابرِ

فكم ألِفٍ فاقتْ على غُصْنِ بانةٍ — وميمٍ كثغرٍ بالملاحةِ سافرِ

لأقلامِك السُّمْرِ الرِّقاقِ فضائلٌ — يُقصِّر عنها فعلُ بِيضِ البواترِ (١)

إذا حكمتْ فى مُشْكلٍ عَزَّ دَرْكُه — لفَصْلِ خطابٍ فهْى أعدلُ ناصرِ

عقدْتَ لسانَ النُّطقِ عن كلِّ فاضلٍ — وأخْمدْتَ نار الفكرِ من كلِّ شاعرِ

فلا غَرْوَ أن أصبحتَ فى الأوْجِ راقياً — إلى رُتْبةٍ فوق السُّها والزَّواهرِ

فيافاضلاً ما إنْ لنا عن علومِه — غَناءٌ ولا عن فَضْلِه المتزاخِرِ

لئن فخَر المُدّاحُ يوماً بمدْحِهم — فإنِّى بمدحِى حُزْتُ أسْنَى المفاخرِ

حُبيتُ بنظْمٍ مثل طَبْعِك رائقٍ — رقيقاً فيا أهْلاً به خيرَ زائرِ (٢)

ولَمَّا اجْتلبْتُ الفكرَ فى وصفِ حُسْنِه — وَجَمْتُ ولم تلمعْ بوارقُ خاطرِى

فأيقَنْتُ أنّى لستُ كُفْؤاً لقدْرِه — وهل كاملٌ يوماً يُقاسُ بفاترِ

فيا كاملاً قد حاز أوْفَى بلاغةٍ — بها قد رمَى شأْوَ الكرامِ الأخايرِ

إليك اعْتذارِى من قريضٍ تركتُه — زماناً فأضحَى الآن غيرَ مُعاشرِى

فجُدْ بالتّغاضِى عنه واقْبلْ نَسيجَه — على دَخَلٍ لا زِلْتَ فخرَ المفاخرِ

ودُونَكها من فاترِ الذِّهنِ قاصرٍ — لحبْرٍ فصيحٍ ناظمِ الدُّرِّ ناثرِ

ودُمْ سالماً ماحرّكتْ نَسْمةُ الصَّبا — غُصوناً عليها ساجعاتُ البواكرِ

* * *

وممّن امتدح المولى المذكور أيضا ، ابنُ أخى سيدنا ومولانا المترجم .

وهو نُور حَدَقة الفضل والمجد ، ونَور حديقة العِزّ والسّعد .

---

(١) فى ب : « بعض البواتر » ، والمثبت فى : ص .　　(٢) فى ص : « حبيب » ، والمثبت فى : ب .

جنابُ الفاضلِ اللبيب ، والكاملِ الأريب .

حامد[1] سليلُ المرحوم شيخ الإسلام ، ونخبة العلماء المحققين الأعلام ، عليّ العِمادي ، لا بَرِح يُحَيّي ضَريحَهُ صَوْبُ الحيَا الصّادِي .

بقصيدة سَنِيَّة جعل فيها تاريخاً لولايته دِمَشْق الشام ، ودفَعها إليه فى مجلس السلام .

وهى :

بُشْرَى دِمَشْقَ الشام بل والعالَمِ ... بوِلايةِ المولَى الهُمامِ العالِمِ

مَولًى غَدتْ بيدِ القضا أحكامُه ... فى الناسِ أمْضَى من شِفارِ صَوارِمِ

نَهَجَ الصَّوابَ على مُجَرَّدِ حُكْمِه ... أبداً على رَغْمِ الظَّلُوم الغاشِمِ

مُتجرِّدٌ للهِ ينصُر دينَه ... بالحقِّ لا يُصغِى لِلَوْمَة لائمِ

إن سار فيه الظَّنُّ كان بكلِّ ما ... يرجُوه مِن جَدْواهُ أوَّلَ قادمِ

ذُو العِزِّ كشَّافُ العلومِ ومَن علَا ... بمقامِه المسْعودِ فوق نَعائمِ[2]

مافيه إلّا أنه قد أغفلَتْ ... بندَى أيادِيه مآثرُ حاتمِ

فى مُصْطفَى مَدْحِى تفوّق بالدُّعا ... وسطورُ نظْمى بالثَّناء الدّائمِ

فاق الأنامَ فضائلاً ومَحامداً ... لِمَ لا وقد قُرِنَت بحُسْنِ مَكارِمِ

ما روضةٌ غَرّاء طاب شَمِيمُها ... بعَبِيرِ أزْهارٍ وطِيبِ نَسائمِ

---

(١) حامد بن على بن إبراهيم العمادى الحنفى ، المفتى .

ولد بدمشق سنة ثلاث ومائة وألف ، ونشأ بها ، وقرأ القرآن ، واشتغل بطلب العلم على علماء الشام ، والحرمين والروم ، ومصر ، ودرس أولا بالجامع الأموى ، ثم صار مفتيا سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ، وصار يدرس فى السليمانية بالميدان الأخضر .

وله تآليف كثيرة ، منها : «الفتاوى» ، و «ديوان شعره» ، و «الإتحاف بشرح خطبة الكشاف» .

توفى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

سلك الدرر ٢ / ١١ — ١٩ .

(٢) النعائم : من منازل القمر . القاموس (ن ع م) .

يترقرقُ المـــاءُ النميرُ بربعِها ... والزهرُ يبسِمُ فى خلالِ كمائمِ

يوماً بأحسنَ مِن شمائلِه التى ... بالفضلِ قد حازتْ صنُوفَ كرائمِ [1]

قسماً بأسفـــارٍ مُلِئْنَ فضائلا ... مِن جُودِك المُزْرِى بسحِّ غمائمِ

لم يأتِ فى ذا العصرِ مثلُك عالمٌ ... بقضا ذَوِى الأرحامِ أعدلُ قاسمِ

يا أيُّها المولَى الذى حاز العُـــلَى ... بسديدِ آراءٍ وفكرةِ حازمِ

فى القلبِ حُبٌّ للجَنابِ مُنحتُهُ ... مِن قبلِ ما نِيطتْ علىَّ تمائمى

والعبـــدُ يرجو فى عُقودِ نِظامِه ... منكَ القَبولَ لها ونَظْرةَ راحمِ

والدهرُ منَّانا بفضلِكَ أرّخوا ... ودمشقُ بُشْراها بأعدلِ حاكمِ [2]

فاسْلَمْ على مرِّ الزمانِ مُؤيَّدًا ... تَغْشَى ذُرَى العَلْيا بثغرٍ باسمِ

والسَّعْدُ فى أبوابِكم طَوْعُ المُنَى ... والعِزُّ أنَّى كنتَ خيرُ مُلازِمِ

ما طافَ حولَ عِمادِ فضلِك حامدٌ ... نُعْماكَ أو نُشِرتْ قلائدُ ناظمِ

***

وكتب صاحبُ الترجمة، حرسَه اللهُ تعالى وجودَه، وأنالَه فى الدّارينِ سُؤْلَه ومَرامَه ومقصودَه.

إلى ابنِ أخيه حامد أفندى المذكور، بهـذه[3] الرسالة البديعة الجمال، التى لم يُنسَج على مِنْوالِها مِثال.

وأرسلها إليـه صُحْبةَ كتابِ الحجِّ إلى المدينة المنوَّرة، على ساكِنِها أفضلُ الصلاة وأتمُّ السلام، إلى قيامِ الساعة وساعةِ القِيام.

---

(١) فى ب: «ضيوف كرائم»، والمثبت فى: ب.

(٢) جاء حساب هذا التاريخ فى ص هكذا:

ودمشق ٤٥٠ — بشراها ٥٠٩ — بأعدل ١٠٧ — حاكم ٩٦ = ١١٣٥

(٣) فى ص: «هذه»، والمثبت فى: ب.

وهى فى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف من الهجرة النبوية ، وهى :

الحمدُ لله وحدَه .

أما بعدَ حَمْدِ الله الذى أنْعَمَ على حُجَّاج بيته العتيق، الواردين إليه من كل فَجٍّ عميق.

بزيارة مرْقَدِ حبيبه الذى كَمَل به نوعُ الإنسان ، والتَّشرُّف برُؤية بيته الشريف

الذى هو قِبْلَةُ أهل الإيمان .

حمداً تطُوف وُفودُ الإخلاص حولَ كعبته ، وتقْصُر الفُصَحاء عن أن تكونَ مُزْدَلِفةً

من شُكْرِ نِعْمته .

وصِلاتُ الصَّلاة والتسليم ، المِسْكيَّة النسيم ، العَنْبَرِيَّة الشَّمِيم .

على المَثْوَى الذى تُرابُه الزَّاكى مسكُ الأنوف وإثْمِدُ الأحْداق ، والرَّوضةِ التى

فاح بنَشْرِ عَبِيرِها النسيمُ العاطرُ الخَفَّاق .

وعلى آلِه وأصحابِه الذين فازُوا برُؤيته ، وأخلَصُوا فى السَّعْيِ بصَفاء القلب فى خِدْمته .

ما أسْفَر النَّيِّران ، وتعاقب المَلَوان[1] .

فنَبْتَهِل إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وبنَبِيِّه النَّبِيه نتوسَّل .

مع كَمالِ الضَّراعة وأنْواع التَّوسُّلات ، فى أن يَمُنَّ علينا برَفْعِ مانعةِ الجَمْع ويجمعَ

الشَّمْلَ بعد الشَّتات .

وأن يُنْعِم على جنابِ ولدِنا ، المحروسِ ـ إن شاء الله تعالى ـ بعَيْن عِنايته ،[2] المحفوظ

بحِفْظه وحراستِه[2] .

بأنْواع الصحة المُشْرِقة كواكبُها ، والسعادةِ المحمودةِ عَواقبُها ، والنِّعمةِ الهاطلةِ

سحائبُها ، والسلامةِ التى طابتْ مَشارِبُها .

---

(١) النيران : الشمس والقمر ، والملوان : الليل والنهار .

(٢) فى ب : « المحروس بحفظ حراسته » ، والمثبت فى : س .

وأن يُمتِّعَ أبصارنا برُؤياه ، ويُعظِم شَمْلنا بطَلْعة مُحيَّاه .

لِنَغفِر للزمان ما جَناه من الذنوب ، ونَحْظَى برُؤيته التى هى غايةُ القصد ونهايةُ المطلوب .

إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جَدير .

هذا ، وأمَّا حديثُ الشوقِ إلى جناب ولدنا المحترم الأجَلّ ، بلَّغه اللهُ من المراتب العَلِيَّة أرفعَ محَلّ .

لمَّا كان أمراً يَكِلُّ لسانُ البَرَاعةِ عن نَشْرِ مِعْشارِه ، ويقف عِنانُ اليَراعةِ عن السَّبْق فى مَجال مِضْمارِه .

أثْنيْت عِنانَ اليراعة عن شرحِ تفْصيله ، واستْغنَيْتُ عن كثيرِ اللفظ بقليله .

لأن لسانَ الخِطاب فى ذلك لذلك الجناب وإن طال قصير ، ومُتَرْجِم البراعة وإن أجاد العبارةَ عن تعْبير كُنْهِ ذلك فآتٍ بقليلٍ من كثير .

فنسأله سبحانه وتعالى أن يمُنَّ علينا بنعمة الاقتراب ، ويُحْسِن لنا من فضلِه وكرمِه ومَنِّه بمُشاهدة ذلك الجناب .

صانَه اللهُ تعالى وحَماه ، ومن كلِّ سوءٍ ومِحْنة رَعاه ، وكَلأَه ووَقاه .

بحُرمة محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم سيِّدِ الأنْبِيا ، ومُبلِّغ الأنبا .

وبآلِه الخُلاصةِ الطاهرين ، وأصحابِه الأصْفياءِ الأكرمين ، رِضْوانُ الله وسلامُه عليهم أجمعين .

ثم المعروضُ بعد رَفْعِ الأدعيةِ الصادرةِ عن خالص الجَنان ، وإنْهاء الأثْنِيَة التى يعجِز عن تعْبيرها وحَصْرِها القلمُ واللسان .

أنه فى أبْرَكِ الأوقات ، وأسْعَدِ الساعات .

ورَد علينا كتابُ الولد الأمجد الأعزّ ، أطال الله سبحانه وتعالى مُدَّةَ بقائِه ، وأسْعَدنا من فضلِه بنعْمةِ لقائِه .

فرتَع منه الناظِرُ فى رَوضةٍ أينَعتْ غصونُها بالثمار ، وجال فى أُفقٍ كواكِبه شموسٌ وأقمار .

طَلَع الفَجْرُ مِن كتابِك عندى فمتى مِن لقاك يبْدُو الصَّباحُ

ووقفتُ على ما تضمَّنه من الفضل الباهر ، وما أودَعْتَ فيه من الألفاظ التى هى دُرَرٌ وجواهر .

وتجلَّتْ لى غرائبُ إشاراته ، ورغائبُ استعاراتِه .

التى هى مِن أبْكار الجِنان ، كأنها الياقوتُ والمَرْجان .

فقلتُ : إن ما هى إلّا روضةُ بلاغةٍ أنيقة ، وحديقةُ فصاحةٍ غَدِيقة .

فاح نَوْرُ كالِها ، ولاح نُور جمالِها .

رشفَتْ ماءَ الفصاحةِ من سماء المَعالى ، وأشرقَ عليها كوكبُ البلاغة المُتلالِى .

تحيِّى الحْيَا غِياضَها ، وسقى الوَسْمِىُّ [1] رِياضَها .

فِقَرٌ تناهتْ فى البديع وفى الفصاحةِ والبلاغَهْ
قد صاغَها فَرْدُ الزما نِ بفِكرِه أبْهى صِياغَهْ [2]

فلله دَرُّه على ما حواه من الدُّرَر والنفائس ، والألفاظِ التى تَميس فى خُدورِها كالعرائس .

المُزْرِى بعُقود الدُّرِّ النَّظِيم ، ورائق الرَّيق والتَّسْنيم [3] .

المُتحلِّى بملابِس المعانى ، والمُقصِّر عن إدراكِ بعضِه الفرَزْدق وابنُ هانى .

ولا بِدْعَ فإنه من فاضلٍ أديب مُجيد ، يتحلَّى بدُرِّ نَثْرِه النَّحْرُ والجِيد .

شمسُ سماءِ العلوم ، وبدرُ دُجَى المنطوق والمفهوم .

---

(١) الوسمى : أول مطر الربيع .

(٢) فى ب : « بفكرة أبهى صياغة » ، والمثبت فى ص .

(٣) التسنيم : أرفع شراب أهل الجنة . غريب القرآن لابن عزيز ٧٥ .

فتلقَّيْناه بالقبُول والتَّكْرِيم ، وقابلْناه بالإجلال والتَّعْظِيم .

واجْتَنَينا من ثمارِه اليانعة باكورةَ الإنْشا ، وقُلْنا من غير رَيْبٍ ﴿ إنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَا ﴾(١) .

فنسأله سبحانه أن يُؤْنِس أعْيُنَنا برؤْيتك ، ومُشاهدة أُنْسِك ، كما آنَس سَمْعَنا بمحاسنِ لفظِك ، المودُوع في طِرْسِك .

إنه سبحانه وتعالى بذلك جَدِير ، ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾(٢) .

والذي يَعْرِضُه المُخْلِص بعد دعائِه الذي أخْلَصه ، وثنائِه الذي إذا(٣) أطْنَب فيه توهَّم أنه نَخَصَه .

أنه بفَضْلِه سبحانَه العَمِيم ، شاكرٌ لنعْمةِ الصِّحَّة الحديثِ منها والقديم .

ومَن حَواه المنزِل الكريم ، من مَخْدُوم وخَدِيم .

لا يفترُون عن جميل التَّذْكار ، ولا عن الدعاء لكم آناءَ الليل وأطرافَ النهار .

ونسأله سبحانه أن يُمتِّع عيونَهم بلُقْياكم على أحسنِ حال ، مُبْتهِجِين بالنِّعَم والسرور فائزين بالحجِّ المبرور وبُلوغ الآمال .

مُبلَّغِين المآرب بأداء المناسك ومشاهدة تلك الرِّحاب ، وزيارة ذلك الجناب السامي الرفيع وتقْبيل مُنيف تلك الأعْتاب .

فطُوبَى لمن فاز بما حاز من التمتُّع بتلك المعاهد المُنيفة ، وتشرَّف بتلك البِقاع السامية الشريفة .

سَقَى اللهُ أرضاً لو ظفِرتُ بتُرْبها كحَلْتُ بها من شِدَّةِ الشوقِ أجْفاني

فهنيئاً لمن اكْتَحل بجوهر ذلك الإثْمد البرّاق ، الذي ملأ نورُه الآفاق .

أعني بذلك بُقْعةً درَجَتْ فيها نِعالُ سيد المرسلين ، وألبسَتْها خِلَعَ الشرف والقَبول والكرامة أقدامُ خاتم النَّبِيِّين .

---

(١) سورة آل عمران ٧٣ (٢) سورة الشورى ٢٩ .

(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ص .

صلَّى الله عليه وسلَّمَ وعلى آله وأصحابِه الطَّيِّبين الطاهرين ، صلاةً وسلاما باقيَيْن دائمين إلى يوم الدِّين .

ودُمْ وابْقَ وارْقَ النَّيِّراتِ مُمتَّعاً بما شئتَ أنَّى شئتَ بالعِزِّ واسْلَمِ
مَدَى الدهرِ ما طافَ الحجيجُ بمكَّةٍ وضَجَّ دعاءُ الركبِ فى كُلِّ مَوْسِمِ

ثم المأمولُ من جانبِ الولد الشفوق ، بعد مُلاحظة ماللعُمومة التى هى بمنزلِ الأبُوّة من الحقوق .

أنه إذا وصَل كتابى هذا إلى تلك المعاهد الساميةِ المقدار ، المشرَّفة بشريف الأنوار ، المُخْجِلة لشمس النهار .

المتشرِّفة بالحبيبِ المخدوم بالملائكة الكرام ، القائم بأعْباء الرسالة أتمَّ القيام ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الفخام ، صلاةً وسلاما دائمَيْن باقيَيْن إلى يوم الساعة وساعةِ القيام .

فاعْرِض على شريف جَنابه ، حالَ عبدٍ عُبَيد بابه .

بعد تبْليغ تحيَّتى وسلامى ، وإنْهاء شوْقى وفَرْطِ هُيامى .

وطَلَب الشفاعة لهذا المُذْنِب العاصى ، المُفتقِر إليها يوم الأخْذِ بالنَّواصِى .

وأنْشِدْ عنِّى بطريق النيابة بهذه الأبيات ، القاصرةِ عن خدمةِ هاتيك المراتب السَّاميات .

إن استطعْتَ إيرادها عند ذلك الجناب ، وإلا فألْقِها فى تلك الأعْتاب الرِّحاب ، عسى أن تكون سبَباً للفوْز يوم الجزاء والحساب .

وهى :

يارسولَ الإلٰه ياأكرمَ الخلْـ ـقِ يارحمةً لكلِّ العبـــادِ[1]

---

(١) فى ب : « يا كريم الخلق » ، والمثبت فى : ص .

جُدْ لعبدٍ قد ضيّع العمرَ فى الخو ... فِ معاً والرّجاء والتّرْدادِ
ماله صالحٌ من الخير يُرْجَى ... غيرَ حُسْنِ الرّجا وصِدْقِ الودادِ
وغرامٍ مافيه للعيْبِ قَدْحٌ ... وهُيامٍ فى القلب وارِى الزّنادِ
هو مِن مُخْلصٍ مُحِبٍّ مُوالٍ ... فيك للأوليا مُعادى الأعادِى
بالغِ الوجدِ مُسْتهامٍ عَميدٍ ... فيك مُضْنَى الفؤادِ واهِى العِمادِ
غيرَ أن الذنوبَ قد أوْثقَتْهُ ... عن مَنالِ العُبّادِ والزُّهّادِ
ورَماهُ القُصورُ بالعجزِ والتّقْ ... صيرِ عن مَسْلكِ الهدى والرشادِ
فغدا تائباً إليك مُنيباً ... مُخْلِصَ القلبِ رافضَ الأحْقادِ
مُسْتجيزاً مُسْتَشْفِعاً بحبيبٍ ... منه قد نِيلَ كلُّ فضلٍ مُفادِ
وأتانا بمُعْجزِ الذِّكْرِ يشْفِى ... كلُّ حرْفٍ منه غليلَ الصّادِى
وسقى النّاسَ من أصابعه الما ... ءَ فعمّتْ من أُصْبُعَيْه الأيادِى
سيدى لا تردَّه خائباً مِنْ ... كَ فما زلتَ مَلْجأ القُصّادِ
فارضَ عنه واسْترْضِ ربَّك عنه ... ثم كُنْ شافعاً له فى المعادِ
واقْبَلَنْ أبْكماً دعتْ حُرْقةُ الْ ... وجْدِ لإيرادِه بِذا الإيرادِ
فصلاتُ الصّلاةِ تُهْدَى من الله ... هِ إلى قبْرِك الرفيعِ العِمادِ
ثم حيّاك بالسلامِ إلٰهى ... وحَباك الرّضا ليوم النّفادِ
وكذا الآلُ والصحابةُ طرّاً ... عُمْدةُ الدِّين مَعْدِنِ الإرْشادِ
ما اشْتفَى الصّبُّ بعد شوقٍ ووَجْدٍ ... عند إسْعافِه بنَيْلِ مُرادِ

والمأمولُ من جَنابِ ولدِنا الأعزّ الأمجد ، أطال الله تعالى بقاه ، وشيّد فى عِزِّ الطاعة ارْتقاه .

أن يُبلغ عنى مزيدَ دُعاء ترصّعتْ فى تيجان الإجابة دُرَرُه ، وترصّفت فى ديوانِ الإخلاص فِقَرُه .

وأعطرَ سلامٍ طاب عَرْفُهُ ، ومازَجَ النسيمَ لُطْفُهُ .

مع إنْهاء نهايةِ الشوق الوافِر ، والثَّناء الزاكى الشَّميمِ المُتكاثر .

إلى جناب أخينا الأعزِّ الأمجد ، ومن هو فى سماء العلوم كالنَّيِّر المتَوَقِّد .

عمدةِ العلماء الأعلام ، وسليلِ السادة الجهابذة الكرام ، مشايخ الإسلام .

حضرةِ أحمد أفندى الغَزِّىّ ، نظمَ اللهُ شَمْلَ الأحباب بطُول بقائه ، وكحَل المُقَل بنُور طَلْعة اجْتلائه .

وأدام لحضرته طُولَ البقاء ، ليدُوم عِماد المجد مُشيَّداً فى مَزيد الارْتقاء .

وبلِّغْهُ سلامَ مخدومه الأعزِّ الشيخ مصطفى ، جعله الله للعيون قُرَّة ، وللقلوب بَهْجة وفرحة ومَسَرَّة .

وهو فى غاية الصحة والعافية ، والنِّعَم المُتناهية الوافية .

ونُنْهى أكملَ دُعاء وافر ، وتحيَّاتٍ تشرح النفوسَ وتسُرُّ الخاطر .

إلى جناب راوِى حديثِ المجد كابِراً عن كابر ، فَرْعِ شجرةِ[1] السِّيادةِ الغَضِّ الناضر .

جناب ولدنا المحترم ، السيد حسن أفندى نقيب زاده ، بلَّغه الله تعالى من فضلِه سُؤْلَه ومُرادَه .

وكذلك أكمل تحية ، من أخلَصِ طَوِيَّة .

إلى جناب ولدنا وصديقنا الصادق الوداد ، المَوْرُوث عن الآباء والأجداد .

حديقةِ الفضل والأدب ، وتَرْجُمان لسان العرب .

البارعِ الأريب ، والكامل الحسيب .

---

(١) فى الأصول : «الشجرة» ، ولعل الصواب ماأثبته .

الشيخ سعدى العُمَرِىّ (١) ، ورفيقه الفاضل الكامل الشيخ أسعد (٢) ، دام لهما الحظُّ الوافِر والعَيشُ الخَضِل (٣) الأرْغَد .

وكذلك إلى المُحِبّ القديم ، والماجد الذَّكِىّ الكريم ، الشيخ عبد الحىّ الغَزّىّ (٤) .

وكذلك مَزِيد التحيَّة والتسليم ، الصادر عن (٥) الجوارح والصَّمِيم .

إلى جناب الشيخ الصالح ، والناسك العابد الفالح ، حضرة الشيخ يوسف الخَلْوَتى (٦)

---

(١) سعدى بن عبد القادر بن بهاء الدين العمرى الشافعى الدمشقى ، المعروف بابن عبد الهادى .
ولد بدمشق بعد الثمانين وألف ، ونشأ بها فقرأ العلم على شيوخ دمشق ، ورحل إلى الروم سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف ، وخدم سلطانها السلطان أحمد ، وتولى مدرسة دار الحديث بدمشق .
وكان سعدى بارعا فى الأدب نثره ونظمه ، مفننا كاملا .
توفى بدمشق ، سنة سبع وأربعين ومائة وألف ، ودفن بمرج الدحداح .
سلك الدرر ٢/١٥١ ـ ١٥٦ .

(٢) هو أسعد بن محمد بن على الشافعى الدمشقى ، المعروف بابن الطويل تأتى ترجمته برقم ١٠ .
وقد ذكر المرادى فى سلك الدرر ١/٢٣٧ ، ٢٣٨ رفقته لسعدى العمرى فقال : « وكان رفيقا للشيخ سعدى العمرى ، لاينفك أحدهما عن الآخر » .

(٣) الخضل : المبتل الندى ، يعنى العيش الهنى .

(٤) عبد الحى بن على بن سعودى الغزى الشافعى الدمشقى .
ولد سنة ثمانين وألف ، وتوفى والده وهو صغير ، فكفله ابن عمه عبد الرحمن الغزى ، ورباه وأحسن تأديبه وأحضره على شيوخ عصره .
حج عبد الحى غير مرة ، واجتمع بكثير من أهل العلم والصلاح فى الحرمين وأخذ عنهم .
ودرس بالتربة الكاملية ، بباطن دمشق شمال الجامع الأموى ، بحضرة جم من الأفاضل ، وأعاد لعمه الشيخ عبد الكريم درس الشامية الكبرى .
وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ، ودفن بتربة الشيخ أرسلان .
سلك الدرر ٢/٢٤٣ ، ٢٤٤

(٥) فى ص : « من » ، والمثبت فى : ب .

(٦) يوسف بن عبد الله ، الشهير بالطباخ الخلوتى الدمشقى
إمام ، زاهد ، ورع .
كان مملوكا لبنى الميدانى التجار ، ثم أخذ طريق الخلوتية عن الأستاذ حسن الرجانى البطائحى المعروف بالطباخ ، وارتقى به الحال حتى صار خليفته على السجادة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ، واستقام بها إلى أن مات سنة تسع وخمسين ومائة وألف ، ودفن بمرج الدحداح .
سلك الدرر ٤/٢٤٥ ، ٢٤٦ .

وإلى بقيّةِ مَن معه من الإخوان ، السادةِ الخَلْوتيّةِ الأعيان ، ونسألهم الدُّعاء في كلّ حين وأوان .

ونبتهل إلى الربِّ الرحيمِ بخالصِ الدعا ، ونتوسّل إليه سبحانه في كلّ صباح ومسا .

أن يجمعَ شملَ كلِّ مُشتاق ، ويشمَل شَمْلَنا بالمزيدِ القُرْبِ بعد أَلمِ الفراق .

بمشاهدة تلك الذّات الشريفة العليّة ، والأخلاقِ الحميدةِ العِماديّة .

ويُديمَ لحضرتهِ طولَ البقا ، ليدُومَ عمادُنا بجنابه مشيداً في مزيد الارتقا .

وجعلَه من حفظِهِ وكلاءَتِهِ في حِرْزٍ حَرِيز ، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[1] .

وجعل حجّكم المُبارَكَ مبْروراً ، وسَعْيَكُم الناجِحَ مشكوراً .

إنه سميع مجيب ، وداعيه سبحانه لا يخيب .

والسلام ، على الدّوام .



(١) الآية العشرون من سورة إبراهيم .

٢

محمد بن حسين القارى*

ماجدٌ خُلُقه مَنْزَعٌ[١] هدى وإيقان ، وخَلْقُه مُتوقَّعُ تكميلٍ وإتقان .

يُفجِّر المعروفَ غُصنُه المُهتصَر ، من أكرمِ العُنصُرِ الزّاكِي وأطيبِ المُعتصَر .

فهو مخصوصٌ بعوارفِ الألطاف ، وبُرْدُ وجاهتِه لم يزل حالِي حُلَى الأعطافِ .

اصْطَبح العِزّة[٢] واغْتَبق ، وتناوَل قَصَبَ الغاياتِ فاستَبق .

إلى تحمُّلٍ أوسعَ القلوبَ انشراحا ، وتجمُّلٍ لم يُبْقِ على الدهر اقتراحا .

ولُطْفٍ إذا ذُكِرَ أنسَى ذِكْرَ الرّاح ، وطَرْفٍ إن لَحَظَ تعيّنَ أنه الماء القَراح .

ورُتْبتُه فى المجد متعيِّنة ، ومَزِيّتُه للفضل متبيِّنة .

يحرِص على فائدةٍ يلتقطها ، أو عائدةٍ يغتبطها .

أو مُواساةٍ لِخلٍّ يفتقِده ، أو تديُّنٍ لجميلٍ يعتقِده .

فأوضَحَ طُرُقَ المكارم وهى طوامِس ، وردَع أسرابَ الخطوبِ فهى إلّا عن عِداه شَوامِس .

***

وروضُ أدبِه مُوَشًّى بالبديعِ مُوَشَّع ، ومَيْدان جَوَلانِه فى القَريضِ مُرحَّبٌ مُوسَّع .

وأنا مدّاحُه الذى أباهِى به وأُفاخِر ، ووُدِّى كلُّه له من الأوَّل إلى الآخِر .

وقد أنجبَ فَرْعاً فَرَع وأصَّل ، وتحصَّل له من توافُرِ أمانيه ما به إلى الغايةِ القُصْوَى توصَّل .

(*) ترجمه المرادى فى سلك الدرر ٤/ ٣٥ – ٣٧ ، ونقل صدرا من ترجمة المحبى له ، وذكر أنه أحد المتنبلين من بنى المجد والسيادة ، وأن وفاته كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

(١) فى سلك الدرر : « مترع » . (٢) فى ص : « الغيرة » ، والمثبت فى : ب .

اقْتَنَص الشَّوارِدَ وافْتَرس ، واحْتَمَى بصيانةِ اللهِ واحْتَرس .

أقول فى شأنِهما مَقالةَ ابنِ المُطَرِّف[1] ، بُغْيَة المُسْتطرِف ، وغُنْيَة المُسْتظرِف :

مَنْ ذا يكونُ كمن مدحتُ وكابْنِهِ وَصْفًا فشمسُ ضُحًى وبدرُ كمالِ
اثْنان مُتَّحدانِ فى وَصْفِ العُلَا كبَراءةٍ مع سورةِ الأنفالِ

***

وقد أثْبَتُّ من أدبه ما يسْتعير عَرْفَهُ الرِّيحُ الناسِم ، ويحْسُد اتِّساقَه الثَّغْرُ الباسِم .

فمن ذلك قولُه[2] :

لعب الهوى بعقولنا من أجلِ أنْ سلَبَ الرُّقادَ بمُقْلةٍ وَسْناء
الخدّ منه كجُلَّنارٍ أحمرٍ والقدُّ منه كصَعْدةٍ سَمْراء

***

وقوله[3] :

مَن لقلبي فى هوًى عذبِ اللَّمَى مَن سَبَى الألبابَ لمَّا ابْتَسَما
مُخْجِلِ الأغصانِ بالقدِّ الذى حمَلَ البدرَ وفى حِقْفٍ نَمَا[4]
ثالثُ البدرَيْنِ نهَّابُ النُّهَى مَن هَواه فى فؤادى خيَّمَا

***

وقلتُ أمدحُه[5] :

مَيْلةُ الغُصْنِ والقَنا السَّمْهَرِيِّ أثَرٌ مِن قَوامِه الألِفِيِّ
والذى يفعل الحُسامُ نَراهُ مُسْتفادٌ مِن لَحْظِه السَّيْفِيِّ
فى سَطاهُ يُرَى ظَلُومًا ولكنْ بانْكسارِ الجُفُونِ مِثْلَ بَرِيِّ

---

(١) هو على بن عطية بن مطارف البلنسى ، المعروف بابن الزقاق ، وتقدم التعريف به فى الصفحة ٢ / ٣٦٥ . ولم أجد البيتين التاليين فى ديوانه .

(٢) البيتان فى سلك الدرر ٤ / ٣٦ . (٣) الأبيات فى سلك الدرر ٤ / ٣٦ .

(٤) فى ب : « مخجل الأعطاف » ، والمثبت فى : ص ، وسلك الدرر .

(٥) القائل هو المحبى ، والقصيدة فى سلك الدرر ٤ / ٣٦ ، ٣٧ .

سلَبتْ مُقْلتاه كلَّ فؤادٍ ... أسَرَتْهُ بسحْرِها البابِلِيّ

وأراشَتْ وَسْطَ القلوبِ سِهاماً ... أرْسلَتْها حواجبٌ كالقِسِيّ (١)

رَشَأٌ كَم أمات يعقوبَ حُزْنٍ ... قَبْلَ يَحْظَى بريحِه اليُوسُفِيّ

قام يَجْلُو منا الجَبِينِ صباحاً ... تحت ليلٍ مِن فَرْعِه المَرْخِيّ

وأدار الكئوسَ فينا ثلاثاً ... حيث لم يَدْفَعِ الظَّما بالرِّيّ

كاسَ رَاحٍ مِن رَاحَتيْه وكاساً ... مِن رُضابٍ وكاسَ خَدٍّ نَدِيّ

فَثَمِلْنا مِن قبلِ أن نَعْلم الإسْـ ... ـكارَ مِن أيِّ خمرٍ شَهِيّ (٢)

كان عَيْشِي بها ابْتهاجَ الأماني ... في نعيمٍ طَلْقٍ وحَظٍّ بَهِيّ

نَسَماتُ الصَّبا العَطِيرِ المَسارِي ... ومِزاجُ الصَّبا الهَنِيِّ المَرِيّ

في رُبًا وَشْيُها زَبَرْجَدُ نَبْتٍ ... شَبَّ لمَّا ارْتوَى بدرِّ الوَلِيّ

نام طِفْلُ النُّوَّارِ فيها هَنِيئاً ... عندما اشْتمَّ زَعْفرانَ العَشِيّ

ومِن الوُرْقِ ثَمَّ كلُّ مُناغٍ ... راح يَشْجِي بالوَجْدِ قلبَ الخَلِيّ

قام يُثْنِي على الرِّياضِ تَثَنِّي ... في البَرايا على الفتى القارِيّ

ماجدٌ كلُّ ماجدٍ مِن عُلاه ... مُسْتفيدٌ خُلْقَ الرِّضَى المَرْضِيّ (٣)

مُلِئتْ هَيْبةً به العَيْنُ حتى ... لا ترَى غيرَ شَخْصِه الأَوْحَدِيّ

يا لَه الخيرُ وَجْهُ يُمْنٍ إذا ما ... لاح وَلَّى بُؤْسُ الزمانِ الأَبِيّ

بحديثٍ غَضٍّ وطبعٍ سليمٍ ... وكمالٍ وافٍ وعهدٍ وَفِيّ

هو وُسْطَى قلادةِ النَّظْمِ جَلَّتْ ... وتحَلَّتْ بلَفْظِه الجَوْهَرِيّ (٤)

فَرْحةً بامْتداحِه شَقَّ صدراً ... كلُّ شِعْرٍ فنال أبْهَى الحُلِيّ

---

(١) في سلك الدرر : « ثم راشت » . (٢) لم يرد هذا البيت في سلك الدرر .

(٣) لم ترد الأبيات التالية في سلك الدرر مع ماعدا قوله : « هو وسطى قلادة النظم » الآتي .

(٤) في سلك الدرر : « قلادة النظم حلت » .

مُنْجِبٌ فى البَنِين أطْلَعَ فَرْعاً مُثْمِرَ العِرْقِ بالـكمالِ الجَنِىِّ
كوكبٌ لفظُه كذُرٍّ لهـــذا وَسَمُّوه بالـكوكبِ الدُّرِّىِّ
سيدى دُمْتَ فى عنايةِ رَبٍّ لك يَرعَى بلُطْفِ صُنْعٍ خَفِىِّ
هاكَ عَذْراءَ من يَتِيمٍ فى سِواها وَدَّعَ القلبَ فى الهوى العُذْرِىِّ
نَسَجتْ بُرْدَها يَداىَ فجاءتْ تتباهَى بوَشْيِهِ المَرْوِىِّ (١)
لك نُولِى عَرْفَ الثَّناء فتُهْدَى لِـكَفِىٍّ بـكلِّ مَدْحٍ حَرِىِّ
فتمتَّعْ بهـــا ودُمْ فى سرورٍ سابغٍ سائغٍ وعَيْشٍ نَقِىِّ
مع مَوْلاىَ صالحٍ وعلِىٍّ وحسينِ السّامِى بجاهِ النَّبِىِّ

❁



(١) ذكر الثعالبى فى لطائف المعارف ٢٠١ أن العرب كانت تسمى كل ثوب صفيق حمل من خراسان : المروى .

٣

عبد السلام بن محمد الكاملي*

نَدْب من طريق المجرّة مَصْعَدُه ، وفي بُحْبُوحة فَوْق الفرْقَد مَقْعَدُه .

مَحاسِنُه تبْهَر في الانْتِقاد ، وقد سلِمتْ من التَّزْييف والانْتقاد .

كأنّ الله عهد إلى اللُّطْف أن يكونَ فكانَه ، فلهذا ترى مكانَه في كلِّ عُضْوٍ من أعضاءِ المحبَّةِ مكانَه .

وهو من مَرايا الباصرةِ أحَقُّ بالنَّظَر إليه من إغْفائِها ، ومن حَوايا القلب أولَى أن تكْتنِفَه من سُوَيْدائِها .

يعِزُّ عليَّ ، ويكْبُر لدَيَّ ، ويحِلُّ مني محلَّ عينَيَّ ويدَيَّ .

قد أُوتِيَ فَصاحةً ولَسَنا ، بدَعَ كلَّ ما يلفظ حسَنا .

فرقَّتْ مَعانيهِ ورَقَّ كلامُه فقلتُ هما لي روضةٌ ومُدامْ

خِلْقتُه مُسْتوية ، وذاتُه للكمال محْتوية .

***

وله أدب بمثابة الرَّوض اخْتصَّتْ منه الخمائل ، وشِعْرُه قد أُشْرِب رِقَّةَ الخُصور ولُطْفَ الشَّمائل .

(*) عبد السلام بن محمد بن علي الكاملي الشافعي الدمشقي .

ولد بدمشق بعد الثمانين وألف ، واشتغل بطلب العلم على والده شيخ الإسلام ، وعلى علماء عصره ، وتصدر للافادة بمدرسة البادرائية ، وبالجامع الأموي .

وارتحل إلى مصر ، وإلى الحج ، وإلى الروم إلى دار الخلافة ، ونزل ثمة في دار شيخ الإسلام إذ ذاك المولى فيض الله بن حسن جان .

توفي سنة سبع وأربعين ومائة وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

وجاءت نسبته في س : « الكامدي » ، وفي الهامش : « وفي نسخة : الكاملي » . وذكر المرادي أنه يعرف بالكاملي ، وأن صحة النسبة « الكامدي » نسبة لكامد اللوز ، قرية في البقاع .

سلك الدرر ٣/ ٢٥ ـ ٢٩ ، وقد نقل المرادي ترجمة المحبي له .

فمن ذلك قوله فى النَّارَنْج(١) :

انْظُرْ إلى النَّارَنْجِ فى أغْصانِهِ ا   خُضْرِ اللَّواتى للنَّواظِرِ مُمْتِعَهْ
كعُقودِ ياقوتِ الحِسانِ تبدَّدتْ   فتلقَّطتْهُ يَدُ الزَّبَرْجَدِ مُسْرِعَهْ(٢)

***

ومن ذلك قولُ سيدنا الهمام عبد الغنى النَّابُلُسِىّ(٣) ، أمْتَعَ اللهُ النـاسَ بحياتِهِ ، فيه أيضا(٤) :

ألا قُمْ بى إلى رَوْضٍ وَريقٍ   مِن الأنْداءِ عَذْبِ فَمٍ وريقِ
ونارَنْجٍ هناك كجمرِ نارٍ   تظُنُّ الدَّوْحَ منه فى حَريقِ
بَدَا فى حُلَّةٍ خضراء تَزْهُو   مُزَرَّرةٍ بأزْرارِ العَقيقِ
وتحسَبُ دَوْحَهُ طَوْرًا بِساطَ الْ   حريرِ الأخضرِ البادِى البريقِ
وصِبْغُ الأُرْغُوانِ عليـه بادٍ   كأمْثالِ الدوائرِ يا رَفيقِ(٥)
أو الخدِّ المُوَرَّدِ من حيـاءٍ   خلالَ عِذارِهِ النَّضِرِ الأنيقِ

---

(١) البيتان فى سلك الدرر ٣/٢٦

(٢) فى س بعد هذا زيادة :

« وقد تصيَّده من قول أحمد أفندى الحلبىّ المهمندارىّ المفتى ، حيث قال فى تشبيه القَرَنْفُل :

هذا القَرَنْفُلُ قد بَدَا   فى لَوْنِهِ القانِى تَجَمَّدْ
فكأنَّ مَرْآهُ الأنيـ   قَ لَدَى الرِّياضِ إذا تَنَهَّدْ
قِطَعُ العَقِيقِ تناثَرَتْ   فتخطَّفَتْهُ يَدُ الزَّبَرْجَدْ

وقد أكْثَرَ فى تشبيهِ الأُدباء ، فمن ذلك . . . » .

وتقدمت فى النفحة ١/٥٦٠ ترجمة أحمد بن محمد المهمندارى .

(٣) تقدمت ترجمته فى النفحة ٢/١٣٧ .   (٤) الأبيات فى سلك الدرر ٣/٢٦ .

(٥) فى هامش سلك الدرر : « أرغوان ، فارسى ، معربه : أرجوان ، فضبطه الناظم على أصله » .

أو الأُكَرِ النُّضَارِ تلقَّفتْها ... صَوالجُ زَبْرَجٍ بِيَدَىْ رشيقِ[1]
يَكاد ذَوُو التَّوهُّمِ من بعيدٍ ... يَرَاهُ كروضةٍ ذاتِ الشَّقيقِ[2]

ومن ذلك قولُ سيدنا عبد الكريم ، نقيبِ الأشراف[3] :

ما شهِدْنا فى الرَّوضِ يا شَجرَ النَّا ... رَنْجِ حقًّا سِواكَ حاز المَزِيَّهْ
وَرَقٌ من زَبَرْجَدٍ نَضِرٍ قد ... زَيَّنَتْهُ ثِمارُكَ العَسْجَدِيَّهْ

[4]ومنه قولُ السيد أسعد العُبادِيِّ[5] فيه[6] :

حكى أحمرُ النَّارَنْجِ فى شَجَراتِهِ ... وأزْهارِهِ لمَّا تراءى لِجُلَّاسِي
قَناديلَ ياقوتٍ بقُضْبِ زَبَرْجَدٍ ... مُرَصَّعة فيها حِجارةُ ألْمــــاسِ

وقوله :

وكأنَّمــــا أشجارُ نارَنْجِ الرُّبَا ... ولها الصَّبا أبدا يصل بجيتى[7]
حسناء قد ماستْ بثوبٍ أخضرٍ ... مُتكلِّلٍ بفرائدِ اليـــاقوتِ

(١) الزبرج : الذهب .
(٢) جمع فى قوله : « ذوو » ، وأفرد فى قوله : « يراه » كما ترى .
(٣) هو السيد عبد الكريم ، ابن حمزة ، وتقدمت ترجمته فى النفحة ٢/٦٧ .
والبيتان فى سلك الدرر ٣/٢٦ .
(٤) من هنا إلى قوله : « الياقوت » الآتى ساقط من : س .
(٥) أسعد بن أحمد بن عبد الكريم العبادى الدمشقى .
أديب فاضل ، اشتغل بطلب العلم على : محمد الحبال ، وعبد الغنى النابلسى ، وعبد السلام الكاملى ، وبرع وتفوق .
وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائة وألف ، ودفن بمرج الدحداح .
سلك الدرر ١/٢٣٠ – ٢٣٧ ، ويذكر المرادى أن بنى العبادى – فيما يزعمون – ينتسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج .
(٦) البيتان فى سلك الدرر ٣/٢٦ .
(٧) هكذا ورد عجز هذا البيت فى الأصول ، ولم أهتد إلى الصواب فيه .

ومن ذلك قولُ الفاضل محمد بن إبراهيم الدَّكْدكجى[١] ، رحمه الله تعالى[٢] :

وأشْجارِ نَارَنْجٍ كقامةِ غادةٍ ... عليها من الدِّيباجِ حُلَّتُها الخضْرَا

وقد رُفِعتْ أطْرافُها ثم زُرِّرَتْ ... بأزْرارِ تِبْرٍ تَسلُبُ العقلَ والفكرَا[٣]

[٤]ومن ذلك قولُ جامعه الفقير محمد المحمودى[٥] :

وكأنَّمـــا النَّارَنْجُ فى ... أغْصانِه بادِي التَّبَغْدُدْ[٦]

كُرَةُ العقيقِ تلَقَّفَتْ ... ها صَولَجَانٌ مِن زُمُرُّدْ[٧]

***

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد التركمانى الدمشقى الدكدكجى الحنفى الصوفى .
ولد بدمشق سنة ثمانين وألف ونشأ بها ، وقرأ القرآن العظيم وجوده ، وطلب العلم على علماء عصره ، ولازم الشيخ عبد الغنى النابلسى ، وسافر فى خدمته فى رحلته الكبرى .
وله من المؤلفات رسالة سماها « تهويل الأمر على شارب الخمر » ، و « ديوان شعر » .
توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف ، ودفن بتربة الغرباء بمرج الدحداح .
سلك الدرر ٤/٢٥ ـ ٢٧ .
ويذكر المرادى فى سلك الدرر ١/٢١ أن الدكدكجى نسبة تركية ، وهو صانع الدكديك ، وهو باللغة التركية ما يوضع ساترا على ظهر الحصان ، والجيم باللغة التركية كياء النسبة فى اللغة العربية فليحفظ .
وعلق مصحح الكتاب على ذلك بقوله : « قال المؤلف : فليحفظ ، إنما ماوجدنا شيئا يحفظ على حسب تنبيهه ؛ إذ لا يوجد شىء يوضع على الحصان يقال له : دكدك ، فالظاهر أنه دودكجى ، بمعنى القصابى ، أعنى الزمار ، ولربما أصله كان بطائفة الدليلان زمارا ، أو كان يصنع القصابة » .
(٢) البيتان فى سلك الدرر ٣/٢٧ .
(٣) فى سلك الدرر : « وقد رفعت أزرارها » .
وقد جاء بعد هذا فى س زيادة :
« وقولُ البارع الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرزاق :

ونارَنْجٍ زَهَا فى الرَّوضِ يحكي ... بمَرْآه لَدَى غُصْنٍ تأوَّدْ

قَناديلَ تلُوحُ مُمَسْجَدَاتٍ ... تُطوفُ بِهاأكُفٌّ مِن زَبَرْجَدْ »

وتأتى ترجمة عبد الرحمن بن عبد الرزاق برقم ١٨ .
(٤) من هنا إلى قوله : « زمرد » الآتى ساقط من : س .
(٥) البيتان فى سلك الدرر ٣/٢٦ .
(٦) تبغدد : انتسب إلى بغداد ، هكذا ذكر صاحب القاموس ، والتبغدد فى عرف العامة التدلل والتمنع . انظر المحكم فى أصول الكلمات العامية ٣٧ .
(٧) فى الأصول : « تلقفتها صوالج خاص الزمرد » ، والمثبت فى سلك الدرر .

وقد نُثر الجُلَّنار على صفحات أوراقٍ ، فشبَّهه المُتَرْجَمُ بما رَقَّ وَرَاق ، بقوله[١] :

وكأنَّ سِقْطَ الجُلَّنـــارِ على طِرْسٍ إلى البِلَّوْرِ ذو نَسَبِ
وَجْهٌ تعشَّقه الجمــالُ فنَقَّـ ـطَ خَدَّه من خالصِ الذَّهبِ

***

وطُلِب من خاتمة البلغاء ، مولانا عبد الغني تشْبيهه ، فقال[٢] :

لا تَعْجبُوا لانْتشارِ الجُلَّنارِ على طِرْسٍ لكم واعْجبُوا من صَنْعةِ البارِي
بَياضُ هذا بدا من تحت حُمْرةِ ذا جَلَّ المُؤلِّفُ بين الثلجِ والنارِ

وقال السيد أسعد العُبادِيّ فيه[٣] :

كأنَّ سِقْطَ الجُلَّنارِ على الطِّـ ـرْسِ الذى بَدَا من الفِضَّهْ
خدُّ المليحِ وقد أشرتُ له وغَمَزْتُه فى رَوضةٍ غَضَّهْ

وقال الفاضل عبد الرحمن بن عبد الرزَّاق[٤] :

كأنَّ سِقْطَ الجُلَّنـــا رِ فى أعالِي الوَرَقِ
آثارُ لَثْمٍ قد بدَتْ فوق بَياضِ العُنُقِ[٥]

***

(١) البيتان فى سلك الدرر ٢٧/٣ .
(٢) سلك الدرر ٢٨/٣ .
(٣) سقطت هذه المقدمة والبيتان بعدها من : س .
والبيتان فى سلك الدرر ٢٨/٣ .
(٤) فى س : « وقال دوحة الأدب إبراهيم جلبي السفرجلاني » .
وتقدمت ترجمة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفرجلانى فى النفحة ٧٩/١ .
والبيتان فى سلك الدرر ٢٨/٣ ، وقد نسبهما المرادى إلى عبد الرحمن بن عبد الرزاق .
(٥) فى س بعد هذا زيادة :

« رُوحِي الفداء لمُتْرَفٍ يَزْهُو على شمسِ النهارِ
رَشَأٌ رَبِيبٌ ناعمٌ يَهْوَى التَّوَلُّعَ بالنُّضارِ
يُغْنيه صارمُ لَحْظِه عن مُرْهَفٍ ماضِى الغِرارِ

«[١] ومن بدائع المترجَم، قولُه مُؤرِّخًا فى عِذار[١]:

لمّا بَدَا خَطُّ العِـــذا رِ بِمَطْلَعِ القمرِ الفريدِ[٢]
كَمَلَ الجمــالُ فخِلتُه كالشمس فى شَرَفِ السُّعودِ
فكأنّ خُضْرةَ نَقْشِه فى صفحةِ الخدِّ السعيــدِ
قِطَعُ الزَّبَرْجَــدِ نُظِّمتْ فجُعِلْنَ تِيجانَ الخـدودِ
أو نَبْتُ رَيْحانٍ بَدَا فى لَوْحِ ياقوتٍ نَضِيدِ
أو طَلْعُ نَمّامٍ أتَى كيما يَنِمّ على الوُرودِ
أو نَفْحةُ المِسْك انْبَرتْ فوَفتْ بمـا وَرْدٍ وعُودِ[٣]
أو نَظْمُ نَدٍّ خِلْتُــه وَرَقَ البَنَفْسجِ فى عُقودِ
أو أرْجُل النَّمْــلِ انْثنتْ عن وِرْدِ مَبْسَمِه البَرُودِ[٤]

= الغُصْنُ فى عَطَفاتِه والبدرُ مَشْرِقُه السِّرارُ
كَمَلتْ محاسِنُ وجهِه وعليه قد فَنِيَ اصْطبارِى
قـد قُلتُ لَمّـا زانَهُ نَبْتٌ يحارُ به افتكارى
هل ذاكَ نَبْتُ بَنفْسَجٍ فى رَوضةٍ من جُلَّنارِ
أم ذاكَ نَمّامٌ بَدَا حول الشَّقائق والنُّضارِ
بل وَشْيُ عارِضِه أتَى يرْوِى انْتسابًا للبَهارِ
بل جاء عن رَيْحانةٍ مُتأرِّخًا نسَبَ العِذارِ»

و «السرار» فى قوله: «والبدر مشرقه السرار»: الخطوط فى الجبهة أو الكف.

(١) فى س: «له أيضا كذلك».
والقصيدة فى سلك الدرر ٣/٢٨.

(٢) فى سلك الدرر: «بطلعة القمر».

(٣) أى: فوفت بماء ورد وعود.

(٤) فى ب: «مبسمه الورود»، وفى سلك الدرر: «مبسمه الرود»، والمثبت فى: س، ص.

أو خَطُّ مِحْرابِ الهـــدى ... يُصْبِي الحسانَ إلى السُّجُودِ
أو مُرْسَلٌ فى خَـــدِّه ... يدْعُو إلى دار الخلودِ
أو سَطْرُ حُسْنٍ رَقَّ لى ... حَسَنُ التَّغزُّلِ والنَّشيدِ[1]
قد قلتُ لمَّا صــاغَه ... قلمُ المَحاسنِ فى الخــدودِ
كتَب الجمـــالُ مُؤرِّخاً ... خَطَّ الزَّبَرْجَد بالوُرودِ[2]

***

ومن مُعَمَّياته قولُه فى علىّ[3] :

لاحَ شمساً فوق غصنٍ يانـعٍ ... زانَهُ خالٌ على خدٍّ نَقِى
خِلْتُ تحت الشمسِ لمَّا أن بدَا ... طَلْعَ الوَرْدِ بخدَّيْكَ بَقِى[4]

***

وقوله فى عمر[5] :

بِرُوحِى شادِناً أَلْمَى ... ظَرِيفَ القَدِّ مُمْتَشِقَهْ[6]
دَنَا واللَّحْظُ رائدُهُ ... ورامَ القلبَ فاسْتَرَقَهْ

***

وقوله فى حسين[7] :

أَفْدِيه ظَبْياً بالدَّلالِ مُنعَّماً ... رُودَ الشَّباب مُوَرَّدَ الوَجَناتِ[8]
عَذْبُ الثَّنايا والمُقَبَّلِ مُتْرَفٌ ... لولا التعَوُّذُ ذابَ باللَّحظاتِ

---

(١) فى ص : « رق فى » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٢) جاء تفسير هذا التأريخ فى ص هكذا :

خط الزبرجد بالورود
٦٠٩ ٢٤٧ ٢٤٩
١١٠٥

(٣) سلك الدرر ٣/٢٨ . (٤) فى الأصول : « بخديك نقى » والمثبت فى سلك الدرر .

(٥) البيتان فى سلك الدرر ٣/٢٩ .

(٦) فى الأصول وسلك الدرر : « بروحى شادن » وقد نصبته على تقدير : أفدى شادنا ، ليتفق مع القافية القافيَّة المفتوحة .

(٧) سلك الدرر ٣/٢٩ . (٨) فى سلك الدرر : « بالدلال مولعا » .
ورود الشباب : غضه .

٤

محمد بن محمود الحبّال*

مَدَّ إلى الأُفُقِ ساعِدا ، فتَناوَل العَيُّوق[١] قاعدا .

بِهِمّةٍ لا تَقْنَع بمَدارٍ[٢] دون الفَلَك ، وفِكْرة تكاد تستخلص نُورَ الشمسِ إلى الحَلَك .

وهو الآن مركزُ دائرةِ الانْتفاع ، ولمن سَامَتَه[٣] فى الفضلِ الانْخفاضُ وله الارْتفاع .

فعَذَبَتُه على مَناكِبِ الجوزاء خافِقة ، وبضاعتُه لم تزَل فى سُوقِ الرَّواج نافِقة .

ورَأْيُه فى تَقْويمِ مَيْلِ الزمان معتمَدٌ مُعْتَمَل ، ومَجالُ المعرفةِ بفضلِه لايحصُرُه أَمَدٌ وأمل .

فلله من رَزانةٍ تَسْتخِفُّ الجبال ، ووَضاءةٍ تُدْلِى الشمسُ للاسْتضاءة منها الحِبال .

وأدبٍ تبلَّج بالإنارة ضَوْؤُه ، وشِعرٍ لم يكْذِب فى غَرَضٍ نَوْؤُه .

أُنبئُك منه بما يدُلُّ منه على صِماده[٤] ونُهاه ، ويحُلُّ ما بين سِماكِ السُّمُوِّ وسُهاه .

فمنه قوله ، حفظه الله تعالى[٥] :

ولو ثلاثٌ هُنَّ هَمِّى إذا أُمْسِى لما بِتُّ مَأْنوراً نهارى على أَمْسِى

(*) محمد بن محمود بن إبراهيم الحبال الشافعى الأشعرى المزى الدمشقى .

عالم محقق ، مفسر أصولى ، اشتغل بطلب العلم على مشاهير عصره ، وبرع وتفوق ، ودرس بالجامع الأموى ، وفى حجرته داخل مدرسة الكلاسة ، وانتفع به خلق كثير .

توفى سنة خمس وأربعين ومائة وألف .

سلك الدرر ٤/١١٦ ، ١١٧ ، وقد نقل المرادى صدرا من ترجمة المحبى له .

(١) العيوق : نجم أحمر مضىء ، فى طرف المجرة لايتقدمها .

(٢) فى س : « بدار » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٣) سامته : قابله ووازاه .

(٤) الصماد : الجلاد والضراب ومايلفه الإنسان على رأسه ، ولعله مجاز مرسل ، ويعنى بذلك عقله وذكاءه .

(٥) الأبيات فى سلك الدرر ٤/١١٦ .

فتكميلُ نفسي بالعلومِ ودرسِها وتهذيبُها قبلَ المسيرِ إلى الرَّمْسِ

وتأميلُ إيفائي الحقوقَ لأهلِها وإنقاذُ ثوبِ النفسِ من دَنَسِ النَّجْسِ (١)

وزَوْرةُ خيرِ الخلقِ أفضلِ شافعٍ لأُبْرِئَها من ثِقْلِ وِزْرٍ على النفْسِ

أفاضَ عليه كلَّ يومٍ تحيةً مَدَى الدهرِ ما امْتدَّ الشُّعاعُ من الشمسِ

***

(٢) ويناسب أن يُذكَر هنا قولُ الإمام أبي السعود أفندي (٣) ، رحمه الله تعالى :

هَذِّبِ النفسَ بالعلومِ لترقَى وترى الكلَّ فهي للكلِّ بيتُ

إنما النفسُ كالزُّجاجةِ والعِلْـ ـمُ سِراجٌ وحكمةُ اللهِ زيتُ

فإذا أشرقتْ فإنك حَيٌّ وإذا أظلمتْ فإنك ميْتُ

***

وللمترجم :

إذا ما تصدّى لي السَّفيهُ بجهلِهِ ورامَ مُعاداتي ويُعجِزُه دَرْكي

فعزْمِيَ يَمضي بي إلى سَلْبِهِ البَقا وحزْمِي لا يقضي سوى القتالِ بالتَّرْكِ

***

وله مُضمِّنًا :

---

(١) في سلك الدرر : « وتأميل إيفاء ... من دنس البخس » .

(٢) من هنا إلى آخر قوله : « ميت » الآتي ساقط من : س .

(٣) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، شيخ الإسلام .

صاحب التفسير المسمى « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » .

وقد اشتغل بالتدريس والقضاء في بروسة ، والقسطنطينية ، وبلاد روم ايلي ، وأصبح مفتيا سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة .

وكان ذا مكانة عالية لدى السلاطين ، حظيا عندهم ، جيد الشعر .

توفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة .

خبايا الزوايا لوحة ١٩٩ أ ، ريحانة الألبا ٢/٢٧٥ ، شذرات الذهب ٨/٣٩٨ .

يُقِرُّ عينِيَ إن أمسيتُ مُغتربًا ... خلاصُ عَيْنٍ يَقِي قلبي من الجزَعِ [1]

ناهيكَ من مُخْلِصٍ بَرٍّ بصاحبِه ... لم أدرِ ما غُرْبةُ الأوطانِ وهْو مَعِي

***

ولِلْخالِ [2] مِثلُه :

مَن رام أن يغترب فليَمتثِلْ أبدًا ... أمْرِي ويُصْغِي لِما أُبْدِي له ويَعِي

لا يصْحَبَنَّ سوى الدينارِ فهْو به ... إن قال للدهرِ يسْمَعْ بل وطِعْ يُطِعِ

سَلْنِي فقد كنتُ لمّا كان طَوْعَ يَدِي ... لم أخْشَ ما غُرْبَةُ الأوطانِ وهْو مَعِي

***

[3] ولِلَامية الرُّومىّ [4] في هذا المعنى :

إلى المالِ مِلْ واجْمَعْهُ إن كنتَ عارفًا ... ففي هذه الدنيا له الشَّيْلُ والحطُّ

وفي قَبْضِه عِزُّ النُّفوسِ وَبَسْطُها ... وناهِيكَ مِمَّن قَبْضُه في الملا بَسْطُ

***

ومن مُعَمَّيات المترجَم قولُه في حسن :

أفْدِيهِ بدرًا لِمَعْنًى من مَحاسنِه ... ترى فؤادي إليه الدهرَ منصرِفا

يَحارُ إذْ ما يرى الرائي بطَلْعتِه ... رَقَّ على الشمسِ ليلُ الصُّدْغِ مُنعطِفا

❊

(١) خلاص العين : ما انتفى عنه الغش من الذهب .

(٢) تأتي ترجمته برقم ١١ .

(٣) من هنا إلى قوله : « بسط » الآتي ساقط من : س .

(٤) تقدم التعريف به في الصفحة ٢ / ٤٠٧ .

٥

أحمد بن محمود الكَنْجِيّ *

روح الفؤاد وإنسان الطَّرْف ، وظَرْفُ الرَّشاقة المملوء من الظَّرْف .

فظَرْفُه من لُبِّ الألْباب ، ولطفه يكيد نَشَطات الشَّباب .

يجْتلي أوْقاتَه غَرّاء صَقِيلة ، فلو تجسَّمتْ لكانتْ حسناء عَقِيلة .

فإذا حلَّ بنادِي صَحْب ، تلقَّاه قلبٌ واسع وصَدْر رَحْب .

فتضاحَكُ له الحدائقُ والأزْهار ، ويُخْذَل[1] به الجديدان الليلُ والنهار .

وطَبْعُه الربيعُ في نَضارته ، وعَهْدُ الشَّبيبة في غَضارته .

وهو من الحرص على الشباب ، يستُر شمسَ الشَّيْب بالضَّباب .

مع أن رَوْضَ صِباهُ أخْلَقَ بُرْدُه ، واسْتعار شبابَه[2] مَن لا يردُّه .

وهو صَحِبِي من منذ عرفتُ الصُّحْبة ، وعَقِيدي في العشرة التي تمحَّضتْ للمحبَّة .

لم يزل بيننا عَيشٌ حلو ، غيرَ أن كُلًّا مِنَّا من شَجْوِ صاحبِه خِلْو .

فهو في عشق الجمال مُتفضِّح ، وسَمْتُه بحسب الغريزة جَلِيٌّ مُتوضِّح .

فإذا تغلَّب عليه القَلَق ، حتى استعاذ برَبِّ الفَلَق .

***

(*) أحمد بن محمود بن محمد الكنجي الحنفي الدمشقي .
أديب بارع ، كان يتولى بدمشق نيابات الحكم ، كنيابة المحكمة الكبرى ، ومحكمة الميدان .
توفي سنة سبع ومائة وألف ، ودفن بمقبرة مرج الدحداح .
سلك الدرر ١/١٩٦ ـ ١٩٩ ، وقد نقل المرادى ترجمة المحبي له .
وذكر ياقوت ، في معجم البلدان ٤/٣٠٨ أن كنجة مدينة عظيمة ، وهي قصبة بلاد أران ، كما ذكر أيضا أن كنجة من نواحي لرستان بين خوزستان وأصبهان .

(١) في سلك الدرر : « ويجذل » .

(٢) في سلك الدرر : « ثيابه » .

وله فى صَبْوتِه مُوَشَّحات توشَّحتْ بها النَّوادِي ، وحُثَّتْ بها المُدامةُ فى الحانات والأظْعانُ فى البَوادى .

وشعرُه وإن كان قليلا ، ألَّا أنه يروى غَليلا .

فمنه قوله(١) :

عِدْنا بوَصْلٍ عسى تُجْدِي المَواعيدُ ... واحْسِنْ لنا فبهذا نُعرَفُ الصِّيدُ

وارْفُق بنفسٍ قضتْ فى رَاحَتَيْك أسًى ... مُذْ نابَها منك تَسْويفٌ وتنْكيدُ

يا ظالمًا صدَّنا من بعـــد وُصْلتِنا ... الحبُّ ذَنْبٌ لنا أم هكذا الغِيدُ

إن كنتَ أضمرتَ تجْفونا وليس لنا ... خِلٌّ وقد عمَّنـــا هَمٌّ وتسْهيدُ

فأىُّ ليـــلٍ إذا وافَى نُسَرُّ به ... وبَدْرُنا فيــه مَحْجوبٌ ومفقودُ

وأىُّ يومٍ من الأيام نشكرُه ... وما به وَقفـــةٌ تشفى ولا عِيدُ

وأىُّ بابٍ من الأبواب نَسْلكه ... إلى مُنانا وبابُ الوصلِ مَسْدُودُ

وأىُّ خِلٍّ من الأصحاب كنتُ له ... عَوْنًا أنثنى إذًا منـــه الأناشيدُ

على مَ لم يأْتنا من نَحْوكم خبرٌ ... ولم يكن بيننا بِيـــدٌ أباعِيدُ

ولِمْ أراك بحـــالٍ لا أُسَرُّ به ... تَرْعاك من دوننا بِيدٌ رَعادِيدُ(٢)

فأين منك صِلاتٌ كنتُ أعْهدُها ... فى كلِّ يومٍ لها بالوصلِ تجْديدُ(٣)

وأين منك حديثٌ كنتُ أسمعُه ... أرَقُّ ممَّا أراقتْه العَناقيـــدُ

يا من إذا ماسَ مِن تِيهٍ ومن هَيَفٍ ... تَغارُ من قَدِّه القُضْبُ الأماليدُ(٤)

ويا غزالًا غزانا من لَواحِظه ... بمُرْهَفٍ قد نَضَتْه الأعيُنُ السُّودُ

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ١/١٩٧ .

(٢) فى س : « بيد رعاعيد » ، والمثبت فى ب ، وسلك الدرر .

وبيد رعاديد : ناعمة الرمل تنهال كثبانها .

(٣) فى سلك الدرر : « للوصل تجديد » . (٤) فى سلك الدرر : « الغصن الأماليد » .

والأملود : الناعم .

إن كنتَ أقسَمْتَ حَتْماً لا تُواصلُنا   عِدْنَا بوصلٍ عسى تُجْدِى المَواعِيدُ

***

وقوله يمدح بعضَ أُمَراء دمشق[١] :

الخــيرُ فيك وفى رِجالِكْ   والدهرُ يفخَرُ فى مِثالِكْ

وكذاكَ يُرْوَى عن أبيـ   ـكَ وجَدِّكَ السَّامِى وخالِكْ

ولكَ المَودَّةُ والفُتُــوَّ   ةُ والحِجَى شكراً لذلِكْ

يتلوهُ الفضــلُ الذى   ما زال يُخْبِر عن كمالِكْ

مِنَحُ الإلٰهِ وذاكَ من   حُسْنِ اعتقادِكَ واتِّكالِكْ

يا فَخْرَ آلِ التَّرْجمــا   نِ وعِزَّهم وانعَمْ بذلِكْ

أنتَ المُهــذَّبُ والمُحبَّـ   ـبُ والتَّأدُّبُ من خِصالِكْ

والنـــاسُ طُرًّا يَمدحو   نَ ويشْهدون بحُسْنِ حالِكْ

هـــذا وإنَّك فى الوغَى   تُخِفُ الكواسِرَ من نِزالِكْ[٢]

ماسِرْتَ خلفَ قبيــلةٍ   وقناكَ أسْبَقُ من نِبالِكْ

إلّا أسَرْتَ كبيرَها   والجيشُ أصبح فى اعتقالِكْ

والجـــودُ فيك سَجِيَّةٌ   والشُّحُّ لم يَخطُر ببالِكْ

والمجــــدُ قد أُورِثْتَهُ   عن قومِكَ النُّجَبا وآلِكْ[٣]

مَن رام مَجْدَكَ فلْيَكُنْ   يا واحدَ الدنيـــا كذلِكْ

***

وطُلِب منه إمْضاءُ حُجَّةٍ نظماً حين كان نائبَ الشَّرع بمحكمة المَيْدان ، فكتب[٤] :

(١) القصيدة فى سلك الدرر ١/١٩٧ ، ١٩٨ .

(٢) فى الأصول : « تخِفُ الكواسر » ، والمثبت فى سلك الدرر ، وأصلها : « تخيف » أو « تخاف » بالبناء للمعلوم ، فتخفف الشاعر من حرف العلة .

(٣) فى ص ، وسلك الدرر : « من قومك » ، والمثبت فى : ب   (٤) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٩٨

لمَّا تأمَّلْتُ ما تحْوِيه أسْطُرُهُ وصَحَّ عندىَ ما فى طَيِّه وَقعَا
أنفَذْتُه وَاثِقــاً باللهِ مُعْتمِداً عليه دون الورى راض بما صَنعَا[1]
وإننى أحمدُ الكَنْجِيُّ ابنُ أبى الثَّنَا الذى بحِبالِ اللهِ مُدَّرِعَا
وإننى النـائبُ الشَّرْعِى بمحكمةِ الْمَيْدانِ والُحرُّ فى دنْياه مَن قنعَا
يا رَبِّ فاختمْ بخيرٍ لى وخُذْ بيدى ما طافَ بالبيتِ عبدٌ صالح ودعَا[2]

***

وقوله[3] :

قَسَماً ومن بالحبِّ قد أبلانى إنِّى لغيرِك ما لَوَيْتُ عِنانى
يا أيُّهــا الظَّبْىُ الذى ألْحَاظُه مِن غُنْجِهنَّ السُّقْمُ قد وَافانى
ما لى أراكَ أضَعْتَنِي وتركْتنِي فى حَرِّ نارٍ بعضُها أضْنــانى
وصَبَوْتَ عنِّى بعدَ كنتَ مُواصِلِى وأمَرْتَ ضِدِّى بالجلوسِ مَكانى
فلكَ البقَا فلَرُبَّ يوم إنْ تَسَلْ عنِّى تُراجعْنى فلا تلْقــانى
إن الُمحِبَّ إذا تناهَى عمـــرُه فالدهرُ لا يُعْطِيه عُمْراً ثانِى[4]

***

ومن مُقطَّعاته قوله مُضمِّنا[5] :

كُنْ حليماً ما تستطيع وأحْسِنْ لجميــعِ الإخوانِ والخِلَّانِ
إنَّ مَن كانَ مُحْسِناً قابلتْه بجميــلٍ عوائدُ الإحْسانِ

***

(١) كان حق « راض » النصب . (٢) جاء فى س بعد هذا نسبة هذين البيتين إليه :

إذا قصَّرْتُ فِي مَدْحِي فَإنِّى قليلُ الفهمِ فى سَبْكِ المعـانى
فلا ترْتَبْ بفهمِى إنَّ رَقْصِى على مِقْدارِ إيقاعِ الزَّمانِ

(٣) الأبيات فى سلك الدرر ١٩٨/١ . (٤) ترك نصب « ثانى » للقافية .
(٥) البيتان فى سلك الدرر ١٩٩/١ .

وله مُداعباً لابن المُلَيْحِي[1] :

يا سيداً وحبيباً لا زلتَ بالخير تُذْكَرْ
تُدْعَى بابن المُلَيْحِي وأنتَ أبْلُوجُ سُكَّرْ[2]

***

ولمَّا غاب بدرُه ، وعظم أجْرُه .

وانْتقل بالوفاة إلى دار القَرار ، في ليلةٍ جليلةِ المِقدار .

وهي ليلةُ القدر ، التي هي خيرٌ من ألف شهر .

رثاه جَمْعٌ من الأئمة الأعلام ، وبلغاء دمشق الشام .

منهم حديقةُ الأدب ، ولسانُ العرب .

ذو المقام الأُنْسِيّ ، سيدي الشيخ عبد الغنيّ النابُلُسِيّ ـ حفظه الله تعالى ـ بقوله[3] :

أحمدُ الكَنْجِيُّ قد مات فاصْبِرْ واصْطَبِرْ
قد أتى تاريخُه ليلةَ القدرِ قُبِرْ[4]

وبقوله[5] :

أحمدُ الكَنْجِيُّ أحْمَدُ خِلٍّ فاضلٍ خُلْقُه احْتمالٌ وصَبْرُ
مات شهرَ الصيامِ ليلةَ قَدْرٍ وله من إلٰهه كان جَبْرُ
يا لمَيْتٍ مُباركٍ كنتَ حتى لك أرَّخْهُ ليلةَ القدرِ قَبْرُ

***

(١) ترجم المرادي في سلك الدرر ٢/١٠٦ ، ١٠٧ لدرويش بن أحمد بن عمر الدمشقي الحنفي الشهير بالمليحي ، وذكر أنه توفي سنة أربع وسبعين ومائة وألف ، ولا يعقل أن يكون هو المقصود هنا ، ولعل والده أحمد بن عمر بن أبي السعود هو المقصود هنا فقد ذكره المرادي أثناء ترجمة ولده درويش ، وذكر أنه توفي سنة ثمان وأربعين ومائة وألف .

والبيتان في سلك الدرر ١/١٩٩ .

(٢) الأبلوج : السكر . (٣) البيتان في سلك الدرر ١/١٩٩

(٤) جاء حساب التاريخ في س هكذا :

ليلة	القدر	قبر	
٤٧٠	٣٣٥	٣٠٢	١١٠٧

(٥) الأبيات في سلك الدرر ١/١٩٩ .

ومنهم أُطْرُوفةُ الزمان ، ورَيْحانة الأوان .
بحرُ الأدب ودُرَرُه ، وروضةُ الفضل وزَهَرُه .
ومن نَثَرَ غُرَرا وأصبح بينهم يُؤلِّف ، مولانا المرحوم المُصنِّف .
فقال ، رحمه الله تعالى[1] :

يَبْــكيه منِّى ما بَقِيـ ـتُ قديمُ وُدٍّ لا يَحُولُ
إن كان فَارَقَ ناظِرِى فله بأحْشائِى مَقِيلُ
خَطْبُ الـكُنَيْجِيِّ الذى وَلَّى به الصبرُ الجميـــلُ
لو كان يُفْدَى لافْتَــدَا هُ النَّاظِرُ الدَّامِى الـكَلِيلُ
ما لِلْأماقِى لا تَفِيـ ـضُ لِخَطْبِه منها سُيولُ
حتى تفيضَ نفوسُنا وتُضِلَّها منا العقولُ[2]

(١) الأبيات فى سلك الدرر ١٩٩/١ .
(٢) فى سلك الدرر : « منا عقول » .

٦

ولده النجيب محمد الكَنْجِيّ*

نبيلٌ نَبيه، شَبيهٌ في شَبيبته بأبيه.

وما ظلَمَ مَن أشْبَهَ أباه، وإنما ظلم لو كان أباه[1].

فالعِرْقُ مُعْرِقٌ في الأكارم، والفَرْعُ محلُّ ثَمرةِ المكارم.

مع ما أُضيف إليه من استعداد، تفوّق بين نُظَرائه باسْتِبْداد.

فظهر ظهورَ الشمسِ وقتَ الظَّهيرة، ونال في أقربِ الأمَدِ ـ وله الحمدُ ـ المزيّةَ الشَّهيرة.

فكم وَشَّى القَراطِيس، فجَذَبَ المحاسن جَذْبَ المَغناطِيس.

بفَهمٍ لا يغشاه وَهْم، وفكرٍ لا يَطيشُ له سَهْم.

فلله من أدبٍ باسِق، وشِعرٍ سَلِسٍ مُتناسِق.

تمكّن الهوى من مَفاصلِه، وتعلّق الغرامُ بأسبابه وفَواصِله.

جئتُك منه بما يدعو إلى شَوْقِه، وتعلم منه أنّ عِقْدَ المدحِ يقصُر عن طَوْقِه.

فمن ذلك قولُه:

حَادِيَ العِيسِ لا عَدِمْتُك حادِي ... بِي ترفَّقْ ففِي الظُّعونِ فؤادِي

واتْرُكِ العِيسَ سائرين رُوَيْدًا ... وتَهــادَ بهنّ كلَّ التَّهادِي

عَلَّني أُدْرِكُ المَطِيَّ فأشْفِي ... ما بأحْشايَ من أليمِ بِعادِي

ففؤادي يسيرُ خلفَ المَطــايا ... ودموعي تسيلُ سَيْلَ الوَادِي

(*) ذكره المرادي في ترجمة والده المتقدم، فقال: «وسيأتي ذكر ولده محمد»، ولكنه أخل بعلم يترجمه في المحمدين.

(١) من الإباء، وهو الامتناع.

يا رعى الله جيرة في حماها ... كان لي بينهم عهود وداد
وبروحي ذاك المليح المفدى ... ذو القوام المهفهف المياد
ظبي إنس بل بدر تم تجلى ... وبدا في مطالع الإسعاد
كنت خلواً من الغرام ووجدي ... في انتقاص وصحتي في ازدياد
نظرت مقلتي إليه فأورت ... ما أقاسي من لوعة واتقاد
يا لها نظرة أثارت بقلبي ... من دواعي الغرام قدح الزناد
كيف أسلوه أو يروق لعيني ... غير مرآه وهو ملء فؤادي
فاتئد يا معنفي ودع اللو ... م فقلبي إلى تلاقيه صاد
ما تغنت حمامة الدوح إلا ... هزني الشوق واستفز رقادي

***

وقوله:

أعلل نفسي بطول الأمل ... وأعدل عمن لديكم عذل
وأظهر للشامتين الهنا ... وأيسر ما في الحشا ما قتل
وأمسي طعين القدود الرشاق ... ويضحي فؤادي جريح المقل
فواحر قلباه من شادن ... لطيف التثني ظريف الميل
بديع المحيا له وجنة ... مصبغة باحمرار الخجل
يرنح ريح الصبا عطفه ... فيورث قلبي الضنى والعلل
إلى كم تدع يا شقيق الغزال ... معناك مضنى بحال مثل
وحتى متى ذا الجفا والصدود ... وأية داع إلى ذا العمل
ولم لا تجود لهذا العليل ... وتشفي الضنى من لماك العسل
فأي خليل إذا عفتني ... ومليت عني تراه بدل

فبـالله يا ظبيَ ذاكَ الحمى ... بمَن قد رَقى للعُلا واكْتَمَلْ

بعهدٍ وَفيّ جرى بيننـا ... على صِـدْقِهِ لم يَشِنْهُ زَلَلْ

بباهي المُحيّا بغُنجِ العيونِ ... بمَيْلِ القوامِ إذا ما اعتَدَلْ

برِقّةِ خَصْرٍ بَراهُ النُّحُولُ ... فأصبحَ يَشْكي ارْتجاجَ الكَفَلْ [1]

بلَثْمِ الخـدودِ وضَمِّ النُّهودِ ... ومَيْلِ قُدودِ القَنا والأَسَلْ

اِطِيبِ لَيالِ الهَنـا والتّلاقِ ... بصُحْبةِ وعدٍ بعيدِ الأَمَلْ [2]

برُحْماكَ صِلْنِي ولا تَجْفُنِي ... وجُدْ لي على رَغْمِ مَن لي عَذَلْ

***

قوله: « بديع المحيا ... » إلخ، استعماله أيضا في قوله فيما سيأتي:

ذو عَفـافٍ إذا توهَّمَ طرْفا ... شامَه صِبْغَ الحيـا وجَنابُهْ

ويُضارعه قولُ الحسين بن الضَّحّاك [3]، وهو:

بديعُ الحُسْنِ ليس له كِفاءُ ... عليـلُ اللَّحظِ لم يُؤلمْه داءُ

جَنَتْ عيناىَ مِن خدَّيْه وَرْدًا ... أنيقَ الصِّبْغِ أنبَتَهُ الحيـاءُ

يُوَرِّدُ خَـدَّه إضْمارُ وَهْمٍ ... فإن لاحَظْتَهُ جرَتِ الدِّماءُ

والأصلُ فيه قولُ ابن المُعْتَزّ [4]:

يا من يجودُ بمَوْعِدٍ من خَدِّهِ ... ويَعُدُّ حين أقولُ أينَ المَوْعِدُ

ويَظَلُّ صَبّاغُ الحيـاءِ بخَدِّهِ ... تعِبًا يُعَصْفِرُ تارةً ويُوَرِّدُ [5]

ولابن هانئ الأندلسيّ [6]:

خالسْتُه نَظَرًا وكان مُورَّدًا ... فاحْمَرَّ حتى كاد أن يتلهّبا

---

(١) شكى يشكى: بمعنى شكا يشكو. (٢) في س: « بصحة وعد »، والمثبت في: ب.

(٣) تقدم التعريف به في النفحة ٢/٩٧. (٤) ديوانه ١/٧٨.

(٥) في الأصول: « يصفر تارة ويورد »، والمثبت من الديوان. (٦) تقدم هذا البيت له في النفحة ١/٩٤، وتخريجه هناك.

ولأبي الطَّيِّب المُتنبِّي [١] :

ما بالُه لاحَظْتُه فتضرَّجَتْ ... وَجَناتُه وفؤادِيَ المجروحُ

وألطف ما قيل فيه [٢] :

نظرتُ إليــــه نَظْرةً فتحيَّرتْ ... دقائقُ فكرى فى بديعِ صِفاتِهِ

فأَوْحَى إليــــه الوَهْمُ أنِّى أُحِبُّه ... فأثَّرَ ذاك الوَهْمُ فى وَجَناتِهِ [٣]

وللنَّخَعِيِّ [٤] :

إذا نَظَرْتُ إليه ذابَ من خَجَلٍ ... فكاد يجرى دَماً من فَرْطِ رِقَّتِهِ

ولجناب سيدنا عبد الغنى النَّابُلُسِيِّ ، حفظه الله :

ولا عَيْبَ فيــــه غيرَ أن خُدُودَهُ ... بهنَّ احْمِرارٌ من عُيونِ المُتَيَّمِ

وهذا المعنى طويل [٥]فى بابه[٥] ، فلْنُمْسِكْ عنه لئلَّا يطول بنا الذَّيْل .

***

وقول المترجَم معاتبا [٦] بعضَ أحبابه [٧] :

مَهْلًا بنا يا خيرَ ماجِدْ ... وُقِّيتَ من شرِّ الحواسِدْ

يا عِزَّ بيتِ المجدِ يا ... كنزَ المَفاخرِ والمَحامِدْ

يا ابنَ الكرامِ بنى الكرا ... مِ بنى الأكارمِ والأماجِدْ

(١) ديوانه ٦٠ .

(٢) تقدم هذان البيتان فى النفحة ١/٣٦٢ ، وهما أيضا فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٧٢ .

(٣) فى النفحة : « فأوحى إليه الطرف » .

(٤) هو أبو على البصير الفضل بن جعفر بن الفضل النخعى .

شاعر ظريف محسن ، وكاتب مترسل ، ضرير .

اتصل بالمعتصم والمتوكل والفتح بن خاقان ومدحهم ، وكان يتشيع ، وله أشعار فى ذلك .

توفى سنة خمس وخمسين ومائتين .

سمط اللآلى ٢٧٦ ، طبقات الشعراء ٣٩٨ ، معجم الشعراء ١٨٥ ، نكت الهميان ٢٢٥ .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ص .

(٦) فى ص : « عاتبا » ، والمثبت فى : ب .

(٧) سقط البيتان الأولان من هذه القصيدة من : س .

فالوُدُّ وُدٌّ أُبُوَّةٍ والعِرْضُ يا مولاىَ واحدْ
عَوَّدْتنى منك الرِّضَى حاشاكَ مِن قَطْعِ العوائِدْ
وألِفْتُ منك مَوَدَّةً يا خيرَ مُؤتلفٍ مَوارِدْ
قد كنتُ ألْقَى منك بِشْـ ـراً كاملَ الأوصافِ زائِدْ
وبَشاشةً وكرامةً لم تَبْدُ من ولدٍ لوالدْ
فبأىِّ ذنبٍ مِلْتَ عَنِّـ ـى بِعْتنى بيعَ المَكاسِدْ[1]
لاقيْتنى بعــــد الطَّلا قةِ بالقَتامةِ والمَناكِدْ

منها:

ولكم تحمَّلْتُ الأسا يا منك يا بحْرَ المَكائِدْ

منها:

يا طالمـا عِفْتُ الأقا ربَ فى وِدادِك والأباعِدْ
ولَزِمْتُ طاعةَ أمرِك السَّا مِى وكنتُ لك المُساعِدْ
وَظَنَنْتُ فيك بأن تكو نَ معى على الزَّمنِ المُعانِدْ
فغَدَرْتَنِى أشْمَتَّ بى يا خِلُّ هاتيك الحواسِدْ[2]

منها[3]:

فاللهُ يعـــلم ما بقَلْـ ـبِى من هَواك وما أكابِدْ

***

وقوله مُضَمِّنًا:

يقولون لى دَعْ عنك نُعْمَى وحُبَّها وحاذِرْ فغيرُ الحبِّ مَسْلَكُه سهلُ

(١) فى الأصل: « عنى وبعتنى »، وما أثبته أسلم للوزن.
ولعل المكاسد هنا جمع الكسيد أو الكاسد، وهو مالم ينفق، ولم أر هذا الجمع.
(٢) فى الأصول: « فغدرتنى وأشمت بى »، وما أثبته أسلم للوزن.
(٣) ساقط من: س، وهو فى: ب.

غدًا يلهج الواشون فيك فتبتغى خلاصاً فلا تُلفِى وقد شمَّرَ العقلُ(١)
فقلتُ لهم ماذا تقولون فى فتًى يبيتُ أخا وَجْدٍ ومَدْمعُه هَطِلْ
وماذا عسى عنِّى يُقال سِوَى غدًا بنُعْمٍ له شُغْلٌ نعمْ لى بها شُغْلُ

***

وقوله :

بأبى شادنٌ رقيقُ الحواشِى كلُّ قلبٍ فى العالمين لَدَيْه
سَلْسَلُ اللفظِ مُستجادُ المُحَيَّا يُجتنَى الوَرْدُ من رُبَا وَجْنَتَيْه
مُذْ رأى جِيدُه لكلِّ مُحِبٍّ مَطْلباً ذابت القلوب عليه
صيَّرَ الفَرْعَ فوقه فتدلَّى طِلْسِاً يمنع الوصولَ إليه(٢)

***

ورأى بيتَىْ محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحَنْبَلِى(٣) ، وهما قولُه(٤)

يلومونِى فى ضَمِّ غُصْنِ قَوامِهِ ولا ذَنْبَ للنُّسَّاكِ فى الضَمِّ واللَّثْمِ(٥)

---

(١) شمر العقل : ذهب ومر . (٢) الطلساء : الظلمة .
وجاء بعد هذا فى س زيادة :
« وأحسنُ منه قولُ إبراهيم السَّفَرْجَلانى :

قال صِفْ فَرْعِىَ الذى يتدلَّى فوق خدِّى إن كنتَ من واصفيهِ
قلتُ ماذا أقولُ فى وَصْفِ رَوْضٍ قد تدلَّتْ عَرِيشةُ الحُسْنِ فيهِ »

وقد تقدم البيتان فى النفحة ١/٤٩٣ ، وهما أيضا فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٧١ .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبى الحنفى ، المعروف بابن الحنبلى .
عالم فاضل ، دخل دمشق ، وانتفع به جماعة من الأفاضل .
وله مؤلفات فى عدة فنون .
توفى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة .
إعلام النبلاء ٦/٥٩ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٨ ب ، ديوان الإسلام لوحة ٦٦ ب ، ريحانة الألبا ١/١٦٩ – ١٧٣ ، شذرات الذهب ٨/٣٦٥ ، الكواكب السائرة ٣/٤٢ .

(٤) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٦٢ ، ريحانة الألبا ١/١٧٠ ، سلك الدرر ٢/١٣٢ .

(٥) رواية إعلام النبلاء وريحانة الألبا للبيت مختلفة تماما ، ففيهما :

يلومونَنِى فى تَرْكِ ضَمِّ قَوَامِهِ ولا إذْنَ للنُّسَّاكِ فى الضَمِّ واللَّثْمِ

نعم بيننا جِنْسِيَّةُ الوُدِّ والصَّفـــا ولكنَّنى لم أُلْفِها عِلَّةَ الضَّمِّ

فعمل عَرُوضَها ، وأبْدَع[1] :

ضَمَمْتُ حبيبى عنـــد تقْبيلِ ثَغْرِهِ فلجَّ عَذُولى بالمَلامِ الذى يُصْمِى
وكيف وفـــيما بيْننا خُلَّةُ الصَّفا وإنِّى أراها فى الهوى عِلَّةَ الضَّمِّ[2]

وعمِل عَرُوضَ ذلك النَّبيلُ النَّبيه السيد مصطفى الصُّمادِى[3] ، فقال :

برُوحِىَ من فى العِيد أقْبل ضاحكاً ومَبْسِمُه كالدُّرِّ مُسْتحْسَنُ النَّظْمِ
وقابَلنِى بالوُدِّ حـــتى ضَمَمْتُه كضَمِّ كَمِىٍّ سيفَه خـــيرَ مُنْضَمِّ
وصافحتُ بالتَّقْبيل صفحةَ خَدِّه وطَوَّقْتُ منه الجيدَ عِقْدًا من اللَّثْمِ
وما كان فى قُرْبِى له من وسيلةٍ سوى الوُدِّ منه فهْولى عِلَّةُ الضَّمِّ

وعمل عَرُوضَ ذلك البارعُ اللبيب ، والفاضل الأديب[4] سعيد بن محمد[4] الشهير بسمعانى زاده ، فقال[5] :

برُوحِى رقيقُ الخصْرِ أحْوَى مُنَعَّمٌ لقد عَلَّ لَحْظاه بسُقْمِهما جسمِى
وعَلَّلنِى بالضَّمِّ بعـــدَ امتناعِهِ وكيف لَعمْرِى بيْننا عِلَّةُ الضَّمِّ[6]

---

(١) سلك الدرر ٢/١٣٢ .

(٢) فى سلك الدرر : « وفيما بيننا حله الوة » .

(٣) تأتى ترجمته برقم ١٣ ، والبيتان فى سلك الدرر ٢/١٣٢ .

(٤) فى الأصول : « محمد سعيد » ، وهو خطأ .

وهو سعيد بن محمد أمين بن خليل السمعانى الحنفى الدمشقى .

أديب ناظم ناثر ، كانت له رتبة المدرسين ، ثم تولية وتدريس المدرسة القجماسية .

توفى سنة أربع وأربعين ومائة وألف ، ودفن بباب الصغير .

سلك الدرر ٢/١٢٨ – ١٣٣ .

(٥) البيتان فى سلك الدرر ٢/١٣٢ .

(٦) فى سلك الدرر : « وعللنى بالوصل » .

(١)وعمل عَرُوضَ ذلك الفاضلُ محمد بن السَّمّان ، فقال(١) :

بِرُوحِيَ ظَبْيٌ ناحلُ الخصرِ قد غَدَا ... يُشابِهُ ذَيّاكَ النُّحُولُ ضَنَى جسمِي(٢)

ونارُ فؤادي مثلُ نارِ خُدودِهِ ... وسُقْمُ جُفونِ اللَّحْظِ شاكَلَه سُقْمِي

فلا عَجَبٌ أن قد ضَمِمْتُ قَوامَهُ ... وقد ظهرتْ ما بيننا عِلَّةُ الضَّمِّ

(٣)وقال عَرُوضَ ذلك جامعُه محمد المحمودي(٤) :

وأهْيَفَ قَدٍّ جاذَبَ الغُصْنَ في الرُّبَا ... فمال إليه الغُصْنُ وانْقضَّ كالسَّهْمِ

وعانَقَه كالعاشقِ الهائمِ الذي ... تعانَقَ مَعْ مَعْشوقِه النّاعمِ الجِسْمِ

ولا بُدَّ للغُصْنَيْنِ أن يتعانَقَا ... لحُسْنِ اعتدالِ القَدِّ من عِلَّةِ الضَّمِّ

***

وللمترجَم :

تنشَّقْتُ مِسْكَ الخالِ حين ضَمَمْتُه ... وقلبي جريحٌ مِن شَبَا لَحْظِه التُّرْكِي

فودَّعْتُ رُوحِي ثم قلتُ لصاحبي ... أيَبْرَا جريحٌ شَمَّ رائحةَ المِسْكِ

***

ومما كتبه المترجَم للخال(٥) ، قولُه يُهنِّيه بعافيته من مرضٍ حصل له :

مُغْرَمٌ لا يُفيقُ من نَشَواتِهْ ... ومُعَنًّى يذوبُ في زَفَراتِهْ

وحَشًا من لَوَاعجِ الشَّوقِ أضْحَى ... ولَظًى تستعيرُ من لَهَباتِهْ

مَن لقلبٍ بَراهُ شَوْقُ حبيبٍ ... أو لجَفْنٍ يخوضُ في عَبَراتِهْ

يا لَقَومي من أدْعَجِيِّ لِحاظٍ ... رشَقَ القلبَ من شَبا لحظاتِه(٦)

(١) في س : « وقد نسجت .. » والمتحدث ابن السمان ، والأبيات في سلك الدرر ٢/١٣٢ .

(٢) في س : « قد بدا » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

(٣) من هنا إلى نهاية قوله : « المسك » لم يرد في : س .

(٤) الأبيات في سلك الدرر ٢/١٣٢ .

(٥) تأتي ترجمته برقم ١١ .

(٦) الدعج : شدة سواد العين مع سعتها ، والشباة من السيف : قدر مايقطع به .

فَضَحَ الغُصْنَ قامةً وكذا الْ ... بدْرَ بَهاءً والرِّيمَ فى لَفَتاتِهْ

وَيْحَ قلبي كم ذا يُقاسِي غَراماً ... من نُفُورٍ وَيْلاه من نَفَراتِهْ

غَنِـجٌ إن بدا يَهُزُّ قَواماً ... شغَلَ القلبَ عنه فى آهاتِهْ

بَهِـجٌ مُتْرَفُ الأَديمِ أَغَنٌّ ... مثلُ بدرِ التَّمامِ فى هالاتِهْ

ذو عَفافٍ إذا تَوَهَّمَ طَرْفاً ... شامَه صَبْغَ الحَيا وَجَناتِهْ

يسْتميل القلوبَ لُطْفُ معانِيـ ... ـهِ وتَخْشَى الأُسودُ من سَطَواتِهْ

ليس لى مَلْجأٌ إذا صَدَّ عنى ... أوجَفا مَنْزِلى لهُجْرِ وُشاتِهْ[1]

غيرَ فَرْدِ الزمانِ أعْنِي به الخا ... لَ وَحِيدَ الوجودِ فى مَكْرُماتِهْ

شاعرٌ ماهرٌ أديبٌ حَسِيبٌ ... بَحْرُ جودٍ فى سَيْبِهِ وهِباتِهْ[2]

ما يقول المُثْنِي عليه إذا ما ... رامَ تَعْدادَ فضـ ـلِهِ وصِفاتِهْ

مَن لِمِثْلى بمَدْحِ مثلِك يَحْظَى ... عزَّ قَدْرِي إن كنتُ بعضَ رُواتِهْ

يا فريداً ويا أديباً تَسامَى ... أن يُضاهَى فى وَصْفِهِ وسِماتِهْ

أىُّ شىءٍ يَفِي بوصفِ مَعالِيـ ... ـكَ وماذا أُوَفِّيك فى إثْباتِهْ

غيرَ أنِّى بالعجزِ عنـ ـه مُقِرٌّ ... واعترافِى به لَمِنْ آياتِهْ

أخَّرَ العبـ ـدَ أن يجئَ ويَسْعَى ... حَظُّه من زمانِهِ وصِلاتِهْ

فاسْتَنابَ القِرْطاسَ يأتى ذليلا ... ويُهَنِّيك عنـ ـه فى أبياتِهْ

ها كَها نُبْـذَةً أتتك تُهَنِّى ... وتُؤَدِّيك عن شَجٍ واجباتِهْ

بشِفـ ـاءٍ له علىَّ أيادٍ ... هى عندى للدهرِ من خَيْراتِهْ

نِعْمةٌ عَمَّتِ الوجودَ بفضلٍ ... وغَدَتْ للزمانِ من حَسَناتِهْ

---

(١) فى ب : « لبحر وشاته » ، والمثبت فى : س .

والهجر : القبيح من الكلام .

(٢) مابعد هذا البيت إلى آخر قوله : « فى أبياته » الآتى ساقط من : س .

فابْقَ يا فَرْدَ ذا الزمانِ مُصاناً ⁂ وَاحِدَ العِزِّ رَاقِياً دَرَجاتِه[1]

ما تَمَلَّتْ نَواظِرٌ فى رِياضٍ ⁂ وشَجَى مُغْرَماً نِدَا ساجِعاتِهْ

***

فلما أبطأ عليه فى الجواب ، كتب إليه بقوله :

ليت شِعْرِى أهكذا الأحبابُ ⁂ مُدَّةَ الدهر عِزَّةٌ واجْتنابُ[2]

يا أديبـاً غدا بكلِّ زمانٍ ⁂ تتباهى بفضلِه الأحْقابُ

هَبْكَ أنِّى قصَّرتُ فى وصفِ عَلْيا ⁂ كَ كثيراً وحاد عنِّى الصوابُ

لا أُجازَى يا ماجـداً بجوابٍ ⁂ وَيْحَ قلبى كأنَّنى لا أُجابُ

لاعِتابٌ وإنما سُوءُ حَظِّى ⁂ من زمانى غدَا عليه العِتابُ

***

فلما سمع الخالُ بهذه الأبيات ، أجابه بقوله :

حين وَلَّى يَتيهُ فى خَطَراتِهْ ⁂ قادنى حبُّه إلى خَطَراتِهْ[3]

إن يكُنْ بالعُيونِ كَلَّمَ قلبى ⁂ فشفاءُ القلوب فى كَلِماتِهْ

قد رمتْنى العيونُ فى أسْرِ عَيْنَيْـ ⁂ ـهِ كما قد جُنِنْتُ فى وَجَناتِهْ

بين لَحْظِى وطَرْفِهِ حَمَلَ القَلْـ ⁂ ـبُ غراماً كثِقْلِ لَوْمِ وُشاتِهْ[4]

بَهِجٌ يملأُ العيونَ سروراً ⁂ مثلَ مَلْءِ الفؤادِ من حَسَراتِهْ

لو رأتْ حُسْنَه الحِسانُ لقالتْ ⁂ جَلَّ مَن ذا الجمالُ من آياتِهْ

أو رأى البدرُ وَجْهَهُ أقْسمَ الْـ ⁂ ـبدرُ بأنِّى اكتسبْتُ من هالاتِهْ

أو لشمسِ النهارِ يبْدُو تمنَّتْ ⁂ بُرْقُعاً من جمالِه وصِفاتِهْ

---

(١) مابعد هذا البيت إلى آخر قوله : « عليه العتاب » ساقط من : س .

(٢) فى س : « عزلة واجتناب » ، والمثبت فى : ب .

(٣) خطرات الأولى : صفة لهيئة مشيته ، والثانية : جمع الخطر ، بالتحريك ، وهو الإشراف على الهلكة .

(٤) فى س : « بين طرفى ولحظه » ، والمثبت فى : ب .

قُلْ إذا مارَنا وأَلْفَتَ جِيداً   وتهادَى كالَّلدْنِ فى خَطَراتِهْ

ماَمَهاةُ الصَّرِيمِ ماريمُ حُزْوَى   ماقَضِيبُ الأَرَاكِ فى مَيَلاتِهْ[1]

هو دائى وعِلَّتِى ودوائى   وحياتى فى وَصْلِهِ وحياتِهْ

ما ثَنانِى المِطالُ لو طال هَجْرِى   وجَفَاهُ يُعَدُّ من حَسَناتِهْ[2]

بحرُ حُسْنٍ فى سَيْبِهِ راح يحكى   بحرَ علمٍ فى فَضْلِهِ وهِبَاتِهْ

الكريمُ السامِى ذاتاً وطَبْعاً   وفريدُ الزمانِ فى مَكْرُماتِهْ

الحسيبُ النَّسِيبُ عَمًّا وخالًا   والزَّكِىُّ الآباءِ مَعْ أُمَّهاتِهْ[3]

والأَرِيبُ الأَدِيبُ نثراً ونَظْماً   مَن فُنونُ البديعِ فى أَبْيَاتِهْ

من جاءتْ لنا هُوَيْضِمَةَ الكَشْـ   ـحَيْنِ خَوْدٌ كالرِّيمِ فى لَفَتاتِهْ[4]

غادةٌ كلَّما نظرتُ إليها   أرجعتْ لى الغرامَ بعدَ انْبِتاتِهْ

كلَّما حُمْتُ حولَها بجوابٍ   كَىْ أَنالَ الفَخارَ فى إثْباتِهْ

أقْعدَتْنِى الخُطُوبُ عن مَدْحِ مَوْلًى   لا يُجارَى وما امْتداحِى ٱلذاتِهْ

بل وماذا أقولُ فى وَصْفِ مَن قد   لا أرى أنَّنى كبعضِ رُواتِهْ[5]

سيِّدى سيِّدى إليك اعْتذارِى   مِن زمانى فالغَدْرُ من عاداتِهْ

روضُ فكرى قد جَفَّ لَمَّا جَفاهُ   صَيِّبُ البُرْءِ لم يعُدْ لِسماتِهْ

أناشَرْوَى المُصابِ فى العقلِ والذِّهْـ   ـنِ ونُطْقِى قد غاضَ فى لَهَواتِهْ[6]

(١) حزوى : موضع بنجد فى ديار تيم : معجم البلدان ٢/٢٦٢ .

(٢) فى س : « ماثنانى المطال » ، والمثبت فى : ب .

(٣) سقط هذا البيت والذى يليه من : س .

(٤) أي : من جاءت لنا منه ، وهويضمة الكشحين : دقيقتهما ، والكشح : مابين السرة ووسط الظهر

(٥) من أول هذا البيت إلى آخر الترجمة لم يرد فى : س .

(٦) أناشروى المصاب : أي مثل المصاب .

وفى س : « قد غاص » ، والمثبت فى : ب .

فاقْبَلِ العُذْرَ ثم عَدِّ عن النَّقْـ ـدِ وسامِحْ مَن لَجَّ فى سَقَطاتِهْ

وابْقَ سَلْمًا من كلِّ ما يُتَوَقَّى راقيًا للكمالِ فى دَرَجاتِهْ

ما أمالتْ فى النَّيْرَبَيْنِ شَمالٌ غُصْنَ بانٍ فنبَّهتْ ساجعاتِهْ[1]

***

وللمترجَم تخْميس هذه الأبيات ، والأصل لسيِّدى سعد الدين بن العَرَبِى[2] :

رُوحى فِداءُ مُحَيًّا دُونَه القمرُ وحُسْنِ خَدٍّ نَقِيٍّ زانَه الخفَرُ

يا رافِلًا بِرِداءِ الحسنِ يفتخرُ إلى مُحَيَّاك ضوءُ البدرِ يعتذِرُ

وفى محبَّتك العُشَّاقُ قد عُذِرُوا

أنْوارُ حُسْنِك فى الآفاقِ ساطعةٌ وشمسُ حُسْنِك فى الأفْلاكِ طالعةٌ

ووَجْنتاكَ الْبها واللُّطْفَ جامِعةٌ وجَنَّةُ الحسنِ فى خَدَّيْك يانعــــةٌ

ونارُ حبِّك لا تُبْقِى ولا تَذَرُ

وَيْحَ العَذُولِ تمادَى فى مَلامتِهِ وما درَى ضَعْفَ قلبِى مِن سَلامتِهِ

يا واحداً قد تعـــالَى فى مَلاحتِهِ يا مَن يُهَزُّ دَلالًا غُصْنَ قامتِهِ

الغصنُ هذا فأيْنَ الظِّلُّ والثَّمرُ

النفسُ كم بالأمانى بِتُّ أشْغَلُهَا وكنتُ قبــلُ بآمالِى أُعَلِّلُهَا

ومُذْ بدتْ منك حالٌ كنتُ أجهلُهَا خاطَرْتُ فيك بغالِى النفسِ أبْذُلُهَا

إن الخطيرَ عليه يسهُل الخطَرُ

---

(١) النيربان : تثنية النيرب ، وهى قرية مشهورة بدمشق ، فى وسط البساتين ، ويذكر ياقوت أنه أنزه موضع رآه ، ويسمى النيربان ، بلفظ التثنية . معجم البلدان ٤/٨٥٥ .

(٢) هو محمد بن محمد بن على بن العربى الطائى ، سعد الدين بن الشيخ محيى الدين .

ولد سنة ثمان عشرة وستمائة بملطية ، وسمع الحديث ، ودرس وناب فى دمشق ، وقال الشعر الجيد توفى بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة .

شذرات الذهب ٥/٢٨٣ ، فوات الوفيات ٢/٣٢٥ ، نفح الطيب ٢/٣٦٩ ، الوافى بالوفيات ٢/١٥٨

أَتْعبتُ نفسى فليس الشَّمْلُ مجتمعٌ   وليْتنى بوصالٍ منك مُنْتفِعٌ[1]
خاطَرْتُ لكننى والقلبُ مُنصدِعٌ   ما كنتُ أعلم أن الوصلَ مُمْتنِعٌ
وأنَّ وَعْدَكَ بَرْقٌ مابه مَطَرُ

ما خُضْتُ قبلكَ ظَلْماءَ الرَّدَى أبَدَا   ولا سلكتُ سبيلًا فيك غيرَ هُدَى
لكنَّنِى يا حبيبًا زادَنِى كَمَدَا   لما رأيتُ ظلامَ الشَّعْرِ منك بَدَا
خُضْتُ الظلامَ ولكن غرَّنى القمرُ

***

وكتب له الشابُّ الفاضلُ ، زينُ الأفاضل ، محمد الشهير بابن الأمير[2] ، مادحا بقوله :

أما وبياضِ الخدِّ فى حِنْدِسِ الشَّعْرِ   لقد ضَلَّ عقلى فى الغرامِ مع الفِكْرِ[3]
وعُدْتُ حزينا ذائبَ القلبِ لَوْعةً   أُقاسِى هَوانًا من صُدودٍ ومن هَجْرِ
بحُبٍّ فريدٍ قد سَبانِى بقَامةٍ   مُهَفْهَفةٍ قد زانَها رِقَّةُ الخصْرِ
يُنافِسُ فى وَجْهٍ من الصبحِ مُسْفِرٍ   ويَبْسِمُ عن دُرٍّ تنظَّمَ فى النَّحْرِ
ويُبْدِى دَلالًا إن تبدَّى لعاشقٍ   ويَزْهو بقَدٍّ خُوطَ بانِ النَّقا يُزْرِى[4]
بَدَا شَمْسَ حُسْنٍ فى كمالٍ ونُورُها   يُحاكِى ضياءَ النَّدْبِ عَلَّامةِ العصْرِ
أَرِيبٌ فلا أدْرِى نُجُومٌ صِفاتِه   أم البدرُ فى بُرْجِ الوَقارِ غدا يَسْرِى

---

(١) ليس هنا بمعنى لا ، ولاتعمل عمل كان .

(٢) لم أجد من رجال القرن الثانى عشر من يدعى بمحمد الأمير ، فى المراجع التى بين يدى ، وسيرد فى جواب المترجم عليه ، فى البيت الثلاثين، مايشير إلى أن له علاقة بمغنى اللبيب ، وشارح مغنى اللبيب متأخر، وهو محمد بن محمد بن أحمد الأزهرى ، المعروف بالأمير ، ولد بمصر سنة أربع وخمسين ومائة وألف ، وتعلم بالأزهر ، وعرف بإتقانه للعربية ، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف . انظر الأعلام ٧ / ٢٩٨ ، فهل أدركه المترجم ؟

(٣) الحندس : الشديد الظلمة .

(٤) الخوط : الغصن الناعم ، وانتصب على نزع الخافض .

هُمامٌ سَمَا أَوْجَ الكمالِ وشاد ما بَناهُ من العَلْياء والعزِّ والفخرِ
وحَبْرٌ إذا ما فاخَر الدهرَ لَانْثَنَى له رايةٌ تعلُو على رايةِ الفجرِ
هو الفاضلُ الكنجيُّ والماجدُ الذى فضائلُه ذاعتْ وسارتْ مع الزُّهْرِ
أمَوْلاىَ عُذْرًا فى قُصورِى تكرُّمًا لأنِّىَ مُغْرًى فى الهوى والهوى عُذْرِى
فلا زِلْتَ تَرْقَى يا وحيداً مَراتباً وجودُك يا حَبْرًا يُحدِّث عن بَحْرِ
مَدَى الدهرِ ما غنَّى حمامٌ بروْضةٍ مُرَنَّحةِ الأغصانِ من نَشْوةِ السُّكْرِ

***

فكتب له مُجيبا بقوله ، مع حُسْنِ التَّنْكيت ، على هذه القصيدة الفريدة :

أما واجْتلاءِ الرَّوْضِ فى حُلَلِ الزَّهْرِ وعَبْقِ عَبِيرٍ للرُّبَا طَيِّبِ النَّشْرِ
وخَفْقِ ذُيولٍ للصَّبا فى حدائقٍ من الوَرْدِ تسْرِى فى غلائلِه الخُضْرِ
وقد حَبَكتْ أيْدِى النسيمِ عَشِيّةً من الحُبَبِ الفِضِّىِّ دِرْعاً على النَّهْرِ
وماسَتْ أفانِينُ الرِّياضِ وصدَّحتْ حمائمُ ذاكَ الدَّوْحِ فى الغُصُنِ النَّضْرِ
لقد شاقنِى دَرُّ الصِّبا ومَعاهِدٌ قطفتُ بها اللَّذَّاتِ فى أوَّلِ العُمْرِ
إذِ العيشُ غَضٌّ والليالى تَقُودُنى إلى اللَّهْوِ والأيامُ فى راحةِ اليُسْرِ
وكأسُ مُدامِى من لَواحِظِ شادنٍ غَريرٍ رَخِيمِ الدَّلِّ مُنْحَبِكِ الخَصْرِ
ثَمِلْتُ بها والدهرُ فى عُنْفُوانِه وصَفْوُ لَياليه مُصانٌ عن الغَدْرِ [1]
فكم ذا وَصَلْنا بالغَداةِ عَشِيّةً وكم نقطع الأيامَ لَهْوًا ولا نَدْرِى
وكم ليلةٍ لا عَيْنَ فيها تَرُوعُنا سوى أعْيُنِ النُّوَّارِ والأنجُمِ الزُّهْرِ
نَجُوبُ الليالى القَفْرَ فى كلِّ لَذَّةٍ ولا نتحامَى الحادِثاتِ من الدهرِ
نَشُدُّ مَطايانا لنَيْلِ مَآرِبٍ فمن مَهْمَهٍ قَفْرٍ إلى مَهْمَهٍ قَفْرِ

---

(١) فى ص : « مصان من الغدر » ، والمثبت فى : ب .

فما لِلَّيـــالى أقعــدتنِى عن المُنَى ... وقد خالسَتنى بالخديعــةِ والمكرِ
ومالىَ قد أصبحتُ خِلْوًا من الهوى ... وحيداً بلا خِلٍّ كأنى أبو ذَرِّ(١)
فيــا لأخِلَّائى الذين تباعَدُوا ... دُنُوًّا تحسْبِى ما لقيتُ من الهجْرِ
إذا ما تذكَّرتُ الحِمَى وأحِبَّتِى ... فكُلِّى عيونٌ فى مَعالِمِهِ تجرى
ولكنَّ شُغْلِى بامْتداحِى أخا العُلَا ... يزَحْزِح من كَرْبٍ توالَى على صدرِى
هو ابنُ الأميرِ النَّدْبُ خيرُ مُهذَّبٍ ... هو المُعْتنِى سُبْلَ الأكارمِ بالبِرِّ
هو الفاضل البحَّاثُ فى كلِّ مُشْكِلٍ ... هو الغُرَّةُ البيضاء فى جَبْهةِ الدهرِ
هو الكاملُ العدْلُ الذى حيَّرَ النُّهَى ... هو الماجدُ الممدوحُ فى النظمِ والنثرِ
خليـــلى الذى أصْفَيْتُه الوُدَّ يافِعاً ... وأشْدَدْتُ فى عهدِ الشبابِ به أزْرِى
وخِدْنِى ومَن وافيتُ فى عهد صَبْوَتِى ... وأشْركْتُه دونَ البريَّةِ فى أمرِى
فيــا فاضلًا أعْيَى الفُهومَ ذكاؤه ... وألفاظُه المختــارُ من دُرَرِ البحْرِ
لقد حيَّرتْ منك النُّهـــا كُلَّ شاعرٍ ... فماذا عسى أبْدِى لَديْك من الشِّعْرِ
أتتْ منك لى خَوْدٌ تهادَى كأنها ... عروسُ الأمانى قد تبدَّتْ من الخِدْرِ
عَرُوبٌ لقد عزَّتْ على كلِّ خاطبٍ ... ولُطْفُ معانيها أرقُّ من السحرِ
بعيـــدةُ مأْمولِ المَعانى وهكذا ... تعِزُّ مُنًى لا كُلُّ غاليـــةِ المَهْرِ
فقمتُ لهـــا سَعْياً وعظَّمتُ شأنَها ... وقبَّلتُهـــا بين الترائبِ والنَّحْرِ
سترْقَى مَقاما دونه كلُّ رُتْبــةٍ ... وتعلُو على العلياء مُرْتفِعَ القدْرِ
فهـــا أنتَ يا مُغْنِى اللَّبيب بفضْلِه ... مَبادِيك تُبْنَى بالمَكارمِ والفخرِ(٢)

---

(١) يشير إلى أبي ذر جندب بن جنادة بن سفيان الغفارى ، الصحابى الجليل ، حين خرج مغاضبا لعثمان رضى الله عنه إلى الربذة خارج المدينة ، فسكنها وانقطع عن أصحابه إلى أن مات سنة اثنين وثلاثين .

(٢) جاء فى آخر شرح الأمير على مغنى اللبيب أنه وافق الكمال صبيحة ليلة الاثنين المبارك من شوال سنة ثمان وثمانين ومائةوألف ، فلعل المترجم أدرك هذا الزمان .

فلا زلتَ تسمو للمعـــالى وترتقي ... مقامَ التّدانى رافعاً راية النّصرِ
بعزٍّ وإقبالٍ وفضـــــلٍ ونعمةٍ ... سليماً من الأغيارِ مُنْسبلَ السّترِ
مَدَى الدهرِ ما غنّتْ سُوَيْجعةُ الرُّبا ... ولاح اجْتلاء الرّوْضِ فى حُلَلِ الزّهْرِ

***

وكتب له أميرُ الشُّعراء، ورئيسُ الأدباء، مصطفى بك الشهير بابن التَّرْزىّ[1]، مادحا بقوله:

يلُوح كبدرِ التّمّ عنـــــدَ تمامهِ ... مُحيًّا على غُصْنِ النّقا من قوامهِ
عُذَيْبُ الثّنايا ينْهب الصبرَ لحظُهُ ... ويُوهِب جسمى السُّقْمَ فرْطُ سقامهِ
تُهيِّج لى السّوْدَا سَوادُ جُفونهِ ... ويَبْرى سقامى ثغْرُه بابْتسامه
أَلِيّةَ من قد فتّتَ الحبُّ قلبَــــــه ... وجرّعه بالهجْرِ كأسَ حِمامهِ[2]
لقد هاج بى من عالِجِ الخَيْفِ أَثْلُه ... وأرّقنى فى الدّوحِ نَوْحُ حَمامهِ[3]
فما لاح بَرْقُ السّفْحِ إلّا ومُقْلتى ... سقتْه بدمعٍ مثلِ فَيْضِ غمامهِ
ولى فيه مَن يُزْرِى بخطِّىّ قدِّهِ ... بِبانِ الحِمَى سَقْياً له معْ بَشامهِ[4]
ويُلْبِسُنى مِرْطَ الجُنونِ صُدودُه ... ويمنع جَفْنِى عن لذيذِ منامهِ
فلا غرْوَ أنّ المرءَ يَظْهر سِرُّهُ ... إذا كان ممنوعاً لنَيْلِ مَرامهِ
برُوحِىَ ذيّاكَ القَوامُ إذا انْثنَى ... فيُزْرِى بخُوطِ البانِ حُسْنُ احْتشامه
صَبوْتُ به لا أنْثنِى بمُعنِّفٍ ... ولو ساقنى للحتْفِ هَوْلُ غرامهِ
أبَى لى فؤادٌ بالصّبابةِ مُولَعٌ ... على صِغَرٍ لا يَرْعوى بكلامهِ

---

(١) تأتى ترجمته برقم ٢٠. (٢) الألية: الحلف واليمين.

(٣) العالج: شجر أغصانه صلبية، والخيف: ما انحدر من غلظ الجبل، وهو أيضا المحصب، وبطحاء مكة. معجم البلدان ٢/٥٠٧، ٥٠٨.

(٤) خطى قده: قده المشبه للخطى من الرماح فى اعتداله، وهى الرماح المنسوبة إلى الخطه مرفأ السفن بالبحرين، والبشام: شجر طيب الرائحة.

وينقاد للفتّان طوعاً ويرتضى ... بما فعلتْ ألحاظه من كلامه

بروحي ثنايا اللواتى كلؤلؤ ... ومدّ حياه جال بين انتظامه

ويمنعنى من ريقه العذب لحظه ... إذا ازورّ كالغضبان عند انتقامه

ومما حلا فى فيه من مسكر الطلا ... ويمنع ورد الراح ختم فدامه[1]

ويفعل فعل البابلية طرفه ... إذا ما رمى فى القلب رشق سهامه

بأحمد حال منظرى من جماله ... وجمر الغضا فى مهجتى من ضرامه

أعز أيها اللاحي سلوّا لمهجتي ... وأنى وقلبي موثق بذمامه

فإنّ سلوّى المستحيل عن الهوى ... ويوجبه فى القلب نار هيامه

ولكنّ شغلي بامتداحي أخا العلا ... هو الفرض ما لا بدّ لى من قيامه

فأخلاقه تغرى الأنام بمدحه ... ويغرى لسان الحمد حصّ التزامه

ومنظره أضعاف مخبر فضله ... وفى الروض يشتمّ الزكا من خزامه[2]

يكلفنى شجوى برائق شعره ... ثناى ورضوى دون بعض لمامه[3]

ومن يستطع يرقى على السبعة العلا ... تصوّر فى التخييل معنى نظامه

ولو نظم الشهب الدرارى قلائداً ... ووافقه كاف الكمال بلامه

لما حاز جزءاً من معانى ذكائه ... وقصّر قسراً عن بلوغ مقامه

فتى فضله أربى على كل فاضل ... توخّى العلا والمجد قبل فطامه

وفرع غدا ينمى إلى خير محتد ... زكوا من قديم الدهر بين كرامه

وفى طيّ أوراق التواريخ ذكرهم ... وينشر بالأخبار مسك ختامه

ونجلهم أعنى الكريم محمداً ... به قد أضاء الدهر بعد قتامه

---

(١) الفدام : مايوضع على فم الإبريق ليصفى مافيه .

(٢) الخزامى والخزام : نبت زهره من أطيب الأزهار .

(٣) رضوى : جبل بالمدينة . معجم البلدان ٢ / ٧٩٠ .

فإنَّ افْتخارى بامْتداحِى جَنابَهُ ... من المجدِ قد يرْتاضُ فوقَ سَنامِهِ

أجزْ عبْدَكَ الأدْنَى بشِعْرٍ فإنَّه ... قُصارَى أمانيه وجُلُّ اغْتنامِهِ

أتتْكَ قَوافِى الشِّعْرِ خَجْلَى من الذى ... يُنظِّمه فى الفكرِ قبلَ اهْتمامِهِ

وقد حَمَلتْ عُذْرِى بتقْصيرِ فكرتى ... لِمَن وجهُه فى الخطْبِ ضَوْءُ ظلامِهِ

وتَنْفَحُ من طِيبِ الثَّناءِ تحيَّةً ... يُوشِّحها المُثْنِى بأهْدَى سلامِهِ

فهاكَ اجْتَنِ منها البديعَ فإنَّه ... يُبيِّنُ حُسْنَ الوَجْهِ رَفْعُ لِثامِهِ

***

فأجابه، من البحر والقافية، بقوله:

أبَرْقٌ بدَا فى الحىِّ حين ابْتِسامِهِ ... أم الشمسُ لاحتْ عند كَشْفِ لِثامِهِ

أم الصبحُ فى الآفاقِ أشْرَقَ نُورُه ... أم الجِيدُ إذْ أوْمَى لنا بسَلامِهِ

أم الشَّفقُ البادِى احْمِرارُ خُدُودِه ... لدى العَتْبِ أم زهرُ الرُّبَا فى كِمامِهِ

تبارَكَ مَن أهْدَى السُّراةَ بوجهه ... سبيلًا بداجِى فَرْعِهِ وظلامِهِ

وصيَّرَ فى لَحْظَيْه سَهْمَ مَنيَّةٍ ... وأرْهَبَ أحْشائِى برُمْحِ قَوامِهِ

لكَ اللهُ يا رَبَّ المَلاحةِ والبَها ... بمُغْرَمِك العانِى وفَرْطِ غرامِهِ[1]

رُوَيْدَكَ مَهْلًا بالنُّفوسِ فإنها ... على خَطَرٍ من حَرِّه وأُوامِهِ[2]

وكُفَّ سِهامَ اللَّحْظِ عن كبدِى فقد ... كَفانِىَ ما قاسَيْتُه بحُسامِهِ

أُعِيذُكَ أن يشْكوكَ مُغْرَمُكَ الذى ... يُقلَّبُ فى حَرِّ الجوَى طولَ عامِهِ

وأنت اتَّئِدْ يا عاذِلى بمَلامتِى ... فإنِّى امرؤٌ لا يَرْعوِى بمَلامِهِ

رَضِيتُ بما يَرْضَى ولو بمَنيَّتِى ... ولم أنْثَنِ عن وُدِّه والْتزامِهِ

وإن صَدَّ لم أشْكُ وإن صال واعْتَدَى ... وجَرَّعنى بالهجرِ كأسَ حِمامِهِ

---

(١) العانى: الأسير. (٢) الأوام: العطش.

عَدِمْتُ لسانى إن شكوتُ صُدودَه   مدى الدهرِ أو حاولتُ غيرَ مَرامِهِ

يُسائِلنى عن حالتى كلُّ مُشْفِقٍ   فلم أستطِعْ تاللهِ رَدَّ كلامِهِ

ولى مُقْلةٌ تَهْمِى الدماءَ ومُهْجةٌ   تذوب وجسمٌ مُرْتَدٍ بسَقامِهِ

وقلبٌ مَشُوقٌ أسلَمَتْه يدُ الهوى   إلى ظالمٍ لا ينتهى فى انتقامِهِ

سَلِ الليلَ عن حالى وسَلْ كوكبَ الدجى   هل التذَّ لى جَفْنٌ بطِيبِ منامِهِ

وبى مِن هواه الصَّعْبِ ما عزَّ عنده اصْ   طِبارى وقلبى مُولَعٌ بهيامِهِ

ألم يأنِ لى أن أحْتَسِى أكْؤُسَ اللِّقا   وأجْنِى ثمارَ الوصلِ بعد انصرامِهِ

ولى ناصرٌ لا أبرحَ الدهرَ لاجئاً   إلى فضلِه السامِى وعزِّ مَقامِهِ

كريمٌ فهيمٌ شاعرٌ مُتأدِّبٌ   فريدُ المَزايا واحدٌ فى احتشامِهِ

صَدُوقٌ شَفُوقٌ فاضلٌ مُتواضِعٌ   حَرِىٌّ بعالِى قَدْرِه واحترامِهِ

نَسِيبُ المعالى مَصْدرُ الجودِ والنَّدَى   إمامُ سبيلِ المجدِ وابنُ إمامِهِ

لقد طاب أصْلاً مثلَ ما طابَ مَخْبَراً   ونِعمَ فتًى فى الخيرِ جُلُّ اهتمامِهِ

مَعانِيه لا يُلْفَى لها من مُحاوِلٍ   وأكبرُ شىءٍ شاهدٌ فى نِظامِهِ

أديبٌ عَلا فوق السِّماكَيْن مَجْدُه   فأصْبَحَ عالِى قَدْرِه فوقَ هامِهِ(١)

ومن يبتغى يوما يُساميه فى العُلا   وحقِّك لو دانَى السُّها لم يُسامِهِ

فما نظَرتْ عينى له من مُشابِهٍ   ومن ذا يُضاهِى البدرَ عند تمامِهِ

ولى من تآخيه وحُسْنِ ودادِهِ   مدَى الدهرِ ما لم أستطِعْ بقيامِهِ

فيا أيُّها المَوْلَى الذى حيَّرَ النُّهَى   وجَمَّعَ شَمْلَ الفضلِ بعدَ انخرامِهِ

وأعْلَى قُصورَ العِزِّ بعدَ اندراسِها   وجَدَّدَ رُكْنَ المجدِ قبلَ انهدامِهِ

أتَى منك لى دُرُّ المَعانِى تُقِلُّه   أيادٍ حكتْ سُحْبَ السَّما فى انسجامِهِ

---

(١) السماكان : نجمان نيران يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل .

فقبلتُه سَبْعاً وعظَّمتُ شأنَه ... ونِلتُ بحمدِ الله فَضَّ خِتامِهِ

وبادَرْتُه أسْعَى إليه مُلَبِّياً ... نِداهُ وفازَتْ راحتِي باسْتلامِهِ

فلا زِلْتَ تُبْدِي في القَرِيضِ عَرائساً ... حِساناً تُحَلِّيها بحُسْنِ انْتظامِهِ

وخُذْ هـذه زادَ المُقِلِّ وخَلِّهـا ... من النَّقْدِ واقْبلْ لفظَها في انْبِهامِهِ

أنالَكَ مَوْلَى الخلْقِ كلَّ كرامةٍ ... مُجَمَّلةٍ في الدهرِ بيْنَ كِرامِهِ

ودُمْتَ بخيرٍ ما حَيِيتَ ونعمةٍ ... تُنَوِّرُ رَبْعَ الفخرِ بعدَ قَتامِهِ

مدَى الدهرِ ما غَنَّتْ سُوَيْجِعةُ الرُّبَا ... وفاحَ بزاهِي الرَّوْضِ نَشْرُ خُزامِهِ





٧

صالح بن إبراهيم بن المُزَوِّر*

هو عندي بمَثابة ابني ، وإذا أثنَيْتُ عليه فبصالحٍ أُثْني .

فرابطتي معه عَلَقةُ عَلائقه ، وإنّي لا أرى غذاء رُوحي إلّا في خَلائقه .

فإن بَدَا رَوَّى عُيوني رُواؤُه ، وإذا تكلَّمَ أشبعَ خاطِري أداؤُه[1] .

وإن غاب شَمِتَ حُزْني بفَرَحي ، ومتى حضَر حضر سُروري على وَفْقِ مُقْتَرَحي .

فلله من رُوحِ حياةٍ ضَمَّتْ ضُلوعُه ، وقمرِ مَلاحةٍ في سماء النُّبْلِ طُلوعُه .

وهو في مَبْدإ صَوْبِ قَطْرتِه من الغَمامة ، وبَاكُورةِ خُرُوجِ زَهْرتِه من الكِمامَة .

يحُلُّ من القلوبِ بلُطْفِه مَحَلَّ الرُّوحِ من الجسد ، وتتحاسَد عليه العيونُ والآذانُ

فكأنما خُلِق لأجْلِه الحسَد .

***

وله أدب نَفْسٍ وسَليقة ، تحلَّى بحُسْنِ خُلُقٍ وخَليقة .

إلى خَطٍّ كخَطِّ العِذار أوَّلَ طُلوعِه ، وصوتٍ يدعو القلوبَ قَسْرًا إلى صَبْوَتِه ووُلوعِه .

فكم حَلَّ بمَغْنًى فسيح ، فمَنَّ[2] فيه بمَعْنًى فصيح .

(*) صالح بن ابراهيم بن خليل الحنفي الدمشقي الشهير بالمزور .
ولد تقريبا في حدود التسعين وألف بدمشق ، وقرأ على الأفاضل والأجلاء ، وأخذ الأدب عن الأمين المحبي ، وانتفع به ، وتخرج عليه ، وكتب بعض تآليفه .
وكان حسن الصوت ، ماهرا في الموسيقى والألحان .
وهو خطيب السليمية في صالحية دمشق .
توفي سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف ، ودفن بباب الصغير .
سلك الدرر ٢/٢٠٢ ــ ٢٠٨ ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبي له وبعض ما أورد من شعره ، وزاد عليه كثيرا

(١) في ص : « آراؤه » والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

(٢) في سلك الدرر : « فر » .

وشعرُه عليه مِسْحةُ الُحسن ، يُوقِظ بغرامِيَّاته الجُفونَ الوُسْن .

فمن ذلك قوله[١] :

يا عينُ لا تَهْجَعِي فالسَّعْدُ وَافاكِ ... وزَار مَن تَعْشقِي ليلًا وحَيَّاكِ

مَلِيحةٌ صاغَها نُوراً مُصوِّرُها ... فأفْتَنَتْ كلَّ ذى رَأْيٍ وإدْراكِ

تعلَّمَ السحرَ هاروتٌ وأتقَنَهُ ... من لَحْظِها حين أرْماهُ بأشْراكِ

كم عاشقٍ ضَلَّ فى داجِى الذَّوائبِ قد ... أهْداه نورُ صباحٍ مِن مُحيَّاكِ

حَوَيْتِ جَنَّةَ حُسْنٍ فى الخدودِ عَلَا ... من فَوْقِها عَرْشُ شَعْرٍ جَلَّ عن حاكِ[٢]

وكَنْزَ ثَغْرٍ حَصِيناً بالعَقيقِ حوَى ... جواهراً نُظِمتْ من غيرِ أسْلاكِ[٣]

يا طَلْعةَ البدرِ يا شمسَ النهارِ ويا ... غُصْنَ الرياضِ وذاتَ المَبْسَمِ الزَّاكِى

تاللهِ لا أبْتغِى خِلًّا يُسامِرُنى ... ياظَبْيَةً أسَرَتْنِى غيرَ لُقْياكِ[٤]

لا سامَحَ اللهُ عُذَّالًا لنا عَذَلُوا ... لو عايَنُوا لغَدَوْا من بعضِ أسْراكِ

***

قوله : « حويت جنة حسن » إلخ : استعمل العَرْشَ فى الشَّعْرِ ، والمشهورُ[٥] استعمالُه فى الخدِّ ، كما قيل[٦] :

غدا خالُه رَبَّ الجمــالِ لأنه ... على عَرْشِ خَدٍّ فوقَ كُرْسِيِّه اسْتوَى

وأرْسلَ رُسْلًا من لِحاظٍ أعِزَّةٍ ... على فَتْرةٍ تدْعو الْأنامَ إلى الهوَى[٧]

***

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٢ / ٢٠٣ .

(٢) فى س : « من فرقها » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٣) فى سلك الدرر : « وكنز ثغر حصين » .

(٤) فى سلك الدرر : « عين لقياك » .

(٥) فى ب ، س : « واستعمال » ، والمثبت فى : س ، وسلك الدرر .

(٦) ورد هذان البيتان أيضا فى النفحة ١ / ٥٩٢ (٧) فى النفحة :

وأرْسَلَ بالألحاظِ رُسْلًا أعِزَّةً ... على فَتْرةٍ يَدْعُو الأنامَ إلى الهوَى

وقد أكثر الشُّعراء من هذه القافية فى النَّسيب(١) ، ولم يَحْلُ لى من المُذكَّر غيرُ قصيدةٍ فى الغزل، هى أزْهى من شَقائق الخدود ، وأعْطَرُ من نفَحات الوُرود ، لبَحْر الفضائل، وعُمدةِ الأفاضل ، مولانا الشيخ عبد الغنىّ النَّابُلسىّ ، حفظه الله تعالى لنا(٢) ، وهى قوله :

يا ضاحكَ الثَّغْرِ فيكَ المُغْرَمُ الباكِى ... بالمَيْنِ والقلبِ منك الشَّاكِرُ الشَّاكِى

حكَى لنا البدرُ إشْراقاً بوَجْهِك لا ... تكْسِفْ سَنا نُورِه لا ذَنْبَ للْحاكِى

وما رَنَا الظَّبْىُ بالطَّرْفِ الكَحِيلِ وما ... بَدَا علينا بجِيدٍ منه فتَّاكِ

إلَّا شَهِدْنا عُيوناً منكَ فاتنةً ... لنا وجِيداً عَلَا عن دَرْكِ إدْراكِ

مِيلَ الغُصونِ سُجوداً فى الرِّياضِ إلى ... قَوامِك الرَّطْبِ عن إخْلاصِ نُسَّاكِ(٣)

وحُمْرَةَ الوَرْدِ فى أغْصانِه خَجَلٌ ... من وَجْنَتَيْك انْقباضاً خَوْفَ إشْراكِ

تبارَكَ اللهُ من أبْدَى لنا مَلَكاً ... فى صُورة البَشَرِ المُسْتظْرَفِ الزَّاكِى

وجَلَّ مَن صاغَ من لُطْفِ الهوى بَدَناً ... كفِضَّةٍ سُبِكتْ من غيرِ سَبَّاكِ

أغَنُّ عَذْبُ الثَّنايا يَنْثَنِى مَرَحاً ... له عَقِيقُ فَمٍ فى دُرِّ أحْناكِ(٤)

لا سامَحَ اللهُ عُذَّالِى بما نَقَلُوا ... إليه عنِّى وقالوا قَوْلَ أفَّاكِ

بأنَّ قلبِى سَلَا أو مُقْلتِى نظَرتْ ... إلى السِّوَى والسِّوَى لى مَحْضُ إهْلاكِ

يا نسْمَةَ الفجرِ باللهِ العظيمِ قِفِى ... فقد رَوَى عن حبيبِى طِيبُ رَيَّاكِ

ويا بُرُوقَ الحِمَى لا تَهْتِكِى شَرَفِى ... بمَدْمَعٍ عَقِبَ التَّذْكارِ هَتَّاكِ

ويا وُجوهاً بَدَتْ تحت البَراقِعِ لى ... مِثْلَ الشُّموسِ بدتْ من فَوْقِ أفْلاكِ

مَهْلاً فقد طُلَّ دَمْعِى فى الهوى ودَمِى ... طَلَّ الحَيا فوق خَدٍّ أحْمرٍ زاكِ(٥)

---

(١) وأميرهم الذى نسجوا على منواله الشريف الرضى، فى قصيدته التى مطلعها :

يَا ظَبْيَةَ الْبَانِ تَرْعَى فى خَمَائِلِهِ ... لِيَهْنِكِ الْيَوْمَ أنَّ القَلْبَ مَرْعَاكِ

(٢) ساقط من س ، وهو فى : ب .

(٣) فى س : « سجود فى الرياض » والمثبت فى : ب .

(٤) ظبى أغن : يخرج صوته من خياشيمه . (٥) طل دمه ودمعه : أهدرا . والحيا مقصور الحياء .

يا مُعْطِىَ النــاسِ أنْواعَ الغَرامِ بِه ... ومُمْسِكًا عن لِقــاهُ أىَّ إمْســاكِ

طَمَتْ طَلْعَةَ بدرٍ من غمامتــهِ ... أو أهْيَفٍ ناظرٍ من طاقِ شُبّــاكِ[1]

عينى وقلــبى وعقلى فى يَدَيْكَ غَدَتْ ... مَأْسُورةً لِمَنِيعِ الوَصْلِ سَفّــاكِ

وعندما الصُّدْغُ منك امْتَدَّ لى شَرَكًا ... فى بَحْرِ حُسْنِكَ صِيدَتْ صَيْدَ أسْماكِ

وقد تصَرَّفْتَ بى طُولَ الزّمانِ بـلا ... مُشـارِكٍ لكَ بى تَصْرِيفَ مُلّاكِ

فاسْلَمْ ودُمْ بِلِبـاسِ العِزِّ مُشْتَمِلًا ... يا مالِكِى وسِلاحُ الاحْتِما شَاكِ

وكَيْتَ كَيْتَ لِعُــذّالِى عليْــكَ وقد ... وَكَيْتُ سِرَّ الهوَى فاعْطِفْ على الْواكِى[2]

أما ومَعْسُــولِ رِيقٍ فى المَراشِفِ لم ... يعلَمْ به بعد رَبِّى غيرُ مِسْواكِ[3]

لأنتَ من كلِّ شىءٍ فى خَواطِرِنا ... أشْهَى إليْنـا بأمْرٍ منك بَتّاكِ[4]

وَجْــهٌ مَلِيحٌ وشَعْرٌ أسودٌ جَعْدٌ ... وَاحَـيْرَتِى بين أضْواءٍ وأحْــلاكِ

عرفتُ عَقْــلَ عَذُولِى فى مَحَبَّتِه ... والدِّرْهمُ الزَّيْفُ معروفٌ لحَكّاكِ

قمتُ فى نَقْضِ بُنْيــانِ الجهــالةِ من ... زَخارِفِ اللَّوْمِ مِدْماكٍ فمِدْماكِ[5]

وما تركتُ الهوَى كلّا وكيف وهل ... تَخْـفَى المَـلاحةُ فى أوْلادِ أتْراكِ

وَجَنـاتُه والفمُ المَعْسولُ حَدَّثَنــا ... عن وَاقِدِىٍّ بإسْنــادٍ وضَحّــاكِ

وثَغْرُه طــاب تسْبِيحِى بسُبْحَتِــهِ ... كأنّه الدُّرُّ مَنْظــومٌ بأسْــلاكِ

حتى بطَيْفِ خيــالٍ منه وَاصَــلَنِى ... ليــلًا فبِتُّ إلى تَأْذِينِ أدْياكِ

وهَبَّ راقِدُ أجْفــانِى يقــولُ له ... يا ضاحِكَ الثَّغْرِ فيكَ المُغْرَمُ الْباكِى

❊

(١) تقدم فى الصفحة ٢/١٥٤ ذكر أن الشباك مولد .

(٢) كيت كيت : إشارة إلى كثرة ما يلغط به العذال ، ووكى القربة : شدها بالوكاء ، وهو هنا يريد حفظ سر الهوى .

(٣) فى ص : « غير مسواكى » ، والمثبت فى : ب

(٤) بتاك : قطاع .

(٥) المدماك : الساف من البناء ، وهو كل عرق من الحائط .

٨

محمد بن محمود المحمودى*

شيخٌ شاب، ما شانَه كَدَرٌ ولا شاب[١].

طبعُه من المَلال مُبرّأ، وهو روضٌ نبّه الأسحارَ مُطرّى.

حاضرُ الجواب، كثيرُ الصواب.

يخوض من بحار الفقهِ لُججَه، فيوضّح منها فتاويه وحُججَه.

بفكرٍ مُصيبِ السهم فى كلّ غرَض، ورأيٍ ما عرَض له فى جوهرِ الخَلْق عرَض.

هَمَّ أن يلتقى طرَفاه فأقصرا[٢]، وكاد لكثرة عِلْمِه أن يكونَ عَلَمًا مُختصرا.

إلى صَوْنِ نشْأةٍ ونَزاهةِ مَرْبَى، ووُثوقِ عهدٍ تميّز به على نُظرائه وأرْبَى.

وأدب يطّرد بين عُونِه[٣] وأبكارِه، وشِعْرٍ تفرّد بابتداعه وابتكاره.

ذكرتُ منه ما يدُلُّ على لُطفِه ونُبْله، وإن سلَك من الإتقان فى طُرُقِه القويمة وسُبُلِه.

فمن ذلك قولُه[٤]، من نبويّة أنْشَدها تجاهَ حُجْرةِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عام حَجِّه، وهى:

ما حلَّ سامٍ فى سَمائِكْ ... لا والذى رفَع السَّمائِكْ[٥]

أنتَ الذى قرَنَ الإلـ ... ـهُ سماه حقًّا مع سمائِكْ[٦]

(*) فى ب: «محمد بن محمد المحمودى»، والمثبت فى: س، ص، ولم أعثر له على ترجمة، ويلاحظ أن جامع هذه الأوراق «ذيل النفحة» هو محمد بن محمود السؤالاتى، ويقال له أيضا محمد المحمودى.

(١) شابه: خالطه.

(٢) فى ص: «فقصرا»، والمثبت فى: ب.

(٣) جمع العوان، وهى المرأة فى منتصف السن.

(٤) ساقط من: ب، وهو فى: ص.

(٥) السمائك: جمع السمك، بالتسكين، وهو السقف أو أعلى البيت وهو هنا يريد رفع السموات.

(٦) السما: لعله بضم السين، وهو الصيت البعيد الحسن، أو لعله جمع الاسم، مع حذف ألفه.

أنت الذى فوق البُراقِ ... عَلا وصَلّى بالملائكْ

أنت الذى انْشَقَّ المُنيـ ... ـرُ له حياءً من ضيائكْ

أنت الذى نطق البعيـ ... ـرُ له ونُجّى فى حِمائكْ

وسَقَيْتَ من بين أصْبعيـ ... ـكَ الجيشَ كلَّهمُ بمائكْ

فاللُّسْنُ تَعْجِزُ أن تُحيـ ... ـطَ بمُعْجزاتِك أو عَطائكْ[1]

من أين يُحْصَرُ عَدُّها ... وعُلا الأعالِى من عَلائكْ

فالأنْبيا قد فُقْتَهم ... خَلْقاً وخُلْقاً مَعْ زَكائكْ

تاللهِ والرُّسْلُ الكِرا ... مُ قد استمَدُّوا من نَدائكْ[2]

والأوْلِيا بك قد رَقَوْا ... وسَناه كلٌّ من سَنائكْ

ما الكوْنُ إلّا حُلّةٌ ... أنت الطِّرازُ مَعَ الحَبائكْ[3]

لولاك ما كُنّا ولا ... كان الوجودُ ولا المَلائكْ

مَوْلاى يا مَن قد أضا ... ءَ الكونُ حقّاً من بهائكْ

وَافاكَ عبدٌ أعجزَتْـ ... ـهُ يَدُ النَّوائب عن وفائكْ

أعْيَى البَرِيّةَ داؤُهُ ... يَرْجو شِفاءً من دوائكْ

يبْغِى الشفاعةَ فى المَعا ... دِ وأن يكونَ وَرا لِوائكْ[4]

يرجُوكَ يا خيرَ الورَى ... باللهِ نِـلْهُ من رَجائكْ[5]

حتى يكونَ مع الذيـ ... ـن يُوَسَّدُونَ على الأرائكْ

صلّى عليك اللهُ ما ... حَجَّ الحجيجُ إلى إنائكْ

---

(١) فى ب : « فاللسن تفخر » ، والمثبت فى : س .

(٢) مد « ندى » المقصور لتتفق له القافية .

(٣) الحبائك : جمع الحبيك ، وهو المحبوك من الثياب .

(٤) فى ب : « وإن يكن ورى لوائك » ، والمثبت فى : س .   (٥) يعنى : أنله من رجائك .

وعلى الصحابةِ والقَرا   بَةِ كلِّهم وذَوِى عَبائِكْ[1]

رُوحِى فِداءُ أولئِكَ النُّ   جَبا فِدَا رُوحِى أُولئِكْ

فامْنَحْهُمُ رِضْوانَكَ الْـ   ـلَّهُمَّ رَبِّى مَعْ رِضائِكْ

فهمُ الرجالُ القــانِتُو   نَ الصابرون على ابْتلائِكْ

واغْفِــرْ لِـكلِّ المُسْلِمِيـ   ـنَ بِجاهِ صَفْوةِ أوْليـائِكْ

***

وقوله :

بُروحِى رَشاً باللَّحْظِ قد صار ضَيْغَما   ويفْتِك فينا وهْو ظَبْىٌ مُشَنَّفُ[2]

يُرِينا تَثَنِّى البانِ ياصاحِ قَدُّهُ   وطَلْعتُه إن لاح فالبدرُ يُكْسَفُ

مليحٌ بأنْواعِ الكمالِ مُخصَّصٌ   جميلٌ بأقسامِ المَحاسنِ يُوصَفُ

حوَى خَدُّه والخالُ ورداً وعَنْبَراً   وفى ثَغْرِه البَسّامِ وِرْدٌ وقَرْقَفُ[3]

ومِن لَحْظِه الفَتّاكِ قد راشَ أسْهُماً   وأقْصَــدَ أحْشاىَ ولا بتـكلُّفُ

ويسْطُو على العُشّاقِ سَطْوةَ غادرٍ   خبيرٍ بطَعْنِ النَّبْلِ لا يتعطَّفُ[4]

فبَــدرٌ إذا مالاح لـكنْ مُحجَّبٌ   وغُصْنٌ إذا ماماسَ لـكنْ مُهَفْهَفُ

ولولا تَثَنِّيهِ ولَفْتَــةُ جِيدِهِ   لَمَـــا كان يَهْواهُ المُعَنَّى المُعنَّفُ

فهــذا المُفَدَّى كَعْبةُ الحُسْنِ والوَرَى   قلوبُهُمُ تَهْوِى إليــه وتُخْطَفُ[4]

---

(١) الذين ضمهم الرسول صلى الله عليــه وسلم فى عباءته هم : الحسين والحسن وفاطمة وعلى ، وهم أهل البيت ، وقد تقدم الخبر فى النفحة ٣/٣١٢ .

(٢) الضيغم : الأسد ، والمشنف : لابس الشنف ، وهو ما علق فى الأذن أو أعلاها من الحلى .

(٣) القرقف : الخمر   (٤) سقط هذا البيت من : س .

وإنِّى لَأَرْجُو العطْفَ من وَاوِ صُدْغِهِ ولا شَكَّ أن الواوَ يا صاحِ تَعْطِفُ(١)

(١) جاء بعد هذا فى س زيادة :

« وقد عارَض بها أبياتَ الشابِّ الظريف ، المُغْنية عن التَّعْريف ، الجامعة لكل معنى لطيف ، وهى قوله :

كفى شَرَفاً أنى بحبك أُعْرَفُ فما آن أن تحنُو علىَّ وتعطِفُ

عَمرْتَ جِهاتٍ فى هَواكَ ولا أرى سِواكَ ومالى عنك ما عِشْتُ مَصْرِفُ

فزِدْ فى التَّجَنِّى كيف شئتَ فإنَّهُ لَعَمْرُكَ أنتَ المالِكُ المُتصرِّفُ

ومِثْلِىَ أولَى من يموتُ صَبابةً ومثلُك أولَى من يجودُ ويُسْعِفُ

أيا مَن له الحسنُ الذى بَهَرَ الورَى ومن حازَ مَعْنًى لا يُحَدُّ ويُوصَفُ

تجلَّيْتَ لى فى كلِّ شىءٍ تكرُّماً فلستُ لِهَجْرٍ واقِعٍ أتخوَّفُ

وحُزْتَ جمالًا ليس فى الخلْقِ مثلُه به دائماً قلبى يَهيمُ ويَشْغَفُ

لخدِّكَ وَرْدِىٌّ اللَّواحظِ نَرْجِسٌ وشَخْصُكَ نَدْمانٌ وريقُكَ قَرْقَفُ

وجَفْنُك نَبَّالٌ وشَعْرُك مُسْبَلٌ وقَدُّك خَطِّىٌّ ولَحْظُك مُرْهَفُ

[وقصيدة الشاب الظريف ، عدا الأبيات الثلاثة الأخيرة فى ديوانه ٤٨ ، ٤٩ ؛ وفيه : غمرت جهاتى فى هواك .. ومثلك أولى من يحن ويسعف .. ومن حاز معنى لايحد ويوصف ..]

وللمترجَم فى شخصٍ يُدْعَى حسن :

أفْنَى رُقادِى والوَسَنْ بالهَجْرِ مَحْبوبى حسنْ

ذو مُقْلةٍ كَحْلَةٍ مَن ذا رآها افْتَتَنْ

والقَدُّ يُخْجِلُ لِلْقَنا حارتْ بميلتهِ الفِطَنْ

والخدُّ يشكو للحشَا من ناره ثَوْبَ الشَّجَنْ

واللفظُ يُسْكِرُ كالمُدا مِ إذا تكلَّمَ أو لَحَنْ

لو شامَهُ رِضوانُ قا لَ لعُجْبِه أنت ابنُ مَنْ

=

وَيْلاهُ من سَطَوَاتِهِ قد أورثت قلبي مِحَنْ
قلبي غدا مَسْكنَهُ يا حبَّذا لمَّا سكَنْ
باللهِ قُلْ لي ياحبيـ ـبي هل لوصْلِك من ثمنْ
فالرُّوحُ تلك أسيرتها والجسمُ مِلْكُكَ والبدَنْ
فابقَ وعِشْ في نعمةٍ يا قاتلي طولَ الزمنْ
ما قال مَأْسورُ الهوى يارَبِّ أبْقِ لي حسنْ

وله مؤرِّخا عِذارَ حبيب له ، يُدْعَى بالسيد حسين الحمْصيِّ :

كخمرٍ حَفَّها المسكُ خُدودٌ دأْبُها الفتْكُ
بهـا النَّمَّامُ والرَّيحا نُ والورد الجَنى احْتبكوا
وقالوا ذا عِذارٌ قد بَـ ـدَا لاوالحسْنِ ذا الإفْكُ
بَـلَى هذا فَتِيتُ المِسْـ ـكِ أضحى عَرْفُه يَزْكو
وآسٌ بل نِمالٌ في حواشِي العاجِ قدسَلكوا
سحابُ النَّدِّ ساطعـةٌ عقيقُ الخدِّ ذا فَلَكُ
طِرازُ الحسْنِ لَمَّ به لحُسْنِ السيدِ المَلَكُ
ورَقْمٌ كالزُّمُرُّدِ في صِحافِ الدُّرِّ يَنْسَبِكُ
فـؤادى في سَلاسِلِهِ أسيرٌ ماله فَكُّ
غَدَا في خَدِّ من أهْوَى سِياجاً ليس ينْهتِكُ
وإنَّ نَباتَها أرِّخْ كخمرٍ حَفَّهُ المِسْكُ

[صدر البيت الأول هو قراءتى لنا فى الأصل ، وفيه : وإن نبتها ترم أرخ] .

وله أيضا :

رسالةٌ لقد غدتْ كالدُّرِّ بين الذهبِ

(١) وقوله من قصيدة فريدة ، وهى :

مَلَكَ الجمالَ بأسْرِهِ ... وغَدا الكمالُ بأسْرِهِ
عن وَصْفِهِ عجز اليَرا ... عُ فلا يُحيط بحَصْرِهِ
قَسَماً ببابلِ لَحْظِهِ ... وبفتكه وبسِحْرِهِ
وبقَرْقَفٍ من رِيقِه ... وبلُؤلُؤٍ من ثَغْرِهِ (٢)
وبصُبْحِ غُرَّةِ وجهِهِ ... وبلَيْلِ حالكِ شَعْرِهِ
وبأسْمَرٍ من قَدِّهِ ... وبدِقَّةٍ فى خَصْرِهِ
ما فى المِلاحِ مَثِيلُه ... وأنا القتيلُ بهَجْرِهِ

***

وقوله فى الرَّقيب :

قد بتُّ أشْكُو الهَجْرَ والْـ ... إبْعادَ من خِلٍّ مُوافِى
وأوَدُّ طَيْفَ الفاتنِ الْـ ... فَتَّاكِ بالنُّجْلِ الضِّعافِ
حـتى إذا سمحَ الزَّما ... نُ بلَيْلةٍ بعد التَّجافِى
وصَفَا لىَ العيشُ الهَنِىْ ... ءُ والخِلُّ أصبح لى مُوافِى
فرَمانِىَ الدهرُ الخَئُو ... نُ بمِثْلِ ثالثةِ الأثافِى (٣)

= وقد أتى تاريخُها ... حَرَّرْتُهـا فى رَجَبِ

وله أيضا مقطوعا :

قد زاد فى إعْراضِهِ ... وعلى مُحِبِّيهِ تكبَّرْ
فاقْتصَّتِ الأيامُ منْـ ... ـهُ بأعْوَرٍ فى وَسْطِ أعْوَرْ »

(١) من هنا إلى نهاية الترجمة ساقط من : س . (٢) فى ص : « فى ثغره » ، والمثبت فى : ب .

(٣) يقال : رماه بثالثة الأثافى ، أى بالشر كله ، وثالثة الأثافى : هى القطعة من الجبل يجعل إلى جنبها اثنتان ، فتكون القطعة متصلة بالجبل . القاموس (أ ث ف) .

فَظٌّ غليظٌ فاقَ جُمْـ ـهورَ الثِّقالِ بلا خلافِ

***

ومن ذلك قولُ الأديب البارع عبد الحيّ ، الشهير بطَرَزَ الرَّيْحان[١] :

عجبتُ من طالِعِ المُحبِّ ومن … سُرْعةِ إِكْذابِ يأْسِه الأمَلَا

إن زارَه مَن يُحِبُّ عن غَلَطٍ … أتاه كابوسُ يَقْظةٍ عَجِلَا

كأنه طارِقُ المَنُونِ فـلا … حيلةَ فى رَدِّه إذا نَزَلَا[٢]

أو الغَرِيمُ المُلِحُّ فى زَمَنِ الْـ … ـعُسْرِ أو الدَّاء صادَفَ الأَجَلَا

ثَقِيـلُ رُوحٍ يزورُ فى زمَنٍ … لو زار فيه الحبيبُ ما قُبِلَا

فقلتُ آه وقـد وجَمْتُ ومن … يَنْطِقْ أو من يُطِيقُ مُحْتَمِلَا[٣]

فقـال ما تَشْتكِي فقلتُ له … داءٌ عَرانِى فقال لا وَصَلَا[٤]

فقلتُ آمِينَ يا مُجيبُ أزِلْ … ما أشْتكيه فإن يَدُمْ قَتَلَا[٥]

يا ليت لو أنه استُجِيبَ لنـا … دَعْوتُنا تِيكَ والمكانُ خَلَا[٦]

لم تُسْتَجَبْ بل ضاعَ وَقْتُنا هَدَرًا … ومَلَّ منا الحبيبُ وارْتَحَلَا[٧]

***

وكتب المترجَم إلى صاحبه الفاضل صالح أفندى الدَّاديخىّ الحلَبِى[٨] :

مَن لى بأن أُحْصِى صفاتِكْ … والحسنُ طُرًّا من خُلاتِكْ

---

(١) تقدمت ترجمته فى النفحة ١/٢٥٤ ، والأبيات فيها ١/٢٧٨ وفى خلاصة الأثر ٢/٣٣٤ ، والبيت الخامس منها للأمير المنجكى وهو فى ديوانه ١٥٠ ، وفى ترجمته فى النفحة ١/١٥٩ .

(٢) فى النفحة : « فى دفعه إذا نزلا » وكذلك فى الخلاصة .

(٣) فى الخلاصة والنفحة : « يقول إيه وقد وجمت .. » .

(٤) فى الخلاصة والنفحة : « يسأل ماتشتكى » . (٥) فى الخلاصة والنفحة : « مانشتكيه » .

(٦) فى الخلاصة والنفحة : « دعوتناتلك » . (٧) فى الخلاصة والنفحة : « لم يخل بل ضاع » .

(٨) تأتى ترجمته برقم ٢٩ .

يا مَن أعار الغُصْنَ قَدًّا ... م والعَقائِقَ من شِفاتِكْ
وبثَغْرِهِ ماءَ الحيـــاةِ ... وقَدُّه للشمسِ هاتِكْ
يحيى روَى عن حاتِمٍ ... عن آلِ بَرْمَك عن هِباتِكْ[1]
ورَوَى الصَّحيحَ الجَوْهَرِى ... من غيرِ ضَعْفٍ عن لُغاتِكْ[2]
وإذا تكلَّمْتَ القريضَ ... فقُسٌّ أصبح من رُواتِكْ
وإذا رَمَيْتَ فليس فى الأ ... أدباء قَرْمٌ من رُماتِكْ[3]
أنت الذى فُقْتَ الأُلَى ... يا مالِكى ببـــديعِ ذاتِكْ
خُذْها إليك أخا الوفَا ... حَوْراءَ خَجْلَى من بَناتِكْ
فاغْفِرْ وسامِحْ عَيْبَهــــا ... فالغَفْرُ حَقًّا من سِماتِكْ
وابْقَ ودُمْ فى نعمـــةٍ ... والسَّعْدُ يُصْبِح من رُعاتِكِ

***

وله مُشَجَّرا :

على مَ عَيْنَيْك ترْمِيني بأسْهُمِها ... هل عنـــد قلبى لها يا فاتِنِى ثارُ
باللهِ رِفْقـــاً بمَن ذابتْ حُشاشتُه ... وماله فى هواكَ الصَّعْبِ أنْصـــارُ
دُمُوعُه كالدِّما أضْحَى يُكَفْكِفُها ... خَوْفَ العَذُولِ فذاكَ الوَغْدُ غدَّارُ
أوَّاهُ مما يُقاسِى فيكَ من وَصَبٍ ... لو بعضُهُ قاستِ الأفلاكُ ما دَارُوا[4]
له أنينٌ فما الخنْساءُ إذ فقـــدَتْ ... صَخْرًا ودَمْعٌ يُحاكِى السُّحْبَ مِدْرارُ

---

(١) يعنى يحيى بن خالد بن برمك البرمكى ، مؤدب الرشيد ووزيره المعروف بجوده وسخائه ، والمتوفى سنة تسعين ومائة .

انظر وفيات الأعيان ٥/٣٦٥ .

(٢) فى س : « من لغاتك » ، والمثبت فى : ب .

وهو يشير إلى صحاح اللغة لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى .

(٣) القرم : السيد العظيم .

(٤) الوصب : التعب .

مَعَاذَ حُسْنِكَ يا مولاىَ تَتْرُكُه ... مُوَلَّهاً وبه الآسونَ قد حارُوا[1]

عَطْفاً عليه فما فى الثَّغْرِ من دُرَرٍ ... قد شَفَّ سُقْماً فلم تُدْرِكْهُ أبْصارُ

طال البِعادُ ونارُ الشَّوْقِ تُدْرِكُه ... فى مُضْمَراتِ الحَشَا من شَوْقِهِ نارُ

يا من سَلَبْتَ النُّهَى قَسْراً به مَهَلاً ... فطَرْفُكَ الفاتِنُ الفَتَّاكُ سَحَّارُ

***

وله مثله :

مَاسَ تِيهاً بقَدِّه الأَلِفِيِّ ... خُوطُ بانٍ يهتزُّ كالسَّمْهَرِيِّ[2]

وتَثَنَّى بِعِطْفَيْهِ دلالاً ... ما تَثَنَّى القَنا بكَفِّ الكَمِيِّ

سَلَبَ الصَّبَّ لُبَّه بلِحاظٍ ... فاتناتٍ بسِحْرِها البابِلِيِّ

يا لَقَوْمِي هل من خَلاصٍ أسيرٍ ... بظُباها أو هل له من دُوِيِّ[3]

آهِ لو عَلَّنِي برَشْفِ رُضابِ الـ ... ـمَبْسِمِ العَذْبِ واللَّمَى السُّكَّرِيِّ

غازَلَتْنِي ألحاظُه مُسْبِيَتْنِي ... فلذا صِرْتُ لا أُحِسُّ بِكَيِّ

أبْرَأُ اللهُ من دَمِي ظَبْيَ إنسٍ ... فتكَتْ مُقْلَتاهُ فى ظَبْيِ طَيِّ

***

وله فى حائك :

وكأنَّما المِحْواكُ فى يَدِ فاتِنِي ... قلبي وكيف يَشاء فيه يلْعبُ

وسَداهُ يحكى الجسمَ مِنِّى والضُّلو ... عُ كأنها أقْصابُه تتشعَّبُ[4]

---

(١) فى س : « وبه الآسون قد جاروا » ، والمثبت فى : ب .

(٢) الخوط : الغصن الناعم ، والسمهرى : الرمح الصلب ، والمنسوب إلى سمهر ، زوج ردينة ، وكانا مثقفين الرماح .

(٣) دوى : تصغير دواء .

(٤) السدى من الثوب : ما مد من خيوطه ، وهو خلاف اللحمة .

وإذا تفحّص جاذِباً فى نَوْلِهِ ... كالظَّبْيِ يفحَصُ فى الشِّباكِ ويجْذِبُ
وأوَدُّ خَـــدِّى تحت دَوْسِ نِعالِهِ ... كالدَّوسَتَيْنِ فذاك عنـــدى يعْذُبُ

***

وقد أخذ ذلك من قول الرُّصافىّ[1] فى حائك ، وهو[2] :

قالوا وقد أكْثَرُوا فى حُبِّهِ عَذَلِى ... لو لم تَهِمْ بِمُذالِ القَدْرِ مُبْتذَلِ[3]
فقلتُ لو كان أمْرِى فى الصَّبابةِ لى ... ما اخْتَرْتُ ذاكَ ولكنْ ليس ذلك لِى
عُلِّقتُهُ حَبَـــبِىَّ الثَّغْرِ عَاطِرَهُ ... حُلْوَ اللَّمَى نَاعِسَ الأجْفانِ والمُقَلِ[4]
جَذْلانَ تَلْعَبُ بالمِحْواكِ أنْمُلُهُ ... على السَّدَى لَعِبَ الأيامِ بالأجَلِ[5]
حَذْفاً بكَفّيْهِ أو فَحْصاً بأرْجُـــلِهِ ... تَخَبُّطَ الظَّبْيِ فى أشْراكِ مُحْتَبِلِ[6]

***

وللمترجَم مُؤرِّخاً فى عِذار :

نَبَتَ الزَّبَرْجَـــدُ فى العَقِيقِ ... وبَدَا البَنَفْسَجُ فى الشَّقِيقِ
والوردُ قـــد حُفَّتْ به ... قِطَـــعٌ من المِسْكِ السَّحِيقِ
وصحائفُ اليـــاقوتِ طَرَّ ... زَها الزُّمُرُّدُ فى الغَبُوقِ[7]
عَجَباً له من مَنْظَـــرٍ ... يَزْهُـــو على الوَرْدِ الأنِيقِ
فالوَرْدُ يُسْـــقَى بالغَما ... مِ وذا من الخمرِ الرَّحِيقِ[8]
سبحان من جَمَعَ الدُّجَى ... والصبحَ فى خَدٍّ شَرِيقِ

---

(١) هو محمد بن غالب الرفاء الرصافى ، وتقدم التعريف به فى النفحة ٤/٥٧١ .

(٢) الأبيات فى وفيات الأعيان ٤/٥٩ (٣) المذال : الممتهن .

(٤) فى وفيات الأعيان : « أحببته حبي .. » . (٥) فى الوفيات : « لعب الأيام بالدول » .

(٦) فى الوفيات : « جذبا بكفيه .. » ، وفى النسخ « حدفا » بالدال المهملة ، وهو عامى . انظر المحكم فى أصول الكلمات العامية ٦١ .

(٧) الغبوق : شراب العشى . (٨) فى ص : « فالروض يسقى بالغمام » ، والمثبت فى : ب .

جعَل العِـــذارَ سَلاسِلاً فاسْتأْسَرتْ قلبَ الطَّلِيقِ
مُـــذْ زاد فى الحُسْنِ البَدِيـ ـعِ الفَرْدِ جَلَّ عن الشَّقِيقِ
فيُؤرِّخـــون بُدُوَّهُ نَبتَ الزَّبَرْجَدُ فى العَقِيقِ (١)

***

وله مُهَنِّيًا ومُؤَرِّخًا لمولود لبعض الأماجد والأكابر :

بالطَّالِـعِ المَيْمونِ بانَ الفرْقَدُ فلذا الصَّوادِحُ بالهنـــاء تُغرِّدُ
ولقـــد بَدَا نَجْمُ السُّعودِ مُنافِسًا نَجْمَ السماء وقد علاه تَوَقُّدُ
والبــدرُ فى بُرْجِ السعادةِ مُشْرِقٌ وله على زُهْرِ السماء تَبَغْدُدُ (٢)
فابْشِر بكوكبك المُضيء أخا العُلا بين الكواكب نورُه يتوقّدُ
يا ابنَ الكرامِ ومَن لهم فضلٌ علَا كُلَّ الأنامِ وسُؤددٌ لا يُجْحَدُ
وَرِثُوا المَكارمِ كابِراً عن كابِرٍ وحَبَوا الفضائلَ والمَعالِي شَيَّدُوا
ماذا أقولُ بوَصْفِهِم فلَكم مَضَى قبْـــلِى فُحُولٌ للمَعالِى نَضَّدُوا
جعَلُوا المَديحَ عليهِمُ وَقْفًـــا وما وَفَّوا حُقوقَهم فمــاذا أُنْشِدُ
وبَزَغْتَ أنتَ لإثْرِهم تَقْفُو النَّدَى والسَّعْدُ مِلْكُكَ والعُلا والسُّؤددُ
وعليك من حُلَلِ الكمالِ مَطارِفٌ والعِلْمُ تاجٌ والأفاضلُ أبْرُدُ (٣)
وسَمَوتَ للعَلْيـــاء تخطُب بِكْرَها فحَظِيتَ فيما تَبْتَغيه وتَقْصِدُ
فأُعِيذُ بالرحمنِ ذاتَك إنها صِينَتْ عن الأدْناسِ يا ذا الأوْحَدُ
ولقـــد حَباكَ اللهُ مولودًا بَدَا يرْقَى إلى أَوْجِ الفَخارِ ويَصْعَدُ

---

(١) جاء التأريخ فى ص هكذا :

فيؤرخون بدوه نبت الزبرجد فى العقيق

١١١٧ ٤٠١ ٢٤٧ ٤٥٢ ١٧

(٢) التبغدد : التدله والتمنع ، وقد سبقت الإشارة إليه .

(٣) المطارف : جمع المطرف ، وهو رداء من خز ذو أعلام ، والأبرد : جمع البرد .

إن كان للمولَى شقيقُك حامدٌ   وجَنابك السامى الرّفيع مُحمّدُ
فالنَّجْلُ قد وَافَاكَ فى تَأْرِيخِهِ   اهْنَأْ به هذا المُبارَكُ أحمدُ[1]

***

ومن مُقطَّعاته قوله ، وقد كتبه للخَال[2] :

ما شمَّ سمْعِى عَرْفَ شِعْرٍ طِيبُــــه   المِسْكِ يُنْسَبُ ما لذاكَ مَثِيلُ
إلّا وقيــل الخَــالُ نَظَّمَ دُرَّ ذا   وعَبِيرُه الزّاكِى عليــه دليلُ

***

وله مُقرِّظا على كتاب نَسَبٍ عَلَوِيّ :

هذه نِسْبَــةٌ كَساها الجَلالَا   نُورُ آلِ النبىِّ إذْ يتــلالَا
قد حَوَتْ ذِكْرَ سادةٍ كلُّ فَرْدٍ   فى البَرايَا فى حُبِّهم يتغــالَى
فهمُ التّاجُ للعُــلا والمَعالِى   وسِراجُ الوجودِ لا إشْكالَا
لو تأمَّلْتَ نَظْمَ ذا العِقْدِ منهم   خِلْتَ فيــه جَواهِراً تتوالَى
وَدَّتِ الزُّهْرُ لو تَنَظَّمُ فيــه   وشُعاعُ الشُّموسِ يَبْقَى حِبالَا
قُلْ لمن يَدَّعِي السِّيادةَ أقْصِرْ   هكذا هكذا وإلّا فــلَالَا

***

وله أيضا :

ذِى وَجْنةٍ فَتَنَتْ حَمْراءَ مَعْ شَفَةٍ   زَرْقاءَ قد تَرَكَتْ جَفْنِى فى أرَقِ
لم أدْرِ أيُّهمــا أفْنَى الرُّقادَ فهــل   فَيْرُوزَجُ الصُّبْحِ أم ياقوتةُ الشَّفَقِ[3]

***

(١) جاء التأريخ فى ص هكذا :

اهنأ به هذا المبارك أحمد

٥٧ ٧ ٧٠٦ ٢٩٤ ٥٣ ١١١٧

(٢) تأتى ترجمة الخال برقم ١١ .

(٣) عجز البيت مضمن ، ويأتى خبر هذا التضمين أثناء ترجمة ٩ الآتية .

وله مادحا قاضيَ القضاة بدمشق ، العلامة التَّفْسِيرِيَّ ، بقوله :

الفخرُ للعلمـــاء بالتَّفْسِـــيرِ والفضلُ للبُلَغـــاء بالتَّقْرِيرِ

والحمـــدُ أَوْلَى فى الأنامِ لمُنْعِمٍ وأحقُّهم بالمجـــدِ والتَّصْدِيرِ

والمـــدحُ أَوْلَى فى الأنامِ لأنَّه شادَ الفخـارَ لبَيْتِـهِ المَعمورِ

وأجَلُّ من عُقِدَتْ عليه خَناصِرٌ ذَرِبٌ يَفُـلُّ الصخرَ بالتَّدْبِيرِ[١]

وأحَقُّ مَن يُثْنَى على عَلْيـائِه فى النـاسِ بالمَنْظومِ والمَنْثورِ

البحرُ ذو الدُّرِّ الثَّمِينِ وناصرُ الدِّ ينِ المُبِـينِ عِصامُنـا التَّفْسِيرِى

والحَبْرُ كشَّافُ الخطوبِ وصاحبُ الْـ إتْقـانِ فى التَّقْرِيرِ والتَّحْرِيرِ

أعْنِيــه مُحْيِي الدِّين بل وجَـلالُه وأبو السُّعودِ وعُمـدةُ التَّيْسِيرِ

قاضى القضـاةِ أبو الصِّلاتِ مَلاذُنا لَوْذُ العُفاةِ أخو الثِّقـاتِ نَصِيرِى

***

وله فى وصف دمشق الشَّام :

بِجِلِّقَ ماتَهْوَى النفوسُ وتشتهِي من الثَّمَراتِ اليانعاتِ الزَّواكِيَهْ

وفيها من الوِلْدانِ كلُّ مُهَفْهَفٍ بَديعٍ وَحَوْرًا تُذْهِلُ العقْلَ باهِيَه[٢]

وفيهـا الرِّياضُ المُبْهِراتُ بحُسْنِهـا وفيها قصورٌ مُشْرِفاتٌ وعالِيَهْ

ومن تحتها الأنهـارُ تجرى جَداوِلًا كما الفضةُ البيضاءُ تنْسابُ صافِيَهْ

فمـا هى إلَّا جَنَّةٌ قد تَزَخْرَفَتْ ألمْ تنظُرِ الأبْوابَ فيهـا ثمانيَهْ

***

وله مادحًا مَفْخَرَ السادةِ المُفْتيَّة ، ومُهنِّيًا له بمدرسة السُّلَيْمانيَّـة ، المولى الهمام محمد العِمادِيَّ[٣] :

---

(١) الذرب : الحديد اللسان الفصيح ، ويفل الصخر : يفلقه .

(٢) فى س : « بديع وحور » ، والمثبت فى : ب .

(٣) تقدمت ترجمته برقم ١ ، صفحة ١١ .

جاءتك تخطر في قباء فخار عذراء تسفر عن ضياء نهار

تزهو على أترابها بمحاسن تزري بشمس الأفق والأقمار

وتميس كالأغصان مر بها الصبا فتأودت من نفحه المعطار

تفدي النفوس قوامها لما بدا باللين يسخر بالقنا الخطار[1]

يروي لنا هاروت عن ألحاظها عن لفظها عن طرفها السحار

نابت عن الصهبا سلافة ريقها وخدودها أغنت عن الأزهار

وافت بلا وعد وأرغمت العدا وتلفعت بردي حيا ووقار

أهلا بها من غادة رعبوبة تختال بين قلائد وسوار[2]

لله من وصل هنالك نلته في غفلة الرقباء قرب الدار[3]

لو أنصف الأحباب في دعواهم بذلوا النفوس لها من الأمهار

بسمت فقلنا الفجر ذر شروقه أم ذا ضياء البدر في الأسحار

أم ذي الغزالة أشرقت في أفقها حتى أنارت سائر الأقطار[4]

أم ذا وميض البرق لاح مبشرا للمجد بين تهاطل الأمطار

أم ذا جبين أبي البهاء محمد باد تلألأ منه بالأنوار

لولا طلوع البدر في فلك السما قلنا بدا من مشرق الأزرار

شهم فضائله المنيفة قد نمت جلت عن الإحصاء في الأسفار

الفاضل السند الذي أوصافه ما شابها كدر من الأكدار

---

(١) الخطار : الطعان . (٢) في ب : « تختار بين » .
وجارية رعبوبة : بيضاء حسنة رطبة حلوة .

(٣) في س : « في غفلة الرقبا وقرب الدار » ، والمثبت في : ب .

(٤) الغزالة هنا : الشمس .

الأكرمُ القَرْمُ الذى آراؤُه ... تَجْرِى بوَفْقِ سَوابقِ الأقْدارِ[1]

نَدْبٌ تَسَنَّمَ ذِرْوَةَ المجدِ التى ... من دونِها المِرِّيخُ أصبح سارِى[2]

وعن المُروءةِ إن تَسَلْ فحديثُها ... قد صَحَّ فيه مُسَلْسَلُ الأخبارِ

ذو هِمَّةٍ عَلْياءَ عَزَّ مَنالُها ... محمودةِ الإيرادِ والإصْدارِ

مع راحةٍ فيها بُحورٌ خمسةٌ ... أغْنَتْ مَواقِعُها مِن الإعْسارِ[3]

تَنْهَلُّ سَحًّا مِثْلَ مُنْهَمِرِ الحَيا ... حَدِّثْ عن البحرِ الخِضَمِّ الجارى

واسْأَلْ ذَوِى الحاجاتِ عن إنْعامِهِ ... واثْبِتْ نَباهُ الجَمَّ فى الأقْطارِ

وإذا مَدَحْتَ فأنتَ أصدقُ مادحٍ ... مَدَحَ الجوادَ برائقِ الأشعارِ

يكْفيه من شَرَفٍ محاسنُ خُلْقِهِ ... والُخبْرُ قد أغْنَى عن الأخْبارِ

ولِمَ المعالى لا تَدِينُ له وقد ... رَضَعَ النَّدَى من ثَدْيِها المِدْرارِ

والطَّيْرُ تخطُب بالثَّنا النَّامِي على ... عَلْيائِه فى مِنْبَرِ الأشْجارِ

يا ابنَ الذين غَدَوْا السَّماحَ وفَضْلُهم ... عَمَّ الورَى كالعارضِ الزَّخَّارِ

وَرِثُوا المعالى كابراً عن كابرٍ ... وزَكَتْ عناصرُهم بِطيبِ نِجارِ[4]

وطَفِقْتَ تقفُو بالنَّدَى آثارَهم ... ما أشْبَهَ الآثارَ بالآثارِ

يا قِبْلةَ الآمالِ يا حَرَمَ المُنَى ... يا كَعْبَةَ القُصَّادِ والزُّوَّارِ

يَهْنيك مَنْصِبُك الشريفُ وقد أتَى ... رَغْمًا على كَيْدِ الحَسُودِ العارى

لا غَرْوَ أن يَسْعَى إليك ويَنْثَنِي ... عَجَبًا لَدَيْك بزائدِ الإبْدارِ

ويَتيهُ فى ثَوْبِ الفَخارِ فإنَّه ... بك حَلَّ أعْلَى مَنْزِلِ الأقْمارِ

---

(١) القرم : السيد العظيم .

(٢) الندب : الخفيف السريع فى الحوائج . وترك نصب « سارى » للقافية .

(٣) فى ب : « عن الإعسار » ، والمثبت فى : ص .   (٤) النجار : الأصل .

فابْقَ به مُتمتّعاً في نعمةٍ ممْدودةٍ يرْعاكَ لُطفُ البارى
واسْلَمْ ودُمْ ما الغُرُّ من قصد النُّهى جاءتْك تخْطِر في قِباء فَخارِ (١)

***

وله مادحاً المولى المذكور ، ومُهنّياً بالإفتاء ، ومُؤرِّخاً :

سَقَى دمشقَ هاطِـلُ الوَليِّ وجادَها مُزْنُ الحَيا النَّدِيّ (٢)
يسُوقُه حادِي القَبُولِ والصَّبا مُباركٌ بالعارِضِ الوَسْمِيّ (٣)
وقلَّدَ الغَيْثُ نُحُورَ زَهْرِها بعِقْد دُرٍّ ناصعٍ زَهِيّ
ونَبَّهتْ عُيونَه لمّا شَدَتْ بدَوْحِه الوُرْقُ مع القُمْرِيّ (٤)
وعاد زاهِي رَوْضِها مُعطِّراً أرْجاءَها بعَرْفِه الزَّكِيّ
وفي سَماها بزَغَتْ شمسُ العُلا مُشْرِقةً بنُورِها المُضِيّ
وضاء بَدْرُ العِلْم فيها مُسْفِراً على الورَى في أُفْقِها السَّنِيّ
وكوكبُ السَّعْدِ تَلالا طالِعاً يبْدو لنا من غُرّةِ المُفْتِيّ
أبي العُلا زَيْنِ المَلا عَنّا جَلا ظَلامَ جهلِ الجاهلِ الغَبِيّ
كنزِ المُنَى بحرِ الغِنَى حاوِي الثّنا وواحدٍ في خُلْقِه الرَّضِيّ
محمّـدٍ والجِهْبِذِ الفَرْدِ الذي نُعِيذُه باللهِ والنَّبِيّ (٥)
وابنِ عمادِ الدِّين بل ورُكْنِه وبَدْرِه وفَخْرِه الوَسْمِيّ
مَن فضلُه كالشمسِ قد عمّ الورَى بادِي الظُّهورِ ليس بالخَفِيّ
ورُتبةُ المِرِّيخِ حُطّتْ مع عَلا سُمُوِّها عن قَدْرِه العَلِيّ

(١) « قصد » كذا بالأصول ، فهل هي اسم من : قصد يقصد قصداً ، أوهي جمع قصيدة ، فتكون بضم القاف وسكون الصاد ، ولم يعرف لها هذا الجمع .
(٢) الولى : المطر يسقط بعد المطر .
(٣) القبول : ريح الصبا ، وهي التي تهب من الشمال ، والوسمى : مطر الربيع الأول .
(٤) القمرى : ضرب من الحمام حسن الصوت .
(٥) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء .

فى الاجْتِهادِ قد حوَى مَراتِباً ... سَمَتْ على مَراتبِ الكَرْخِيّ[1]

فلو رأى النُّعمانُ بعضَ فَضْلِهِ ... لَقالَ هذا فلْيَكُنْ وَلِيّ

عن أهلِهِ نالَ العُلَا مُسَلْسَلا ... فعن سَرِيِّ المجدِ عن سَرِيّ

فقد تلقَّى المجدَ والإفتاء عن ... شقيقِهِ رَبِّ الرِّضى علِيّ[2]

وعن أبيه الحَبْرِ إبراهيمَ من ... عَمَّ الورَى بحِلْمِهِ المَرْضِيّ[3]

عن صِنْوِه الشِّهابِي عن عِمادِهم ... عن شَيْخِ الاسلامِ التَّقِيِّ الوَلِيّ[4]

العبدِ للرحمنِ مَن حازَ العُلَا ... عن أبيهِ عِمادِنا الثَّانِيّ[5]

عن العِمادِ الثالثِ البحرِ الذى ... يَرْوِيه عن محمدِ الزَّكِيّ

عن العِمادِ الرَّابِعِ النَّدْبِ الرَّضِى ... وعن أبيهِ العالمِ الزَّيْنِيّ

عن ناصرِ الدِّين وعن عِمادِهم ... الحَنَفِيّ العَلَّامةِ القاضِيّ

عن أُسْرةٍ هم للعُلَا كواكبٌ ... ثوابتٌ فى الفَلَكِ العَلِيّ

---

(١) يعنى أبا الحسن عبيدالله بن الحسين الكرخى الحنفى ، الذى انتهت إليه رئاسة المذهب فى العراق ، المتوفى سنة أربعين وثلاثمائة

الفوائد البهية ١٠٧ .

(٢) تقدمت ترجمة على بن إبراهيم بن عبد الرحمن العمادى فى النفحة ٢/١٢٤ .

(٣) تقدمت ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد العمادى فى النفحة ٢/١٠٩ .

(٤) تقدمت ترجمة شهاب الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد العمادى فى النفحة ٢/٩٤ .

وعمادهم : هو عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد العمادى ، المتوفى سنة ثمان وستين وألف .
انظر ريحانة الألبا ١/١٣٣

(٥) العبد للرحمن : هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد العمادى ، المتوفى سنة إحدى وخمسين وألف . انظر ترجمته فى خلاصة الأثر ٢/٣٨٠ .

ويحسن هنا إيراد نسب الممدوح لتتبين منه الأسماء فى هذا البيت والأبيات الثلاثة الآتية :

فهو محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد (عماد الدين) بن محمد بن محمد بن محمد بن عماد الدين العمادى ، وقد ساق المحبى هذا النسب فى ترجمة جده عبد الرحمن ، فى الخلاصة ٢/٣٨٠ ، ويتضح منه أن محمداً عماد الدين أبا عبد الرحمن هو العماد الثانى بعد العماد الأول الذى تقدم ذكره وهو عماد الدين بن عبد الرحمن . ولاتفى هذه السلسلة بكل ما سيورده الشاعر .

فَلْيَفْخَرُوا أهْلَ العُلا إن فَخَرُوا ... بِمِثْلِ هذا النَّسَبِ الجَلِيّ (١)

وذا الهُمام المُجْتَبىَ يقفُوهُمُ ... بِنَشْرِ علمٍ ماله من طَيّ (٢)

فعَنْ فَتاوَى ديننا جوابُه ... غير مُؤخرٍ ولا بَطِيّ

والعلوم بَحْرُها وكَنْزُها ... سِراجُها فى المُشْكِلِ الخفِيّ

ولو زَهَتْ شمسُ العُلا وفاخَرتْ ... أخْجَلها بوَجْهِه البَهِيّ

ولو سَحابُ الجوْنِ يوماً نافَستْ ... عارَضَها بكفِّهِ السَّخِيّ (٣)

فمنه تفْسَحُ يَنابيعُ السَّخا ... كمِثْلِ مَنْهَلِ الحَيا الوَفِيّ

مُنْهَمِرُ التَّسْجامِ مَوْفورُ العطا ... مُداوِمٌ بالصبحِ والعَشِيّ (٤)

وَافَتْهُ إفْتا جِلَّقٍ طَوْعاً على ... رَغْمِ العِدا والحاسدِ الأبِيّ

تَجُرُّ مِرْطَ تِيهِها وتَنْثَني ... لقَدِّها كالأسْمَرِ الخَطِّيّ

تَبُثُّ شُكْرَ رَبِّها المُعْطِى على ... أن رَدَّها للوطنِ الأصْلِيّ

والهاتِفُ الغَيْبِيُّ قال أبْشِرُوا ... أيَا أهالى الشامِ بالتَّقِيّ

مُفْتيكُمُ ما فى الوُجودِ مِثْلُه ... سِيرَتُه كسيرةِ المَهْدِيّ

فَرْدٌ وزاد فضلُه فاعتَبِرُوا ... ذا الفَرْدَ فى زيادةِ الرُّقِيّ

ومُذْ له الفَتْوَى أتتْ أرَّخْتُ يا ... سُعودَ أهْلِ الشّامِ بالمُفْتِيّ (٥)

---

(١) فى ب : « هذا النسب الحلى » ، والمثبت فى : ص .

(٢) فى ب : « يقفو بهم » ، والمثبت فى : ص .

(٣) السحاب الجون : الأسود أراكبه .

(٤) فى ب : « يداوم بالصباح » والمثبت فى : ص .

(٥) جاء حساب هذا التأريخ فى ص هكذا :

يا	سعود	أهل	الشام	بالمفتى	
١١	١٤١	٣٦	٣٧٢	٥٦٣	١١٢٣

وتقدم فى صدر ترجمة محمد العمادى صفحة ١١ أنه تولى إفتاء الشام سنة إحدى وعشرين ومائة وألف ، وسيأتى مايعضده فى تأريخ القصيدة التالية ، وتتبعها قصيدة ثالثة يحدد تأريخ توليه الفتوى فيها بسنة سبع وعشرين ومائة وألف ، فلعله تولى الإفتاء ثلاث مرات ، يعزل ثم يولى .

فدام فيها بآلهنا مؤيّدًا ممتّعًا بعيشه الهنيّ
مع ولدى شقيقه محمدٍ وحامدٍ ونجله علىّ(١)
وصاحبيه الناشرَيْن للورى علومه مرادِ والشامىّ
ما أنشدت مدائح ختامها مثلُ ثناه العاطر المسكىّ

***

وله مؤرّخا إفتاء المولى المذكور أيضا :

بُشرى لآلِ الشام بابنِ عمادها وبليغها السامى وزين عبادها
قرّت به لذوى الفضائلِ أعينٌ إذ قد غدا منها مكانَ سوادها
ملأت مهابتُه القلوبَ ووجهُه أضحى كشمسِ الأفقِ من أندادها
فالشكرُ بثّته دمشقُ لأنها ظفرت بعونِ إلهها بمرادها
وغدت تتيه به على أقرانها وتنافسُ الدنيا ببذلِ جوادها
وكذاك تسحبُ ذيلَ عزّ فخارها وبفضله تسمو على أضدادها
حيث الهناء أتى يقول مؤرّخا بُشرى لآلِ الشامِ بابنِ عمادها(٢)

***

وله مؤرّخا إفتاء المولى المذكور أيضا :

أهلُ الفضائلِ قد ترقّى شأنها وعن القلوب لقد تقشّع رانُها(٣)
والشامُ قد زهرت نجومُ فلاحها ودمشقُ قد حسدت لها أقرانُها

---

(١) يعنى بشقيقه على بن إبراهيم العمادى ، وتقدم التعريف بولده حامد فى صفحة ٢٤ ، ولم أعثر على ترجمة لولده محمد .

(٢) جاء حساب هذا التاريخ فى ص هكذا :

عمادها	بابن	الشام	لآل	بشرى	
١٢٧	٥٥	٣٧٢	٦١	٥١٢	١١٢١

(٣) هكذا ساقه الشاعر « رانها » ليوافق القافية ، وهو يعنى الرين ، وهو الطبع بالتحريك والدنس .

حيثُ العِمادِى صار مُفْتِيًا بِهــا ملِكُ العلومِ إمامُهــا سلْطانُهــا

وخليفةُ العلمــاء أرْبابِ النُّهَى مَن للفضائلِ والعُــلا أرْكانُها

يتوارثُونَ المجـــدَ عن أسْلافِهِم وهمُ لِسادات الورَى أعيــانُها

وافَتْهُ إفْتا الشّامِ خاضعــــةً بلا أمَلٍ له فيها وجادَ أوانُها

والعَدْلُ نبّه مَن يجيدُ مؤرِّخًا ها عزّتِ الفُتْيا وطاب زمانُها (١)

***

وله فى مَدْح المولى المذكور أيضا :

يَدُ العِمادِ سَماءٌ مُمطِرٌ ويَدُ الْـ عبادِ أرضٌ تَراها تطلُبُ المَطَرَا

وكم غُرُوسِ أيادٍ أنبتَتْ فغَدَا حُسْنُ الثّنا ثمرًا أحسِنْ به ثمَرَا

***

وله مُتوسِّلًا بهذه الأبيات :

إلٰهِىَ إنّى مُذْنِبٌ ومُقصِّرٌ ومِثْلِىَ للغُفرانِ يرجو ويأمُلُ

وحاشاكَ ربّى أن تُخيِّبَ آمِلًا فبِرُّكَ مَبْذولٌ وفضلُكَ أجْزَلُ

فما العَفْوُ إلّا للمُسِىءِ وإنّنى أجَلُّ مُسِىءٍ بالذُّنوبِ مُثقَّلُ

وإنّكَ إن عذّبْتَنِى بإساءَتِى فعَدْلٌ ولكنْ عَفْوُ ذلك أجْمَلُ

فأسْبِغْ جَلابِيبَ الرِّضاءِ تكرُّمًا علىّ فإنّى من نَوالِكَ أسألُ

ولا تَحْرِمَنّى لَذّةَ العفوِ والرِّضَى ومنكَ أذِقْنِى العَفْوَ يا مَن يُؤمَّلُ

على أنّنِى فى كلّ وقتٍ وساعةٍ إليكَ بِطٰهَ المصطفَى أتوسَّلُ

حبيبُكَ خيرُ العالَمِين نَبِيُّنا إمامُ الهدى بالحقِّ للحقِّ مُرسَلُ

---

(١) جاء حساب هذا التاريخ فى س هكذا :

زمانها	وطاب	الفتيا	عزت	ها
١١٢٧	١٠٤	١٨	٥٢٢	٤٧٧ ٦

عليه صلاةٌ مَعْ سلامٍ ورحمةٍ كذا الآلُ والأصحابُ ما هَبَّ شَمْأَلُ[١]

***

وله مُشَجَّرًا فى اسمِ علىّ :

عُذْتُ ذاكَ القَوامَ حين تَبَدَّى مِثْلَ غُصْنِ النَّقا بجاهِ العَلِىِّ

لو رآه القَضِيبُ خرَّ سُجوداً هَيْبةً منه للمَقامِ العَلِىِّ

ينْثَنِي عِطْفُه عَلَىَّ دَلالاً فأُنادِى فى الناسِ باسمِ علىٍّ[٢]

***

وعلى ذِكْرِ المُشَجَّر ، تذكَّرتُ أبياتاً للفاضل الكامل ، جَنابِ مَفْخَرِ الأفاضل والأكابر ، مَن وَرِثوا الفضلَ كابِراً عن كابِر ، حامد أفندى[٣] بن علىّ أفندى العِمادِىّ[٤] ، وقد طُلِبتْ منه ، وزاد على التَّشْجِير دُعاء :

خَلِيلَىَّ هل من نَظْرةٍ لِمُتيَّمٍ حَلِيفِ جَوًى وَسْطَ الفؤادِ وَقِيدُهْ

لك اللهُ فى صَبٍّ لبُعْدِك طَرْفُه فَدَيْتُك مَسْلوبُ الرُّقادِ فَقِيدُهْ

يُرَقْرِقُ دَمْعاً تحت حاشيةِ الدُّجا طَوامِى السُّكَرى من مُقْلَتَىَّ تَزِيدُهْ

ليالى اشْتياقٍ كلَّما نَهْنَهَ الرَّجا هَواىَ بَدا يأْسِى تَجِدُّ جَدِيدُهْ

بحيثُ فُؤادِى فيك ما زال وَامِقاً إذا رام صَبْراً فالغرامُ يَزِيدُهْ[٥]

يُلاقِى تَلاقِى الهَجْرِ قد صار دَيْدَناً لمن هو دون العالَمين عَمِيدُهْ[٦]

كريمٌ كريمٌ إن جَفَا وإذا وَفَا له الفضلُ إذْ كلُّ الحِسانِ عَبِيدُهْ

***

وللحامد المذكور ، مُشَطَّراً ومُذَيِّلا بِبَيْتٍ سابعِ الأبياتَ[٧] الثَّلاثة ، التى ذكرها

(١) سقط عجز هذا البيت من : ب ، وهو فى : ص .

(٢) فى الأصول : «فأنادى فى الناس ياعلى» ، وماأثبته أسلم للوزن .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ص .

(٤) تقدم التعريف به فى صفحة ٢٤ . (٥) الوامق : المحب .

(٦) الديدن : الدأب والعادة . (٧) فى ص : « للأبيات » ، والمثبت فى : ب .

القَسْطَلَّانِىُّ فى أواخِرِ « المَواهب اللَّدُنِّيَّة ، فى مَدْح خَيْرِ البَرِيَّة » صلى الله عليه وسلم[1] :

نَعَمْ لَوْلاكَ ما ذُكِرَ العَقِيقُ ... ولا أَسْرَى به الطَّيْفُ الطَّرُوقُ
نعم لولاكَ ما نَفَرَ المُصَلَّى ... ولا جابَتْ له الفَلَواتِ نُوقُ
نعم أَسْعَى إليك على جُفُونٍ ... كأن شُئُون أَدْمُعِها شَقِيقُ[2]
نعم ذِكْراكَ دَأْبِى فى الدَّياجِى ... تَدانَى الحىُّ أم بَعُدَ الطريقُ
إذا كانتْ تَحِنُّ لكَ المَطايَا ... ومِن أَلَمِ الجَوَى لا تَسْتَفِيقُ[3]
وأَبْدَى الجِذْعُ من جَزَعٍ أَنِينًا ... فماذا يَفْعَلُ الصَّبُّ المَشُوقُ
وصلَّى اللهُ ما نُشِرَتْ تَحايَا ... على مَثْواكَ أو سالَ العَقِيقُ

***

ولصاحب التَّرْجمة ، يمدح محمد أفندى العِمادِىّ المذكور :

قلتُ للفضلِ لِمْ عَلَوْتَ الثُّرَيَّا ... وتَسامَيتَ فوقَ رُوسِ العبادِ
قال قد شادَنِى محمدُ فاسْكُتْ ... لا عَجِيبٌ فإنَّ ذاكَ عِمادِى

***

وقوله[4] :

يدُ العِمادِ سماءٌ مُمْطِرٌ ويَدُ الأ ... عبادِ أرضٌ تَراها تطلُب المَطَرَا
فكم غُروسِ أَيادٍ أَنْبَتتْ فغَدَا ... حُسْنُ الثَّناء ثِماراً تُدْهِشُ النَّظَرَا

***

(١) الأبيات فى المواهب اللدنية . انظر شرح الزرقانى عليها ٢٤٨/٨ ، وقد نبه الزرقانى إلى أن المصنف ـ أى القسطلانى ـ أنشدها لغيره . (٢) فى المواهب اللدنية : «على جفونى » .
وشئون الدمع : العروق التى تجرى منها الدموع .
(٣) فى ص : « إذا كان تأن » ، والمثبت فى : ب ، والمواهب .
(٤) هكذا تكرر فى النسخ وجود هذين البيتين ، وقد سبقا فى صفحة ٩٨ وعجز البيت الثانى هنا مختلف عن الرواية الأولى .

٩

محمد مراد بن محمد بن يحيى السقاميني

نَدْبٌ للرِّياسة مُترشِّح ، وبطاهِرِ الخِلال مُتوشِّح .

مَشْمُول الأوصاف بالإنْصاف ، حالِي الأعْطاف بعَوارِف الألطاف .

راح إلى السَّبْق ففات المُبكِّر ، وجاوَز قِدْحَ المَدْح فحار فيه المُفكِّر .

مع طَلْعةٍ اسْتَوْفت الجمال ، وطِينةٍ عُجِنَتْ بماء الكمال .

هو المَطْمَحُ المَأْمولُ عند ابْتهاجِهِ   فطَلْعَتُه يُمْنٌ وغُرَّتُه نُجْحُ

لقد خامَرتْ نفْسِي مُدامةُ حُبِّهِ   فعقلِيَ من سُكْرِ المُدامةِ لا يَصْحُو

***

وله أدب صَفْحتُه بَيْضا ، وشِعْر تفِيض محاسِنُه فَيْضا .

ذكرتُ منه ما استحْكم الإجادة ، وكأنه في بَذْرَقتِه[1] الرَّوضةُ المُجادَة[2] .

فمن ذلك قوله :

قد سَبانِي بمُقْلةٍ غَزَّالَهْ   أغْيَدٌ جِيدُه كجِيدِ الغَزالَهْ

ألْعَسُ الثَّغْرِ أحْوَرُ اللَّحْظِ ألْمَى   سرَق الغُصْنُ قَدَّه واعْتِدالَه[3]

ذو مُحيًّا كأنه البدرُ حُسْناً   وعِذارٍ كأنَّما هو هالَهْ

قام يَخْطُو بقامةٍ وبرِدْفٍ   قد شَكا الخصْرُ والهوَى أثْقالَهْ

حينما البعضُ منه يظْلِم بعْضاً   كيف حال الغريب يبْغِي وِصالَهْ

أبْصرَتْه عَيْناىَ يَخْتالُ في الرَّوْ   ضِ فأنْشَدْتُه وَهِبْتَ جَمالَهْ

لا تَخَفْ عَيْلةٍ ولا تَخْشَ فقْراً   يا كثيرَ المَحاسِنِ المُخْتالَهْ

(١) البذرقة : الخفارة ، معرب .   (٢) الروضة المجادة : التي جادها المطر ، أي أصابها .

(٣) اللعس : سواد في الشفة ، واللمى : سمرة أو سواد في باطن الشفة .

لكَ عَيْنٌ وقامةٌ فى البرايا تلكَ غزَّالةٌ وذِى فتَّالَهْ[1]

فلَوَى جِيدَه وأعْرَضَ صَفْحاً وثَنى عِطْفَه وأبْدَى دَلالَهْ

لَيْتَه جادَ لى برَشْفِ رُضابٍ من لَمَاهُ وعَلَّنِى جِرْيالَهْ[2]

***

[3]قوله: «لا تخف عيلة ..» البيت، والذى يليه، ضَمَّنهما من كلامِ الشَّابِّ الظَّرِيف[4].

***

---

(١) فى س بعد هذا زيادة:

« هذان البيتان المُودَعان، وهما قوله: لا تخفْ. والذى بعده من كلام ابن نُباتة، وقد سَهَا من نَسَبهما للشابِّ الظريف ».

والبيتان فى ديوان ابن نباتة المصرى ٤٢١، وريحانة الألبا ٢/٨٣.

(٢) الجريال: الخمر أو لونها.

وجاء فى س بعد هذا زيادة:

« وقد تَطَفَّلتُ على هذه الأبيات التى هى بالمحاسن وافية، وألحقتُ بها ما اقترحتُه من الوزن والقافية، قولى:

لاحَ كالْبَدْرِ والذَّوائبُ هالَهْ فوقَ غُصْنٍ خمرُ الدَّلالِ أمالَهْ

ظَبْىُ إنْسٍ تراهُ يَنْفِرُ خَوْفاً كلَّما خالَ فى الذكاءِ خيالَهْ

أهْيَفُ ترْتجِى الأهِلَّةُ مِنْهُ حينَ يَخْتالُ أنْ تكُونَ قِبالَهْ

نَاعِمُ الجِسْمِ مُتْرَفٌ يَتأذَّى جِسمُهُ عندَما يَمِيسُ خِلالَهْ

أَظْهرتْ هُدْبُ مُقْلتَيْهِ عِذاراً مِنْ صَفاءٍ بخَدِّهِ وصَقالَهْ

وتَخالُ الجَبِينَ تحتَ شُعُورٍ مَنْهجَ الرُّشْدِ آخِذاً للضَّلالَهْ

كَغَزالٍ إذا تلفَّتَ لكِنْ بمُحيَّاهُ فاقَ ضوءَ الغَزالَهْ

وإذا جارَ باللِّحاظِ تَثَنَّى قَدُّهُ دائماً بوَصْفِ العَدالَهْ

لَوْ رأَى فى الطُّرُوسِ نُوناً عليها نُقْطةٌ مَسَّ حاجِبَيْهِ وخالَهْ »

(٣) من هنا إلى آخر قوله: « لم أعشق » ساقط من: س.

(٤) لم أجد البيتين فى ديوان الشاب الظريف المطبوع، وسبق الحديث عن نسبتهما فى الحاشية رقم ١ السابقة.

وقوله :

وَمُهَفْهَفٍ سلَبَ العُقُولَ بقَدِّهِ الْ ... مَيَّاسِ لَمَّا أن مَشَى بالقُرْطُقِ [١]

عاطَيْتُهُ كأسَ السُّلافَةِ فاغْتدَى ... يَهْتزُّ كالغُصْنِ الجَنِيِّ المُورِقِ

وثَنَى مَعاطِفَهُ الدَّلالُ إذا بَدَا ... يَخْتالُ فى ذاكَ القِباءِ الأزْرَقِ

رَشَأٌ رَخِيمُ الدَّلِّ مَهْضُومُ الحَشَا ... غَنِجُ اللَّحاظِ لِمُدْنَفٍ لم يَرْفُقِ

لا تُنْكِرُوا وَلَهِى به وتَوَلُّهِى ... فلِغَيْرِهِ بين الورَى لم أعْشَقِ

***

وقوله [٢]، وقد كتبه للخالِ [٣] حين أصابه رَمَد :

أيا من قد حَوَى رُتَبَ المَعالِى ... وأنْواعَ الكَمالِ بغيرِ مَيْنِ [٤]

ومن ساوَى السَّما بعُلُوِّ قَدْرٍ ... وحَلَّ بها مكانَ النَّيِّرَيْنِ

شَفاكَ اللهُ مِمَّا تشْتكِيهِ ... بطَرْفِكَ يا أخا العِزِّ المَتِينِ [٥]

وإنِّى عن سَقامِكَ فى عَناءٍ ... لأنكَ قد رَمِدْتَ وأنت عَيْنِى

***

فأجابه الخالُ بقوله :

سألْتُ عن الفضائِلِ أين حَلَّتْ ... أشارتْ نحو ذاتِكَ باليدَيْنِ

فقلتُ إذًا تَوَطَّأتِ المَعالِى ... على أعْلَى السُّها والفَرْقَدَيْنِ

وإن مَحَلَّ ذاتِكَ فوقَ وَصْفِى ... ودون عُلاكَ أُفْقُ النَّيِّرَيْنِ

وما رَمَدِى مُضِرٌّ لى يَقِينًا ... لأنَّكَ ناظِرِى من غيرِ مَيْنِ

بِذاتِكَ قد نظَرتُ فصَحَّ عندى ... بأنكَ يامرادِى أنتَ عَيْنِى

***

(١) القرطق : لباس شبيه بالقباء . وانظر شفاء الغليل ١٧٧ .

(٢) فى س بعد هذا زيادة : « مضمناً المصراع الأخير » .

(٣) تأتى ترجمته برقم ١١ .   (٤) المين : الكذب .

(٥) « المتين » هكذا ، وهو قصور من الشاعر .

وقد عارَض بَيْتَىْ إبراهيم بن محمد السَّفَرْجلانى[1]، بقوله :

وناضِرُ الخدِّ تسبِي الغُصْنَ قامتهُ ... أفْدِيهِ من قمرٍ بالحسْنِ مُتَّسِقِ

كأنما أثَرٌ من فوق وَجْنتهِ ... بفَرْطِ ذاك البَها ياقُوتةُ الشَّفَقِ

***

وهذان بيتا إبراهيم المذكور، وهما :

قد غادر اللَّثْمُ آثاراً بوَجْنتِهِ ... يَشِفُّ أزرَقُها فى الأحمرِ الشَّرِقِ

فليت شِعْرِىَ مَن أغْرَى الوُشاةَ بنا ... فَيْرُوزَجُ الصبحِ أم ياقوتةُ الشَّفَقِ

***

وهو تَضْمين لمطلع قصيدةٍ لصَفِىّ الدِّين الحِلِّىّ[2]، أو ابن نُباتة[3]، وهو :

فَيْروزَجُ الصبحِ أم ياقُوتةُ الشَّفَقِ ... بَدَتْ فهيَّجَتِ الوَرْقاء فى الأرقِ

أم صارمُ الشَّرْقِ لمَّا لاح مُختضِباً ... كما بَدَا السيفُ مُحْمرًّا من العَلَقِ

وقال فى ذلك البارعُ أسعد العُبادِىّ[4] :

عانقتُه كالبدرِ فى تِمِّه ... يُزْرِى برَنْم البانِ والسَّفْحِ

كأنما أزْرَقُ خالٍ بَدَا ... فى جِيدِه فَيْرُوزَجُ الصبحِ

وللجامعه محمد المحمودىّ :

رُوحِى الفِداءُ لخدٍّ راقَ معْ شَفَقٍ ... زَرْقاءَ قد تركتْ جَفْنِىَ فى أرَقِ

قد حار طَرْفِىَ هل يَرْنُو ويُمْنَعُ من ... فَيْرُوزَجِ الصبحِ أم ياقُوتةِ الشَّفَقِ

***

والمترجَم فى شريف :

أهْواهُ هِنْدِىَّ اللِّحاظِ مُقَرْطَقاً ... مُتعمِّمًا بعِمامةٍ خضراء[5]

---

(١) تقدمت ترجمته فى الصفحة ١/٤٧٩ .

(٢) من هنا إلى آخر بيتى المحمودى الآتيين ساقط من : س .

(٣) لم أجد البيتين فى ديوان ابن نباتة ، وهما لصفى الدين الحلى فى ديوانه ٥٢ ، والأول فى الريحانة ١/٣٥٥ .

(٤) تقدم التعريف به فى صفحة ٤١ .

(٥) فى س : « هندى اللحاظ مقرطقا » ، والمثبت فى : ب .
والمقرطق : لابس القرطق ، وهو شبيه بالقباء ، وانظر استعمال القرطق بمعنى القرطق فى شفاء الغليل ١٧٧ .

فكأنما قَوْسُ السحابِ أحاط با ... لبدرِ المنيرِ مع ازْديادِ بهاء

***

وقوله[١] :

أهواهُ ظَبْيًا مُخْجِلِ الأغصانِ مُذْ ... وَافَى يَمِيسُ بحُلَّةٍ زرْقاء

فكأنه لمَّا مَشَى يخْطُو بهـا ... قمرٌ تبدَّى في أديمِ سماء

***

وقوله :

ولقد نظرتُ إلى الحبيبِ صُبَيْحَةَ التَّـ ... وديعِ يومَ البَيْنِ نَظْرةَ صادِ

وَدَّعْتُه والعينُ تجْرِي عَنْدَمًا ... وتسيلُ في الخدَّيْن سَيْلَ الوادِي[٢]

إنِّي القتيلُ بحُبِّه كَلَفًا ولا ... يلْقَى لمثْلِي في هواه وَادِ[٣]

***

ويُضارِع أبياتَ المترجَم إلى الخالِ المقدَّمات في الرَّمد، ما كتبه الأديبُ القاضي حسين العَدَوِيّ[٤]، إلى البارع الكامل سيدنا إبراهيم الخيارِيّ المدني[٥]، في الاعتذار عن انقطاعٍ صدَر منه، وهو معنًى مُبْتكَر، بقوله[٦] :

وما عاقني عن لَثْمِ أذْيالِ فَضْلِكم ... سوى أنَّ عَيْنِي منذ فارقتكم رَمْدَا

فعاقَبْتُها حتى كأنِّي حبيبُها ... فأبْدَتْ كلامًا كان قلبِي له غِمْدَا

وقالتْ لقد كحَّلْتُ طَرْفِي بطَرْفِهِ ... فأفْتحُها سَهْوًا وأُغْمِضُها عَمْدَا[٧]

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : س ، وقد سقط مع البيتين من : س .

(٢) العندم : خشب نبات أحمر يصبغ به .

(٣) « واد » من : وداه يديه ؛ إذا أعطى ولى القتيل ديته .

(٤) تقدمت ترجمته في النفحة ١/٥٨١ . (٥) تقدمت ترجمته في النفحة ٤/٣٦٦ .

(٦) الأبيات في النفحة ١/٥٨٤ ، ٥٨٥ ، وخلاصة الأثر ٢/١١٧

(٧) في س : « طرق بطرفه » ، والمثبت في : ب ، وانظر حاشية النفحة .

فأجابه الخيارِى ، عليه رحمةُ البارِى ، بقوله(١) :

أيا فاضــلًا أهْدَى لنا فى نِظامِهِ لطيفَ اعتْذارٍ سكَّنَ الشَّوْقَ والوَجْدَا
وأشْفَى بلُقْياهُ مَرِيضَ بِعــادِهِ وقد كان أشْفَى للبِعادِ وما أوْدَى
فصانَ إلَهُ العرشِ مُقْلتَه التى ترى كلَّ معنًى دَقَّ عن فَهْمِنا جِدًّا(٢)
لئِن كُحِلَتْ بالطَّرْفِ قد أسْكَرتْ بما أدارَتْه من مَقْلوبِ أحْداقِها شُهْدَا
فإن تَرَنِى أشْتاقُ خمرةَ قَرْقَفٍ فأطْلبُها سَهْواً وأتْرُكها عَمْــدَا

***

وللمترجَم قوله ، وقد زار بعضَ أحبابه فى منزله فلم يجده ، فكتب له :

مولاىَ قد وافيْتُ دارَكَ أبْتَغِى لُقْياكَ ياذا الفضلِ والوجْهِ النَّدِى
فلِسُوءِ حَظِّى لم أجِدْكَ أخا الوفَا فرجعتُ عن ذاكَ الحِمَى صِفْرَ اليَدِ

***

وقوله مُعرِّبًا بيتَين فارسى ، للمُنْلا جامِى ، رحمه الله تعالى(٣) :

لاتَرْتَجِي من لئيمٍ فى الورى طَرَبًا ولا مُؤانَسةً من وَحْشةِ الكُرَبِ
فإن للنُّوقِ دَرًّا فى الفَــلاةِ حَلَا لكنــه لا يُساوِى رُؤْيةَ العرَبِ

***

وقد أرسل بعد توَجُّهِه من دمشق للحجِّ الشريف من الطريق قصيدةً ، مطلعُها :

يا نَسِيمــاً سرَى بسَفْحِ الوادِى فوق رَوْضٍ رُوِى بدَرِّ العِهادِ(٤)
مُزْرِياً عَرْفُه بنَشْرِ الخُــزامَى وعَبِــيرِ العَرارِ والأوْرادِ
إن أتَيْتَ الشَّآمَ دارَ مُنــاىَ صَفْوَةَ اللهِ فى جميــعِ البلادِ
وسَلَكْتَ الرُّبا التى فى دمشقٍ مُنْتَدَى الصالحِــين والأوْتادِ

---

(١) الأبيات فى : النفحة ١/٥٨٥ ، وخلاصة الأثر ٢/١١٧ ، ١١٨ .
(٢) فى الأصول : « عن فهمهما عدا » ، وانظر نفحة الريحانة وحاشيتها .
(٣) سقطت هذه المقدمة والبيتان بعدها من : س . (٤) العهاد : أول مطر الربيع .

حَيِّ جَمْعـاً من أهلِها فى سُوَيْدَ الـ ـقلبِ حَلُّوا وخَيَّمُوا بفؤادِى

صِفْ لهم شَوْقِىَ المُبَرِّحَ واشْرَحْ ما بجفنىَ من أليمِ سُهادِى

يا رَعَى اللهُ جيرةً فى حِمـاهم قد تَقَضَّتْ لنـا بصِدْقِ وِدادِ

وَيْحَ قلبى كم ذا يُقاسِى عليهم من غَرامٍ ولَوْعةٍ وبِعـادِ

ثم أبْلِغْ سلامَ عبدٍ مُحِبٍّ قَلِقِ الفكرِ شوقُه فى ازْدِيادِ

للإمامِ الهُمامِ مُفْتِى دمشق الشَّـ ـامِ ذى الفضلِ والتقى والرشادِ[(١)]

***

وهى طويلة غاية ، فأرسل له جوابها البارع محمد الكَنْجِىّ[(٢)] :

مَرْحَبـاً يا نَسيمَ سَفْحِ الوادِى جئتنى من أحِبَّتِى بمُرادِى

زِحْتَ عن مُهْجتِى بوادرَ سُقْمٍ أرقَتْنِى وأسْأمتْ عُوَّادِى

لو أُفَدِّيك يانسيمُ بروحى لم أوَفِّيك حقَّ تلك الأيادِى[(٣)]

أنت بشَّرْتنى بصحَّةِ مَوْلًى هو عِزِّى بين الورَى واعتمادِى

عَمْرَكَ اللهُ إن رجعتَ إليه ووصلْتَ الحِمَى وذاك النادِى[(٤)]

وإلى الكُسْوةِ الرَّحيبةِ إن جِئْـ ـتَ عَشِيًّا وحُمْتَ حول الوادِى[(٥)]

قَبِّلِ الأرضَ يا نسيمُ وحَيِّ قُرَّةَ العينِ مَنْهَلَ القُصَّادِ[(٦)]

مُفْرَدُ العصرِ ذاك رُكْنُ المعالِى كَعْبةُ الفضلِ مَعْدِنُ الإسعادِ

التَّقِىُّ النَّقِىُّ أفضلُ مَن فى عصرِنا من جهابذٍ نُقَّادِ[(٧)]

يا إماماً حَوَى فُنونَ علومٍ ودَنَا من مَراتبِ الإجتهادِ

---

(١) يعنى محمد بن إبراهيم العمادى ، الذى تقدمت ترجمته برقم ١ صفحة ١١ .

(٢) تقدمت ترجمته صفحة ٥٥ .

(٣) هكذا : « لم أوفيك » لسلامة الوزن . (٤) لم يرد هذا البيت فى : س .

(٥) الكسوة : هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . معجم البلدان ٤/٢٧٥ .

(٦) لم يرد هذا البيت والأبيات الأربعة التالية له فى : س .

(٧) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردئ .

أنت تاللهِ عِزُّ أهلِ المَعالِي ومَلاذُ العُفاةِ والوُرَّادِ[١]

جاء من رَكْبِكَ الشريف إلينا نَسَماتُ القَبُولِ والإرْشادِ

بلَّغَتْ عنك يا هُمامُ سَلاماً لِمُحِبِّيكَ ماله من نَفادِ

قَبَّلتْ عنك رأسَ زينِ المَوالِي شرفَ الشامِ سيدَ الأسْيادِ

الإمامُ الهمامُ مُفْتِي دمشق الشَّامِ ذو الفضلِ والتُّقَى والتَّهادِي

ثم جاءتْ سريعةً تطلُب الفَضْلَ يا أخا العِزِّ نحوَ بيتِ العِمادِي

ثم طافتْ بمن ذَكرت وأدَّتْ فَضْلَ شَوْقٍ كُلًّا على الانْفرادِ[٢]

ثم عادتْ إليك مُثْقَلةَ الظَّهْرِ تجُوبُ الفَلا بدون تمادِ

حَمَّلوها إليك أوْفَى سلامٍ جَلَّ يا ذا الهمامُ عن تَعْدادِ

فجزاكَ الإلهُ خيرَ جزاءٍ عن أُناسٍ وَصَفْتَهم بالسَّدادِ

ثم لازلْتَ في عُلُوِّ مَقامٍ وَاحِدَ العِزِّ قامِعَ الأضْدادِ[٣]

ما تَمَلَّتْ نَواظِرٌ من رِياضٍ أمَدَ الدهرِ ما ترَنَّم حادِ

***

وللمترجَم مُشَجِّرا :

سَلَّ من ألحاظِه النُّجْلِ حُساماً ظَبْيُ إنْسٍ يُخْجِلُ البدرَ التَّماما

يَبْتغِي سَفْكَ دَمِي عَمْداً ولا يَخْتَشِي في قَتْلِه الصَّبِّ أثاما

دَأْبُه نَقْضُ عُهودِي والقِلَى فَهْوَ لا يَرْعَى لِمُضْناه ذِماما

يا مُعيرَ الظَّبْيِ جِيداً وَاضِحاً ومُعيرَ الغُصْنِ لِيناً وقَواما[٤]

دَعْ أباطِيلَ الوُشاةِ واطَّرِحْ قولَهم في مُدْنَفٍ ذابَ غَراما

(١) لم يرد هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية له في : س .

(٢) في ب : « فوق شوق » ، والمثبت في : س . (٣) لم يرد هذا البيت في : س .

(٤) الواضح : الأبيض الحسن .

رَاعِ وُدًّا لِمُحِبٍّ لم يَزَلْ ... فى هَواكَ الصَّعْبِ يُلْفَى مُسْتهامَا
وارْثَ للصَّبِّ بِرَشْفٍ من لَمَى ... رِيقِكَ العَذْبِ الذى يَرْوِى الأُوامَا (١)
يا بديعَ الحسن يا شَرْوَى المَها ... بعُيونٍ راشَ لى منها سِهامَا (٢)
شُعِلَتْ مُهْجَتُنـــا لمَّا بَدَتْ ... نَارُ خَدَّيْكَ لَهِيبًا وضِرامَا

***

وله فى أرْمَد :

قالوا لقد رَمِدَ الحبيبُ ولاحَ فى ... ألْحَاظِهِ الوَسْنَى شَبِيهُ العَنْدَمِ
فأجبْتُهم حَاشاهُ من ألَمٍ بِهـــا ... أو هل يَحُلُّ الباسُ حَدَّ الأسْهُمِ (٣)
إنَّ الذى قد شِمْتُمُوه شاهِدٌ ... عَدْلٌ بَدَا من صَفْحتَيْها من دَمِى (٤)
أو أنه أثَرٌ بِهـــا من خَدِّهِ الْـ ... ـقَانِى لُحُمْرَتِهـــا إليه تَنْتَمِى
عجبًا لقلبى كيف لا يَصْبُو لهـا ... والنَّرْجِسُ المُحْمَرُّ فُرْصَةُ مُعْدِمِ

***

وله فيه :

قالوا لقد رَمِدَ الذى ... يَسْبِى بِطَلْعته الدُّمَى
فأجبْتُهم حَاشاهُ من ... وَصَبٍ يسُرُّ اللُّوَّمَا
ذا مِن تَوَرُّدِ خَدِّه الْـ ... ـقَانِى المضاهِى العَنْدَمَا
مُذْ شامَه بِلِحاظِهِ ... لاحَ الخيالُ بها دَمَا

***

وللحاجّ محمد الحافظ بن على ، مُضَمِّنًا المصراع الأخير ، من الوزن والقافية :

عايَنْتُ من هو كوكَبٌ ... أو بدرُ تَمٍّ فى سَمَا

---

(١) الأوام : العطش أو شدته . (٢) شروى المها : مثيله .
(٣) كذا فى الأصول : « يحل الباس » ، ولعل الصواب : « يفل الباس » .
(٤) فى ب : « شاهدا عدل » ، والمثبت فى : ص .

يفترّ عن ثغرٍ له حاوى الجواهرِ واللمى
وعيونه المرضى بها أثرٌ تراءى عندما
إن قيل ذا رمدٌ به يزرى بآرامِ الحمى
فأجبتُ بالقولِ الذى يُنهيك عن روضٍ وما
ذا من لطافةِ خدّه كالرّاحِ راق وقد سما
تلك العيونُ له رنتْ لاح الخيالُ بها دما

***

وللمترجم :

قال لى العاذلُ فيه مذ درى وصفى سميّهْ
هو درويشُ المسمّى ذو الشفاهِ السكّريّهْ
أفلا تعتاضُ عنه بالذى أبديت زيّهْ
قلتُ دعنى إنّنى لم يبقَ من نفسى بقيّهْ
كيف أعتاضُ وحِبّى يخجل الشمسَ المضيّهْ
بمحيّا شبهِ بدرٍ ولحاظٍ جؤذريّهْ
سهمها أمضى بقلبى من سيوفِ المشرفيّهْ
وبخالٍ تحت باهى وجنةٍ منه سنيّهْ
شبهُ زنجيٍّ حمى روضَ وردٍ عنبريّهْ
وبقدٍّ أنيقٍ كالرّماحِ السمهريّهْ
وبثغرٍ كالأقاحى وثنايا لؤلؤيّهْ
فاتركِ العذلَ ودعنى من مقالاتٍ بذيّهْ(١)

---

(١) فى ب : « من مغالاة بذيه » ، والمثبت فى : ص .

أنا لَا أعْتاضُ عنه بجميـــعِ المَوْلَوِيّهْ

***

وقوله يمدح تاجَ المَفاخر صَدْرَ المَوالى ، حسَنةَ الأيام والليالى ؛ المولى الُهمام ، مفتى الشام : محمد بن إبراهيم العِمادِي[1] ، لا زال بحراسةِ الملِك الهادى ؛ ويُهنِّيه بقوله :

كوكبُ السَّعْدِ قد بدَا فى اتقَادِ وبَشيرُ المُنَى أتاكَ يُنادِي

قُمْ بنا نَجْتلِي بدورَ التَّهانِى ساطعاتٍ من مَشْرِقِ الإسْعادِ

حيثُ وَجْهُ الزمانِ طَلْقٌ منيرٌ وهَزارُ السُّرورِ باليُمْنِ شادِي[2]

وبديعُ الجمالِ حُلْوُ التَّثنِّى ذو القَوامِ المُهَفْهَفِ الميّادِ

جادَ بالوصلِ بعد فَرْطِ التَّجافِي ورَنَا بالدُّنُوِّ بعـد البِعادِ

بَدْرُ تِمٍّ فاقَ البـدورَ سَنـاءً ظَبْيُ إنْسٍ كِناسُه فى فؤادِي[3]

خَنِثُ العِطْفِ نَاحِلُ الخَصْرِ ألمَى مُحَيّاه فاق كلَّ الجِيادِ

فَوّقَتْ مُقْلتـاه نَحْوِى سِهاماً رِيشُها الهُدْبُ لم تُرَعْ بسُهادِ

غُصْنُ بانٍ يهتزُّ فى دِعْصِ رِدْفٍ أجْتنِي منه حُرْقةَ الأكْبادِ[4]

سُقْمُ جَفْنِي من سُقْمِ عَيْنَيْه لكنْ نَ شِفائِى لَمـاهُ رِيُّ الصّادِي

بِتُّ أجْنِى من وَصْلِه ثَمَرَ الأُنْ سِ وأُحْيِي مَواسِمَ الأعيـادِ

كِدْتُ فى حُبّه أغُوصُ بِحارَ الْ غَيِّ لولا هُدَى سليلِ العِمادِي

الإمامُ الُهمام رُكْنُ المَعالِي اللَّبيبُ الأريبُ صَدْرُ النَّوادِي

التَّقِيُّ النَّـقِيُّ ذو الحِلْمِ والعِلْ مِ ونَجْلُ الكرامِ والأمجـادِ

الكريمُ الفَهيمُ ذو الحسَبِ الطّا هِرِ كَنْزُ العُفـاةِ والقُصّادِ

(١) تقدمت ترجمته صفحة ١١ . (٢) الهزار : طائر حسن التغريد . (٣) الكناس : بيت الظبي .
(٤) الدعص : كثيب الرمل المجتمع .

فاضلٌ كاملٌ نبيهٌ نبيـــلٌ ... سالمٌ من تزيُّفٍ وانتقـــادِ
مَن يُوازيه فى المكارم قَدْراً ... وهْو البحرُ مالَه من نفـــادِ
من يُجاريه فى الفضـائل بَحْثاً ... وهْو سَعْدُ التّحقيقِ وابنُ زيادِ(١)
وإذا رُمْتَ منـه حَـلَّ عَويصٍ ... تلْتقيـــــه طَوْداً من الأطْوادِ
وَرِثَ العِلْمَ عن جُدودٍ كرام ... نِعْمَ فَرْعٌ يَرْوِى عن الأجْدادِ
وإذا فـاه بالقَـريضِ أو النَّثْـ ... ـرِ فما البُحتُرِى وقُسُّ الإيادِى(٢)
صاحِ إن رُمْتَ المَعـالِى وُصولاً ... لِتنالَ الفخـــــارَ فى كلِّ نادِ
لُذْ بهـذا الهُمامِ والجَـأْ إليـه ... تَلْقَ كلَّ الهـدى وكلَّ الرَّشادِ
يا إماماً حَوَى فُنـون عُـلومٍ ... وكَمالٍ يَجِلُّ عن تَعْـــدادِ
طاب أصْلاً بين الورَى وفُرُوعاً ... فهو كَنْزِى ومَطْلبِى وعِمـادِى
هاكَ مِنّى رُعْبُـوبةً من قَريضٍ ... سَلْسَلِ النَّظْمِ رائقٍ مُسْتجادِ(٣)
بنتَ فِكْرٍ وافَتْ إليك هو بَضَّة الكَشْـ ... ـحِ تَسْعَى إليك سَعْيَ التّهادِى
غادةٌ قد أتَتْـك وهْى تهنّيـ ... ـك بنَيْلِ المُنَى بوَفْقِ المُرادِ
لم يَزِنْها سوى مَديحك فيها ... وكَفاها حُسْناً لَدَى النُّقّادِ
فاعْفُ واصْفَحْ عن كَبْوةٍ وقُصورٍ ... فى نِظامِى يامَنْهَلَ الوُرّادِ
إنَّ عَجْزِى عن مَدْحِ أوْصافِك الغُرّ ... مِ جَـلِىٌّ ياذا النَّدَى والأيادِى
كيف لا يعجِزُ اللّسانُ وهل يُمْـ ... ـكِنُهُ دَرْكُ وَصْفِ ذات العِمادِ(٤)
فاقْبَـلِ العُـذْرَ من مُحِبٍّ قديمٍ ... مُخْلِصٍ فى الوَلا وصِدْقِ الوِدادِ
وابْقَ واسْلَمْ فى رِفْعةٍ وسرورٍ ... وارْتقـــاءٍ وعِزّةٍ وسَدادِ

---

(١) يعنى بسعد التحقيق سعد الدين التفتازانى ، وتقدم التعريف به فى النفحة ٢/٥ : ٥ ، ولم أعرف من يقصد بابن زياد . (٢) فى س : « وقس إياد » ، والمثبت فى : ب . (٣) الرعبوبة : الحسنة الناعمة البيضاء . (٤) فى البيت إشارة أيضاً إلى إرم ذات العماد ، التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

ما تغنَّتْ في أيكِها ساجعاتٌ وسقَى الرَّوضَ صَوبُ غيثِ الغوادِي .

***

ومما كتبه للمولى المذكور ، يطلبُ منه « ذخائرَ العُقبَى في مناقبِ ذوِي القُربَى[1] » بقوله :

مَوْلايَ يا من قد طاب مَحْتِدُهُ ومجــدُه قد سَما على الزّهرِ

ومَن حوَى العلمَ والـكمالَ مع الْ آدابِ طُرًّا من مَبْدإ الصِّغَرِ

أرومُ من فَضْلِك العميمِ كما عوّدْتَنِيهِ ذخائرَ الطَّبرِي

لازِلْتَ في نِعْمــةٍ وفي دَعَةٍ مُمتَّعًا فيهما مدَى العُمُرِ[2]

ما أمَّكُم قاصِدٌ لحاجتهِ فعاد منكم بالنُّجْحِ والظَّفَرِ

سيدى نَجلَ العماد ، ومن بُنِيتْ قواعدُ مجده المُؤثَّل على أسّ رفيعِ العماد .

أسعدَ اللهُ أوقاتَك السَّنِيَّة ، وبقِيت بقاءَ الدهر في بُلَهْنِيَةٍ[3] هَنِيَّة .

قد تـكلَّفَ الفكرُ الفاترُ بهذه الأبيات ، الحَرِيَّةِ بعدَمِ الإثبات .

لولا تحقُّقُ المودَّةِ الأكيدة ، والمحبَّةِ الصادقة والسديدة .

هذا ، والسببُ في ذلك ، والدَّاعِي إلى ما هنا لك .

أنّ حُبَّ آل البيت ، المبرّئين من اللَّوِّ واللَّيْت .

أمرٌ واجبٌ تستحسنُه العقول ، ومِمّا أطْبَقَ عليه المعقول والمنقول .

فإن رأى المولى التفضُّلَ بالكتاب المسمى بـ « ذخائر العُقبَى ، بمناقب ذَوِي القُربَى » فقد أحببْتُ مُطالعتَه ، واخترتُ مُجالستَه .

وأن يَمُنَّ به على داعِيه ، وشاكرِ مَساعيه ، فله الفضلُ التامّ ، وما هي بالأولَى ، وإلّا

---

(١) وهو محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبرى المتوفى سنة أربع وتسعين وستمائة ، وقد طبع الكتاب في مصر سنة ١٣٥٦ هـ . (٢) في الأصول : « ممتع فيهما » .

(٣) بلهنية العيش : رخاؤه .

فالدعاء منِّى لَجنابه على مَرِّ الدهور كما هو دَأْبِى يتكرَّر ويتوالَى .

والسلام .

***

ومما كتبه أيضا لبعض أحِبَّائه ، مُهَنِّئًا له بقُدوم مولود ، ومُؤرِّخا بقوله :

هُنِّيتَ ياذا السُّؤْدَدِ   والفضلِ والوَجْهِ النَّدِى

يا ابنَ الأكارِمِ والأما   جِدِ ياكريمَ المَحْتِدِ

يا ابنَ الذى بُرودِ أَرْ   واعِ الفضائلِ مُرْتَدِ

بُشْرَى بما أُولِيتَهُ   من فضلِ مَوْلًى أمجدِ

بسعيدِ نجلٍ مُسْفِرٍ   عن يُمْنِ خيرٍ سَرْمَدِى

فى أحسنِ الأوْقاتِ والْ   أزمانِ جاء وأسْعِدِ

وَافتْ به الأفراحُ تَسْـ   عَى نحوَكم طَوْعَ الْيَدِ

أَحْبِبْ به نجلاً ترا   هُ فى الكمالِ الأوْحَدِ

فاهْنَأْ به مُتمتِّعاً   بحياتِه يا سيِّدِى

ولقد أتَى تاريخُه   فى بيتِ شِعْرٍ مُفْرَدِ

يا آلَ بيتٍ طَيِّبٍ   بُشْراهمُ بمحمدِ(١)

***

وله يمدح صَدْرَ المَوالى العِظام أسعد بن أحمد الصَّدِّيقى(٢)، حين قُدومِه من

---

(١) جاء حساب هذا التأريخ فى ص هكذا :

يا آل	بيت	طيب	بشراهم	بمحمد	
٤٢	٤١٢	٢١	٥٤٨	٩٤	١١١٧

(٢) أسعد بن أحمد بن كمال الدين البكرى الصديق الحنفى الدمشقى .

ولد بدمشق تقريباً فى سنة ثلاث وستين وألف ، وبها نشأ وترق ، ومهر وتفوق .

وتولى نيابة الحكم فى محكمة الباب ، وفى المحكمة الكبرى ، والقسمة مراراً ، وكان ذا ثروة .

رحل إلى الروم ومصر ، وحج إلى بيت الله الحرام ، وكان صدر أعيان دمشق فى وقته ، نفاه والى دمشق إلى صيدا سنة ثمان عشرة ومائة وألف ، ثم أطلق سراحه سنة تسع عشرة .

توفى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف ، ودفن بتربة الشيخ أرسلان .

سلك الدرر ١/٢٢٣ ـ ٢٢٦ .

الحجّ والرّوم :

مَن عذيرى فى حبِّ ظبىٍ مصونِ ... ذى قوامٍ يُزْرى بهيفِ الغصونِ

وعيونٍ ترمى الحشا بسهامٍ ... ذُقْتُ من رشفهنّ ريبَ المنونِ

كلّما فوّقتْ لنحوى سهاماً ... أقصدتنى بسهمها المسنونِ (١)

وقِسِىٍّ من الحواجبِ ضاهتْ ... بجلاها بديعَ شكلِ النّونِ

وشفاهٍ كما العقيق أحاطتْ ... بثنايا كاللّؤلؤِ المكنونِ (٢)

ورُضابٍ إذا أردتُ ارتشافاً ... منه أغنى عن ابنةِ الزّرجونِ (٣)

وخدودٍ كما الورود زواهٍ ... بسناها أغنتْ عن التحسينِ

شادنٌ قد حمى برودَ لماه ... طابعٌ تحت كنزِ درٍّ ثمينِ

مُذ بدا الخالُ فى صفا الجيدِ منه ... خلتَ مسكاً فى صفحةٍ من لُجينِ

رشأٌ قد رفضتُ قولَ اللّواحى ... فيه رفضَ المتيّمِ المفتونِ

كلّما رُمتُ عن هواه سُلوّاً ... همتُ وجداً بلوعةٍ وشجونِ

دأبُه الهجرُ والقِلى والتجنّى ... والجفا والصّدودُ فى كلّ حينِ

ليس لى ملجأٌ ولا لى نصيرٌ ... من سطاه وليس لى من مُعينِ

غيرَ صنوِ الكمالِ تربِ المعالى ... نجلِ صدّيقِ سيّدِ الكونينِ

نجلُ ثانى الاثنينِ فى الغارِ حقّاً ... ثم سبطُ الولىِّ سعدِ الدّينِ

يالها نسبةً كفته فخاراً ... وارتقاءً لنيلِ مجدٍ مكينِ

اللّبيبُ الأريبُ مَن لا يُجارَى ... فى النّدى والحجى وحُسنِ اليقينِ

مَن يدانيه أو يساويه قدْراً ... وهو فى المعضلاتِ ليثُ العرينِ (٤)

(١) أقصده : رماه فأصابه . (٢) فى ب : « وشفاها كما العقيق » ، والمثبت فى : ص .

(٣) ابنة الزرجون : الخمر .

(٤) فى الأصول : « أو يواسيه قدرا » ، والمثبت احتمال على هامش ص .

مَن رَقى ذِرْوَةَ المعارفِ حتى أثمرَتْ من بيانِه بفنونِ[1]

يا إماماً رَقى سماءَ المعالى بمزايا جَلّتْ عن التّبيينِ

طابَ طَبْعاً ومَحْتِداً وأصولا وفُروعاً بغير شَكٍّ ومينِ[2]

أخَّرَ العبدَ أن يُوافِي سَريعاً بمديحٍ من القريضِ الرّصينِ

لِهمومٍ أشعلْنَ فى القلبِ ناراً وعَياءٍ من الدُّنا وشُؤونِ

فاقبَلِ العُذْرَ يا كريمَ السّجايا من ذليلٍ مُقصِّرٍ مِسكينِ

هاكَ عَذْراءَ من قَريضٍ يُحاكِي الدُّ رَّ فى حُسْنِ نَظْمِه المَوْزُونِ

بنتُ فِكْرٍ وافتْكَ وهى تُهَنّى بقُدومٍ مبارَكٍ مَيْمُونِ

ولِحَجٍّ وزَوْرةٍ لشَفيعِ الـ ـخَلْقِ خيرِ الأنامِ طَهَ الأمينِ

مَقْدَمٌ أشرقَتْ به جِلَقُ الشّا مِ وأبدَتْ نفائسَ التّزْيينِ

فاهْنَ فيما مَنحْتَهُ من عطاءٍ وهِباتٍ من القَويِّ المَتينِ

وابْقَ واسْلَمْ فى رفعةٍ وسُموٍّ وسُعودٍ من الهدى مَقرُونِ

وتمتّعْ بطُولِ عُمْرٍ وجاهٍ مُسْتدامٍ على مَمَرِّ السّنينِ

مع نَجْلَيْكَ نيّرَىْ فَلَكِ المَجْـ ـدِ ومَن حَلَّ فى ذَراكَ الحَصينِ

ما تَغنّتْ وَرْقاءُ من فوق أيْكٍ فأثارتْ لَواعِجَ المَشْجُونِ

أو شَدَا مُغرَمُ الفؤادِ مُعَنّى مَن عَذيرى فى حُبِّ ظَبْيٍ مَصُونِ

***

وقوله ، وقد أرسله لصاحبه الفاضل الكامل السيد محمد سايل المولى السيد أسعد ، مفتى المدينة المُنوَّرة ، على ساكنها أفضلُ الصلاة وأتمُّ السلام :

نَسيمَ الصَّبا إن جُزْتَ وَادِيَ طَيْبةٍ فأبْلِغْ سلامى للنّبيِّ المُمَجَّدِ

---

(١) فى ب : « من رقى فى ذروة المعارف حتى » ، والمثبت فى : س .

(٢) المين ، بفتح وسكون : الكذب .

كذاكَ لجيرانِ النبيِّ أُلِي التقى ... فهم بُغْيتي بين الأنامِ ومَقْصِدِي

فمِنهم حليفُ المجدِ والفضلِ والحِجا ... سليلُ العُلا تِرْبُ النَّدَى الشهمُ سيِّدِي

محمد صِنْوِي زَادَهُ اللهُ رِفْعَةً ... وأعْلى مَقامٍ يرْتقيه بسُؤْددِ(١)

مَدَى الدهرِ ما حَنَّ المَشُوقُ لطَيْبةٍ ... وأَمَّ حِماها الزائرون لأحمدِ

***

وقوله ، وقد امْتدَح به المولى الهُمام ، إبراهيم أفندى قاضى قضاة دمشق الشام :

بُشْرَى فقد أشْرَقَ بدرُ التَّمامْ ... بمَقْدَمِ المَوْلَى الأجلِّ الهُمامْ

الألْمَعِيُّ الجِهْبِذُ اللَّوْذَعِي ... وحيدُ أهلِ الفضلِ والإحْتِشامْ(٢)

قاضى قُضاةِ الشامِ طَوْدُ العُلا ... فَخْرُ المَوالِى صَدْرُ أهلِ الكَلامْ

مَـوْلًى إذا ماجئْتَه قاصِداً ... حَلَّ عَويصٍ عَزَّ فيـه المَرامْ

تَلْقاه بَحْراً طَامِيـاً مُبْدِياً ... لآلِئـاً كالنَّيِّراتِ العِظامْ

فالشامُ لمَّا حَلَّ فى رَبْعِهـا ... ثُغورُها أضْحَتْ ذَواتَ ابْتِسامْ

وأخْصَبَ الرَّوْضُ سُروراً به ... واستَهَلَّ مُزْنُ العَدْلِ بين الأنامْ

تَؤُمُّه العـارِفون طُرًّا ومَن ... يَلُذْ به فى أَزْمةٍ لا يُضـامْ

لا غَـرْوَ أن أمَّ الورَى بابَهُ ... فالمَنْهَلُ العـذبُ كثيرُ الزِّحامْ

مُحقِّقٌ فى كلِّ فَنٍّ وفى ... عِلْمِ القَضَايا سابِقٌ لا يُرامْ

وفى القِراءاتِ له نَفْحَـةٌ ... طَيِّبَةُ النَّشْرِ كعَرْفِ الخُزامْ(٣)

حازَ الكَمالاتِ بأنْواعِها ... مع أدبٍ غَضٍّ كزَهْرِ الكِمامْ

---

(١) كذا فى الأصول : « وأعلى مقام » على أنه معطوف على « رفعة » .

(٢) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردئ .

(٣) يشير إلى « طيبة النشر فى القراءات العشر » وهى منظومة لمحمد بن محمد بن على ، ابن الجزرى ، المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة .

سبحان من أَوْدَعَ فيه الهدى ... وخَصَّه باللُّطفِ والإنسِجام[١]

فمن يُضاهِيه بما حازَه ... من شِدَّةِ البأسِ لقَطْعِ الحِصَام[٢]

أبقاهُ ربُّ العرْشِ في رُتْبةٍ ... يسْمُو بها قَدْراً لأعْلَى مَقامْ

مَوْلاىَ عُذراً إننى عاجِزٌ ... عن مَدْحِ أَوْصافِك فى ذا النِّظامْ

وهاكَها عَذْراءَ رُعْبُوبَةً ... منك قُبولًا تَبْتغى يا هُمام[٣]

فاحْسِنْ قِراها ساتِراً عَيْبَها ... فالسَّتْرُ من أطْيَبِ خِيمِ الكرام[٤]

لازِلْتَ تَزْهو فى بُرودِ الهَنَا ... مُؤَيَّداً بالنَّصْرِ طولَ الدَّوامْ

مُمَتَّعاً بالسَّعْدِ طولَ المَدَى ... مُبَجَّلاً بين الموالِى الفِخامْ

واسْلَمْ ودُمْ بالعِزِّ والإرْتِقا ... ما أضْحَكَ الروضَ بُكاءُ الغَمامْ

***

وقوله ، مُؤَرِّخا لِعذارِ شريف ، ذى طَبْعٍ لطيف ، يُدْعَى بابن المناقِلِى :

رَنَا بِلحاظٍ مُتْرَعاتٍ من السِّحْرِ ... فأقْصَدَ قلبى سَهْمُها وهو لا يَدْرِى[٥]

ومَاسَ بقَدٍّ يُخْجِلُ السُّمْرَ والقَنا ... ويُزْرِى بخُوطِ البانِ والغُصُنِ النَّضْرِ[٦]

وأبْدَى حديثاً كالنَّسيمِ لطافَةً ... فخِلْناهُ سِقْطَ الدُّرِّ أو يانِعَ الزَّهْرِ

غزالٌ كَحيلُ الطَّرْفِ أغْيَدُ أهْيَفٌ ... وَلُوعٌ بخُلْفِ الوعدِ والصَّدِّ والهَجْرِ

أدار عِذاراً فوقَ خَدٍّ مُوَرَّدٍ ... كذائبِ مِسْكٍ فى صِحافٍ من التِّبْرِ

تخالُوه أقْوامٌ على الخدِّ أرْقَماً ... وظَنَّ أُناسٌ أنه عَنْبَرُ الشِّحْرِ[٧]

---

(١) استعمل الانسجام هنا بمعناه المحدث وهو اعتدال المزاج ، ومعناه الأول : تتابع الدمع أو القطر .

(٢) فى س : « من ذا يضاهيه » ، والمثبت فى : ب .

(٣) الرعبوبة : الجارية الحسنة البيضاء الناعمة .

(٤) الخيم : الطبيعة والسجية . (٥) أقصده السهم : أصابه فقتله مكانه. (٦) الخوط : الغصن الناعم .

(٧) فى س : « تخالوه أقواما » ، وما فى ب على لغة « أ كلوه البراغيث » .

والشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعمان ، وينسب إليه العنبر الشحرى لأنه يوجد فى سواحله . معجم البلدان ٣/ ٢٦٣ .

وقال فريقٌ نَقْشُ خَوْدٍ بَهِيَّـةٍ ... بَرَهْرَهَةٍ قد أبرَزُوها من الخِدْرِ [١]
وقال فريقٌ نَبْتُ آسٍ برَوْضـةٍ ... وقال فريقٌ رَقْمُ لامٍ بلا حِـبْرِ
وقالوا دُخانُ النَّدِّ قد فاح عَرْفُهُ ... وقال أُناسٌ إنه خَفَرُ البَـدْرِ
وقال فريقٌ عَقْرَبٌ فوق وَجْنـةٍ ... لقد حَرَّمتْ دُرًّا حوَى كَنْزَ ذَا الثَّغْرِ
فقلتُ لهم مهـلاً سأُبْدِي لوَصْفِهِ ... مَقالًا بتـاريخٍ لطيفٍ بلا نُـكْرِ
عِـذَارُ مُنَا قلبِي بياه مُزاحَـةٍ ... لقـد جاءنا تاريخُهُ طَيِّبَ النَّشْرِ [٢]
بلفظٍ بَدِيعٍ رائقٍ أرْخُوا حكَى ... سَلاسِلَ مِسْكٍ فى رِقاعٍ من التِّبْرِ [٣]

***

وله فيه :

يارُبَّ ظَبْيٍ مُوَرَّدِ الخَـدّ ... ألْعَسَ ألْمَى ومائِسِ القَدِّ [٤]
مُـذْ لاح فى خَـدِّه عِـذارٌ ... نَمَـالُ عُشّاقِهِ تَبَدَّدْ
وزادَه أرَّخُـوا بهـاءً ... وطَرَّزَ الخَـدَّ بالزَّبَرْجَدْ [٥]

***

وله ، مُؤَرِّخا نَبْتَ عِذارٍ لطيف ، لأغْيَدَ شَرِيف ، بقوله :

أدُخانُ النَّدِّ فى الوردِ البَهِـيّ ... أم نَباتُ الآسِ فى الرَّوْضِ الزَّهِيّ
أمْ فَتِيتُ المِسْكِ فى صُحْفٍ من التِّبْـ ... ـرِ أم ذا نَبْتُ رَيْحانٍ زَكِيّ
أم هو النَّمَّامُ زَاهٍ حُسْنُـه ... حولَ رَوْضِ الجُلَّنارِ الرَّبَعِيّ

---

(١) الخود : المرأة الشابة ، والبرهرهة : التى ترعد رطوبة ونعومة .

(٢) أبقيت رسم « منا » على هذه الصورة ليتفق للشاعر مايريده من حذف باء « قلبى » فتصبح الكلمة « مناقلى » وهو اسم محبوبه .

(٣) فى هامش س تعليقا على هذا البيت : « التاريخ غير معلوم » .

(٤) اللعس : سواد فى الشفة ، واللمى : سواد فى باطنها .

(٥) « أرخوا » جملة معترضة بين قوله : « وزاده » ، وقوله : « بهاء » ، وجاء حساب التأريخ فى س هكذا :

وزاده أرخوا بهاء	وطرز	الخد	بالزبرجد
٨	٢٢٢	٦٣٥	٢٤٩	١١١٤

أم مُذابُ العَنبرِ الرَّطْبِ إذا ... سالَ فى أحمرِ ياقوتٍ نَدِىِّ

أم مَبادِى سَوْسَنٍ غَضٍّ له ... حُسْنُ شكلٍ فى شَقِيقٍ عَنْدَمِى

إنَّما ذا عقرَبٌ قد حَرَسَتْ ... كَنْزَ ثَغرٍ أشْنَبٍ عَذْبٍ شَهِىِّ[١]

بل دَبِيبُ النَّملِ قد أثَّر فى ... خَدِّ رَبِّ الخالِ والوَجْهِ السَّنِىِّ

شادِنٌ يُزْرِى ببَاناتِ النَّقَا ... إن تَثَنَّى بالقَوامِ السَّمْهَرِىِّ

مَنْ سَبَى الرِّيمَ بجِيدٍ أجْيَدٍ ... وبماضِى عضْبِ لَحْظٍ بابِلِىِّ

سيدٌ قد طابَ منه مَحْتِدٌ ... يَنْتمِى فيه إلى آلِ لُؤَىِّ

كَمَلَ الحُسْنُ له لمَّا بَدَا ... رَقْمُ لامِ الصُّدْغِ فى خَدٍّ نَقِىِّ

مُذْ بَدَا العارِضُ فى وَجْنَتِه ... شِبْهَ واوِ العطفِ فى سَطْرٍ خَفِىِّ

قال يستفهِمُ مَن أرَّخَه ... أدُخانُ النَّدِّ فى الوردِ البَهِىِّ[٢]

***

وله فى غَبُوق الورد زمانَ الربيع ، مُضَمِّنًا من قصيدة السيد سليمان الحَمَوِىّ[٣] :

بُشْرَى فقد وَفَى الرَّبِيـ ... ـعُ وأخْصَبَتْ فيه البِطاحْ

ورَهَتْ أزاهِيرُ الرُّبَا ... وشَدَتْ شَحارِيرُ الصَّباحْ

وبَدَا الشَّقِيقُ كأنَّه ... فى رَوْضِه الزَّاهِى جِراحْ

والطيرُ قام خَطِيبُهُ ... يَشْدُو بحَىَّ على المِراحْ[٤]

وصَفَا زمانُ سُرُورِنا ... بوِصالِ خَفَّاقِ الوِشاحْ

---

(١) ثغر أشنب : أبيض الأسنان حسنها .

(٢) جاء حساب هذا التأريخ فى ص هكذا :

أدخان	الند	فى	الورد	البهى	
٦٥٦	٨٥	٩٠	٢٤١	٤٨	١١٣٠

(٣) تقدمت ترجمته فى الصفحة ١/٥١٠ . (٤) المراح : الخفة والنشاط .

بدرُ الدُّجى تِربُ المَهَا صِنوُ الظِّبا زَيْنُ المِلاحْ
رَشأٌ سهامُ عُيونِه تُغنيه عن حَمْلِ السلاحْ
ورَشيقُ غُصْنِ قَوامِهِ الـ ـمَيَّاسِ يُزْرِى بالرِّماحْ
فى كلِّ عضْوٍ منه ما يُلْهِى الرشيدَ عن الصلاحْ
يُلْهِيكَ طِيبُ حَديثِه الدُّ رِّىُّ عن طُرَفِ المِزاحْ
مُذْ لاحَ خطُّ عِذارِهِ والمِسْكُ فى خدَّيْهِ فاحْ
كسلاسلٍ من عَنْبَرٍ دارتْ على صَهْباء رَاحْ
وتغزَّلُوا فى حُسْنِه ببديعِ أَلْفاظٍ فِصاحْ
عَجِبُوا وظَنُّوه دَبِيـ ـبَ النَّمْل دار على أقاحْ
فأجبْتُهم لا تَعْجَبُوا هذا غَبُوقُ الوَرْدِ لاحْ
يَهْنيهِ حُسْنُ مُقَبَّلٍ وَافَى يُبَشِّرُ بالنَّجاحْ

***

وطلب منه الفاضلُ النبيل عبد الجليل سليل سيدنا أبى المواهِب الحَنْبلىّ[١]، رَوَّح اللهُ رُوحه، كتاب « البحر الرائق » للعلامة ابن نُجَيم[٢]، مع « شرح المجمع » لابن

---

(١) عبد الجليل بن أبى المواهب بن عبد الباقى الحنبلى الدمشقى.
ولد بدمشق سنة تسع وسبعين بعد الألف، ونشأ فى كنف والده، واشتغل بطلب العلم عليه وعلى غيره من علماء عصره.
وبرع فى المعقولات، لاسيما النحو والصرف والمعانى والبيان، وجلس للتدريس بالجامع الأموى، وله شعر باهر.
ومن مؤلفاته « تشطير ألفية ابن مالك »، و « نظم الشافية » فى الصرف، و « وأرجوزة فى العروض ».
توفى سنة تسع عشرة ومائة وألف، ودفن بمرج الدحداح.
سلك الدرر ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٨.

(٢) هو زين الدين (أو زين العابدين) بن إبراهيم بن محمد، الفقيه الحنفى، المتوفى سنة سبعين وتسعمائة، وكتابه هذا شرح لكنز الدقائق.
شذرات الذهب ٨/٣٥٨، الفوائد البهية ١٣٤، معجم المطبوعات العربية ٢٦٥.

مَلِكٍ[(١)] ، فأرسلهما إليه ، وأرسل معهما يقول :

أرسلتُ بَحْرَ ابنَ نَجْمَ الذى حَوَى اليَواقيتَ مع الدُّرِّ

لبحرِ عِلْمٍ زاخرٍ فاعْجَبُوا لمُرْسِلِ البحرِ إلى البحرِ

فهْوَ فريدُ الوقتِ فى عَصْرنا وغُرَّةٌ فى جَبْهَةِ الدَّهْرِ

نَدْبٌ كساهُ اللهُ ثَوْبَ الْحَيا كذا التُّقى مع سَعَةِ الصَّدْرِ

مَوْلًى إذا ماجِئْتَه طالباً حَلَّ عَوِيصٍ مُبْهَمِ الأمْرِ

تَلْقاه بَحْراً طامِياً مُبْدِياً لآلِئاً كالأنْجُمِ الزُّهْرِ

مُحَقِّقٌ قد وَرِثَ العلمَ عن أبيهِ عن أجْدادِهِ الغُرِّ

فَرْضاً ورَدًّا فكَمالاتُه تجِلُّ عن عَدٍّ وعن حَصْرِ[(٢)]

إن يفخَرِ الفخرُ بدار فلا عَجَبٌ فالفَخْرُ للفَخْرِ

أو يفخَرِ المجدُ به زاهِياً فالفخرُ للمجدِ بلا نُكْرِ

بطَلْعةٍ غَرّاءَ تستوقِفُ الْ أبصارَ أبْهَى من سَنا البدرِ

وجُودُه كالوَبْلِ كم مُعْدِمٍ أغاثه بالرِّفْدِ والبِرِّ[(٣)]

لازال يسْمُو فى بُرُوجِ العُلاَ مُؤَيَّدًا بالعِزِّ والنَّصْرِ

ودام فى أرْغَدِ عيشٍ نَدِى طولَ المدى مع رِفْعَةِ القَدْرِ

ماهَطَلَتْ أعلم بالنَّدَى لبائِسٍ قُلْ وذَوِى فَقْرِ[(٤)]

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد اللطيف المعروف بابن مالك الحنفى ، شارح « مجمع البحرين » المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة .

الشقائق النعمانية ١/١٠٧ ، وفيه : « عبد اللطيف بن الملك » ، الفوائد البهية ١٠٧ ، معجم المطبوعات العربية ٢٥٢ .

(٢) قوله : « فرضا وردا » على طريقة الفرضيين فى المواريث ، وهو يعنى أنه قد ورث العلم دون شريك ، وأصحاب الفروض هم كل من كان له سهم مقدر فى كتاب الله تعالى أو فى سنة رسوله عليه الصلاة والسلام أو بالإجماع ، والرد : أن تزيد الفريضة على السهام ولا عصبة هناك تستحقه فيرد على ذوى السهام . انظر الاختيار ٥/١٢٣ ، ١٤١ . (٣) الوبل : المطر الشديد .

(٤) مكان « ماهطلت » فى ب بياض ، و « أعلم » كذا بالأصول .

مَوْلایَ عُذْراً لِفَتًى عاجزٍ   عن مَدْحِ أوْصافِك يادُخْرِی
فهْو شَذِيتُ الفكرِ مُسْتَغْرِقاً   أوْقاتَهُ بالهَمِّ والوِزْرِ (١)
وصِدْقُهُ فی الوُدِّ لا غيرِه   مُرادُه فی نَظْمِ ذا الشِّعْرِ
وها كَها عَذْراءَ رُعْبُوبةً   قُبولُها تَبْغِی عن المَهْرِ
واسْلَمْ ودُمْ لابِسَ بُرْدِ الهَنا   ماغَرَّدَ الشُّحْرورُ والقُمْرِی (٢)

***

وقوله فيه أيضا :

أرْسَلْتُ بَحْرَ الفِقْـهِ لِلْـ   أستاذِ ذی الوَجْهِ المُنيرِ
مُحْيِی رُسومِ العـلـمِ حَقًّـ   ـا فی دمشقَ بلا نَكيرِ
عَجَبًا له فاقَ الأَوا   ئِلَ وهو فی الزمنِ الأخيرِ
إنِّی لَأَرْجُو من إلٰـ   ـهِ الخَلْقِ ذی المَنِّ القديرِ
أن يُبْقِ مَوْلانا الهمـا   مَ النَّدْبَ فی عيشٍ نَضيرِ (٣)
هـذا وأرجُو مِن ندا   هُ وجودِهِ الوافِی الكثيرِ
إرْسالَ طبقـاتِ النُّحا   ةِ لحافظِ العصرِ الكبيرِ
أعنِی السُّيُوطِیَّ الإما   مَ الشَّهْمَ ذا القدرِ الخَطيرِ
لا زال يَحْظَى بالسَّعا   دةِ والسِّيادةِ والسرورِ
ما انْهَلَّ غَيْثُ نَداهُ لِلْـ   مُحْتاجِ فی أمَدِ الدهورِ

***

وأرسل لخِدْنِهِ الأديب الفاضل ، والأريب الكامل ، سيدی عبد الرحمن بن محمد

---

(١) كذا : « مستغرقا » على الحالية .   (٢) القمری : ضرب من الحمام حسن الهديل .
(٣) الصواب : « أن يبق » بفتح الياء ، وحذف حرف العلة ليستقيم له الوزن . والندب : الخفيف السريع فی الحوائج .

عابدي المدني[1] ، إلى المدينة المنورة ، بعد مكاتبات سابقة بينهما ، قوله :

جِسمٌ بَراهُ أَلَمُ البِعادِ ... وشَفَّهُ حُبُّ ظِباءِ الوادِي
ومُقلةٌ حارَبَها طِيبُ الكَرَى ... واكْتحلَتْ بمِرْوَدِ السُّهادِ
ومُهْجةٍ تَوطَّنَتْ مَهْدَ الأسَى ... واسْتَوْطأتْ أرائِكَ القَتادِ[2]
آهِ على طِيبِ أُوَيقاتٍ مَضَتْ ... بطَيْبةٍ يا حَبَّذاكَ النّادِي
وطِيبِ مَغْنًى بالعَقيقِ واللِّوَى ... فلَعْلَعٍ مَناهِلِ الوُرّادِ[3]
شَوْقِي لسَلْعٍ وقُبا وغابَةٍ ... ومُنْتَدَى مراوحِ المَزادِ[4]
ليس له حَدٌّ ولا نِهايَةٌ ... يَجِلُّ عن كَيْفٍ وعن تَعْدادِ
لا زالت السُّحْبُ على أرْجائِها ... مُنْهَلَّةً بصَيِّبِ العِهادِ[5]
يا وَيْحَ مَن تَيَّمَهُ حُبُّ الدُّمَى ... يَبْكِى الْتِياعًا والغَرامُ بادِ
وأثْخَنَتْهُ أسْهُمُ الألْحاظِ في ... أحْشائِه فهل لها من وَادِ
مَن ذا عَذِيرِى في هوىً مُمَنَّعٍ ... بالمُرْهَفاتِ والْقَنا المَيّادِ
غُزَيِّلٌ حُشاشَتِى مَرْعًى له ... وشادِنٌ كِناسُه فُؤادِى[6]
هُوَيْفِمُ الكَشْحَيْنِ مَعْسُولُ اللَّمَى ... قد فاق بالحسن على الجيادِ
سَقِيمُ خَصْرٍ ناحِلٍ مُخْتَصَرٍ ... ظَلَّتْ له رُوحِى من العُوّادِ

---

(١) تأتى ترجمته ، برقم ٢٢ . (٢) القتاد : شجر صلب له شوك .

(٣) يطلق اسم لعلع على مواطن كثيرة ، منها أنه جبل كانت به وقعة للعرب ، أو ماء بالبادية . انظر معجم البلدان ٤/٣٥٩ .

(٤) سلع : جبل بسوق المدينة . معجم البلدان ٣/١١٧

وقبا : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . معجم البلدان ٤/٢٣ .

وغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة . معجم البلدان ٣/٧٦٧

(٥) العهاد : أول مطر الربيع . (٦) كناس الظبي : بيته .

وقامة كغُصْنِ بانٍ بانعٍ ... تُقِلُّ دِعْصاً ثقلَ الأطْوادِ(١)

بدرٌ جعلتُ مُهجتي خِبْئاً له ... كى لا يراهُ حاسدٌ مُعادِ

هَوِيتُــــه وللهوى غِوايةٌ ... بِعتُ بهـــا فى حُبِّه رَشادِى

فيا ظَلُوماً نقض العهدَ ولم ... يُوفِّه إلى م ذا التَّمادِى

عَطفاً على ذى لَوعةٍ مبثوثةٍ ... قد جَفَّ عن إيضاحِها مُرادِى

بمُهجتى مَن لو سَرَى مُبرقعاً ... فى ظُلمةٍ غدتْ كصبحٍ بادِ

عجبتُ من باترِ جَفْنِ طَرْفِه ... وضَعْفه يصيدُ للآسادِ

وخالُه المِسكيُّ فى وَجنتِه الـ ... حمراء عَبْدٌ حالِكُ السَّوادِ

يحرُس رَوْضَ وَرْدِ خَدٍّ يانعٍ ... من أن تُمَدَّ نحوَه الأيادِى

يرنو بلحظٍ فاتكٍ مهنَّدٍ ... ماضِى الشَّبا وغِمْدُه فؤادِى(٢)

فليس لى منه مُجيرٌ فى الهوى ... سوى امْتداحِى للفتى الجوادِ

الألمعِىِّ عبــدِ رحمنِ الذى ... فاق الأُلَى رقَوْا ذُرَى الأمجادِ(٣)

بالأدب الغضِّ الذى عَبيرُه ... يُزرى بعَرْفِ النَّدِّ والزَّبادِ(٤)

خِدْنُ الكمالِ والجمالِ والتقى ... تِرْبُ النَّدَى والخيرِ والرَّشادِ

مَن فاق أهلَ الفضلِ بالفهمِ الجَلِى ... وبالنِّظامِ والذَّكا الوَقَّادِ

مَوْلاىَ يا من فضلُه مُشتهرٌ ... بطَيْبَـــةٍ وسائرِ البلادِ

يا عِقْدَ جيدِ الدهرِ يا خِلَّ الوَفَا ... يا كَعْبةَ القُصَّادِ والوُرَّادِ

ويا أديباً قد تسامَى قَدْرُه ... ويا صَديقاً وُدُّه اعتمادِى

---

(١) الدعص : كثيب الرمل ، شبه الأرداف به . (٢) الشباة من السيف : قدر ما يقطع منه .

(٣) فى ب : « عبد الرحمن الذى » ، والمثبت فى : س .

(٤) الزباد : طيب ، وهو رشح يجتمع تحت ذنب دابة فتمسك الدابة وتمنع الاضطراب ويسلت . انظر القاموس (زب د) .

وَافتْ إليَّ منكمُ خَرِيدةٌ ... أحْبِبْ بهـا خريدةَ الوِدادِ
رُعْبُوبةٌ زَهَتْ على أقرانِها ... من القَوافي الصَّعْبةِ القِيادِ(١)
قد رفعتْ ذِكْرِي وكان خامِلًا ... وقَلَّدَتْنِي أجْمَلَ الأيادِي
وأذْكَرَتْنِي عهدَ أيامِ الصِّبا ... إذ رَوْنَقُ الشبابِ خيرُ زادِ
فلا بَرِحْتَ الدهرَ تُولِي أنْعُمًا ... سَنِيَّةً على مدَى الآبادِ
وها كَها مِنِّي قَوافٍ دَوْحُها ... زاهٍ سَقاهُ وَابِلُ الفؤادِ
بِكْرٌ إلى كُفْوٍ تُزَفُّ مهرُها ... قَبُولُها يا بُغْيَــةَ المُرادِ
وَافَتْ إليك في قَشِيبِ مِرْطِها ... تمشي إليك مِشْيَةَ التَّهادِي(٢)
شامِيَّةٌ يَعْنُو لباهِي حُسْنِها ... وَجْهُ الحبيبِ والغزالُ الصَّادِي
فأحْسِنْ قِرَاها ساتِرًا لعَيْبِها ... فالسَّتْرُ من خِيمِ أُلِي السَّدادِ(٣)
واعْذِرْ مُحِبًّا قَلِقَ الفكرِ غَدَا ... من الجوَى مُفَتَّتَ الأكْبادِ
لا زِلْتَ في أَوْجِ الكمالِ رافِلًا ... في حُلَلِ القَبُولِ والإسْعادِ
ما دام مُشْتاقُ حِماكُم مُنْشِدًا ... جِسْمٌ بَراهُ أَلَمُ البِعــادِ

وكتب له معها بهذه الرسالة الفائقة ، وصورتها :

الأخُ الصديق ، والشقيق الشَّفِيق .

خِدْنُ الوِداد ، بُغْيةُ المُراد .

رَوضة الآداب ، تُحْفة الأصحاب .

ذو المَزايا الباهرة ، والصفات الزاهرة .

والفضائل التَّامَّة ، والفواضِل العامَّة .

---

(١) الرعبوبة : الحسنة الرطبة الناعمة من الجوارى . (٢) القشيب : الجديد .
(٣) الخيم : الطبيعة والسجية .

والشِّيَمِ الكريمة ، والأخلاق المُستقيمة .

المُنَوَّهُ باسمه الكريم ، أعلى هذا الرَّقيم .

أبقى اللهُ وجودَه ، وأدام بِرَّه وجُودَه .

أُهْدِي إلى حضرته العليَّة ، تُحَفَ التَّحِيَّة السَّنِيَّة .

والأدْعِيَةَ العاطِرة ، والأثْنِية المُتكاثِرة .

والسلامَ الأسْنَى ، والتحيَّاتِ المُباركة الحُسْنَى .

سلامٌ شَذاه العِطر يفوح ريحَ النَّدِّ والكِبا (١) ، وينشرها فى الأرض شَرْقا ومَغْرِبا .

وأُنْهِى إليه شِكايةَ نِكايةِ الشَّوق ، الذى شَبَّ عمرُه عن الطَّوْق .

لم أستطِعْ وَصْفِي لهيبَ تشوُّقِ مَن يُودِع النِّبْراسَ فى القِرْطاسِ

وأنا أسألُ اللهَ بجاهِ سيدِ الكونينْ ، أن يطْوِيَ شُقَّةَ البَيْنِ من بَيْنْ ، ويُقِرَّ برُؤيتكم النَّفْسَ والعَيْنْ .

لأَبُلَّ غَليلَ الفؤادِ برُؤْيا تلك الذَّات ، المُستجمعة لشرائف الصِّفات .

إنه على مايشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وبعد :

فقد ورد المُشَرَّف الكريم ، فتلقَّيْناه بالقَبُولِ والتَّكْريم .

واجْتَنَيْنا من ثمارِه اليانِعة باكورةَ النَّظْمِ والإنْشاء ، وقلنا من غير رَيْبٍ : ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١) .

وضِمْنَه الغادةُ المجْلُوَّة كالعروس ، على أرائِك الطُّروس .

التى لو رآها ابنُ هانِى لم يَهْنَ له بعدها عَيْش ، والمتنبى لَنَبا به مَأْلَفُ الوطن وخامَر فِكْرَه الطَّيْش .

---

(١) الكباء : عود البخور أو ضرب منه . (١) سورة آل عمران ٧٣ .

وأبو فراس الحمْدانى لحمِد هذا الصَّنيع ، وقال : أنَّى يُدْرِكُ الظَّالع[1] شَأْوَ الضليع
ولَما عَدُّوا أنفسَهم ممَّن يسْبَحُون فى لُجَّةِ القَرِيضِ ، ولقالوا عند ذلك عجْزاً :
حالَ الجَريضُ[2] .

وذلك لِمَا اشْتملتْ عليه من كلماتٍ أرَقّ من نَسمات الأسْحار ، فأطْربَتْ بحُسْن
مَعانيها ولا طرَب ساجعاتِ الأطْيار .

بل ولا طرَب الأغانى ، لَدَى رَنَّاتِ المثانِى .

وبلاغةِ ألفاظ ، لا تَسْمَحُ بها قَرِيحةُ قُسٍّ فى سُوقِ عُكاظ .

فَسرَّحْتُ طَرْفِى فى مَشِيدِ بُيوتِها الأنيقة المتينة ، وكَلِفْتُ بها ولا كَلَف
جَميل بُثَيْنة .

فلله دَرُّكَ من أديبٍ مُجيد ، يتحلَّى بنَثْرِك ونظَمِكَ النَّحْرُ والجيد .

فلا زِلْتَ مَنْبَع الآداب والدُّرَر ، مُنْتدِياً من لآلئِها جواهرَ الغُرَر .

ولا بَرِحْتَ مركزَ الإحاطة بتلك الدِّيار ، وبحماكَ المَنِيع تُلْقَى عصا التَّسْيار ،
بجاهِ النبي المختار ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه الأطْهار ، وشيعَتِه وصَحْبِه الأخْيار .

هـذا ، وقد تطفَّلْتُ على الجَناب الكريم بامْتداحِي له بهذه الأبيات ، الحَرِيَّةِ
بعدَمِ الإثْبات .

مع علمى أنِّى لستُ من فرسان هذا المَيْدان ، ولا ممَّن هو فيه طَلْقُ العِنان .

وإنَّ الأخَ المُكرَّم ، والصديقَ المُفخَّم ، من أعْيان الكرام ، الذين شِيمهُم الصَّفْحُ
والسَّتْرُ على وَصْمَةِ مُحِبِّيهم إن زَلَّتْ بهم الأقْدام .

---

(١) الظالع : من يغمز فى مشيه .

(٢) تتمة المثل : « دون القريض » ، وهو مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيرا حين لا ينفع . وتقدم الكلام عليه فى النفحة ٢/١٠٣ .

وما قَصْدِى بذلك إلا ارْتياضُ[1] القَرِيحة ، وحفظ المَودَّة الصحيحة .

واسْتِمْطارُ سُحُبِ طَبْعِه الرَّقيق ، واسْتِمرارُ كَرَمِ خُلُقِه الرَّفيق .

وهاهى تَسْعَى خَجْلَى إليكم ، سَعْىَ المتطفّل عليكم .

فالمراد والمأمول ، إسْدالُ سِتْرِ القبول .

والسلام .

***

فأجابه سيدى عبد الرحمن عابدى عن ذلك ، بهذه القصيدة اللطيفة ، والرسالة المُنيفة ، وهى :

زارتْ بلا وَعْدٍ ولا مِيعـــادِ ... وما لَهَا غـــير سَناها هادِ

تَمْشِى الْهُوَيْنَى فى مُرُوطِ مَشْيِها ... مَشْىَ الكَرَى فى جَفْنِ ذى السُّهادِ

فغار منها البدرُ واعْتلّ الصَّبــا ... وفاحَ نَشْرٌ بِشَذاها النــادِى

وغَرَّد الطـــيرُ بأغصانِ الرُّبا ... مُذْ جَرَّتِ الذَّيْلَ على الوِهادِ

تَهْزَا بِزَهْرِ الرَّوْضِ فى أنْفاسِهــا ... لا بل بِزُهْرِ الأُفْقِ باتّقـــادِ

فقُمْتُ إجْلالًا لهـــا لمَّا أتتْ ... وقلتُ هـــذا مُقْتَضَى مُرادِى

أفُضُّ عنهـــا خَتْمَها كأنّنى ... أبحثُ عن ذخائرِ الفؤادِ

وأجْتَلِى منهـــا عَرائسَ المُنَى ... وأجْتَــنِى غَرائسَ الوِدادِ

فلستُ أدْرِى أسَقِيطُ الطَّلِّ فى الْـ ... أوْراقِ أم وَشْىٌ على الأبْرادِ

أم النّهارُ انْهـارَ فى أدْراجِها ... أم ذابَ مِسْكُ الليلِ فى المِدادِ

أم اللآلى نُضِّدتْ سُطورُها ... أم طَرَّزَ البَرْقُ رِداءَ الهـادِى

(١) فى ص : « رياس » ، والمثبت فى : ب .

أم حَبَبٌ دَارَ بكاساتِ الطِّلَا   أم عَنْبَرٌ دِيفَ بمـاء الجادِى[1]

أم ثَغْرُ لَيْلَى أم ثَنايا زَيْنَبٍ   أم عِقْدُ سُعْدَى أم حُلَى سُعادِ

أسْتَغْفِرُ اللهَ فأنَّى تَسْتوِى الْ   أرْواحُ فى التَّمْثيلِ بالأجْسادِ

بل هذه أنفـاسُ سَحْبانَ الذى   ليس لِقُسٍّ معـه أيادِى[2]

الفاضلِ الحَبْرِ اللبيبِ اللَّوْذَعِيِّ م   الألْمَعِيِّ الكوكبِ الوَقّادِ

مَن شِعْرُه والدُّرُّ شىءٌ واحدٌ   ونَثْرُه والزَّهْرُ فى اتِّحادِ

مَن لطفُه أزْرَى ببانات الصَّبا   وجُودُه قد أخْجَلَ الغَوادِى

إن حَلَّ نَظْمًا فالبَدِيهِى حاضِرٌ   أو ضَمَّ نَثْرًا فالحَرِيرِى بادِ[3]

أو ماسَ فوقَ الطِّرْسِ غُصْنُ يَراعِهِ   يا خَجْلَةَ المَيَّاسِ والمَيَّادِ

ما السِّحْرُ إلَّا نَفْثَةٌ من شِعْرِه   مَعْ أنَّه من أعْبَدِ العُبَّادِ

كم حَلَّ غايةَ مُقْفَلٍ لم يَظْفَرِ السَّـ م   ـكَّاكُ فى المِفْتاحِ بالمَبادِى[4]

كَنْزُ الدَّقائقِ بَهْجَةُ الطُّلَّابِ فى   أَسْنَى المَطالِبِ مَجْمَعُ الإرْشادِ[5]

بحرُ الفضائلِ رَوْضَةُ الآدابِ بل   نَهْرُ الفواضِلِ نَفْحَةُ الإمْدادِ

مَوْلاىَ يا بدرَ الكمالِ المُرْتَقِى   أَوْجَ العُلا بالعِزِّ والإسْعادِ

يا رُوحَ جِسمِ الفضلِ يا رَبَّ الحِجَا   يا زَهْرَةً فى دَوْحةِ الأمْجادِ

فَخْرَ الزَّمانِ أنتَ واحدُ عَصْرِه   مُتَنَزِّهًا عن زَحْمةِ الأنْدادِ

---

(١) ديف : خلط أو بل بماء ونحوه . والجادى : الزعفران .

(٢) أثبت الياء فى « أيادى » ليتضح مراد الشاعر فى الإشارة إلى نسبة قس الإيادى .

(٣) تقدم التعريف بأبى الحسن على بن محمد البديهى فى الصفحة ٤ / ٦١٠ .

(٤) يعنى يوسف بن أبى بكر السكاكى الحنفى ، صاحب « مفتاح العلوم » ، البارع فى علوم اللسان ، المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة .

الجواهر المضية ٢ / ٢٢٥ ، شذرات الذهب ٥ / ١٢٢ ، معجم الأدباء ٢٠ / ٥٨ .

(٥) يشير فى هذا البيت والتالى له إلى بعض كتب الحنفية .

أعْلَيْتَ قَدْرِى إذْ بعثتَ بغَادةٍ   أرْبتْ محاسنُها على التَّعْدادِ
شاميَّةٌ ما حاكَ نَسْجَ بُرودِها   أُدَباءُ مصرَ ولا بَنُو بَغْدادِ
من أين للكُرْكِيِّ حَوْمَةُ أجْدَلٍ   أم أين للبُخْتِيِّ سَبْقُ جَوادِ[1]
مَهْلًا فبَحْرُ الشِّعْرِ غُصْتَ لدُرِّه   وتَرَكْتَ فيــه الغيرَ كالصَّيَّادِ
فأُعيذُ بالسَّبْعِ المَثــانِى مَجْدَكَ الْـ   ــمالِى عن النُّظَراءِ والحُسَّادِ
وإليكَها طَيْبِيَّةَ المَنْشــأَ وقد   أزْرَتْ فصاحتُهــا بشعرِ زِيادِ[2]
حَبَّرْتُها وجعلتُ وَصْفَكَ طَرْزَها   فَسمتْ على الأمْثالِ والأضْدادِ
فالدُّرُّ دُرٌّ حيث كان وإنّمـــا   يَزْدادُ حُسْنًا وهْو فى الأجْيادِ
واعْذِرْ إذا عرضتْ هنالك كَبْوَةٌ   فى ذا الطِّرادِ فلاتَ حينَ طِرادِ
فالعَيْشُ سُقْمٌ والطَّبِيبُ مُماطِلٌ   والعَزْمُ سَلْمٌ والوَفاءُ مُعــادِ
واسْلَمْ ودُمْ فى صَفْوِ عَيْشٍ آمِنًا   ولا بَرِحْتَ الدهرَ فى ازْديادِ
ما حَنَّ مُشْتاقٌ إلى أرضِ الحِمَى   وما سَرَى رَكْبٌ وغَنَّى حادِ

والرسالة هى قولُه :

أهْدِى سلامًا يفُوق المِسْكَ الأذْفَرَ[3] ، وثَناءً يُخْجِلُ العَنْبَرَ والعَبْهرَ[4] .

إلى الحضرة الفائقة العَلِيّة ، والذّات الشائقة السَّنِيّة .

ذى الإنْعامات البَهِيّة ، والأخْلاق الرَّضِيّة[5] .

الجناب المحترم العالى ، بَهْجَةُ الأيام والليالى .

---

(١) الكركى : طائر يأوى إلى الماء ، أغبر اللون طويل العنق والرجلين ، كبير الجسم ، لا يستطيع حومة الأجدل وهو الصقر ، والبختى : واحد البخت وهى الإبل الخراسانية .

(٢) طيبية : منسوب إلى طيبة ، وهى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وزياد هو النابغة الذبيانى .

(٣) مسك أذفر : جيد إلى الغاية . (٤) العبهر : النرجس والياسمين .

(٥) فى ص : « المرضية » ، والمثبت فى : ب .

بَديعُ الزّمان ، قُرّة عَيْنِ الإخوان .

بَهِيُّ الطَّلْعة ، مَن ألبَسَ الوجودَ بوُجودِه أفْخَرَ خِلعَة .

إمامُ الأدب ، ترْجُمان العرب .

مَن قُرْبُه من أقْرَبِ القُرَب ، فلهذا ترى الأدبَ يَنْسِلُ إليه من كلّ حَدَب .

النّاظِمِ النّاثِر ، مَن عُقِدتْ عليه الخناصِر ، (١وعليها من شمائِلِه١) خواتِم .

سَلْ عنه وانْطِقْ به وانْظُرْ إليه تَجِدْ مِلْءَ المَسامِعِ والأفْواهِ والمُقَلِ

المَولَى الأغرّ حرَس(٢) اللهُ ذاتَه ، وأبْقَى حياتَه .

الشّوْقُ إليكم جَزيل ، والثّناء على شَمائِلِكم جَلِيل ، والسؤالُ عن جَنابِكم كثيرٌ جميل .

وعلومُكم مُحِيطةٌ بالبقاءِ على الوُدّ القَديم ، والوفاءِ بالعَهْدِ المُسْتديم .

وأُنْهِي وُرُودَ المِثال الذى ليس له مَثِيل ، المُتضمِّن بلاغةَ البلاغِ وتَنْويلَ التّأْميل .

فسَرّحْتُ طَرْفِى منه فى جَنّةٍ ذاتِ أنْهار ، وشَنّفْتُ سمعى بدُرَرٍ أغْنَتْنى عن رنّاتِ الأوْتار .

لا يبلُغُ بَلِيغٌ وَصْفَه ، ولو أنْفَق مثل أُحُدٍ بيانًا لما بلَغ مُدَّه(٣) ولا نَصِيفَه .

بديعٌ فى ذاتِه ، مُعْجِزٌ عن مُعارضتِه بمُحْكَمِ آياتِه ، ومن الأدب أن أقول سَجَعاتِه .

---

(١) فى ص : « وملبيا من شعره » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ب : « حسن » ، والمثبت فى : س .

(٣) المد : ربع الصاع ، وهو يشير إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضل الصحابة : « لَا تَسُبُّوا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِى ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » والنصيف هو النصف ، وهذا الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه (باب تحريم سب الصحابة من كتاب فضائل الصحابة) ١٩٦٨/٤ .

يفْتقِرُ كلُّ أديب إلى توْصِيف فِقَرِه ، ويَوَدُّ كلُّ بليغ لو تحلّى بتنميقِ حِبَرِه[١] .
وقف على حدّ الإنْشاء ، و ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يشاء ﴾[٢] .

أهْلًا به من قادِمٍ أهْدَى إلىَّ سَلامَهُمْ
مَلأَ الفُؤادَ مَسَرَّةً فعرَفْتُ منه كَلامَهُمْ

وقد أُودِع فيها أسْجاعٌ وفِقَر ، تَفُوق على العِقْيان والدُّرَر ، يطُول سَرْدُها .



(١) الحِبر : جمع الحِبرة ، وهى ضرب من برود اليمن . (٢) سورة المائدة ٥٤ .

١٠

أسعد بن محمد بن على بن الطَّويل*

شابٌّ نبيهُ القَدْر ، تَراهُ فَتَسْتَريبُ بصَفْحَتِه(١) البدر .

سُقِيَ مَنْبِتُهُ بماء الفضلِ فاخْضَرَّ عُودُه ، وأخْصَبَ ربيعُ كمالِه لمَّا لاحتْ في سمائِه سُعودُه .

نَشَأَ أبْدَعَ من تَصَفُّحِ صَفْحَة ، وأعار النَّسِيمَ من عَرْفِه نَفْحَة .

يستضِيءُ المُقْتَبِسُ بجمالِه ، ويبتسِمُ الزمانُ بكمالِه .

وله هِمَّةٌ في تَحْصيل المَعارف ، لم تزلْ ولا تزالُ سابِقَةَ المَطارِف .

حتى قَرَّتْ به العُيون ، ووَفَّاه الدهرُ ما بذِمَّتِه من الدُّيون .

ولى فيه عِداتٌ وَثيقةُ الذِّمام ، كامنةٌ كُمونَ النَّوْرِ في غُصْنِ الكِمام .

وقد حلَف بالزِّيادة وعليه أن تَبَرَّ يمينُه ، (٢ وهو المأمولُ أن يُرَى آخِذاً بحُقوقِه وليس يَمِينُه ٢) .

فقابَلَهُ للإقْبال قابِل ، وطَلُّه عند أهل المعرفة وَابِل(٣) .

***

(*) أسعد بن محمد بن على الشافعي الدمشقي ، ابن الطويل .

ولد بدمشق سنة اثنتين وثمانين وألف ونشأ بها ، فطلب العلم على جلة من علماء عصره ، منهم : عثمان الشمعة ، وعبد الغني النابلسي ، واشتهر بالشعر والأدب .

وكان رفيقا للشيخ سعدى العمرى ، لاينفك أحدهما عن الآخر .

توفى سنة خمسين ومائة وألف ، ودفن في تربة مرج الدحداح .

سلك الدرر ١/ ٢٣٧ ـ ٢٤١ ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبي له ، وبعض ماأورده من شعره ثم ذكر له شعراً لم يرد هنا .

(١) في ب : « بصفحة » ، والمثبت في : ص ، وسلك الدرر .

(٢) لم يرد هذا في سلك الدرر . ويمينه : يكذبه .

(٣) الطل : المطر الضعيف ، والوابل : المطر الشديد .

وله أدب مَعَانِيهِ فِساح ، وشِعْرٌ مَعَانِيه فِصاح .

أثْبَتُّ منه ما يتّقِدُ به السمعُ والطَّرْف ، وتعلم أنه خالصُ العِيار عند أهل النَّقْد والصَّرْف .

فمنه قولُه فى صدر رسالة ، وهو أول شِعرٍ قالَه[1] :

سلامُ مَشُوقٍ قد تَزايدَ وَجْدُهُ ... ودُرُّ ثَناءٍ قد تَنظَّمَ عِقْدُهُ

وأزْكَى تَحِياتٍ أخُصُّ بهَدْيِها ... إماماً عَلَا فوق السِّماكَيْن مَجْدُهُ[2]

هو العالمُ النِّحْرِيرُ عَلَّامةُ الورَى ... سَلِيلُ أُلِى التَّحْقيقِ مَن خاب ضِدُّهُ

رَفِيعُ الذُّرَى مَن خَصَّه اللهُ بالتُّقَى ... رفيقُ العُلَا غَوْثُ الزمانِ وفَرْدُهُ

إليه يَدُ التَّقْصيرِ أهْدَتْ تَحِيَّةً ... وأزْكَى سلامٍ فاحَ فى الكَوْنِ نَدُّهُ

وأبْدَتْ إليه الاعْتِذارَ بأنَّها ... قريبةُ عَهْدِ النَّظْمِ حَيَّاهُ عَهْدُهُ[3]

فلا زالَ فى أوْجِ المَكارمِ دائماً ... مَدَى الدهرِ ما رَوْضُ المُنَى فاحَ وَرْدُهُ

وما مُسْتَهامُ الشَّوْقِ أهْدَى جَنابَهُ ... سلامَ مَشُوقٍ قد تَزايَدَ وَجْدُهُ

***

[4]وقوله ، وقد أرْسلَها لبعضِ أحْبابِه[5] :

أيا مَرْبَعَ الأحْبابِ حُيِّيتَ من عَهْدِ ... ولا زِلْتَ مَرْعَى للأحِبَّةِ مِن بَعْدِى

لقد خَلَّفُونِى مُغْرَماً وتَرَحَّلُوا ... أُكابِدُ شَوْقاً فى الحَشا زائدَ الوَقْدِ

أجِيرَتَنا لا أوْحَشَ اللهُ منكمُ ... لقد خُنْتُمُ عهدِى ومِلْتُمْ عن الوُدِّ

ألا هكذا الأحْبابُ تُنْسَى عُهُودهم ... أم الدهرُ بالهِجْرانِ قد خَصَّنِى وَحْدِى

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ١ / ٢٣٨ .

(٢) السماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما الأعزل ، وللآخر الرامح .

(٣) العهد : أول مطر الربيع .   (٤) من هنا إلى نهاية الترجمة لم يرد فى : س .

(٥) القصيدة فى سلك الدرر ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، وذكر المرادى أنه أرسلها للشيخ صادق الخراط كما ذكر جواب الخراط عليها .

رُوَيْدَكَ يا حادِي الظُّعونِ بمُهْجَةٍ أُذِيبَتْ بنيرانِ التَّباعُدِ والصَّدِّ
ورِفْقًا بمَن في الرَّكْبِ أوْهَنَهُ الجوَى ويصْبُو إلى تلكَ المَعاهدِ من نَجْدِ
ألا أينَ نَجْدٌ بل وأينَ ظِباؤُها وأينَ كَحيلُ الطَّرْفِ مَن زادَ في البُعْدِ
غَزالٌ سَبَى كلَّ البَرِيَّةِ طَرْفُهُ وصالَ على أُسْدِ الشَّرَى منه بالقَدِّ(١)
إذا ما تَبدَّى أخْجَلَ الشمسَ وَجْهُه وإن لاحَ بدرُ التِّمِّ ناداهُ يا عَبْدِي
له وَجْنَةٌ حمراءُ زَيَّنَها الحَيا ومَبْسِمُه يحْكِي الزُّلالَ مع الشُّهْدِ
لقد زارَني أفْدِيهِ من كلِّ حاسدٍ على غَفْلةِ الحُرَّاسِ من غيرِ ما وَعْدِ
وقد سَرَّنِي قُرْبُ التَّواصُلِ والوَفَا كما سَرَّنِي مَدْحِي سليلَ ذَوِي المَجْدِ
هُم السادةُ الغُرُّ الذين تقدَّمُوا وقد أنْجَبُوا فَرْداً وناهِيكَ من فَرْدِ

منها(٢) :

هو الصادقُ المِفْضالُ أوْحَدُ عَصْرِهِ كريمُ خِصالٍ ليس تُحْصَرُ بالعَدِّ
هو الحَبْرُ كَشَّافُ المُلِمَّاتِ كُلِّها وبَيْتُ ذَوِي التَّحْقيقِ واسِطةُ العِقْدِ
هُمامٌ رَقَى أوْجَ المَعالِي بفَضْلِهِ وفاقَ على كلِّ الأفاضلِ بالجِدِّ
له هِمَّةٌ عَلْياءُ في كلِّ مُشْكِلٍ ودَأْبٌ على حِفْظِ المَوَدَّةِ والعَهْدِ
ألا يا وَحيداً في المحامِدِ والعُلا ومَن فُقْتَ في فَنِّ القَريضِ على النِّدِّ
إليكَ لقد أهْدَيْتُ مَدْحِي وإنَّهُ لَجَهْدُ مُقِلٍّ أوْهَنَ الفِكْرَ بالكَدِّ
فسامِحْ وُقِيتَ السُّوءَ عَثْرَةَ وامِقٍ فأنتَ لأحْرَى بالسَّماحةِ عن نَقْدِ
ودُمْ في ثِيابِ العِزِّ تَرْفُلُ دائماً مَدَى الدهرِ ماصاحَ الهَزارُ على الرَّنْدِ

***

وقوله أيضا :

(١) الشرى : مأسدة ناحية الفرات ، بها غياض وآجام . معجم البلدان ٣/٢٦٨ .
(٢) القصيدة متصلة في سلك الدرر .

حُثَّ المَطِىَّ وسِرْ بغيرِ تَهادِى ... وارْبَحْ فؤادَكَ فى الهوى ياحادِى
وانْجُ بنفْسِك من غَزالٍ طَرْفُه ... يَرْمِى نِبالَ الفتْكِ فى الأكْبادِ
قمرٌ بنُورِ جَبِينِه سَلَبَ النُّهَى ... وبلَحْظِه يسطُو على الآسادِ
إن مالَ أزْرَى بالغُصونِ قَوامُه ... وإذا رَنَا خجلتْ ظِباءُ الوادِى
قد زارَنِى مُتوارِياً مِنْ راقبٍ ... لَيْلاً بلا وَعْدٍ ولا مِيعادِ
فطَفِقْتُ أَلْثِمُ ثغرَه وخُدُودَه ... وأضُمُّه خوْفاً من الحُسَّادِ
حتى بدَا ضَوْءُ الصباحِ وجُفِّلتْ ... ورقاءُ قد ناحتْ على الأعْوادِ
نَبَّهْتُه والنومُ مِلْءُ جفونِه ... فبكَى وقام لِخِيفَةِ الأضْدادِ
وغَدا يُوَدِّعنى ويلْفِتُ جِيدَه ... نحْوِى ويُذْرِى الدمعَ خوفَ بِعادِ

***

وله من التَّفْريع(1) قوله(2) :

وما لَحَظاتٌ من عُيونِ جَآذِرٍ ... تُبيحُ دمَ العُشّاقِ بالسِّحْرِ والفَتْكِ
إذا شامَها صبٌّ يقول لصَحْبِه ... خليلَىَّ من فرْطِ الغرَامِ قِفَا نَبْكِ
بأصْعَبَ من يومِ الوَداعِ لأنَّه ... أطال به شوْقِى وقد لَذَّ لى هَتْكِى

---

(١) التفريع : هو من البديع ، وهو إثبات حكم لمتعلق أمر بعد إثباته لمتعلق له آخر ، على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب . انظر معاهد التنصيص ٢/٢٥ .
(٢) الأبيات فى سلك الدرر ١/٢٤٠ .

١١

عمّه :

عبدالحىّ بن على بن محمود

الشهير بالخال*

فارس مَجال ، وربُّ رَوِيَّةٍ وارْتجال .

تُصْرَف إليه أعِنَّةُ التَّأْميل ، ويَميل به حُبُّ القلوبِ كيف يَميل .

لم تزل نَفَحاتُه تتعطَّر ، ورشَحَات أقْلامه تتقطَّر .

فيُرَوِّح النفوس[١] بكلماتِه ، تَرَوُّحَ الرَّوض مَجارِيَ الأنفاس بنَسَماتِه .

وهو يقْتَنِصُ الشَّوارد حيث يُطارِدُها ، ويستخرجُ الدُّرَرَ الفرائدَ حين يُوارِدها .

بطَبْعٍ مُتدفِّقِ المذانب ، وفكرٍ يفُلُّ بحَدِّه المَقانب .[٢]

نَبُهَ في عصرِه بِشرب البَراعة ، وتَنبَّل حتى أحْرَزَ وصفَ الفروسيَّة واليَراعة .

فذِراعُـه حبـلٌ لـكل مَصِيد ، ومهما أحَسَّ بفائدةٍ فله أذنٌ سميـع والْتفاتٌ رَصِيـد[٣] .

فَضَّ عن فَمِ الأمانى خَتْمًا ، ونال تَوَجُّه القلوب إليه بالرَّغْبةِ حَتْمًا .

فما يشقُّ غُبارهفى حَومة مُعادِيه ، [٤] إلَّا قَذًى ثائراً فى عين أعاديه[٤] .

***

(*) عبد الحى بن على بن محمد بن محمود الطالوى الحنفى الدمشقى ، الشهير بالخال ، وبابن الطويل .
أديب بارع ، وشاعر طرق أغراض الشعر المختلفة ؛ وقال على طريقة المواليا والموشح ، وله فى الهجو والمجون شىء كثير .

توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف ، ودفن بمرج الدحداح .

سلك الدرر ٢/٤٤٢٤٤–٢٥٣ ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبى له وبعض شعره .

(١) فى س : « النفس » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٢) المقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .   (٣) الرصيد : الذى يرصد .

(٤) فى ب : « والأقذا . . » وفى سلك الدرر : « سوى قذى أسارير فى أعين أعاديه » ، والمثبت فى : س

وله آثار يدُلّ عليها مع بيانه بَنانُه ، كما قيل يدُلّ على الجواد عِنانُه .
أتيتُك منها بما رَقّ لفظُه ومعناه ، فلهذا تقترحُه النفوسُ وتتمنّاه .
فمنه قوله ، من قصيدة مطلعُها(١) :

أمن قطَرات الطَّلِّ جسمُك أم أصفَى ... فقد كادت الألحاظُ ترشِفُه رَشْفا
هتكتَ الورَى فارْدُدْ لِثامك علَّ ما ... تَبَدَّى من الثغرِ الشَّنِيبِ لنا يَخْفَى(٢)
وكُفَّ سهامَ اللَّحْظِ عن قلبِيَ الذى ... أُذِيبَ هوًى مذ شامَ أجفانَك الوَطْفَا
وعَطفًا على حالى وحقِّك إننى ... عرفتُ الهوى لمَّا تَنَيْتَ لِيَ العِطفَا
جُعلنا فِدَى تلك اللِّحاظِ فكم بها ... رأيْنا فتًى لاقَى الصَّبابةَ والحتْفَا
ويأذا الذى واخَى الرُّقاد جفونَه ... تَهَنَّ فطَرْفى فيك قد حارب الإغْفَا
إلى كم أقاسِى كلَّما شِمْتُ بارقًا ... من الغَوْرِ نيرانًا من الوجد لا تُطْفَا
شكَوْتُ فهل من رحمةٍ لمُتيَّمٍ ... يَعضُّ من الشكوى أناملَه لهْفَا
زجرتُ المَطايا حين مالتْ عن الحِمَى ... سُحَيْرًا ولم تَشْتَمّ من طِيبه عَرْفَا
وقلتُ إلى مَن فى مَسِيرِكِ تَقْصِدِى ... فقالت لِرَبِّ المجدِ والمَوْرِدِ الأصفَى
سليلِ الكرامِ الصِّيد حقًّا ومَن له ... محامدُ لا تُنْسى وإن سُطِّرتْ صُحْفَا
مَليكٍ إذا ما الدهرُ أضْعفَ بُرْهةً ... ووافَى حِماهُ الرَّحْبَ لارْتاحَ واسْتَشْفَى

***

وقوله من أخرى ، مطلعُها :

عَوْدًا كما عاد الطَّبا للجفُونْ ... عسى يرى النومُ طريقَ الجفونْ(٣)

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٤٥ ، ٢٤٦ .
(٢) ثغرشنيب : أبيض الأسنان حسنها .
(٣) بعد هذا البيت فى س :
« ألَمَّ بقول ابن خفاجة الأندلسيّ :
إيابٌ كما آبَ الحُسامُ إلى الجَفْنِ ... وعَوْدٌ كما عاد المنامُ إلى الجَفْنِ »

ما كنتُ أدْرِي قبـل تَوْدِيعهم أنَّ المَطايا مِثلَنا في شُجـونْ

حتى رأيتُ العِيس تَسْرِي بهم من قَبْلِ أن تحْدى حُداةُ الظُّعون(١)

سارُوا وفي ظَنِّي فؤادي معي وسِرُّهم فيه مَكينٌ مَصونْ(٢)

نَخِلْتُهُ قد سار في إثرِهم والسِّرُّ قد أبْداه دمعي الهَتُونْ

في دَعَةِ اللهِ الأُلَى قد غَدَوْا بالشمس والبدرِ السَّنِي يهزءونْ

من كلِّ شَهْمٍ بالوَقارِ اكْتَسَى إلى سَناً تُبْهَرُ منه العيُونْ

***

وله من أخرى، أولها(٣) :

أثِرْها قد أضَرَّ بها المُقامُ قَلوصٌ حَشْوُ أضْلُعِها غَرامُ(٤)

وسَيِّرْها بزَجْرٍ فالتَّهادِي قُصورٌ فيه لم يُدْرَكْ مَرامُ

وجُبْ فيها السَّباسِبَ واقْتَفِيها وجُزْ فيها كما جازَ اليَمامُ(٥)

وجِدَّ السَّيْرَ في طَلَبِ المَعالي فإمَّا ما طلبتَ أو الحِمامُ

وأرْغِمْ أنْفَ من عَذَلُوا ولامُوا ولو أقْذَى مَحاجِرَكَ الرَّغامُ

مُفارقةُ الحُسامِ الجَفْنَ نَفْعٌ ولوْلاها لما ضَرَّ الحُسامُ

فلولا السَّعْيُ مافخرتْ أُناسٌ ولولا الفخرُ لم يُرْوَ أُوامُ

فإن ضاقتْ بك الدنيا وكَلَّتْ قَلُوصُكَ ثم أنْحَلَها الرُّكامُ

فعَرِّجْ نحو جِلَّقَ ثم نادِ عليكم سادةَ الدنيا السَّلامُ

---

(١) المعروف : حدا يحدو . (٢) في ص : « كمين مصون » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

(٣) القصيدة في سلك الدرر ٢/٢٤٦ .

(٤) القلوص من الإبل : الطويلة القوائم الباقية على السير .

(٥) كذا في الأصول : « واقتفيها » للوزن ، وفي سلك الدرر : « واقتضبها » .
والسبسب : المفازة .

خصوصاً من إذا وَفَدتْ عليه ... وُفودُ القاصدين فلا يُضامُوا

وقُلْ نَجْلُ الفلاقنسيِّ أعْنِي ... ترى شَهْماً تكَنَّفه احْتِشامُ[1]

شريفٌ سيد أبداً لَدَيْهِ ... صُفوفُ المجدِ إجْلالًا قِيامُ

يُصَلِّي نحوَه الكرماءُ حتى ... ينالوا الجودَ فهْو لهم إمامُ

فكلٌّ منهمُ نَجْمٌ مُضِيءٌ ... وطلعةُ وجهِه بدرٌ تَمامُ

وكلُّهمُ كشهرِ الصَّوْمِ جُوداً ... وليلةُ قَدْرِه هذا الهُمامُ

***

ألم بقَوْلِ الأعْرابيِّ في الفضل بن يحيى البَرْمَكيّ[2]

يامَن إذا بخل السحابُ بغَيْثِه ... جاءتْ أنامله بأنهرِ بِرِّه

الناسُ عامٌ والكرام بأسْرِهم ... شهرُ الصِّيام وأنت ليلةُ قَدْرِه

***

عَوْداً[3] :

إذا مارُحْتُ أنعتُ راحَتَيْهِ ... فبحرٌ تلك والأخرى غَمامُ

وكلٌّ منهما للناسِ رُكْنٌ ... وكم في الرُّكْنِ للناسِ استلامُ

***

وله من قصيدة أُخرى[4] :

كالغُصْنِ مالتْ في غَلائِلْ ... ومضتْ ولم تَشْفِ الغَلائِلْ

مالتْ كخُوطِ أراكةٍ ... لعبتْ بها أيْدِي الشَّمائِلْ[5]

---

(١) ذكر المرادي نسبة « الفلاقنسي » في ترجمة أحمد بن محمد بن محمود الفلاقنسي المتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ، فقال : « والفلاقنسي : نسبة لفلاقنس ، قرية من نواحي بلدة حمص » سلك الدرر ١/١٦٧ .

وأقرب من ذكره المرادي ممن ينسب هذه النسبة إلى زمن المترجم ، هو عبد المعطي بن محمد بن محمود الفلاقنسي ، وكان ذاجاه وثروة ، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف . انظر سلك الدرر ٣/١٣٥، ١٣٦

(٢) تقدم التعريف بالفضل في الصفحة ٢/٤١٧ .

(٣) من هنا إلى آخر قوله : « للناس استلام » لم يرد في : س .

(٤) القصيدة في سلك الدرر ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ . (٥) الخوط : الغصن الناعم .

نَزَلَتْ بأكنافِ الحِمى لتُظِلَّها تلكَ الخمائِلْ
فتعطَّرَ النادِي ونا دَى أهْلَه أهلًا منازلْ
ورَنَتْ إليَّ بطَرْفِها فرأيتُ شخصَ الموتِ جائلْ
وتكلَّمتْ فتكلَّمتْ أحْشايَ وازْدادتْ بَلابِلْ[(١)]
فعلمتُ أنَّ حديثَها سحرٌ يُقصِّرُ عنه بابِلْ
يا خُلَّةَ النفْسِ التى ما بينَها والقلبِ حائِلْ
هل من مَقامٍ أشتكِى لكِ بعضَ ما قال العَواذِلْ
وأبثُّكِ بعضَ الذى فعلُوا وما تلكَ الفَعائِلْ
بلَغُوا مُناهم عندَما سارتْ بهوْدَجِها الرَّواحِلْ
ورأيتُ صبرِى والغرا مُ مُسافِرٌ عنى ونازِلْ[(٢)]
أين استقلَّت يا ترَى تلكَ المحاسنُ والشمائِلْ

منها فى المديح[(٣)] :

بحرُ العلومِ ومالَه حَدٌّ كما للبحرِ ساحلْ
باهَى بطَلْعتِه الشمو سَ الطَّالعاتِ ولا تُماثِلْ
وسَلِ السُّها عن قَدْرِه فمَحَلُّه تلكَ المنازِلْ

منها[(٤)] :

عبدُ الغَنِيِّ وإن تأخَّـ ـرَ فهْو قُطْبٌ بالدَّلائِلْ[(٥)]

---

(١) تكلمت أحشاى : أصابها الكلم ، وهو الجرح ، وبلابل الصدر : ما يجيش به من هم .
(٢) بعد هذا البيت فى س زيادة :
فرجعتُ أسألُ عنه ها تيكَ المعالمَ والمنازلْ
(٣) القصيدة متصلة فى : س .
(٤) من هنا إلى نهاية القصيدة لم يرد فى : س .
(٥) يعنى عبد الغنى النابلسى ويتردد ذكره كثيرا فى هذا الذيل .

فالرُّسْلُ سيدُهم ختا ... مُ المرسلين وهم أوائِلْ
حَسْبِي بِمَدْحِك سيدِي ... فَخْراً على كلِّ الأماثِلْ
وعلى عُلاكَ رِضَى المُهيـ ... ـمِنِ كلَّما غَنَّتْ بَلابِلْ

***

وله من أخرى ، أولها[1] :

أمُقلَّدِينَ الجِيدَ فى أجْيادِ ... عَطَّلْتُمُ جَفْنِي بسَلْبِ رُقادِي[2]
إنِّى غَدَوْتُ وفيكمُ لى غادةٌ ... قادتْ فؤادى للرَّدَى بقِيادِ
تُثْنِي الصَّبا أعْطافَهَا وأظُنُّه ... مَيْلَ الصَّبا بفؤادِه المَيَّادِ
لم أنْسَ آخِرَ ليلةٍ قالتْ وقد ... وَافَى الفِراقُ لنا وزَمَّ الحادِي[3]
والرَّكْبُ هَمَّ على الرَّحيلِ وأدْمُعِى ... جَزَعاً لِهزّاتِ الرَّحيلِ غَوادِ
وتفطَّرتْ أحْشاىَ من ألَمِ النَّوَى ... ونَظَمْتُ دُرَّ الدمعِ فى الأجْيادِ
ها قد سعِدتَ بوَصْلِ مثلِىَ بُرْهةً ... إن السعادةَ فى وِصالِ سُعادِ
ولقد سألت عن الخلِيِّ ونحن فى ... حُزْنِ الوَداعِ وفَرْحةِ الحُسَّادِ[4]
نُجْلُ العيون هَدَدْنَ حَيْلَك والقُوَى ... فأجَبْتُه والنارُ وَسْطَ فؤادِي[5]
نَعَم العيونُ وليس لى من مَلْجَإٍ ... إلَّا ابنُ صِدِّيقِ النبيِّ الهادِي[6]
صَدْرُ المَوالى رُكْنُ فضاهمُ الذى ... فيه سَمَوْا عِزّاً على الأطْوادِ
رَبُّ السَّجايا النَّيِّراتِ ومَن إذا ... تُلِيَتْ لنا أغْنَتْ عن الإنْشادِ

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٤٧ .
(٢) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا . معجم البلدان ١/١٣٨ .
(٣) زمه : ربطه وشده ، والجمال : خطمها .
(٤) لعل صواب الإنشاد : « ولقد سئلت من الخلى » ليتفق مع المعنى الوارد فى البيت التالى .
(٥) الحيل : القوة ، لغة فى الحول .
(٦) لعله يعنى أسعد بن أحمد الصديق ، الذى تقدم التعريف به فى صفحة ١١٤ .

منها :

مَن رام بِفَخْرٍ عنـــدكم قولُوا له ... أنتَ ابنُ مَن نحن بنو الأمجادِ

مَن جاء ثانِى اثْنَيْن فيـــه فهَل له ... نِدٌّ يُمـــاثلُه من الأنْدادِ

نحن بَنُوه الضَّاربين قِبابنَا ... فوقَ السُّها برفيعِ كلِّ عِمادِ[1]

عُمُدٌ عليهـــا للفَخارِ سُرادِقٌ ... آباؤُنا نَصَبُوه للأولادِ

وإن الْتجا فَزِعٌ إلى أبوابنـــا ... نَزَلَ الصَّياصِى فى ذُرَا الآسادِ[2]

***

وله أيضا[3] :

زار هـــذا الحبيبُ فى إبَّانِهْ ... وأتَى والدَّلالُ أكبرُ شانِهْ

وسَقانِى من الرُّضابِ شَمُولًا ... تَركَتْنِي من صَـدِّه فى أمانِهْ

قَدُّه العـــادلُ الرَّشيقُ علينـــا ... جار فى حُكْمِه وفى سُلطانِهْ

خَدُّه كالشَّقيقِ والخـــالُ فيـــه ... مثلُ قلبِ المُحِبِّ فى نِيرانِهْ[4]

ساقَنِي للغرامِ فيـــه جمـــالٌ ... شاقَنِي العُجْبُ فيـــه مع خيلانِهْ

يا لهَـا من شَمائِلٍ كشَمُولٍ ... سَرَقتْ عقلَ ذِي الحِجَا من مَكانِهْ

***

وقد عارَض بها أبياتَ البُحْتُرِيِّ ، وهى قوله[5] :

لَجَّ هـــذا الحبيبُ فى هِجْرانِهْ ... ومضى والصُّدودُ أكبرُ شانِهْ[6]

والذى صـــيَّر المَلاحةَ فى خَدَّ ... يْهِ وَقْفاً والسحرَ فى أجْفانِهْ

---

(١) فى سلك الدرر : « الضاربون » على الرفع .

(٢) الصياصى : الحصون وكل مايتمنع به . (٣) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٤) لم يرد هذا البيت فى : س .

(٥) ديوان البحترى ٤/٢١٦٩ ، وسلك الدرر ٢/٢٤٨ .

(٦) فى الديوان : « وغدا والصدود » .

لا أطَعْنا الوُشاةَ فيــــه ولو أسْرفَ فى ظُلْمِهِ وفى عُدْوانِهْ(١)
يا خليــلىَّ باكِرَا الرَّاحَ صُبْحًا واسْقِيانِى من صِرْفِ ما تَمْزُجانِهْ
ودعَا اللَّوْمَ فى التَّصابِى فإنِّى لا أرى فى السُّلُوِّ ما تَرَيانِهْ

***

وقول المترجَم(٢) :

باللهِ أُقْسِمُ والفَلَقْ أن المَنِيَّةَ فى الحَدَقْ
لا بالسَّوابغِ يُتَّــــقَى سهمُ اللِّحاظِ ولا الدَّرَقْ(٣)
بل إنمـــا رُسلُ المَنا يا فى الجفونِ لِمَن رَمَقْ(٤)
سودُ العيونِ ونُجْلُهـــا أرْمَيْنَ فى قلبى الحُرَقْ
حُطِمتْ جُيوشُ الصبرِ حتَّى ما بَقِى فيهـــا رَمَقْ

***

وهى على مِنْوال قصيدةِ ابن مَطْرُوح(٥) ، التى أولها قولُه(٦) :

بأَبِى وبِى طَيْفٌ طَرَقْ عَذْبُ اللَّمَى والمُعْتَنَقْ

وقصيدةِ أحمد بن حَمِيد الدين(٧) ، التى مطلعُها قولُه(٨) :

إيَّاكَ من سُودِ الحَدَقْ فهى التى تكْسُو الأرَقْ(٩)
لا يَخْدَعنْك حُسْنُهـــا فالأمْنُ يتْبعُه الفرَقْ(١٠)

***

(١) فى الديوان : « لا أطعت الوشاة » ، وفى سلك الدرر : « وأطعنا الوشاة » .
(٢) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٤٨ .
(٣) السوابغ : الدروع الواسعة ، والدرق : تروس من جلود ليس فيها خشب ولا عقب .
(٤) فى ب : « من رمق » ، وفى س : « منذ رمق » ، والمثبت فى سلك الدرر .
(٥) تقدم التعريف به فى النفحة ٣/٣٣٣ .
(٦) القصيدة فى ديوانه ١٧٨ ، والأول فى النفحة ٣/٣٣٢ ، والبدر الطالع ١/٤٦ ، وسلك الدرر ٢/٢٤٨
(٧) تقدمت ترجمته فى النفحة ٣/٣٣١ .
(٨) القصيدة فى النفحة ٢/٣٣٢ ، ٣٣٣ ، والبيتان المذكوران هنا فى البدر الطالع ١/٤٦ ، وسلك الدرر ٢/٢٤٨ . (٩) فى النفحة ، والبدر ، وسلك الدرر : « تكسو القلق » .
(١٠) فى ب ، والنفحة : « يتبعه الغرق » ، والمثبت فى : س ، والبدر الطالع ، وسلك الدرر .

وللمترجَم قوله(١) :

إنِّى لأصبِر فى المُلِمّـ ـاتِ الثِّقالِ ولا أبالى
وأنازِلُ البطلَ الكَمِى وأصُدُّه عنـــد النِّزالِ
وأُقارِعُ الليثَ الغَضَنْـ فَرَ فى ميادينِ المَجالِ
لـكنْ إذا مال الظِّبـــا بقُدودِهم تلك العَوالى
ورأيتُ ما بيْن الحوا جبِ والخُدُودِ من الفِعالِ
حُلَّتْ عُقودُ عَزائمى وعجزتُ عن رَدِّ السؤالِ

***

وقوله أيضا ، على هذا الأسلوب البديع(٢) :

إنِّى لأقتحِمُ الغِيـــا ضَ على الأسود بلا تحاشِ
وأجولُ ما بين القَنـــا والليلُ مُسْوَدُّ الحواشى
وإذا رأيتُ لَواحِظَ الْـ غِزْلان عن سِحْرٍ نَواشِ
أرتاعُ من طيرِ الفَراشِ وأنبَرى مُلْقَى الفِراشِ

***

وهى على أسلوب قول البُرْقُعِىّ(٣) :

إنِّى أخافُ من العيو نِ النُّجْلِ والحَدَقِ المِراضِ
وأزُورُ لَيْثَ الغابِ بالْـ هِنْدىِّ فى وَسَطِ الغِياضِ
وإذا رأيتُ مُوَرَّدَ الْـ وَجَناتِ جُمِّشَ بالعِضاضِ
أيقنْتُ أن منيَّـــــتِى بين التَّوَرُّدِ والبَياضِ

***

وله أيضا على وَزْن قصيدة المؤلِّف ، التى أوّلها قوله(٤) :

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٤٨ . (٢) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٤٨ .

(٣) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ولم أهتد إلى البرقعى هذا .

(٤) قصيدة المحبى فى النفحة ١/٥١٧ـ٥٢٠ وانظر حاشيتها ، وهذا البيت فى سلك الدرر ٢/٢٤٩ ، وهو مع أبيات أخر فى الخطط التوفيقية ٣/١٢٥ .

يا حَبَّذَا خُضْرُ الحَما ئِلِ فى الرِّياضِ الأزْبكيَّهْ[١]

[٢]وهى قوله[٢] :

نفسِى أراها مُشْتهيَـــــهْ تَقْبيـــلَ وَجْنتِك الطَّرِيَّهْ

فاسْمحْ بهـــا فى تلك أو من هذه الشَّفَةِ الشَّهيَّـــهْ

أنا بين خَدِّك ثُمَّ ثَغْ رِك رُحْتُ نَهْبَ المَشْرَفيَّهْ

وتقاسمتْ جسمى ظُبَـــا تِلك الظِّباء الجـــاسِميَّهْ[٣]

مِن كلِّ عَضْبٍ قاطـــعٍ ضِمْنَ الجُفُونِ الكَسْرَوِيَّهْ

ما لى على صَيْدِ المَهـــا قلبٌ ولا لى فيـــه نِيَّهْ

وَيْلاهُ من حَدَقِ الجآ ذِرِ إنَّهـــا رسلُ المَنِيَّهْ

وأوَدُّها تَرْمِى فلا يَغْـدُو سوى قلبى رَمِيَّهْ

كَلِفٌ بهـــا ومَحَبَّتِى لا بالتَّكلُّفِ بل سَجِيَّهْ

كم طالَعتْ خيلُ المَنُو نِ من الجفون لنا سَرِيَّهْ[٤]

يا لَلعجـــائب إنَّنى أَسْطُو على الأُسْدِ القَوِيَّهْ

وتصيــدُنى الطُّرَرُ التى هى لا مِرا شَرَكُ الرَّزِيَّهْ[٥]

***

وقوله[٦] :

تُرَى مَن لِصَبٍّ لا تجِفُّ غُرُوبُهُ على رَشْفِ مَعْسُولٍ تَرِفُّ غُرُوبُهُ[٧]

---

(١) فى الأصول ، وسلك الدرر : « فى الرياض السندسية » ، وفى س : « فى الرياض اليزبكية » ، والمثبت فى النفحة ، وهى قصيدة فى وصف بركة الأزبكية . انظر النفحة ١/٥١٦ .

(٢) ساقط من : ب ، وسقط من س : « قوله » ، وهو فى سلك الدرر ، والقصيدة فيه ٢/٢٤٩ .

(٣) الجاسمية : نسبة إلى جاسم ، وهى قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية . معجم البلدان ٢/٨ .

(٤) فى سلك الدرر : « لها سريه » .

(٥) فى س : « وتصدنى الطرر » والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٦) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٤٩ .

(٧) غروب الأولى : جمع غرب ، وهو عرق فى العين يسقى لاينقطع ، والثانية : جمع غرب أيضا ، وهو كثرة الريق .

أَلِيفُ سقامٍ قد تناءتْ ديارُهُ حَلِيفُ غرامٍ قد جفاهُ طبيبُهُ

وقد لَعِبتْ فيه يدُ البَيْنِ والنَّوَى وسُدَّتْ عليه طُرْقُهُ ودُرُوبُهُ

إذا ما غَدَتْ عنه من البَيْنِ رِعْدَةٌ أتتْ رِعْدَةٌ تُضْنِي وأُخرى تُرِيبُهُ(١)

خُذِي يا صَبا عَنِّي رسالةَ مغرمٍ يُحَيِّي بها صِنْوُ الرَّشا وقَرِيبُهُ

وقُولِى سلامٌ عن غريبٍ تركْتهُ وقد أعجزَ الأحياءَ منه نَحِيبُهُ

فهل لبَدِيدِ الشَّمْلِ جَمْعٌ وهل تُرَى قتيلَ النَّوَى والبُعْدِ يَدْنُو حبيبُهُ

فآهِ وآهٍ كم يُنادِي بحُرْقةٍ فُؤادِي فلم يَلْقَ له من يُجِيبُهُ

***

وله مضمنا :

عسى نَفَسًا نعمْ والدارُ دارُ أَهَلْ نُجْدِى إذا رحلُوا وسارُوا

ولكنْ بعد ما انتجعُوا وشَطُّوا قِلاصًا لا يَقَرُّ لها قرارُ(٢)

وجابتْ عِيسُهم بِيدًا وولَّوْا كما وَلَّى اليَمَامُ المُسْتطارُ

أأرْجُو من عسى فرجًا وجَفْنِي تضمَّنَه انفِراجٌ وانفجارُ

وكلُّ تِلاعةٍ من ماءِ عَيْني غَدَتْ رَوْضًا تكنَّفَهُ اخضرارُ(٣)

وكلُّ حُشاشةٍ سُقِيَتْ بدمعٍ له نَوْحٌ وللنَّوْحِ ادِّكارُ

أثارَ كان عندى مُذْ أثارُوا غرامًا ليس يَصْحَبُهُ اصطبارُ

---

(١) بعد هذا فى س زيادة :

أَقُولُ لِنِضْوِى حِينَ مِلْتُ مِنَ السُّرَى وقَدْ كَدَّهَا رَمْلُ النَّقَا وَكَثِيبُهُ

وَحَنَّتْ سُحَيْرًا لِلإيَابِ وَزَوَّدَتْ فُؤَادِى غَرَامًا يُسْتَلَذُّ وَصِيبُهُ

قِرِى لَا تُثِيرِى بِالْحَنِينِ تَوَجُّعِى فَفِى القَلْبِ مَا يَكْفِيهِ مِمَّا يُذِيبُهُ

(٢) القلوص : الطويلة القوائم من الإبل الباقية على السير ، وشطوا : أبعدوا .

(٣) التلاعة : ما ارتفع من الأرض ، وهو يبنى التلعة ، وهى أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ، ثم يدفع منها إلى تلعة أسفل منها ، شبه تردد دمعه فى مآقيه ، ثم اندفاعه ، بها .

فلى كَبِدٌ مُحرَّقةٌ وعَيْنٌ مُؤَرَّقةٌ وأدْمُعُها غِزارُ
ولى قلبٌ عصانِى مَن يُعِزنِى به قلبًا وهل قلبٌ يُعارُ

***

ومن تَحائف غُرَرِه ، وزَواهِرِ فِقَرِه ، مُراسلاتٌ أنيقه ، منها[١] :

مُذْ غُرِستْ أغصانُ ألِفاتِ الحمدِ فى رياض الطُّروس ، وأفاض عليها تَيّارُ البلاغة من قاموس الشكر ما لم يَحْوِه القاموس .

وأمْطَرتْها سحائبُ الفصاحة ببدائع دُرَرٍ ليست فى البحر العُباب ، وأحاطتْ بها أبْنِيةُ الأثْنِيةِ من كلِّ جانب وسَرَتْ إليها صَبا القَبُول من كلِّ باب .

وفاحتْ روائحُ نَوْرِ[٢] تلك الطُّروس ، وتمايلَتْ أغصانُ ألِفاتِها كالعرائِس فنادَى لسانُ القلم : لا عِطْرَ بعد عَرُوس[٣] .

فكانتْ ثمراتُها أدْعيةً لا يقوم بوَصْفِها لسان ، ولا يحصُرها طِرْسٌ ولا بَنان .

ودون سَنا أنْوارِها إشْراقُ النَّيِّرَيْن ، ومَقامُها سامٍ على الفَرْقَدَيْن .

مَحْفوفة بأنواعِ التحيّاتِ[٤] والتّكريم ، ناشرةً لِمَا انْطوَى من الفضل الحادث والقديم .

واصِلةً إلى بحر العلم الذى لا يُدْرَكُ غَوْرُه ، وطَوْدِ الفضل السامى الذى لا يُقْتضَب طَيْرُه .

يَنْبُوع عينِ كلِّ فضل وبيان ، ونَبْعةُ المجد اليانعة الأغْصان ، وإنسانُ كلِّ عينٍ وعينُ كلِّ إنسان .

نُور العين المُشرِقة من الأفلاكِ العُلْوِيّةِ ، وضياء الشمس البازغة من سماء الأرْحام الهاشميّة .

***

---

(١) هذه المكاتبة فى سلك الدرر ٢ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) فى س : « نوار » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٣) هذا مثل يضرب فى الشىء لا يفيد بعد فوات أوانه .

(٤) فى س : « التحية » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

وكتب له السيد أسعد العُبادِيّ (١) ، منهنئًا له بالعافية من مرضٍ نزل به (٢) :

سيِّدى الخال ، ووَرْدَة الكمال .

الذى أوْرَق به غصنُ آمالى ، وانْتظم به بَدِيدُ أحْوالى .

قد سُرَّتْ لصُحْبتِك الخواطر ، وقَرَّت النَّواظِر .

وابْتسم الزمان بعد القُطوب ، وارْتاحت القلوب .

فقد يَصْدأ الحُسام ، ويُحْجَب البدرُ بالغَمام .

فالحمدُ لله الذى عمَّنا بالمِنَن ، و ﴿ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ (٣) ﴾ .

لِذَهاب ما كنتَ تشتكيه ، وتَحَقُّقِ ما كنتُ من الصِّحَّة لك أرْتجِيه .

والسلام ، على الدَّوام .

ولا بَرِحْتَ المدَى فى ثوب عافيةٍ مُطَرَّزٍ بطِراز الأمنِ والنِّعَمِ (٤)

ما اشْتقْتُ صُبْحَ مُحيَّاكَ البَهِىّ وما صَحَّتْ لصحَّتك الدنيا من السَّقَمِ

فأجابه بقوله (٥) :

سيدى أسعد ، لا زِلْتَ بالتفْضيل مُقدَّمًا على كلِّ فاضل ومُسْعَد .

قد وردتْ علىَّ الدُّرَرُ المَنثورة واللَّآلئُ المَنْظومة ، فقلتُ لمَّا غدَتْ لَدَىَّ مَنْشورة :

ما طاب جَنَى الفَرْعِ إلَّا من طِيبِ الأُرُومة (٦) .

أهذه عيونُ الحدائق أم أحْداقُ العُيون ، أم مَنْشَقُ ثَغرٍ رائقٍ من غير رَقِيب ولا عُيون .

فاغْتنمتُ الفُرْصة إذ لا عَين ، وقبَّلْتُ وَجَناتِ تلك المَعانى التى هى أنورُ من العَيْن (٧) .

---

(١) تقدم التعريف به صفحة ٤١ . (٢) الفصل فى سلك الدرر ٢ / ٢٥٠ ، ولم يرد فى : س .
(٣) سورة فاطر ٣٤ . (٤) فى سلك الدرر : « مطرزا بطراز » .
(٥) الجواب فى سلك الدرر ٢ / ٢٥٠ ، ولم يرد فى : س (٦) الأرومة : الأصل .
(٧) العين هنا : الشمس أو شعاعها .

وتنشّقْتُ من عرائسِ قَوافِيها رَوائحك التى هى ناشئةٌ عن طَيِّبِ الغُروس ، وقلتُ: لا أثَرَ بعد عَيْنٍ ولا عِطْرَ بعد عَرُوس .

فهذا هو الفُتوح الذى يقصُر عنه الفَتْحُ والفَتْح [١] ، وهذا هو الزَّنْدُ الوَرِىُّ من غير قَدْحٍ ولا قَدْحٍ [٢] .

فلا فُضَّ هذا الثّغْر الرائِق الشَّنِيب ، ومُسْتَودَع اللسان الرَّطِيب ، فأين منه لسانُ الدين ابنُ الخطيب [٣] ، والسلام .

ودُمْتَ فى الدهر محفوظًا من الألَمِ ... فى ثَوْبِ عِزٍّ وَشاهُ الأَمْنُ بالنِّعَمِ

مادُمْتَ ذِكْرِى وجارِى ثم ما نُشِدَتْ ... أمِن تَذَكُّرِ جِيرانٍ بذى سَلَمِ [٤]

***

وقد كتب له المُصنِّف ، رحمه الله تعالى ، قولَه [٥] :

سيِّدى الخال ، حسَّن الله بحُسْن نَظَرِه الحال .

لأتمتّع باجْتلائه بعد حين ، وأشتَمّ من حَواليْه وُروداً ورَياحين .

قد تكلّفت الفكرةُ هذه الأبيات ، التى خصصتُها بالإثبات .

فى ظَنِّى أنها حسَنةٌ ترُوق وتَشُوق ، وتُغْنِى عاشقا مُولَعا عن النظر فى وَجْهِ مَعْشوق .

وأتحقّق منها أنها فَيْض ورَد على الخاطِر ، أو خيال تَصوَّر من تذكُّر شخصِك الحاضِر .

---

(١) لعله يعنى بـ « الفتح والفتح » الفتح بن خاقان بن أحمد ، وتقدم التعريف به فى النفحة ١/٤٨ ، أو الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ؛ صاحب « القلائد » المتوفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، أو لعله أراد أحدهما ، وأراد بالفتح الثانية الاسم من مادة : فتح يفتح .

(٢) القدح ، الأولى : قدح الزند لاستخراج النارمنه ، والثانيه : العيب والتنقص .

(٣) تقدم التعريف بلسان الدين بن الخطيب فى النفحة ٢/٤٧ .

(٤) استعمل « نشدت » مكان « أنشدت » ، وضمن صدر بردة المديح للبوصيرى .

(٥) هذا الفصل فى سلك الدرر ٢/٢٥٠ ، ٢٥١ .

وهى :

ما الخَالُ إلّا حبَّةُ القلبِ … تدعو بَواعِثنا إلى الحُبِّ (١)
أو قطعةٌ من مِسْكِ نافجةٍ … فاحَتْ روائحُها على الصَّحْبِ (٢)
أو نُقْطةُ الألِفِ التى حُسِبتْ … عَشْرًا من الحسَنات فى الحُبِّ
أو أنّه إنسانُ ناظِرِنا … فيــه دَقيقةُ حكمةِ الرَّبِّ
وإذا نظرتَ فكلُّ ذى نَظَرٍ … بالخالِ يَجْلُو ظُلْمَةَ الكَرْبِ

***

وللمترجَم (٣) :

قد طال فيك تَسَتُّرِى وتَمَوُّهِى … وأذيــع ما أخْفيتُه بتَأَوُّهِى
وزجَرتُ قلــبى عنك قلتُ لعلّه … أن ينْتهى فأجابنى لا أنْتهى
يا جُؤْذُرًا حجَبوه عنِّى إن يكنْ … برِضاك إنّى أشْتهِى ما تشْتهِى
عَذِّبْ وجُرْ فعسى يطُول حسابُنا … فى الحشْرِ كى أحْظَى بمَنْظرِك البَهِى

***

والأصلُ فيه قولُ ابن رَواحة (٤) :

يا ماطِلاً لا يُرَى غَليـــلِى … لَدَيْه وِرْدًا سِوَى سَرابِ
تعــلَّمَ الطَّيْفُ منك هَجْرِى … فلا أراه بلا اجْتنابِ
كم كتَبَ الدمعُ فوق خَدِّى … إليك دَعْوَى بلا جَوابِ

---

(١) فى ب : « تدعو بواعثها على الحب » ، والمثبت فى : س ، وسلك الدرر .

(٢) النافجة : وعاء المسك .

(٣) من هنا إلى آخر قوله « بنفسج والقوام اللدن منه رق » الآتى صفحة ١٥٧ لم يرد فى : س .

(٤) فى ب : « روحه » ، والمثبت فى : س . ولم أجد هـذا الشعر لعبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى الصحابى المستشهد فى غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة ، وانظر ترجمته : الإصابه ترجمة ٤٦٦٧ ، تهذيب التهذيب ٥/٢١٢ ، خزانة الأدب ١/٣٦٢ ، طبقات ابن سعد ٣/٧٩ القسم الثانى ، طبقات فحول الشعراء ١٧٩ ، ١٨٦ ، المحبر ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ .

وقد ذكر الذهبى فى العبرة ٩٢/ ، ١٨٩ هبة الله بن محمد ، ابن رواحة ، وعبد الله بن الحسين ، ابن رواحة ، ولم يذكرهما بشعر .

أغلقتَ بابَ الوصالِ عـــنِّى   فسُدَّ للصبرِ كلُّ بابِ
إن كان يحلُو لدَيْكَ ظُلمِى   فزِدْ من الهجْرِ فى عذابِى
عسى يُطِيل الوُقوفَ بيـــنى   وبيْنَك اللهُ فى الحسابِ

***

وحديقة الأدب، ولسان العرب، البارع المعانى، (١) سعيد بن محمد (١) السعسعانى، مُضمِّناً:

عَزَّ المُواسِى فى الهوى والمُسْعِفُ   ما إن تحنُّوا يا ظَلُوم وتَعْطِفُ (٢)
ولَطالَما أكْنَنْتُ فيك سَرائِرِى   فأذاعَها منِّى الغرامُ المُسْرِفُ (٣)
يا واحـــدًا بهر الأنامَ بحُسْنِه   وغدا لأبْصارِ الورى يستوقِفُ
عذِّبْ بهجْرِك ما استطعْتَ فنى غدٍ   بيني وبينك يا ظلومُ الموْقِفُ

***

والمترجَم (٤) :

إذا المرء لم يغضَبْ إذا خان خِلُّه   مواثيقه اللاتى بها اتَّصلَ الحبْلُ
وعاد إليــه بعـــدَ ما رامَ بُعْدَه   وقال مقالًا فيـــه ليس له أصْلُ
فذاكَ وأيْمُ اللهِ لا شكَّ أنه   دَنِى بلا أصْلٍ وليس له عقْلُ (٥)

***

(٦) وقوله مُضمِّنًا (٦) :

ولقد وقفتُ على الطُّلولِ وأدْمُعِى   تجرى على خدِّى كلَوْنِ العَنْدَمِ
وطَفِقْتُ أسألُ رَبْعَهم وديارَهم   شوقًا إليهم باليديْن وبالفَمِ

---

(١) فى الأصول : « محمد سعيد » ، وتقدم تصويبه فى صفحة ٦١ .
(٢) كذا فى الأصول : « ما إن تحنوا » . (٣) فى س : « الغرام المرجف » ، والمثبت فى : ب .
(٤) الأبيات فى سالك الدرر ٢/٢٥١ .
(٥) فى الأصول : « لاشك أصله : وإنى بلا أصل » ، والمثبت فى سالك الدرر .
(٦) فى ب : « والمترجم » ، والمثبت فى : س .

فأجابنى رَسْمُ الديارِ وقال لى   حُيِّيتَ من بَاكٍ بغــيرِ توَهُّمِ
لو عايَنَتْ عَيْناكَ أجْيــاداً لمن   بَانُوا لَما سالتْ دماً بِتَخَيُّمِ
ولَجَفَّ هــذا الدَّمْعُ منك لأنه   من عادةِ الـكافورِ إمْساكُ الدَّمِ [1]

***

وقوله [2] :

حَلَبْتُ الدهرَ أشْطُرَه وإنِّى   لِمَكروهاته أبداً أُقاسِى
وعارَكْتُ الزمانَ وعارَكتْنى   نَوائِبُه إلى أن شاب رَاسِى
فلم أرَ لى على همِّى مُعِيناً   وإفْلاسِى سوى كِيسِى وكاسِى

***

ومن مُقَطَّعاته [2] :

إنَّ المَنايا لتأْتِى وهْى صاغِرةٌ   لِلَحْظِك الفاتنِ الفتَّاكِ بالْبطَلِ
كى تستفيدَ فُنونَ الموتِ قائلةً   بيِّنْ لنا كيف عِلْمُ القتْلِ بالمُقَلِ

***

وقوله [3] :

قد قلتُ لمَّا صِرْتُ من شَعْرِه   والرِّدْفِ فى حالٍ كحالِ المريضْ [4]
مَن مُنْصِفِى إنِّى رَمانِى الهوَى   والعِشْقُ فى أمرٍ طويلٍ عريضْ

***

(١) ضمن عجز بيت ابن رشيق القيروانى ، وصدره :

* فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتِى فِى نَحْرِهَا *

ديوانه ١٩٧ ، وانظر ريحانة الألبا ١/ ٢٥٤ ، وروايتها : « فطفقت أمسح مقلتى فى جيده » .

(٢) الأبيات فى سلك الدرر ٢/ ٢٥١ .

(٣) البيتان فى سلك الدرر ٢/ ٢٥١ .   (٤) فى الأصول : « من حال » ، والمثبت فى سلك الدرر .

وقوله :

أقول له اعترانى منك سُقْمٌ وأوجاعٌ وداءاتٌ عِظامُ
فيُعرِضُ قائلًا لا تشْكُ منّى سَقاما حيثُ لم تبْلَ العظامُ

***

وقوله :

بأبى وبى ترفُ الأديمِ يَشِفُّ عن ماء الحياةِ بَضاضةً فى جسمِهِ
فى كلِّ عُضوٍ منه تُبْصِرُ كُلَّ ما أضمرْتَ قبْلَ وقوعِه فى وَهْمِهِ

***

وقوله :

وكنتُ أقول إنى حين يبدُو لخدِّك عارضٌ يسْلُو فؤادِى[1]
فلما أنْ بدَا زادتْ شُجونى كأنى فى هواكَ على المبادِى[2]

***

وقوله فى طول النهار فى الصوم[3] :

أرى الأيامَ فى الإفطارِ تمضِى كلمْعِ البرْقِ أو سقْطِ الدّرارِى
وفى شهرِ الصيامِ يطولُ حتى كأنَّ الليلَ ضُمَّ إلى النهارِ

***

وقوله فيه أيضا :

كأنَّ الليلَ فى الإفطارِ طِرْفٌ يدُور على الرّحَى صُلْبُ الأيادِى
ويَمْشِى فى الصِّيامِ على الهُوَيْنَى كأنَّ أمامَه شوْكَ القتادِ[4]

***

(١) فى ب : « حين يبدى » ، والمثبت فى : ص .

(٢) فى ص : « فلما أن بدت . . فى هواه . . » ، والمثبت فى : ب .

(٣) سيرد هذان البيتان مرة ثانية فى ترجمة السيد مصطفى الصمادى الآتية برقم ١٣ .

(٤) القتاد : شجر له شوك صلب.

وقوله فى أهل قرية التَّوانِى ، وفيه تمامُ التَّوْرِيَة (١) :

نَزَلْنـــا فى التَّوانِى مَعْ سُراةٍ رَقَوْا طَرفَ المَعـــالِى فى أمانِ
تَوانَى أهْلُهـــا عَنَّا وأغْضَوْا فلا عاشتْ لِحَى أهلِ التَّوانِى (٢)

***

وللشِّهاب (٣) :

مَن يَتَّبِـــعْ رَأْىَ الأمانِى لم يَنْجُ من مَطْـــلِ التَّوانِى

***

وقول المترجَم ، مُعَمِّيًا فى أسد (٤) :

أفْدِى الذى قال صِفْنِى قلتُ يا أمَلِى خُذْ ما أقولُ فإنَّ الوَصْفَ طَوْعُ يدِى
فالْقَدُّ غُصْنٌ ووَاوُ الصُّدْغِ رَاقِيَةٌ ورِيقُكَ الخمرُ والدَّلُّ الرَّخِيمُ نَدِ

***

ومنه فى حيدر (٥) :

رُوَيْدَكَ يارشيقَ القَدِّ يامن بمَعْسُولِ القَوامِ لنـــا يُهَدِّدْ
فقَدُّكَ حطَّ غُصْنَ الْبانِ حتى بأعْلاهُ الجمالُ غـــدا يُعَدِّدْ

***

ومنه فى على (٥) :

بَذَلْتُ له مالِى فقـــال وقد نَضا من اللَّحْظِ سَيْفًا مال فيه إلى الفَتْكِ
هَبِ الرُّوحَ واتْرُكْها فإن جميعَ ما مَلَكْتَ من المالِ الحوبلُ على مِلْكِى (٦)

***

(١) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٥٢ .

(٢) فى الأصول : « توانوا أهلها » والمثبت فى سلك الدرر .

(٣) بيت الشهاب فى ترجمته فى النفحة ٤/٢٧٤ . (٤) فى سلك الدرر ٢/٢٥٢ .

(٥) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٥٢ .

(٦) فى الأصول : « الحويل على ملكى » ، وإعجام الحاء غير واضح فى سلك الدرر ، ولعل الصواب ما أثبته .

والحوبل : الشاهد ، والكفيل . انظر اللسان (ح و ل) ١١/١٩٤ .

ومنه فيه أيضا :

قال العواذلُ مَن تهواه صِفهُ لنـا ... فقلتُ غُصنٌ ومن ماء النعيم سُقِى
والخمرُ رِيقةُ مَن أهوَى وعارِضُـه ... بنفسجٌ والقوامُ اللَّدْنُ منـه رُقى

**

وقوله فى مسلم :

بجدِّك هَبْ لى قُبلتـين فإننى ... تفرَّستُ فيك الخيرَ إذْ فيهما وَسْمُ
همـا غايةُ المقصـود فانعمْ ولم تزلْ ... بأخصبِ عيشٍ من مَراقِى العُلا تَسْمُو

***

وقوله فى قمر :

مِن بَنِى الفُرْسِ شـادِنٌ قد تثنَّى ... فضحَ الغُصْنَ بالقَوامِ الرَّشيقِ
مُفْرَدُ الحُسْنِ قـد ترقَّى بثغرٍ ... فيـه نُقْلِى وسَكْرتِى ورَحيقِى

***

وقوله مُداعباً رجلا كثيرَ الهوجِ ، يُدْعَى بَفشْفَش[1] :

وما فَشْفَشٌ إلا أكُولٌ وإنه ... يفوقُ ابن حَرْبٍ فى الشَّراهةِ والمَعْدِ[2]
يطُوف بأكنافِ البيُوتِ لعـلَّه ... يرى رجلا غِرًّا يقول له عـدٌ

***

وقوله فيه أيضا[3] :

رأيتُ الفتى الوَزَّانَ يسعى لغَدْوَةٍ ... ولو سُدَّتِ الدنيا من البردِ والثلْجِ
إذا قيل فى أرضِ الحجازِ وَليمـةٌ ... يقول لنـا حتْماً نويتُ على الحجِّ

(١) البيتان فى سلك الدرر ٢٥٢/٢ ، وفيه أن هذا الرجل كان أكولا .
(٢) معد الشيء معدا : اختطفه وذهب به ، ومعد اللحم : انتهسه .
(٣) البيتان فى سلك الدرر ٢٥٢/٢ .

١٢

السيد يوسف بن السيد حسين الحسيني*

نَبيهٌ فاق من مَهْدِهِ ، وأعْهَدُه يتزايَدُ نُبْلا وأنا الآن على عَهْدِه .

فحُبِّي جميعُه على حُسْنِ أدبه مَقْصور ، ولقلبي[1] منه شغلٌ شاغلٌ عن قاصِرات الحور .

وهو أخٌ جُمِعت فيه المروءة والنَّخْوة ، وأراه أحسنَ من آخَيْتُ ولا بِدْعَ فيوسف أحسنُ الإخوة .

وقد مضتْ لى معه أوقاتٌ وُقِيَتْ كلَّ صَرْف ، وكأنها خَطْوة طَيْف أو لَمْحة طَرْف .

***

وقد أتحفنى من بَنَاتِ فكرِه ، بذخائرَ توجب فى الطُّروس تخليد ذكره .

أتيتُك منها بما يُقْضَى له بلطيفِ البداهة ، ويُحْكَم له بالبراعة المُتمكِّنة من مَفاصلِ النَّباهة .

(*) السيد جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسين الحسيني الحنفي الدمشقي .

نزيل حلب ، وكان فقيها والنقيب بها .

ولد بدمشق سنة ثلاث وسبعين وألف ، ونشأ بها وقرأ على جماعة من أفاضلها ، كالشهاب أحمد بن محمد الصفدي ، وإبراهيم بن منصور الفتال ، وعبد الغني النابلسي .

وارتحل إلى الروم وإلى حلب مرات ، وأخذ بها عن موسى الرام حمداني ، وغيره .

ودرس بالحجازية والأسدية بحلب ، وألف « ثبتا » حافلا جامعا لشيوخه وإجازاته .

توفى بحلب ، سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف .

إعلام النبلاء ٦/٥١٤ ـ ٥١٩ ، سلك الدرر ٤/٢٦١ ـ ٢٦٤ ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبي له وبعض ما أورده من شعره ، وعنه نقل الطباخ فى إعلام النبلاء . ولم ترد هذه الترجمة كلها فى : س .

(١) فى سلك الدرر : « وبقلبي » .

فمن ذلك قوله من قصيدة ، مستهلا بها[1] :

أقضيبُ بانٍ حرّكته شَمولُ ... أم قَدُّك المشوقُ راح يميلُ[2]

وشقيقُ رَوْضٍ قد علاه سَوْسَنٌ ... أم خَدُّك المتورِّدُ المصقولُ

ودُخانُ نَدٍّ قد أحاط بوَجْنةٍ ... أم ذاك مِسْكٌ فى الخدودِ يسيلُ

وشَبا سُيوفٍ أم عيونُ جآذرٍ ... رَمَقتْ تُحاولُ فتْكنا وتصُولُ[3]

وسَقيطُ طَلٍّ أم لآلٍ نُظِمتْ ... فتخاله عَرَقَ الجبينِ يجُولُ

وعقاربٌ بزُبانِها تُومِى لنا ... أم ذاك خالُ الخدِّ أم تخْييلُ

وظلامُ ليلٍ ما نرَى أم طَرْفُه ... هل لى إلى إدْراكِ ذاك سبيلُ[4]

قد خِلْتُ مُذْ ليلُ الغدائرِ قد بدَا ... أنْ ليس للصبح المُنيرِ وُصولُ

لكنْ بِلالُ الخال أشْعَر أنّه ... ضوْءُ الجبينِ على الصباح دَليلُ

فانْهَضْ إلى حَثِّ الكُؤوسِ أخا الهوى ... فى رَوْضِ أُنْسٍ والنَّسيمُ عَليلُ[5]

وافْتَضَّ بِكْرَ مُدامةٍ واسْتَجْلِها ... فلها إذا افْتُضَّتْ دَمٌ مَطْلُولُ

كمُذابِ ياقوتٍ بجامدِ فِضّةٍ ... فى لَحْظِ ساقِيها الصَّبِيحِ ذُبُولُ

حَمْرا إذا ما قام مُتْرِعُ كأسِها ... غَنِجُ اللَّواحِظِ طَرْفُه مكْحولُ

خِلْتَ المُدامَ ووَجْهَه لَمّا بدَا ... شمْساً وبَدْراً ما علاه أُفُولُ[6]

وظَنَنْتَ كأسَ الرّاحِ فى يدِه غدَا ... كهلالِ يوم الشَّكِّ وهْو ضئيلُ

لم أدْرِ هل خُضِبَتْ بأحمرِ خَدِّهِ ... أم خَدُّه من كأسِها مَطْلولُ

---

(١) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٥١٧ ، ٥١٨ ، سلك الدرر ٤/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) فى إعلام النبلاء وسلك الدرر : « أم قدك المعشوق » .

(٣) الشبا من السيف : قدر ما يقطع منه .

(٤) فى الإعلام والسلك : « ما ترى » .

(٥) فى الإعلام والسلك : « حثوا الكؤوس » .

(٦) فى الأصول : « ووجهها لما بدا » ، والمثبت فى : الإعلام والسلك .

فاشْرَبْها بِصِرْفًا فذلك شُرْبُهُ ... رَشْفٌ وهذا شُرْبُهُ التَّقْبيلُ

واغْنَمْ فَدَتْكَ الرُّوحُ أيامَ الصِّبا ... واللَّهْوِ إنَّ زمانَهُنَّ قليلُ

وتَلافَ أيامَ الربيعِ ووَرْدِهِ ... فعليْهِ من دُرِّ النَّدَى إكْليلُ

فالرَّوْضُ مِعْطارُ الأزاهِرِ يانعٌ ... والغُصْنُ من خَفْقِ النَّسِيمِ يميلُ[1]

والماء تحسبه لُجَيْنًا سائلًا ... ولِرَجْعِ أصواتِ الحمامِ هَديلُ

والطيرُ غَنَّى والجداولُ صَفَّقَتْ ... والغُصْنُ يرقُص والهَزارُ يقولُ[2]

* * *

قوله : « لم أدْرِ هل خُضِبتْ » إلخ . هو من قول الشَّريفِ الرَّضِي[3] :

لم أدْرِ حين بَدَا وبَهْجَةُ خَدِّهِ ... تَدْمَى على لَوْنِ الُمدامِ وخَدِّهِ[4]

هل خدُّه مُتجسِّمٌ من كأسِه ... أم كأسُه مَعْصورةٌ من خدِّهِ

ومثلُه قَوْلُ سيف الدَّولة :

وكأنَّ مافي كأسِه من خَدِّهِ ... وكأنَّ مافي خَدِّهِ من كأسِهِ

* * *

ومن دُرَرِه[5] التى حَلَّى بها جِيدَ الآداب ، وبعثها بِكْرًا لِذَوِى الألباب .
قصيدتُه المَقْصورة ، التى عليها البلاغةُ مشهورة .

---

(١) سقط عجز هذا والبيت الذى يليه كله وصدر البيت الثالث ، وتألف من صدر الأول وعجز الثالث بيت فى : الإعلام والسلك .

(٢) بعد هذا فى الإعلام والسلك زيادة :

والدُّفُّ يَعْزِفُ والنَّسِيمُ مُشَبِّبٌ ... والعُودُ يَشْدُو والسَّحابُ مَطُولُ

(٣) لم أجد هذين البيتين له فى ديوانه المطبوع .

(٤) فى ص : « على لون المدام وجده » ، والمثبت فى : ب .

(٥) فى ص : « غرره » فى : به .

ومطلعها :

يا نَسْمَةَ الرَّوْضِ الأنيقِ إذ سَرَتْ ... يَعْبَقُ من أذيالهـا نَشْرُ الصَّبَا

مَرَّتْ علينـا سُحْرَةً فَأذْكَرَتْ ... للصَّبِّ عَهْـداً قد مضَى شَرْخَ الصِّبَا

وحرَّكتْ لوعـةَ صَبٍّ لم يزلْ ... يَهِيمُ وَجْداً عند آرامِ النَّقَـا

إن جُزْتِ أرضَ جِلَّقٍ ورَوْضَهَا الزَّ ... اهِيَ الأنيقَ الغَضَّ خُلْوَ المُجْتَنَى

أو عُجْتِ نحوَ المَرْجةِ الخَضْراءِ بَيْـ ... ـنَ الشَّرَفَيْنِ نحو هاتيك الرُّبَا[(1)]

حيثُ حكتْ خَضْراؤُها زَبَرْجَداً ... وحولَها الأزْهارُ تَحْكِي أنْجُمَا

قد مَدَّتِ الأنْهارُ فيها جَـدْوَلاً ... تَخَالُهُ يَنْسَابُ صِلّاً أَرْقَمَا

***

ألَمَّ بقولِ أبي[(2)] بكر بن عمّار ، من قصيدة[(3)] :

وليلٍ لنا بالسُّدِّ بين مَعاطِفٍ ... من النَّهْرِ يَنْسابُ انْسِيابَ الأراقِمِ[(4)]

بحيثُ اتَّخَذْنا الرَّوْضَ جاراً تزورُنا ... هداياهُ في أيْدِي الرِّياحِ النَّواسِمِ[(5)]

تُبَلِّغُنـا أنْفاسَه فنَرُدُّها ... بأعْطارِ أنْفاسٍ وأرْيِ لبـاسِمِ

تَسِيرُ إلينا ثم عَنَّا كأنهـا ... حَواسِدُ تَرْمِي بيننا بالنَّمائِمِ

***

(١) الشرفان بسفح قاسيون بدمشق ، وهما يطلان على الشقراء والقصر الأبلق ، وعلى المرجة الخضراء ذات العيون والغدران ، وهي من المحاسن التي لا تدرك . انظر منادمة الأطلال ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٢) تكملة يصح بها الاسم ، وتقدم التعريف بابن عمار في النفحة ٤٣٥/١ .

(٣) هذه أبيات من قصيدته الميمية في المعتمد بن عباد ، وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان مطلعها واختار كثيرا منها ، وورد فيما اختاره البيتان الأول والثاني .

(٤) السد : الجبل الحاجز بين الشيئين ، وهو اسم لمياه ومواضع في جزيرة العرب والمشرق ، فلعل أهل الأندلس سموا بعض مواضعهم به على عادتهم في إطلاق أسماء مواضع المشرق على بلادهم . انظر معجم البلدان ٥٢/٣ ، ٥٣ .

(٥) في الوفيات : « الروض صار يزورنا » .

عَوْداً (على بَدْء[1]) :

وَنَشَّرَتْ كَفُّ الشَّمالِ فوقَهُ دَراهِمَ النَّوْرِ طَرِبَةَ الْجُـنَى

وجِئْتَ قَاسُونَ فَحَيِّ أَهْلَه وساكِنِيـه لهمْ منّا الوَلَا[2]

قومٌ بكلِّ مِنْحَةٍ ورُتْبـةٍ قد خَصَّهم ربُّ السَّمٰواتِ العُلَا

أو صافَحَتْ راياكَ مَن بجَفْنِـه قد سَلَبَ الأَلْبابَ لمَّا أن رَنَا

ظَبْيٌ كَحِيلُ الطَّرْفِ أَحْوَى أَهْيَفٌ مُزَرَّدُ الخَـدِّ مُبَرَّدُ اللَّمَى

جَبِينُه الأَغَرُّ تحت فَرْعِهِ طُرَّةُ صُبْحٍ تحت أَذْيالِ الدُّجَى[3]

وصُـدْغُه المُعْوَجُّ فوقَ خَدِّهِ مِسْكٌ على شَقِيقِ رَوْضٍ قد عَلَا

فَحَيِّهِ عَـنِّي وقُولِي مُغْرَمٌ ما ضَلَّ في شَرْعِ الهوى وما غَوَى[4]

صَبٌّ بأرضِ الرُّومِ أَضْحَى جِسْمُه ورُوحُه أَمْسَتْ لَدَيْكم في هَنَا

بَصِيحُ وَلْهاناً بكم ولَيْـلَه يبيتُ صَبًّا قَلِقـاً يرْعَى السُّهَا

عليه سَلَّ الدهرُ عَضْباً مُرْهَفـاً وصالَ فيـه بحُسامٍ مُنْتَضَى

وخانَه الأَهْلُونَ والصَّحْبُ معاً ومَزَّقَتْ فؤادَه أيْدِي سَبَا

أَضْحَى غَرِيباً نازِحاً عن أهـلِه ليس له مُسامِرٌ إلَّا البُكَا

وأَدْرَكَتْهُ حُرْفَةُ الآدابِ والدَّ هرُ لأهلِ الفضلِ دَأْبُه الأذَى[5]

فـلم يجِدْ لدَفْعِ ضُرٍّ مَسَّهُ إلَّا مَدِيحَ ابنِ أبي بكرٍ دَوَا

---

(١) ساقط من : س، وهو في : ب .

(٢) قاسون هو قاسيون ، وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق . معجم البلدان ٤/١٣ .

(٣) ضمن عجز بيت من مقصورة ابن دريد ، وصدره :

* إمَّا تَرَىْ رَأْسِيَ حَاكَى لَوْنُهُ *

شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي ٣ .

(٤) كذا « فحيه » لاستقامة الوزن .

(٥) الحرف بالضم : الحرمان ، وكذلك الحرفة . انظر اللسان (ح ر ف) ٩/٤٣ .

أعْنِي بهِ المَولَى الهمامَ أحمــدا   خُلاصةَ الصِّدِّيقِ كَهْفَ المُلْتَجا[(١)]

منها :

قد قلتُ لمَّا أن حشَتْ مَسْمَعِي   من لَفْظِه الدُّرَّ بمَنْطقٍ حَــلا
وشاهدتْ عيْنايَ ذاتًا قد حوَتْ   من غيرِ شكٍّ بحرَ علمٍ قد طَما
من مُبْلِــغِ الأعداء عنِّى أننى   مذ صِرْتُ من أتباعِه حُزْتُ العُلَا
فمَن يُضاهِي أحمدًا كَنْزَ العُلَا   ومن يُدانِي أسعدًا بحْرَ النَّدَا[(٢)]

منها :

أنتم خِيارُ الناسِ حيث جدُّكم   أفضلُ خلقِ الله بعــدَ المُصْطفَى
قد أثبَتَ النَّصُّ الصَّريحُ مَدْحَه   بقَوْلِه عزَّ وجــلَّ إذْ هُمَا[(٣)]
وكم له مَآثِرٌ خُصَّ بها   جَزاهُ عنَّا اللهُ أفضلَ الجزَا
وكيف لا يسْبِقُ للعَلْياء مَن   أصابَهُ إكْسِيرُ أشْرَفِ الورَى
محمــدٍ خــيرِ النَّبيِّين ومَن   سَرَى إلى السَّبْعِ الطِّباقِ ورَقَى
شُقَّ له البــدرُ المُنِــيرُ جَهْرةً   وسبَّحتْ فى كَفِّه خُرْسُ الحَصَا
وفاضَ من راحتِــه المــاءُ وقد   سَقَى به الجيشَ العظيمَ ورَوَى
مَفاخِرٌ لا يَنْتَهِى إحْصاؤُها   ولا يُطِيقُ حَصْرَها أهلُ النُّهَى

---

(١) يعنى أحمد بن كمال الدين بن محي الدين البكرى الصديق الدمشق الحنفى .
ولد بدمشق سنه اثنتين وأربعين بعد الألف ، ونشأ بها ، واشتغل بطلب العلم على علماء عصره .
وارتحل إلى الروم ، وإلى مكة والمدينة ، وإلى مصر ، واشتغل بالتدريس والقضاء .
وكان عالما علامة ، صدرا مفتنا ، فقيها أديبا .
توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف .
سلك الدرر ١/١٤٩ ــ ١٥٢ .

(٢) تقدم التعريف بأسعد بن أحمد بن كمال الدين البكرى ، فى صفحة ١١٤

(٣) قوله : « إذهما » اقتباس من الآية الكريمة ٤٠ من سورة التوبة .

وكيف يَسْتوفِي البليغُ مَدْحَ مَن ... أثْنَى عليـه اللهُ أعْظَمَ الثَّنَا

أواخرُها :

صلَّى عليك اللهُ ما ليـلٌ دَجَا ... وما بَدَا نَجمٌ وأشرقتْ ذُكَا[1]

ثُمَّ صلاةُ اللهِ مَعْ سَلامِهِ ... على ضَرِيحٍ قد حَوَى شمسَ الهدَى

وارْضَ عن الْآلِ الكرامِ كلِّهم ... وصَحْبِه الغُرِّ نُجُومِ الاهْتِدَا

ما طاف بالبيْتِ العَتِيقِ طائفٌ ... وأمَّهُ رَكْبٌ ولَبَّى وسَعَى

***

وله من أخرى ، أولها[2] :

لى فؤادٌ فى الحبِّ أمسى مَشُوقَا ... لم يزَلْ فى هوَى الحسانِ عَلُوقَا[3]

خافِقٌ تستفِزُّه لَحَظـاتٌ ... مَزَّقتْه بسِحْرِها تمزيقـا

رَاشِقاتٌ من هَدْبِها بسِهامٍ ... صائباتٍ لم تُخْطِ قلبـاً خَرِيقَا

لستُ أنْسَى حين الوَداعِ عَنَاهُ ... حيثُ جَدَّ الرَّحيلُ والرَّكْبُ سِيقَا

إذْ بَكَى للفِراقِ خِـلِّى فأضحَى ... ناظِرُ اللَّحْظِ بالدُّموعِ غَرِيقـا

ورَمَى لُؤْلُؤًا على الخَدِّ رَطْباً ... فاستحالَ الياقوتُ منه عَقِيقَا

***

ويُضارعه قولُ أحمد بن عَبْدِ رَبِّهِ[4] :

يا لُؤْلُؤًا يَسْبِي العُقولَ أنِيقـا ... ورَشًا بتَقْطِيعِ القلوبِ رَشِيقَا[5]

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعْتُ بمِثْلِهِ ... دُرًّا يعودُ من الحيـاءِ عَقِيقَا

ولابن قاضى مِيلَةَ[6] من قصيدة :

---

(١) ذكاء : هي الشمس . (٢) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٥١٦ ، ٥١٧ ، سلك الدرر ٤/٢٦٣

(٣) فى الإعلام والسلك : « فى هوى الحسان ملوقا » . (٤) البيتان فى العقد الفريد ٥/٤٠٠ ، ٦/١١٦ ، يتيمة الدهر ٢/١١ . (٥) فى ب : « يالؤلؤاً يسجى العقول » ، والمثبت فى : س ، وفى اليتيمة : « قر يسبي ذوي العقول » ، وفى العقد : « القلوب رفيقا » .

(٦) ميلة : مدينة صغيرة بأقصى أفريقية ، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام . معجم البلدان ٤/٧١٧ .
وانظر ترجمة أبى عبد الله ابن قاضى ميلة فى المغرب ٤٨ .

كان الهوى يجرى دموعى لؤلؤا فتوى العقيق أعادهن عقيقا

***

عوداً على بدء :

وانثنى للعناق يعطف قدًّا هل رأيتم غصن الرياض عنيقا

رشق القلب وانثنى بقوام لا عدمنا ذاك القوام الرشيقا

بأبى ثم بى غزالاً ربيباً فوّق اللحظ للحشا تفويقا [١]

ماس غصناً لدناً ورقّ حديثاً وتبدّى بدراً وأسكر ريقا [٢]

ورنا ساحراً وصال مليكاً وحوى مبسماً يقلّ بريقا

يا لقومى ويا لقومى أما آ ن صريع اللحاظ أن يستفيقا

صاح شمّر عن ساعد الجدّ واسمع وأدر من كؤوس نصحى رحيقا

واطّرح ذكر زينب ورباب واخلعن للرياء ثوباً خليقا [٣]

لا تؤمّل من جاهل لك نفعاً تلق ضدّ الذى تروم حقيقا

قد خبرنا المجهول فيما علمنا فرأيناه قد أضلّ الطريقا

رام نفعاً فضرّ من غير قصد ومن البرّ ما يكون عقوقا

***

وقوله من نبوية ، مطلعها [٤] :

جاء فصل الربيع والعيش دان حيث بتنا من الجفا فى أمان

فى رياض إذا بكى الغيث فيها قهقهت بالمدام منها القنانى [٥]

وثغور الأقاح تبسم عجباً حين يشدو فى الروض عزف القيان

---

(١) فوق اللحظ هنا : يعنى سدده إليه . (٢) فى الإعلام والسلك : « وتبدى ظبيا » .

(٣) فى الإعلام والسلك : « واخلعن للوقار » .

(٤) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٥١٥ ، ٥١٦ ، سلك الدرر ٤/٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٥) فى الإعلام والسلك : « منه القنانى » .

حيثُ سَجْعُ الطيورِ صوتُ خطيبٍ قد رَقَى مُعْلِناً على الأغْصانِ[١]
وكأنَّ الغُصونَ قاماتُ غِيدٍ حينَ ماستْ حُورٌ لدَى الوِلْدانِ
فأدِرْها فى جامدٍ من لُجَيْنٍ حيثُ أضْحَتْ كذائبِ العِقْيانِ
من يَدَىْ شادنٍ أغنَّ رَبِيبٍ ناعسِ الطَّرْفِ فاتِنِ الأجْفانِ
ناعمُ الخدِّ أهْيَفُ القدِّ أحْوَى ذُو قَوامٍ كأنَّه غُصْنُ بانِ
نَرْجِسِيُّ اللِّحاظِ وَرْدِيُّ خَدٍّ جَوْهَرِيُّ الألْفاظِ ذِي تِبْيانِ
فتمتَّعْ من حُسْنِهِ بِمَعانٍ مُطْرِباتٍ تُنْسِيكَ حُورَ الجِنانِ[٢]
وتأمَّلْ إلى صحيفةِ خَدَّيْـ ـهِ بعَيْنِ الإنْصافِ والعِرْفانِ

منها :

يا شفيعَ الأنامِ كُنْ لى شفيعاً يومَ نَصْبِ الصِّراطِ والميزانِ
إننى أشْتكِى إليك ذُنوباً مُثْقِلاتٍ وحَمْلُها قد دَهانِى
من لِمِثْلِى عاصٍ كثيرِ الخطايا زادُهُ الفَقْرُ عاجزٌ مُتوانِ[٣]
فعليك الصلاةُ فى كلِّ وقتٍ مَعْ سلامٍ يفوقُ عَرْفَ الجِنانِ

***

وقوله أيضا ، وقد كاتب به خِدْنَه الفاضل عبد الرحمن الرَّازِقِىّ[٤] :

فؤادى عن الحبِّ لا يرجعُ وطَرْفِى من البُعْدِ لا يَهْجَعُ
وقلبى رَهِينُ الأسَى مُغْرَمٌ وفَيْضُ دموعِى دَماً يَهْمَعُ
وبى شادِنٌ غُنْجُ ألْحاظِهِ لَهِيبَ فؤادى غدَا يُسْرِعُ

---

(١) فى الإعلام والسلك : « سجع خطيب » :
(٢) فى الإعلام والسلك : « تنسيك جور الزمان » .
(٣) فى الأصول : « داره الفقر » ، والمثبت فى : الإعلام والسلك .
(٤) تأتى ترجمته برقم ١٨ باسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرزاق .

وفَوقَ نَحْوِى سِهامَ الْجفونِ ... وإنَّ فؤادى لهـــا مَوْقِعُ
فيـــا بأَبِى ثم بى مَن له ... عَبِيدُ الهوى طاعةً تَخْضَعُ
عَزيزُ المِثالِ رَخِيمُ الدَّلالِ ... سُوَيْدا الفؤادِ له مَرْتَعُ
فكلُّ الجمـــالِ له ثابتٌ ... وكلُّ الكمالِ غدَا يَجْمَعُ
سَمِىُّ ابنُ عَوفٍ ومَن ذاتُه ... جميعَ الفضائلِ تستجمِعُ[(١)]
كريمُ الخِصالِ عَزيزُ المِثالِ ... فكلُّ الكمالِ له أجْمَعُ
رفيعُ العِمادِ طويلُ النِّجادِ ... له الفَضـــلُ زادٌ به يقْنَعُ
ولما فَشَا الجهلُ بينَ الورى ... وعاد ذُكا الفضلِ لا يطْلُعُ[(٢)]
لنا أشرقتْ فيه شمسُ الكمالِ ... وأنْوارُها لم تزلْ تطلُعُ
ورُدَّتْ لنا بعدَ ذاكَ الغروبِ ... كما رَدَّ شمسَ السَّما يُوشَعُ

***

لَمَح بذلك قِصَّةَ[(٣)] السيد يُوشَع بن نُون[(٤)] فتى موسى عليهما السلام ؛ فإنّه رُوِى أنه قاتَل الجبَّارين يومَ الجمعة ، فلما أدْبرت الشمسُ خاف أن تغيب قبل أن يفْرُغ من قتالِهم ويدخل السبتُ ولا يحلُّ له قتلُهم ، فدعا اللهَ تعالى فرَدَّ الشمسَ وأوْقفَها حتى فرَغ من قتالِهم .

وقد أشار إلى ذلك أبو تمَّام ، فى قصيدته العَيْنيَّة ، ومنها[(٥)] :

لَحِقْنا بأُخْراهم وقد حَوَّمَ الهوَى ... قُلوبًا عَهِدْنا طَيْرَها وهْى وُقَّعُ[(٦)]

---

(١) يعنى أنه سمى الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهرى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، المتوفى بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة .

(٢) ذكاء : هى الشمس . (٣) فى ب : « لقصة » ، والمثبت فى : ص .

(٤) انظر خبره فى نهاية الأرب ١٤/٢ ، ٣ .

(٥) شرح ديوان أبى تمام ٣١٩/٢ ، ٣٢٠ .

(٦) فى الأصول : « حرم الهوى .. وهو وقع » ، والمثبت فى شرح الديوان .

فرُدَّتْ علينا الشمسُ والليلُ راغِمٌ ... بشمسٍ لهم من جانب الخِدْرِ تطْلُعُ
فواللهِ ما أدرِى أأحْلامُ نائمٍ ... أَلَمَّتْ بنا أم كان فى الرَّكْبِ يُوشَعُ

***

عَوْداً على بَدْء :

أمولاىَ يا من سَمَا للعُـــلَا ... ومَن بَيْتُ قلبى له مَوْضِعُ
سكنْتَ الفؤادَ وأنتَ المُرادُ ... فَدَتْك عيونِىَ والمِسْمَعُ
لقد زَيَّن الفضلَ منك التُّقى ... فقدْرُك كالنجمِ بل أرْفَعُ
تأخَّرْتُ فى المدحِ لا عن قُصورٍ ... ولكننى فيـــكمُ أطْمَعُ
فعُذْراً إليك وعفواً فمـــا ... يَغُرُّك من جُرْمِنـــا مَفْزَعُ
ودُمْ وابْقَ ما غرَّدتْ فى الرُّبَا ... حمـــائمُه طرَباً تَسْجَـــعُ

***

فأجابه بقوله :

أعِقْـــدُ لآلٍ بدَا يَلْمَعُ ... أم الزُّهْرُ فى أُفْقِهـــا تَسْطَعُ
أم التِّبْرُ وَشَّح صَدْرَ الطُّروسِ ... فخِلْتَ الشموسَ بها تطلُعُ(١)
أم الرَّوْضُ كَلَّلَ أزْهارَهُ ... جَواهِرُ قَطْرٍ غَـــدَتْ تَلْمَعُ
وهيْهاتَ بل هـــذه غادةٌ ... أتتْ والضميرُ لهـــا مَرْتَعُ
رَبيبةُ فِـــكْرٍ كلُطْفِ الصَّبا ... لها فى نُفوسِ النُّهَى مَوْقِعُ
تـــكادُ لِرِقَّةِ ألفاظِهـــا ... يُرَى كلُّ عُضْوٍ لهـــا مِسْمَعُ
وتسْحَرُ بالطَّرْفِ لكنهـــا ... تُريحُ حَشـــاً بالجوَى مُوجَعُ
فللـــهِ مَن صاغَ أبيـــاتَها ... عُقـــوداً فدَتْ دُرَّها الأدْمُعُ
أطاعتْه بِـــكْرُ المَعـــانِى وكم ... بزُهْرِ قوافيـــهِ يُسْتمتَـــعُ

---

(١) فى الأصول : « وشح صدور الطروس » وبه يختل الوزن .

شريفُ الخصالِ فصيحُ المَقالِ   أسودُ الكمالِ له تخضعُ
عزيزُ الشآمِ بديعُ النظامِ   بسحرِ الكلامِ هو المَنبعُ
فتًى قد أبانَ بأفكارِه   لطائفَ أضحى بها يُولَعُ
وأطْلَعَ فى أفقِ آدابِه   كمالاً يدينُ له الأروعُ
فيا بحرَ فضلٍ فدتْكَ العيونُ   إليكَ أكفُّ الثنا تُرفَعُ
فأنتَ لعمرِى فَرْدُ الزمانِ   وقدْرُكَ قدْرِى هو الأرفعُ
هززْتَ غصونَ ودادِى القديمِ   وقلّدْتَ جيدِى ما تُبْدِعُ
فدونكَ وافتْ وترجو القبولَ   نتيجةُ فكرٍ بكم تُرفَعُ
فلا زلتَ تُهْدِى لأهلِ الوفَا   بدائعَ يزْهو بها المسْمَعُ
مدَى الدهرِ ما فاحَ عَرْفُ الصَّبا   وما ظلّ وُرْقُ الرُّبا يسْجَعُ

***

وكتب المترجم المذكور أيضا قوله :

إن عبدَ الرحمنِ أرحمُ خلٍّ   جمعتْ ذاتُه الفضائلَ جَمّا
طابقَ الاسمُ منه فعلاً فقلْنا   عن دليلِ الاسمِ عينُ المسمَّى

***

وقوله :

إن عبدَ الرحمنِ ألطفُ خِدْنٍ   كرُمتْ ذاتُه ذكاءً وفضلا
قد تناهتْ فيه المكارمُ واللطْـ   ـفُ فهذا قد جاء اسما وفعلا

***

فأجابه بقوله :

يا وحيداً رقَى المعالىَ إنّى   كلماتى تفيدُ معْنى صفاتِكْ
عرّفتْنى أبياتُكَ الغرُّ لمّا   قلّدتْنى بدائعاً من حُلاتِكْ

نَعَم الاسمُ صار عَيْنَ المُسمَّى ... مُذْ رأى سيِّدى سَنَا مَرْآتِكْ
وبه أنتَ رُوحُه فلهـــذا ... طابَق الاسْمُ فِعْلَ بعضِ صِفاتِكْ
لا عَدِمْنا مَرْآكَ يا نافِثَ السِّـ ... ـحرِ ودُرَّ العُقودِ من لَفَظاتِكْ

***

وللمترجم(١) :

وحديقةٍ ينْسابُ فيها جَدْوَلٌ ... من حَوْلِه تختالُ غِزْلانُ النَّقَا
من كلِّ أهْيَفَ إن رَمَتْكَ لِحاظُه ... بسِهامِها إيَّاكَ تطمعُ فى البَقَا
ومُعَذَّرٍ ما أظْلَمَتْ فى وجهِه ... شَعَراتُ ذاكَ الصُّدْغِ إلَّا أشْرَقَا
خالسْتُه نَظَراً فقطَّب مُغْضَباً ... وغَدَا يُرَنِّحُ منه غُصْناً مُورِقَا
فكأنَّ نَبْتَ عِذارِه فى خَدِّه ... شُحْرُورُ رَوْضٍ فى الرِّياضِ إذا رَقَى

***

نقلَه من قَوْلِ حسين بن مُهَنَّا الحلىّ(٢) فى الخال(٣) :

كأنَّما الخالُ قُرْبَ الثَّغْرِ من رَشَأٍ ... مُعَذَّرٍ راشِقًا سَهْمًا من المُقَلِ
شُحْرُورُ وَرْدٍ أرادَ الوِرْدَ ثم رأى ... صِلًّا يدُورُ حوالَيْه فلم يَصِلِ

ومثلُه قولُ الحرْفُوشىّ(٤) فى الخال(٥) :

كأنَّما الخالُ فوقَ الثَّغْرِ حين بَدَا ... وقد غَدَا فِتْنَةَ الألْبابِ والمُقَلِ
هَزارُ أيْكٍ سعَى من رَوْضةٍ أُنُفٍ ... لِمَنْهَلٍ راجِياً شُرْباً فلم يَصِلِ(٦)

وقد استْعمَلَه المولى البارع الحَسِيب النَّسِيب ، السيد عبد الكريم النَّقِيب(٧) ، بقولِه من قصيدة :

---

(١) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٥١٥ ، سلك الدرر ٤/٢٦٢ .
(٢) تقدمت ترجمته فى النفحة ٢/٦٢٤ . (٣) البيتان فى النفحة ٢/٦٢٦ .
(٤) تقدمت ترجمته فى النفحة ١/١٨٩ . (٥) البيتان فى النفحة ٢/٦٢٦ ، ٦٢٧ .
(٦) روضة أنف : لم ترع .
(٧) يعنى السيد عبد الكريم ، ابن حمزة ، وتقدمت ترجمته فى النفحة ٢/٦٧ .

حكَى خالُه من فوقِ مُخْضَرِّ شاربٍ لِشُحْرورِ رَوْضٍ شوّقتْه حَدائِقُهْ

واسْتعمله أيضا سيدُنا ومولانا عبد الغنى النَّابُلُسِىّ ، حفظه اللهُ تعالى بقوله :

قِفُوا واسْألُوه حينَ يسْلُب مُهْجَتِى لقد جَرَّحتْه العَيْنُ فى صَفْحةِ الخَدِّ

ولا تعْجَبُوا من خالِ وَجْنتِه الذى بها إنّما الشُّحْرورُ يسكُن فى الوَرْدِ

واسْتعمله أيضا الفاضلُ ابنُ السَّمَّان ، فى أوائل أبْيات ، وهى قولُه :

وشُحْرور رَوْضٍ فى رياضِ شَقائِقٍ على غُصْنٍ قدٍّ فَوْقَه طلَع البدرُ

أصيد بأشْراكِ العِـــذارِ كأنه أراد وُرُودَ الثَّغْرِ فامتنـــعَ الأَمْرُ

يَتِيهُ به بدرٌ من السُّمْرِ ما بَدَا بقامتِـــــه إلّا وتَخْجلُ السُّمْرُ

تعشَّقْتُه قاسٍ كما الصَّخْرِ قلبُه وما رَقَّ إلّا من مَعاطِفِه الخَصْرُ(١)

عَزِيزُ جمـــالٍ يُوسُفِىٌّ مَلاحةً له النِّيلُ دَمْعِى والفؤاد له مصرُ

يُذكِّرُنى ماءَ الحيــــاة رُضابُه فأحْسَب ذَيَّاكَ العِذارَ هو الخِضْرُ

وإن نظَرتْ عيْنِى رياضَ خُدودِه أُخايِلُ أن الوَرْدَ كَلَّله الزَّهْرُ

ولستُ بغُصْن البانِ أعْدِلُ قدَّهُ ، فأوّلُه نَصْبٌ وآخِرُه كَسْرُ

وقامتُه الهَيْفاءُ للضَّمِّ قد أتتْ ولـكنَّ ذاكَ الفَرْعَ لازَمَهُ الجَرُّ

***

وللمترجَم(٢) :

كأنّمـــا نارُ خَدِّ زَانَ رَوْنَقُهُ لَاما عِذارٍ جَنِىٍّ قد جَنَى حَيْنِى(٣)

---

(١) « قاس » هـكذا على تقدير « وهو قاس . . » .

(٢) الأبيات فى إعلام النبلاء ٦/٥١٥ ، سلك الدرر ٤/٢٦١ .

(٣) فى ب : « لاماعذار جنى [بياض قدر كلمة] حينى » ، وفى ص : « لاما عذار قد جنى حينى » ، والمثبت فى : الإعلام ، والسلك .

لَاحَتْ فأَنَسنا فى ليلِ عارِضِهِ ... مُوسى نَخط بها بالمِسْكِ خَطَّيْنِ[١]

وحين ظَنَّ أبو العبَّاسِ مَبْسِمَهُ ... ماءَ الحياةِ أَتَى يسْعَى بلامَيْنِ[٢]

***

قريب منه قول أكْمَلِ الدين الكَرِيمىّ[٣] فى مُعَذَّرٍ[٤] :

يا حُسْنَ بَهْجةِ خَدٍّ زان مَنْظَرَهُ ... لَوْنُ العِذَارِ الذى حارتْ به الفِكَرُ

كأنَّ موسى كليمَ اللهِ آنَسَهُ ... نَاراً وجرَّ عليها ذَيْلَهُ الخِضرُ[٥]

***

ومن مَقاطيعِ المترجَم قولُه يخاطب بعضَ المَوالِي فى مجلِسه[٦] :

بأبِى مَن ضَمَّنَا مَجْلِسُهُ ... فاجْتَلَيْنا منه أنْواعَ التُّحَفْ

فاضِلٌ صِيغَ من التَّوْفيقِ إذْ ... صِيغَتِ الناسُ جميعاً من نُطَفْ

***

وله :

وذى خَدٍّ بفُوق الوَرْدَ لَوْنًا ... وصُدْغٍ لستُ أصْحُو من خُمارِهْ

إذا رَمِدتْ عُيونِى من خُدودٍ ... له اكْتَحلتُ بإثْمِدِ من عِذارِهْ

***

يُناسبُه قَوْلُ ابنِ مَطْروح[٧] :

مَهْما اكْتحلتَ بخَدِّه وعِذارِهِ ... لم تَلْقَ إلَّا عَسْجَداً وزَبَرْجَدَا[٨]

---

(١) فى الإعلام والسلك : « موسى نخط بها المسك خطين » . (٢) المين : الكذب .

(٣) تقدمت ترجمته فى النفحة ١/١٧٩ . (٤) البيتان فى النفحة ١/١٨٤ .

(٥) فى الأصول : « ذيلها الخضر » ، والمثبت فى النفحة .

(٦) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٥١٥ ، سلك الدرر ٤/٢٦٢ .

(٧) تقدم التعريف به فى النفحة ٢/٢٥٩ . والبيت فى ديوانه ٢٠٤ .

(٨) رواية الديوان لعجز البيت ، ضمن قصيدة ذالية .

* مَا تَلْقَ إلَّا عَسْجَدًا وَزُمُرُّذَا *

ومثلُه قولُ بعضِهم :

رَمِدتْ عيونى من تورُّدِ خدِّه ... فكحلْتُها من عارِضَيْه بإثمِدِ

***

وللمترجَم فى فوَّارة(١) :

للهِ ما أبصرْتُ فوَّارةً ... أُعيــذُها من نَظْرةٍ صائبَهْ

كأنَّها فى الرَّوضِ لـمَّا جرَتْ ... سَبيكةٌ من فِضَّـــةٍ ذائبهْ

***

ولسيدى عبد الغنى النَّابُلسِىِّ ، حفِظَه الله تعالى فيها(٢) :

رُبَّ فوَّارةٍ زَهتْ تتثنَّى ... بقوامٍ دبَّتْ به الُخيَـــلاءْ

كقضيبِ الألْماسِ لابل كغُصْنٍ ... من لُجَيْنٍ فاعجَبْ له وهْو ماءْ (٣)

وله أيضا :

ألَا رُبَّ فوَّارةٍ تنْثنِى ... لها عَـــيْنُ ناظرِها شاخِصَهْ

غدَا المـا لها ثوْبًا أبيضًا ... وتلك كجاريةٍ راقصَـــهْ

***

وللمترجَم فى تشْبيه الجُلَّنار(٤) :

يا كرْمَ روْضـــةِ أُنسٍ ... من حوْلِها المـــاءُ يجْرِى

والجُلَّنــــارُ تبـــدَّى ... على معـــاصِمَ خُضْرِ

كأكْؤُسٍ من عقيقٍ ... فيها قُراضةُ تِـــبْرِ

***

---

(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٥١٥ ، سلك الدرر ٤/٢٦٢ .

(٢) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٣٧ .

(٣) ذكر صاحب القاموس (م و س) الماس ، وقال : إنه حجر متقوم ، ونبه إلى أن قولهم : ألماس، لحن ، ولايستقيم الوزن هنا إلا به .

(٤) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٥١٥ ، سلك الدرر ٤/٢٦٢ .

هو نَقْلُ معنَى أبياتِ أبى بكر العُمَرِى[١] ، فى تَشْبيه الثّلج[٢] :

انْظُرْ إلى الرَّوْضِ الأرِيضِ وحُسْنِه ... ومَوائِسُ الأغْصانِ مثلَ الخُرَّدِ[٣]

والثَّلْجُ فوق الصُّفْرِ مِن أوْراقِـه ... شَبَّهْتُه تَشْبِيه غـيرِ مُفَنَّدِ[٤]

بـبُرادةٍ من فِضَّـةٍ مَبْثُوثةٍ ... فوق الصَّحائفِ من نُضارِ العَسْجَدِ

والأصلُ فيه قول الأمير ظَاهِر[٥] :

كأنَّمـا الجُلَّنارُ حين بَدَا ... مُفْتَتَحًا فى زَبَرْجَـدِ القُضُبِ

كُوزُ عَقِيقٍ مُشَرَّفٌ حَسَنٌ ... قد أوْدَعُوه قُراضَـةَ الذَّهبِ

☆☆☆



---

(١) تقدمت ترجمته فى النفحة ١/٢٢ ، وانظر أيضا تراجم بعض أعيان دمشق ١٤٠ ـ ١٤٦ .

(٢) الأبيات فى : تراجم بعض أعيان دمشق ١٤٥ ، النفحة ١/ ٣٥ .

(٣) فى الأصول : « ومؤانس الأغصان » ، والمثبت فى : النفحة ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) فى الأصول : « والثلج مثل الصفر من أوراقه » ، والمثبت فى النفحة ، وتراجم بعض أعيان دمشق

(٥) كذا فى الأصول : « ظاهر » ، ولم أهتد إليه .

١٣

السيد مصطفى بن السيد حسين الصُّمادى*

سيِّدُ رَهْط وفَرِيق ، تنوّعا بين أصِيل وعَرِيق .

رَقِىَ من التَّواضُع سُلَّمَ الشَّرَف ، ولم يَخْشَ المَعانِى فى مِدْحَتِه السَّرَف .

فأصْلُه فى دَفْتَر الفُتُوَّة [1] ثابت ، وغُصْنه فى بُحْبُوحةِ التَّقْدِيس نابت .

وَلَّد بِكْرَ المعانِى [2] من حين وِلادَتِه ، وقَلَّد جِيدَ الأدب من دُرِّه المُفَصَّل بأفْخر قِلادَتِه .

فهو للآمِلِ مَظِنَّةُ رَجاه ، وبقمرِ وجهه أقْبل بَهْرُه وأدْبَر دُجاه .

يَهُبُّ على الأنْفاس من خَلائقه بعَرْفِ الطِّيب ، ويجْرِى من الأهْواء مَجْرى الماء فى الغُصْن الرَّطِيب .

وثَمَّةَ أدبٌ يتبَرَّج تبرُّجَ العَقِيلة ، وفِكرٌ صفَا من الكَدَر ولا صفاءَ المرآة الصَّقِيلة .

وحَظٌّ أخذ فى الحُسْن كلَّ الحَظّ ، وكأنما أوْجده الله ليكون مُتمتَّعَ [3] القلبِ واللَّحْظ .

فمتى سقَى قلمه من الحِبْر ، أنْبَتَ ما بين الجداوِلِ عُروقَ التِّبْر .

(*) السيد مصطفى بن حسين (أو حسن) بن محمد الصمادى الحنفى الدمشقى

كان أديبا عارفا ، كاتبا من كتاب الخزينة السلطانية الميرية ، محتشما معظما ، متقنا للفنون الأدبية .

توفى سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ، ودفن بمرج الدحداح .

سلك الدرر ٤/١٧٩ ـ ١٨٣ ، واسم والده فى ب ، س : « حسين » ، وفى س ، وسلك الدرر : « حسن » ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبي له وكثيرا من شعره .

والصمادى : نسبة إلى صماد ، قرية من قرى حوران ، بها أجداد المترجم . خلاصة الأثر ١/٤٩ .

(١) فى ب : « الفنون » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر . (٢) فى سلك الدرر : « الفكر » .

(٣) فى الأصول : « ممتع » ، والمثبت فى سلك الدرر .

فمِداده يجولُ فى رَقيم الصَّفحات فتُوَشِّى[1] علاماتِه ، وإذا تحقَّقْتَ فيه النَّظَر فما هو إلّا من رُقُوم الخدُود وَواتِه ولاماتِه .

***

وله شِعْرٌ أعُدُّه مِن هَدايا الزمان ، ولا أحسَبه إلَّا من مُفصَّلات الجُمان والبَهْرَمان[2] .

فمن ذلك قوله ، وهو من بدائع فِكْرِه ، وقد أرسلَها إلىَّ وكنتُ طلبتُ شيئًا من شِعْرِه ، فكتب[3] :

إن الذين تقدَّمُوا لم يتْرُكُوا ... معنًى به يتقــدَّم المُتأخِّرُ

قد أنتجُوا أبْكارَ أفكارٍ لهم ... عُقْمَ المعانى مثلُها مُتعــذِّرُ

فإذا نَصَبْنا من حِبالِ تخَيُّلٍ ... شَرَكًا به معنًى نَصِيدُ ونظفَرُ

عَصَفَتْ سُمومُ هُمومِ فكرٍ قطَّعتْ ... تلك الحِبالَ وفرَّ منها الخاطِرُ

والدهرُ أخْرَسَ كلَّ ذى لَسَنٍ فلو ... سَحْبانُ كُلِّفَ مَنْطِقًا لا يقدِرُ

والشِّعْرُ فى سُوقِ البلاغةِ كاسِدٌ ... فترَى البليغَ كجاهلٍ لا يشْعُرُ

والفضلُ أقفَرَ رَبْعُه لكنَّــه ... بوُجودِ مولانا الأمين مُعمَّرُ

عَـلَّامةُ الدنيا وواحدُ دهرِه ... وأجَلُّ أهلِ العصرِ قَدْرًا يُذْكَرُ

مَلِكُ العلوم له جيوشُ بلاغةٍ ... وفصاحةٍ فبِهم يُعِزُّ وينْصُرُ

تخِذَ الفُهومَ رَعِيَّةً مُنْقـادةً ... تأتيـه طائعةً بمــا هو يأمرُ[4]

يَقِظٌ يكاد يُحيطُ عِلْمًا بالذى ... تجْرِى به الأقدارُ حين يُقدَّرُ

---

(١) فى س ، وسلك الدرر : « فتتوشى » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ب : « والبهرجان » ، والمثبت فى : ص ، وسلك الدرر .
والبهرمان : العصفر .

(٣) القصيدة فى سلك الدرر ٤/١٨٠ ، ١٨١ .

(٤) فى ب : « تخذ العلوم » ، والمثبت فى : ص ، وسلك الدرر .

مازال يَمْلأُ من لآلِىءِ لفظِهِ   أصْدافَ آذانٍ لنـــا ويُقرِّرُ

تاللهِ مارَشْفُ الرُّضابِ لراشفٍ   من ثَغْرِ ذى شَنَبٍ حكاه الجَوْهرُ[١]

أحْلَى وأعْذَبُ من كُؤوسِ حديثه   تُمْلَى وتشرَبُها العقولُ فتَسْكرُ

فاقَ الذين تقدَّموه بسَبْقِهم   وبه الأَواخِرُ تَزْدَهِى وتُفاخِرُ[٢]

بالسُّؤْلِ يَمْنَحُ قبل تَسْآلٍ فإن   سبَقَ السُّؤالَ عَطاؤُه يتعذَّرُ[٣]

لو أن أيْسَرَ جُودِهِ قِدْماً سَرَى   فى الكَوْنِ لم يبْقَ وحقِّكَ مُعْسِرُ

قد أبْدَعَ الرحمنُ صُورةَ خَلْقِهِ   ليرَى جميلَ الصُّنْعِ فيها الناظِرُ[٤]

وَجْهٌ كأن الشمسَ بعضُ بهائِه   مازال يحسُدُه عليـــه النَّيِّرُ[٥]

موْلاىَ عجْزِى عن مَدِيحك ظاهرٌ   والعُذْرُ عن إدْراكِ وَصْفِك أظْهَرُ

مَن لى بأن أُهْدِيك نَظْماً فاخِراً   أسْمُـــو به بين الأنامِ وأفْخَرُ

هَبْنِى أُنَظِّمُ كالعُقودِ لآلِئـــاً   أُهْدِيكَ هل يُهْدَى لبحرٍ جَوْهرُ

لـكن أتيتُ كما أمَرْتَ بخِدْمـةٍ   جُهْدُ المُقِلِّ وسُوءُ رَدٍّ أحْذَرُ

فاصْفَحْ فقد أوْضَحْتُ عُذْرِى أوَّلاً   واقْبَلْ فمثلُك من يَمُنُّ ويَعْذِرُ

واسْلَمْ ودُمْ فى نعمةٍ طولَ المَدَى   مادام يمدحُك اللِّسانُ ويشكُرُ

***

ومن غزله قوله[٦] :

ومُحجَّبٍ أنِفَ المُرورَ بخاطِرِى   ويَغارُ من مَرِّ النَّسيمِ إذا سَرَى

تَحْمِيهِ عن نَظَرِ العيونِ نزاهةٌ   لم تَرْضَ أن يَطَأَ القلوبَ على الثَّرَى[٧]

---

(١) الشنب : برودة الريق وعذوبته .   (٢) فى سلك الدرر : « تزدهى بل تفخر » .

(٣) لعل « يتعذر » هنا : يدلى بالمعذرة أو يتقدم بها .

(٤) فى سلك الدرر : « ليرى جميل الصنع فيه المبصر » .

(٥) فى الأصول : « عليها النير » ، والمثبت فى سلك الدرر .

(٦) الأبيات فى سلك الدرر ٤/١٨١ .   (٧) فى سلك الدرر : « تحميه عن نظر العيون » .

صَلِفٌ ولو قال الهلالُ مُفاخِراً أنا من قُلامة ظُفْرِه لاستكبَرَا

ولو ابْتغى لَحْظُ التَّمنِّى أن يُرَى ظِلًّا لِطَيْفِ خياله لتنكَّرَا

***

وله فى النُّحُول[1] :

ومُوَلَّهٍ لولا دُخانُ تأَوُّهٍ من نارِ أشْواقٍ به لم يُعرَفِ

قد رَقَّ حتى صار يحكِى فى الضَّنَى لهلالِ شَكٍّ يستبينُ ويختفِى

لو زَجَّهُ الخَيَّاطُ فى سَمِّ الخِيا طِ من النُّحُولِ جَرَى ولم يتوقَّفِ[2]

وجميعُه لو حَلَّ فى طرفِ الذُّبا بِ لِفَرْطِ أسْقامٍ به لم يَطرِفِ

***

وله فيه[3] :

ومُتيَّمٍ دَنِفٍ حكَى فى سُقْمِه لِهلالِ شَكٍّ قد بَدَا مِيلادُهُ

قد رَقَّ حتى كاد يُخْفِيه الضَّنَى من عائدٍ ورَثَى له حُسَّادُهُ[4]

لولا دُخانُ تأَوُّهٍ من نارِ أشْ واقٍ به لم تُلْفِهِ عُوَّادُهُ[5]

***

وله مُضَمِّنًا[6] :

إنِّى لَأحسُدُ عاشقِيك ورَحْمةً أبْكِيهِمُ من أدْمُعِى بِغزارِ

نظَرُوا إلى جَنَّاتِ وَجْنتِك التى قد حَفَّ منها الوردَ آسُ عِذارِ

فتمتَّعَتْ أبصارُهم بنَعِيمِها ومن النعيمِ تمتُّعُ الأبْصارِ

حتى إذا طلبُوا الوِصالَ وعُذِّبُوا بالطَّرْدِ عنك وساء بُعْدُ الدارِ

---

(١) سلك الدرر ١٨١/٤ . (٢) سم الخياط : ثقب الإبرة . غريب القرآن لابن عزيز ١٣٦ .

(٣) سلك الدرر ١٨١/٤ .

(٤) فى سلك الدرر : « عن عائد » .

(٥) فى ص : « لم تلقه » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٦) الأبيات فى سلك الدرر ١٨١/٤ .

قَدَحتْ زِنادُ الشَّوقِ فى أكْبادِهم نارَ اللَّظَى منهـــا كبعضِ شَرارِ
فإذا رأيتَهمُ رأيتَ عُيونَهم فى جَنَّـــةٍ وقلوبَهم فى نارِ

***

وله مُضَمِّنا للمثل السائر بقوله[1] :

أطْفالُ أغصـــانِ الرِّياضِ تهزُّها فى مَهْدِها رِيحُ الصَّبا المِعْطـــارُ
قد غسَّلَتْها السُّحْبُ حين ترَعْرعتْ والطَّلُّ تُرْضِعُهـــا به الأسْحارُ
من كلِّ غُصْنٍ كالحُسامِ مُجَوْهَرٍ يهتزُّ عُجْباً ما عليـــه غُبارُ

وبقوله فى ذَمِّ العِذار[2] :

إن الحبيبَ إذا تعـــذَّر خَدُّه نَفَضتْ عليه غُبارَها الأكْدارُ
فلأجْلِ ذا لم تَلْقَنِي بمُتَيَّمٍ فى وَجْنةٍ ولهـــا العِذارُ شِعارُ
أنا مُغْرَمٌ بنَقِيِّ خَـــدٍّ ناعمٍ قد تَمَّ حُسْناً ما عليـــه غُبارُ

***

وللسيد محمد العُرْضِيّ الحَلَبِيّ[3] فى مدح العِذار، قولُه[4] :

رَيْحانُ خَــدِّك ناسِخٌ ماخَطَّ ياقُوتُ الخـدُودْ
وقَعَ الغُبارُ بِهـــا كما وقَعَ الغُبارُ على الورودْ .

ولأبى الفضل الدّارِمِيّ[5] :

قلتُ للمُلْقِي على الخَـدَّ ينِ من وَرْدٍ خِماراً

---

(١) سلك الدرر ٤/١٨١ ، ١٨٢ . (٢) الأبيات فى سلك الدرر ٤/١٨٢ .

(٣) تقدمت ترجمته فى النفحة ٢/ ٤٨٣ .

(٤) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣١ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٠ ، سلك الدرر ٤/١٨٢، نفحة الريحانة ٢/٤٩٧ .

(٥) تقدم التعريف به فى النفحة ٢/٢٨٣ .
والأبيات فى الذخيرة ، القسم الرابع ، الجزء الأول ،صفحة ٧٧ ، وسلك الدرر ٤/١٨٢ .

أَسْبَلَ الصُّدْغُ على خَـدَّ ... يْكَ من مِسْكٍ عِذارَا (١)

أم أعانَ الليـلَ حتى ... قهرَ الليلُ النهـارَا

قال مَيْدانٌ جَـرى الْـ ... حُسْنُ عليـه فاسْتدارَا

ركضتْ فيـه عيونٌ ... فأثارته غُبـارَا

***

وللمترجَم (٢) :

خَدُّ الحبيبِ إذا تعذَّر واكْتسَى ... شعرًا فذاك بمَقْتِه إشْعارُ (٣)

أوَمَا تراه إذا بَدَا فى وجهِـه ... نفضتْ عليه غُبارَها الأكْدارُ

***

وله (٤) :

زَنْجِيُّ خالِ الخَدِّ يبْدُو واضحًا ... فى وَجْنةٍ قد أشْرقتْ كنهارِ

فإذا العِـذارُ سَطَا عليـه ليلُه ... أخفَاهُ تحت غياهِبِ الأكْدارِ (٥)

***

ويُناسِب أن يُذكَر هنا قولُ ابن شارحِ المُغْنِي (٦) :

نَازَعَ الخَدَّ عِذارٌ دائرٌ ... فوق خالٍ مِسْكُه ثَمَّ عَبِقْ (٧)

قائلاً للْخالِ هـذا خادمِى ... ودَلِيلِى أنه لَوْنِى سَرَقْ

---

(١) فى الذخيرة : « على خدك » .

(٢) البيتان فى سلك الدرر ٤/ ١٨٢ . (٣) فى سلك الدرر : « هذا الحبيب » .

(٤) سلك الدرر ٤/١٨٢ . (٥) فى سلك الدرر : « سطا عليه ليلة » .

(٦) هو أحمد بن محمد بن على ، ابن المنلا ، تقدمت ترجمته فى النفحة ٢/ ٦٥٥ .

والأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/ ١٤٦، خلاصة الأثر ١/ ٢٧٨، سلك الدرر ٤/ ١٨٢ ، نفحة الريحانة ٢/ ٦٥٨ .

(٧) فى سلك الدرر : « نازع الخد عذارا دائرا » .

فانتضى الطَّرْفُ لهم سَيْفَ القضا ثم نادَى ماالذى أبْدَى القَلَقْ (١)
أيُّهـا النُّعْمانُ فى مَذْهبِكم حُجَّةُ الخارجِ بالمُلْكِ أحَقّ

***

وله فى طول النهار فى أيام الصيام :

ولَرُبَّ يومٍ طال لمَّا صُمْتُهُ فكأن يومَ الحَشْرِ ضُمَّ لنا مَعَهْ
وكأن يُوشَع رُدَّ للدُّنيا وقد رُدَّتْ له شمسُ النهارِ السَّاطِعَه (٢)
أو أنَّها رجَعتْ لسيدنا سليـ ـمانَ الذى رجَعتْ إليـه طائعَهْ
حتى إذا صَلَّى تُوُفِّيَ قائمًا حَسِبتْه حيًّا فاستمرَّتْ طالعَهْ

***

وله فيه أيضـــا :

أرَى الشمسَ فى الصومِ تأبَى المَسيرَ إلى الليلِ تخْشَى هُجومًا علَيْهِ
حَكتْ فيـــه حَسْناءَ زُفَّتْ على خَصِيٍّ وبالكُرْهِ سِيقَتْ إليْهِ

***

ومن ذلك قول عبد الحيّ الخال ، وتقدم (٣) :

أرَى الأيامَ بالإفْطارِ تَمضِى كلَمْعِ البَرْقِ أو سَقْطِ الدَّرارِى
وفى شهرِ الصيامِ تطُول حتى كأنَّ الليلَ ضُمَّ إلى النهارِ

وقوله (٣) :

كأن اليومَ فى الإفْطارِ طِرْفٌ يدُور على الرَّحى صُلْبُ الأيادِى
ويمْشِى فى الصيامِ على الهُوَيْنَى كأنَّ أمامَه شَوْكَ القَتادِ

***

---

(١) فى الإعلام والخلاصة والنفحة : « فانقضى الطرف له » وفى الخلاصة : « أبدى الفرق » .
(٢) تقدم ذكر يوشع ورد الشمس عليه فى ترجمة رقم ١٢ (٣) تقدم فى ترجمة رقم ١١

وللمترجم :

لا تحسبوا هـذا العِذارَ بوَجْهِهِ ... خطًّا خَفِيًّا لاح فى صَفَحاتِهِ
لو ظَلَّ أنْفاسٍ لِرِقَّةِ خَـدِّهِ ... يبْدو لِنـاظِرِه على مِرْآتِهِ

***

ألَمَّ بقوْل السيد باكير الحَلَبِيّ [١] ، من قصيدة [٢] :

لاَحَ الصَّباحُ كزُرْقَةِ الألْماسِ ... فلْنصطبِحْ يَاقُوتَ دُرِّ الْكاسِ
من كَفِّ أهْيَفَ صانَ وَرْدَ خُدودِه ... بسِياجِ خَطٍّ قد بدَا كالآسِ
فكأنَّ مِرْآةَ البَديعِ صَحِيفَةٌ ... للحُسْن جَدْوَلُها من الأنْفاسِ

***

وللأرَّجانِيّ [٣] :

قابلنِي حتى بدَتْ أدْمُعِى ... فى خَدِّه المَصْقُولِ مِثْلَ المِرَاهْ [٤]
يُوهِمِ صَحْبِي أنه مُسْعِـدِى ... بأدْمُعٍ لم تَذْرُها مُقْلَتاهْ
وإنَّمـا قلَّدنى مِنَّـةً ... من دَمْعِ عينى من جُفونِى سُرَاهْ [٥]
ولم يَقَعْ فى خَـدِّه قَطْرةٌ ... إلَّا خَيالاتُ دُموعِ البُكاهْ

***

وللمترجَم وقد زار الخال [٦] فى مرضِه ، وأنشدَه على البَديهة ، دوبيت :

هُنِّيتَ لكَ الشِّفَا والسُّقْمُ عَـداكْ ... والضَّيْرُ مع الشَّقاء نالتْه عِـداكْ

---

(١) تقدمت ترجمته فى النفحة ٢ / ٥٤٩ .

(٢) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، خلاصة الأثر ١ / ٤٣٤ ، نفحة الريحانة ٢ / ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٣) تقدم التعريف به فى النفحة ١ / ٤٣٢ .
والأبيات فى ديوانه ٤٣٨ .

(٤) فى الديوان : « قابلنى حين بدت » .

(٥) فى الديوان : « بدمع عين من جفونى امتراه » .

(٦) تقدمت ترجمته برقم ١١ صفحة ١٣٨

لو كان سِواكَ رَوضًا يا أمَلِى بالرُّوح جميعُنا وبالنَّفسِ فِـــداكْ

***

وكتب إليه أيضـــا :

لو صُوِّر الأُدباء ذاتًا كُمِّلتْ وحَوَتْ جميعَ بدائع البُلغاء
لرأيت وَجْنَتَها أفاضلَ خَلْقِهِ والخالَ زينةَ وَجْنةِ الأُدباء

***

فأجابه الخال بقوله :

لو صُوِّرَ المجـــدُ المُؤثَّلُ فى الورَى ذاتًا تتوَّج رأســه بعَـلاء
ورِداؤها الشَّرفُ الذى هو فى الدُّنا مُتوارَثٌ عن فاطمَ الزَّهراء
وتَمنطَقتْ بالنَّيِّرَيْنِ ونُطقُهـــا أزْرَى بـكلِّ بدائع البُلغـــاء
وبَدَتْ لقَال العـــالَمون بأسْرِها بِلسانِ مَعْرفةٍ وحُسْنِ رُواء
لاشكَّ ذا المولَى الصَّمادِىُّ الذى إنْ فاه فالخطبـــاء كالفَأفاء
السيدُ السامِى المحلِّ على السَّما بل زينـــةُ الخَضْراء والغَبْراء
فَطِنٌ وكم من مرَّةٍ يأتى بمـــا أضْمَرْتُ طِبْقَ إرادتى ومُنـــائى
يستدرِكُ الأملَ البعيـــدَ بنَظْرةٍ من غيرما وَحْيٍ ولا إيمـــاء (١)
إن أعْطَ أو إن قال أزْرَى أبْحُرًا فى حاتمِ الطَّائىِّ وابنِ عَطاء (٢)
لو أن قُسًّا رامَ وَصْفَ صفـــاتِهِ نَسَبُوا الأيادِى منـــه للإعْياء
مولاىَ يافَرْعٌ من الأصْـــلِ الذى يُسْقَى بماء الفضـــلِ والأنْواء
وافَتْ تُحيِّ ذاتَ مجـــدِكَ غايةً لكنها تَمْشِى على اسْتحيـــاء (٣)

---

(١) لم يرد هذا البيت والذى بعده فى : س .
(٢) كذا فى الأصول : « إن أعط » لئلا يختل الوزن ، وصوابه « إن أعطى » .
(٣) كذا « غاية » ، ولعلها « غادة » .

تَرْجُو القَبُولَ وذاكَ غايةُ مَهْرِها ... فاقْبَلْ وحَقِّقْ فيكَ حُسْنَ رجائى

***

والمترجَم [١] :

وساقٍ خَدُّه المُحْمَرُّ يحكِى ... مُداماً راقَ فاقَ الوَرْدَ عِطْراً [٢]

إذا ما عَبَّ منها خِلْتَ خَمْراً ... ولا خَدًّا وخَدًّا ليس خَمْرا [٣]

***

وله فى فَوَّارة ماء [٤] :

وبى فَوَّارةٌ غَشَّتْ وُرُودًا ... ببِرْكتها عليهـــا الماءُ سالا

ولاحتْ وَرْدةٌ للعَـــينِ حَلَّتْ ... بأعْلاها فزادتْهـــا جَمالا

تُحاكى قُبَّةَ الألْماسِ فيهـــا ... بِساطًا من يَواقيت تَلالا [٥]

ويَحمِلُهـــا عَمودٌ من لُجَيْنٍ ... لها المَرْجانُ قـد أضحى هِلالا

***

وللأديب البارع الفاضل الكامل صادق بن محمد [٦] الشهير بابن الخرَّاط ، من ذلك:

شاهدتُ وَرْدَ الرَّوضِ لاح ببِرْكةٍ ... صفحاتُهـــا زِينَتْ بدُرِّحَبابِ

---

(١) البيتان فى سلك الدرر ٤/١٨٢ . (٢) فى سلك الدرر : « فاق العود عطرا » .

(٣) فى سلك الدرر : « ولاخد وخدا ليس خمرا » ، وفى ص كما هنا وألف « وخدا ليس» مزالة .

(٤) الأبيات فى سلك الدرر ٤/١٨٣ .

(٥) فى الأصول والسلك « بساط من يواقيت » .

(٦) فى الأصول : « محمد صادق » ، وتقدم مثل هذا فى صفحة ٦١ عند ذكر سعيد بن محمد ، المعروف بسمسمانى زاده .

وهو : صادق بن محمد بن حسين الخراط الحنفى الدمشقى .

كان عالما ماهرا فى الشرعيات ، وله القدم الراسخ فى الأدب .

لازم عبد الغنى النابلسى ، وتزوج بابنته ، ودرس بالمدرسة العمرية مدة قليلة ، وكان يتولى نيابة محكمة الباب .

توفى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

سلك الدرر ٢/١٩٢

وعَلَتْه من سَلْسَالِهــــا فوّارةٌ كالقُبــةِ البلُّورِ فى التَّسْكابِ
فكأنّه لمّا تجمّع نحوَهــا شَفَق تَراءى فى خِلالِ سَحابِ
أو دارةُ الشمسِ المنيرة أشرقتْ صُبْحاً وغشَّاها رقيقُ سَحابِ

***

ولجامعه الفاضل محمد المحموديّ ، من ذلك :

لله فوّارةٌ سالتْ جَوانبهــــا فى رَوضةٍ من حِماها يُجْتنَى الطَّرَبُ
كأنها خَيْمة البلُّورِ قـــد نُصِبَتْ عَمودُها فِضّةٌ أوْتادُهــا الحَبَبُ
حتى إذا الريحُ أكْنافَا لها رفعتْ غَدَتْ كتُرْسٍ من الألْماسِ مُنسَكِبِ

***

وللمترجَم مُعَمّى فى خال [(١)] :

حين زار الحبيبُ من غير وَعدٍ ورقيبى نَاءٍ وزال عنائى [(٢)]
لاَحَ لاَحٍ عدِمتُ رُؤْيته قد حار قَلْبًا بنُقْطةٍ سَوْداء

(١) البيتان فى سلك الدرر ٤/١٨٣ . (٢) فى سلك الدرر : « ورقيبى نأى » .

١٤
زين الدّين بن محمد بن سلطان*

أَوْلَى (١) من تَتَزَيَّن الطُّروسُ بتحائِفِه، وتُقْرَأُ سورةُ الحَمْدِ من كتاب الإخْلاص في صحائِفِه .

فهو بالْعُروةِ الوُثْقَى من الآداب (٢) مُعْتَصِم ، وحُجّتُهُ البـالغة قائمةٌ إن قام نَحْوَه مُخْتَصِم .

يَتَعَرَّف به طريقَ الصَّواب الْمتحيِّر ، وهو في صِدْقِ الوُدّ لا بالمَلول ولا بالْمُتغيِّر .

فالذى قَسَّم القَبولَ جعَل له منه أعْظَمَ قِسْمَة ، والذى أَوْجَد الـكمالَ صيَّر له مُسَمّاهُ وللناس اسْمَه .

اطَّلَع والناسُ بَعْدُ ناس ، وفيهم من تقدَّس مَثْواه بلُطْفٍ وإيناس .

فلحقَتْهُ من جمائِلهم جُملةُ جَمال ، وقرَّت له بمَحْضِ الاعْتناء تكملةُ كَمال .

مع خُلُق كالخَلُوقِ (٣) ينفَح ، وإغْضاء به عن الجُرْمِ يصْفَح .

***

وله أدبٌ أخلَصه السَّبْكُ إبْرِيزًا ، وشِعْرٌ استوجَب (٤) به تفوُّقا و تَبْرِيزا .

ذكرتُ منه مايدلُّ على طُولِ باعِه ، وأنه أخَذ بسلامَةِ (٥) الوَصْف وانْطِباعِه .

فمنه قوله (٦) :

(*) زين الدين بن محمد بن أبي بكر الحنفي الدمشقي ، ابن سلطان .

ولد بدمشق سنة ثمـاني عشرة وألف ، ونبغ واشتهر بالأدب ، وكان من أخصاء الأمير منجك ، ورئيس كتاب القسمة العسكرية بدمشق .

وكان معمرا ، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف ، عن مائة وأربع سنين ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

سلك الدرر ٢/١١٨ ، ١١٩ ، وقد نقل المرادي ترجمة المحبي له ، وزاد عليها .

(١) في سلك الدرر : « أول » . (٢) في سلك الدرر : « الأدب » .

(٣) الخلوق : ضرب من الطيب . (٤) في س : « يستوجب » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

(٥) في سلك الدرر : « بسلافة » . (٦) القصيدة في سلك الدرر ٢/١١٨ ، ١١٩ .

زار المُفَدَّى برُوحِي منزلي ورَعَى ... وُدِّى فزاد عَفافِي بالوفا وَرَعا

بطلعةٍ أشْرقتْ بالحُسْنِ مُذْ فَتَنَتْ ... والشَّوقُ من مَشْرِقِ الأنْوارِ قد طَلَعَا

أميرُ حُسْنٍ على كلِّ المِلاحِ لقـد ... زاد الضِّياءِ فأضْحَوْا جُنْدَه تَبَعَا [1]

أعارَهم منـــه حُسْنًا باهرًا فغَدَا ... كلُّ المِلاحِ له أسْرَى بمـا صَنَعَا

قد قَسَّم الحسنَ أشْطاراً وعَدَّلهـا ... فَرْضاً وَرَدًّا فعادتْ بعـدما جمِعَا [2]

فالوردُ من خَدِّه القـانى دَنَا فزَهـا ... والبدْرُ من جيـدِهِ حُسْنًا به ارْتَفَعَا

ياجيرةَ الصَّبِّ من لَحْظٍ مُهَنَّدُه ... ماضٍ لحَتْفِ الفتى من قبل أن يَقَعَا

كم عاشقٍ قـد مَحاهُ الشَّوقُ من وَلَهٍ ... ومَسَّه الخَبْلُ عِشْقًا فيـه وانْطَبَعَا

من قَبْلِه لم يكنْ عِشْقٌ ولا تَلِفَتْ ... رُوحٌ به لا ولا عَقْلٌ به انْتَزَعَا

فلا تلُمْني سُدًى يا عاذِلِي شَطَطاً ... فالحُبُّ دَابِي وعَزَّ الصبرُ وانْقَطَعَا [3]

قـد زارَنِي حيثُ لا وَاشٍ يَنِمُّ به ... ولا رقيبٌ رأى مَسراهُ أو سَمِعَا [4]

ومُذْ خلا مَجْلسِي وانقـادطَوْعَ يدى ... سَدَلْتُ ثوبَ عَفافِي عنه مُمْتنِعَا [5]

فى ليلةٍ لم يكنْ فيهـا سوى أدبٍ ... غَضٍّ فؤادى وعقلى فيـه قـد رَتَعَا

من كلِّ معنًى رقيقٍ زادنى طَرَبًا ... عُودًا ورقًّا وشِعْراً طاب مُستَمَعَا [6]

والرّاحُ قـد جُلِيَتْ صِرْفًا مُعَتَّقةً ... لا شكَّ عاد بطيبِ كَرْمُهـا زُرِعَا

عاينْتُ من رِيقـهِ شُرْبًا له أرَجٌ ... ووَجْنَتَيْهِ شُعـاعا أحمراً لَمَعَا

---

(١) فى سلك الدرر : « زاد النصابي فأضحوا » .

(٢) يشير فى هذا البيت إلى بعض مصطلحات علم الفرائض ، وانظر ماتقدم صفحة ١٢٢ حاشية ٢ .

(٣) فى سلك الدرر : « ياعاذلى غلطا » ، وفى الأصول : « فالحب راق » ، والمثبت فى سلك الدرر .

(٤) فى الأصول : « رأى مرآه أو سمعا » ، والمثبت فى سلك الدرر .

(٥) فى ص : « سبلت ثوب » ، وفى سلك الدرر : « أسدلت ثوب » ، والمثبت فى : ب .

(٦) فى ص : « زارنى طربا » ، والمثبت فى : ب ، سلك الدرر ، وفى سلك الدرر : « عوداودفا » .

آه على ليلةٍ وَلَّتْ ونادَمَني فيها المَليحُ بما أهْوَى وما رَدَعاَ [1]

تمَتّعتْ مُهْجتِي فيهـا بلا كَدَرٍ والوقتُ صافٍ صَفَا لى خادماً وسَعَى

فقلتُ آه ومثْلى من يُكرِّرُها على زمانٍ مضى لو طال أو رَجَعاَ [2]

***

ووزْنُها وقافيتُها كثير ، فنختصر عليها خوفَ الإطالة لا التّقْصير .

☆☆☆



(١) فى سلك الدرر : « ومأودعا » . (٢) سقط هذا البيت ، وبقية الترجمة من : س .

١٥

أحمد بن محمد السَّلاميّ

المعروف بابن آكرى بوز*

تَذكِرةُ العرب ، المُتوفِّر منه من[١] الأدبِ الأرَب .

بحُسْنِ أداء يُعرِب ويَطِيب ، ولُطف[٢] خُلُقٍ كلُّ عُضْوٍ فيه لسانٌ رَطِيب .

وله شعر كالرَّوض فتَح النَّدَى وَجْهَ ثَراه فاستَيقظ نُوَّارُه ، ونَثْرٍ كأنَّ سَقِيطَ الطَّلِّ فيه دُرٌّ وقد تجسَّمت نُوراً أنْوارُه .

أغْرَب فيها أحْسَنَ إغْراب ، وأعْرب عن فهمِه بحُسْنِ تخليدِ أبْدَع إعْراب .

فكأن حبيباً[٣] من لَهْجتِه تعلَّم ، والوليدَ[٣] على لسانِه تكلَّم .

وهو رَفيقِي من عهدِ معرفتِي الرِّفاق ، وزميلِي في العِشْرة التي أُسِّست على مَحْضِ الوِفاق .

ولي معه مُجالَسات يَستعيرُ منها النسيم فضلَ التَّلطُّف ، ويأخُذ عنها الهَزارُ والغُصْنُ حُسْنَ التَّرنُّم والتَّعطُّف .

(*) أحمد بن محمد السلامى ، المعروف بابن اكرى بوز .

وجاءت شهرته هكذا في : ب ، وتحتها نقط ثلاث ، وفي س : « اكسرى بوز » ، وتحت السين ثلاث نقط أيضا ، وفي سلك الدرر : « اغرى بوز » ، وقد اخترت ما في : ب ، وظني أن هذه الكاف المنقوطة من تحت بثلاث نقط هي الجيم القاهرية ، أو الجا الفارسية ، التي ترسم الآن كافا مع وضع خط فوقها ، وأنها حرفت في سلك الدرر إلى الغين .

وقد كان السلامى أحد أعيان جند دمشق ، أديباً ، نحويا ، صوفيا ، بارعا ، منشئا .

أخذ بدمشق عن عبد الغني النابلسي ، ولازمه واختص بصحبته .

توفي سنة ست وعشرين ومائة وألف ، ودفن بمرج الدحداح .

سلك الدرر ١/١٨٣ – ١٨٦ ، وقد نقل المرادي صدر ترجمة المحبي له وبعض شعره .

(١) في س : « في » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

(٢) في ب : « وطلق » ، والمثبت في : س ، وسلك الدرر .

(٣) يعني أبا تمام والبحتري .

فتُعطِّر منها مجامِرُ الزَّهْر فى الأَنْدِية ، لنسائمِ الأَسْحار حَواشِيَ الأَذْيال والأَرْدِية .

إن سكرتُ بـكلامِه[1] فنديمى ذِكْراه ، وتُهْدِى لى شَمائِلَه الصَّبا فيَبعثُ الرُّوح فى مَسْراه .

ويُتحفنى بـكلِّ ما يملك لُبَّ الإحْسان مُقْتَنِيه[2] ، ويُدْلِى علىَّ ما يُثْمِر جَمْع الحُسْن مُجْتنِيه .

فما أَمْلاه علىَّ ، وأهداه إلىَّ ، قولُه[3] :

عَلِقْتُه ذا قَوامٍ ماسَ من هَيَفٍ ... كالغُصْنِ يَعْطِفُه من لِينِه المَيَدُ

يَرْنُو بفاترةِ الأَجْفــانِ فاتنةٍ ... بالسِّحْرِ غَصَّانةٍ ماشانَهَ القَوَدُ[4]

بنُغْنُغٍ فوق جِيــدٍ أَجْيَــدٍ يَقَقٍ ... كذائِبِ الدُّرِّ تحت الدُّرِّ يَتَّقِدُ[5]

مُمَنْطَقٍ فوق خَصْرٍ دَقَّ عن نَظَرٍ ... كالخَيْزُرانةِ لُطْفًا كاد يَنْعَقِدُ[6]

والرِّدْفُ مثلُ كَثِيبٍ هَامِلٍ تَرِفٍ ... إنْ رام نَهْضًا بهِ الأَمْواجُ تَطَّرِدُ[7]

***

وقوله[8] :

عُلِّقْتُه ذَا نُواسٍ مُتْرَفٍ غَنِجٍ ... كأنه كوكبٌ يَزْهُو بأَطْلَسِه[9]

قد رَقَّ لُطْفًا فلو فى الحُلْمِ أَبْصَرَه ... أَرْماهُ فى الطَّيْفِ فكرى فى تَخَلُّسِه

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ص ، وسلك الدرر .

(٢) فى الأصول : « معتنيه » ، والمثبت فى سلك الدرر . (٣) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٨٤ .

(٤) فى سلك الدرر : « ماشانها القود » .

والقود : طول الظهر والعنق .

(٥) النغنغ فى الأصل : موضع بين اللهاة وشوارب الحنجور ، وقد استعمله هنا لما هو فوق الجيد ، وانظر استعماله بمعنى العنق فى النفحة ٢/٥٨ ، ٥٩ .

واليقق : الشديد البياض

(٦) فى ص : « دق من نظر » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٧) فى ب : « كثيب هائل » ، والمثبت فى : ص ، وسلك الدرر .

(٨) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٨٤ .

(٩) ذونواس : أى ذو ضفيرتين تنوسان على عاتقه ، والأطلس : الثوب الخلق . و« مترف غنج » صفة لنواس .

ضَنِيتُ سُقْمًا فلو جَسَّ الطبيبُ يدى   لم يَلْقَ مِنِّىَ عُضْواً فى تَجَسُّسِهِ

وقــد خَفِيتُ فلو وَهْمٌ تَوَهَّمنِى   لَمَا اهْتَدَى لِى وَهْمٌ فى تَوَجُّسِهِ [1]

والنَّفسُ طارتْ شُعاعاً فى تنفُّسِها   مِثْل الحَبَــابِ تفانَى فى تَنَفُّسِهِ

***

قريبٌ منه قولُ القَيْسرانِىّ [2] فى وصف شمعة :

يا حُسْنَها من شمعــةٍ   ثوبَ الدَّياجِى أحْــرقَتْ

فاعْجَبْ لهـا لأنَّهـــا   تَفْنَى إذا تنفَّستْ

***

وقولُ المترجَم : « قد رَقَّ لطفا » البيت ، هو من قول خالد الـكاتب [3] :

توهَّمه طَرْفِى فأصبح خَــدُّه   وفيه مكانَ الوَهْمِ من نَظَرِى أثْرُ [4]

وصـــافَحه كَفِّى فآلَمَ كَفَّهُ   فمِن لَمْسِ كَفِّى فى أنامِلِه عَقْرُ [5]

ومَرَّ بفكرى خاطراً فجرحْتُــه   ولم أرَ خَلْقاً قطُّ يجرحُه الفِكْرُ [6]

وقريبٌ منه قول إبراهيم النَّظَّام [7] ، وهو [8] :

عَجَبٌ أعْوزَكَ المْـ   ـاءُ وأطْرافُكَ مَــاءُ

---

(١) سقط قوله : « توجسه » من : ب ، وهو فى : ص ، وسلك الدرر .

(٢) تقدم التعريف به فى النفحة ٢/٤٠٣ .

(٣) تقدم التعريف به فى النفحة ١/٣٦٣ ، وقد نسبت الأبيات لخالد أيضا فى سلك الدرر ١/١٨٥ .
ونسبة هذه الأبيات إلى خالد الـكاتب خطأ ، ، وإنما هى للنظام كما فى : أمالى المرتضى ١/١٨٨ ، والنفحة ١/٣٦٣ (الأول والثالث) ، وانظر تراجم بعض أعيـان دمشق ١٧٣ . وقد ساق المؤلف فى النفحة ١/٣٦٣ لخالد الـكاتب فى هذا المعنى قوله :

لَوْ لَحَظَتْهُ العُيُونُ مُدْمِنَةً   لَذَابَ مِنْ رِقَّةٍ فَلَم يَجِدِ

(٤) فى الأمالى والنفحة : « فآلم خده » ، وفى الأمالى : « فــكان مكان الوهم » ، وفى النفحة ونسخة من الأمالى : « فصار مكان الوهم » .

(٥) فى الأمالى : « فمن صفح قلبى » .   (٦) فى الأمالى : « ومر بقلبى خاطرا » .

(٧) تقدم التعريف به فى النفحة ١/ ٣٦٣ .   (٨) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٨٥ .

كيف لا يَخْطَفُكَ الظّـ ـلُّ ويَحْويك الهواء

وخَفِيُّ اللَّحْظِ يُدْمِيـ ـك وإن عزَّ اللِّقاء

يا بَديعاً كلُّه غُنْـ ـجٌ وشَكْلٌ وبَهاء

وقولُه (١) :

رَقَّ فلو بُزَّتْ سَرابيلُهُ عَلَّقَهُ الجَوُّ من اللُّطْفِ (٢)

يَجْرَحُه اللَّحْظُ بتَكْرارِهِ ويَشْتكِى الإيماءَ بالكَفِّ (٣)

ومنه قولُ عبد الصمد البغدادى (٤) :

أُضْمِرُ أن أُضْمِرَ حُبِّى له فيشتكِى إضْمارَ إضْمارِى

رَقَّ فلو مَرَّتْ به ذَرَّةٌ لَخَضَّبَتْه بدَمٍ جارِ

وقوله :

شَبَّهْتُه قَمراً إذ مَرَّ مُبتسِماً فكاد يَجْرَحُـه التَّشْبِيهُ إذ كَلَما

ومَرَّ فى خاطِرِى تَقْبيلُ وَجْنَتِه فسَيَّلَتْ فِكْرتى فى وَجْنَتَيْهِ دَما

ولشيخ الإسلام البَدْر الغَزِّىِّ (٥) ، طاب ثَراه ، من ذلك (٦) :

تَوَهَّمَ أنِّى رُبَّما زُرْتُ طَيْفَهُ فأمْسَى سَهِيداً حيثما لَمَعَ الصُّبْحُ

وخِيلَ بأنْ لى فِكْرةً فيـه فانْثَنَى ومِن خَدِّه مِن وَهْمِ فِكْرِى به جَرْحُ

---

(١) البيتان فى أمالى المرتضى ١/ ١٨٨ ، وسلك الدرر ، وهما ضمن أبيات فى سرح العيون ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٢) فى الأصول : «فلو نزت سراويله» ، والمثبت من المراجع السابقة ، وفى هوامش الأمالى : « حاشية ت : يعنى أن فى سرابيله ثقلا واعتمادا باقيا ، فلو بزت لعلقه الجو » .

(٣) فى الأمالى وسرح العيون : « ويشتكى الإيماء بالكف » .

(٤) لعله يعنى عبد الصمد بن منصور بن الحسن ، المعروف بابن بابك .

وهو شاعر من أهل بغداد ، مجيد ، مكثر ، وفد على الصاحب ابن عباد وتوفى ببغداد سنة عشر وأربعمائة.
معاهد التنصيص ١/ ٢٤ ، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٥ ، وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٨ ، يتيمة الدهر ٣/ ٣٧٧ .
والبيتان فى سلك الدرر ١/ ١٨٥ .

(٥) تقدم التعريف به فى النفحة ١/ ٤٢٣ . (٦) البيتان فى سلك الدرر ١/ ١٨٥ .

وقولُ حافظِ الدِّين العَجَمِيّ ، من قصيدة :

جَرَحْتُ بنَظْرتى خَدَّيْهِ وَهْماً فقابَلَنِي بأنواعِ العقابِ

منها[1] :

قضَى بالقَتْلِ للعُشّاقِ عَمْداً بحُكْمٍ منه قَطْعِيِّ الجوابِ

وذلك حين أدْمَوا منه خَدًّا بنَظْرتِهم له خَلْفَ الحِجابِ

وألْطَفُ منه قولُ الكامل مصطفى البَابِيِّ الحلبيّ[2] ، من قصيدته المِيمِيّة[3] :

صَنَمٌ كأنَّ اللهَ صَوَّرَهُ من الأرْواحِ جِسْما

وكأنما مُزِجَ الصَّبا حتى تكوَّن منه بالمَا

وَجَنَاتُه رَقَّتْ فكادتْ من خيالِ الوَهْمِ تَدْمَى

خَفِّضْ عليك يانِطا قُ فقد كَدَدْتَ الخَصْرَ ضَمًّا[4]

واخْفِفْ مُرورَكَ يانَسِيمُ فقد خَدَشْتَ الخَدَّ لَثْمَا

وقولُ ابن السَّمّان ، من أبيات[5] :

لَئِنْ جرحَتْهُ النَاظرون بخَدِّه فمِسْكةُ ذاكَ الخالِ تمنعهُ دَمَا

ولْنُمْسِكْ عِنانَ القلَمِ عن ذلك ، فإن هذا الباب كبيرٌ مَدِيد .

***

(١) ساقط من : س ، وهو فى : ب . (٢) تقدمت ترجمته فى النفحة ٢ / ٤٣٣ .

(٣) القصيدة فى النفحة ٢ / ٤٥٧ ـ ٤٥٩ .

(٤) فى س : « ياقشاق » ، والمثبت فى : ب ، ورواية النفحة : « نَفِّسْ عليه يانطاق » .

(٥) جاءت الأبيات كلها فى س ، فقد قال ابن السمان :

« ووقع لى فى هـذا المعنى زيادةٌ لطيفة ، وهو كَون المِسْكِ مُضِرًّا للجُرْح ، أودعتها [كذا] فى آخر الأبيات وهى قوله [كذا] :

وأسْمَرَ إنْ يسْطو بأسْمرِ قَدِّهِ تخالُ عِذارَ الخَـدِّ رايتَهُ الخَضْرا =

ومن بدائع المترجَم قولُه[١] :

قد زارنى فى الدُّجى والشمسُ طَلْعته ... حتى ظننْتُ نهاراً حالكَ الظُّلَمِ

يرُدُّ طَرْفى لألاءُ بوَجْنتِه ... وَبْلاهُ لا نظرةٌ يُشْفَى بها سَقَمِى

مَشَى يُرنِّحُ خُوطَ البانِ من هَيَفٍ ... على نَقًا خُلِقَتْ من لؤلؤٍ هَضِمِ[٢]

صِيغَ الجمالُ على تِمْثالِ صُورتِهِ ... فاستغرقَ الحُسْنَ بين الفَرْعِ والقَدَمِ

سبحان مَن صاغَ مِن إبْداعِ قُدْرتِهِ ... رُوحَ الجمالِ ولكن حلَّ فى الصَّنَمِ[٣]

***

وللحَشْرِىِّ[٤] :

وذى دَلالٍ كأنَّ اللهَ صَوَّرَهُ ... من جَوْهرِ الحسنِ لولا أنَّه شَبَحُ[٥]

وللمتنبِّى[٦] :

= رَشًا ببحارِ الحُسْنِ أصبح رِدْفُهُ ... يموج وذاك الثَّغْرُ أسْمعنِى الدُّرَّا

تطابَق قلبٌ بالجمالِ وقالبٌ ... فيا قلبُ ما أقسى ويا جسمُ ما أطْرَى

ومن بعدِ هاتيك الثَّنايا وأدْمُعِى ... فلا تنظُروا نَظْمَ الجُمانِ ولا نَثْرا

وأُقسِمُ بالوجْهِ الجميلِ وقامةٍ ... تميلُ كغُصن البانِ حاملةً بدْرا

وكَنْزِ فمٍ صانَتْهُ بِيضٌ صوارِمٌ ... مُسلَّطةٌ بالسِّحرِ من مُقَلٍ سَكْرَى

لئن جرحته . . .

ووقع فى س : « لذ جرحته . . . » .

(١) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٨٦ .

(٢) الخوط : الغصن الناعم ، ويعنى بالهضم خصره النحيل الدقيق .

(٣) فى سلك الدرر : « حل فى صنم » .

(٤) تقدمت ترجمته فى النفحة ٢/٤٣٦ .

والبيت فيها ٢/٣٥٢ ، وسلك الدرر ١/١٨٦ .

(٥) فى النفحة : « إلا أنه شبح » .

(٦) ديوانه ٦٠ ، وسلك الدرر ١/١٨٦ .

لَعِبتْ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ وجَرَّدَتْ صَنَماً من الأصْنامِ لولا الرُّوحُ

ومنه قولُ حسين بن الجَزَرِيّ الحلبيّ (١) :

تتفدّاكَ ساقِيـاً قد كساكَ الْ حُسْنُ من فَرْقِكَ المُضِىءِ لِساقِكْ

تُشْرِقُ الشمسُ من يدَيْكَ ومن فِيـ ـكَ الثُّرَيّا والبـدرُ من أطْواقِكْ

أوَ لَيس العجيبُ كَوْنَك بَدْراً كاملاً والمحـاقُ فى عُشّاقِكْ (٢)

فِتْنَـةٌ أنت إذْ تُميتُ وتُحْيِي بتلاقيك مَن تَشـا وفِراقِكْ

لستَ من هـذه الخَليقةِ بل أنْـ ـتَ مَليكٌ أُرْسِلْتَ من خَلّاقِكْ

***

والمترجَم مُضمِّنا المِصْراعَ الأخير (٣) :

وبى سَمْهَرِىُّ القَدِّ بالفَتْكِ مُولَعٌ يصُول ولا يخشَى من اللّومِ والعَتْبِ

يُهدِّدُنى طَوراً بعَضْبِ لِحاظِهِ ويُقْصِدُ أحيانا فؤادِىَ بالهُدْبِ (٤)

فلم أدْرِ أيًّا قاتِلِى غـيرَ أنّنى سمعتُ بأُذْنِى رَنّةَ السهمِ فى قلبِى (٥)

***

(١) تقدم التعريف به فى الصفحة ١/٣٧٦ ، وبعد هذا فى س زيادة : « وتروى لابن نباتة ، كما فى كتاب الرياض الأنيقة » .

والأبيات فى سلك الدرر ١/١٨٦ ، ولم أجد الأبيات لابن نباتة المصرى فى ديوانه .

(٢) فى ب : « من عشاقك » ، والمثبت فى : س ، وسلك الدرر .

(٣) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٤٣ ، ٤٤ .

(٤) أقصده : طعنه فلم يخطئه . (٥) بعد هذا البيت فى س زيادة :

« وأصل المِصْراع المُضمَّن مأخوذ من قول الوليد بن يزيد ، عند وفاة هشام ، وهو كما فى التاريخ المنسوب لابن أبى عَدَسة :

إنّى سمعتُ بأُذْنِى نحوَ الرُّصـافةِ رَنَّهْ

فظَلْتُ أسْحبُ ذَيْلِى أقولُ ما حالُهُنَّهْ

إذا بنـاتُ هشامٍ يَنْدُبْنَ والدَهُنَّـهْ =

أصلُه[١] من كلام السيد أسعد العُبادِيّ[٢] ، حيث قال :

تعرَّضَ لي يوماً بشَرْقِ عالِجٍ غَزالٌ كَحِيلُ الطَّرْفِ منظرُه يَسْبِي[٣]
وأقْصَدَنِي من ناظِرَيْه بأسْهُمٍ تَرَكْنَ دمي يجْرِي عِياناً على التُّرْبِ
وليس سِواهُ قاتِلي حيث أنَّني سمعتُ بأُذْنِي رَنَّةَ السهمِ في قلبِي

ومن ذلك قول الفاضل محمد مراد السقاميني[٤] :

ولم أنْسَ إذْ وَافيْتُ يوما بأغْيَدٍ كثيرِ التَّجَنِّي والصُّدودِ على الصَّبِّ
غَزالٌ إذا ما ماسَ تِيهــاً بقَدِّهِ فما الصَّعْدَةُ السَّمراءُ والمُلْدُ القُضْبُ[٥]
وفَوَّقَ لي من جَفْنِ لَحْظَيْه أسْهُماً ولا سَهْمَ إلَّا ما تَرَيَّشَ بالهُدْبِ
فحَقَّقْتُ ظَنِّي أنه قاتِلِي لِمــا سمعتُ بأُذْنِي رَنَّةَ السهمِ في قلبِي

ومن ذلك قول الكامل محمد بن أحمد الكَنْجِيّ[٦] :

كُفَّ باللهِ واتَّئِدْ يا عَذُولِي ما لقلــبي إلى السُّلُوِّ سبيلُ
كيف أسْلُو وفي الحَشَا من هَواهُ لاعِجُ الشَّوقِ راسِخٌ لا يحُولُ[٧]

= يدعُون وَيْلا وعـدلا والوَيْلُ حَلَّ بِهِنَّـهْ
يبـكين شيخاً كبيراً قـد كانَ بَرًّا بِهِنَّهْ
إن المُخنَّثَ حقًّــا بمَوتِه ينكهنَّــهْ

وقد ضَمَّنه أيضا حسن حابي بن مصلي ؛ حيث قال : »

وأورد بعد هذا الأبيات الآتية لحسين بن أحمد بن مصلي ، ولعل في النسخة تحريفا . « وينكهنه » كذا جاء في النسخة .

(١) من هنا إلى آخر الأبيات ساقط من : س .

(٢) تقدم التعريف به في صفحة ٤١ ، والأبيات في سلك الدرر ٢/٤٤

(٣) عالج : رملة بالبادية ، أو رمال بين فيد والقريات . معجم البلدان ٣/٥٩١ .

(٤) تقدمت ترجمته في صفحة ١٠١ . (٥) الصعدة : القناة المستوية المستقيمة. وفي البيت إقواء كما ترى

(٦) تقدمت ترجمته ، في صفحة ٥٥ ، والأبيات في سلك الدرر ٢/٤٤ .

(٧) في السلك : « راسخ لا يحول » .

كلّما قلتُ مالَ قلبي وحاشاً ... أنَّ قلبي إلى سِواهُ يَميلُ

رَاشَني من لِحاظِه بسِهامٍ ... قاتلاتٍ إلى فؤادِي وُصُولُ

ما تحقّقتُ فِعلهـا الفَتْكَ إلّا ... حين رَنّتْ فكان ذاكَ الدليلُ

ومن ذلك قولُ الفاضل الأديب، والكامل الأريب، موسى بن أبي السعود المَحاسِنِيّ (١) (٢)، حفظه الله تعالى:

ولم أنسَ فِعْلَ الرِّيمِ إذْ مَرَّ مُعرِضاً ... وطَلْعتُه من فَرْطِ حُسْنِ الْبَها تَسْبِي

وأسكرني مِن عِطْفِه نَشْرُ طِيبِه ... ونَكْهَةُ ذاكَ الثَّغْرِ محمودةُ القُرْبِ

وما كنتُ أدرِي قبلَ أن أعلَقَ الرَّشا ... مَراتِـعَ غِزْلانٍ تَلَذَّذْنَ بالعَتْبِ (٣)

ومَوْطِنَ أهْوالِ الهوَى وشُجونَه ... وما ذُقْتُ طعمَ الذُّلِّ فى طَمَعِ الحبِّ

إلى أن تَوَلّانى الغَزالُ وطَرْفُه ... كَحِيلٌ تُبَدِّيه الحروبُ على العَضْبِ (٤)

وراشَ سِهاماً من لِحاظٍ قَواتلٍ ... سَفَكْنَ دمِى عَمْداً وأثَّرْنَ فى القلبِ (٥)

فكانت لقتْلِي عِلّةً ودليلُها ... سمعتُ بأذْنِى رَنَّةَ السهمِ فى قلبِى

ومن ذلك قولُ النَّجيب حسين بن أحمد، ابن مُصَلِّى (٦)، نَسِيباً:

---

(١) من هنا إلى آخر الأبيات ساقط من: س.

(٢) موسى بن أسعد بن يحيى المحاسني الحنفى الدمشقى.

ولد بدمشق، ونشأ بها، وقرأ على شيوخ عصره منهم: عبد الغني النابلسي، ومحمد الكاملى، ووالده أسعد المحاسنى.

وتصدر للإقراء والتدريس، فى الجامع الأموى، والمدرسة الفتحية، والمدرسة العمرية، وغيرهم.

رحل إلى الروم، ثم رجع، واشتغل بالتأليف، فنظم «متن التنوير» فى الفقة، ثم شرحه، ونظم «متن التلخيص» فى المعانى، ثم شرحه، وكانت له قدم راسخة فى: الفقه، والمعاني، والبيان، والأدب.

توفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير.

سلك الدرر ٤/٢٢٢ – ٢٢٥، والأبيات فيها ٢/٤٣.

(٣) فى سلك الدرر: «أن أعشق الرشا».

(٤) بدأه يبدئه، بالتشديد وتسهل الهمزة: قدمه فى العمل، والعضب: السيف القاطع.

(٥) فى سلك الدرر: «وأثرن فى اللب».

(٦) حسين بن أحمد الدمشقى، المعروف بابن مصلى.

كان جنديا أديبا، أخذ عن الشيخ عبد الغنى النابلسى، بارعا فى فنون الأدب، لطيف الخصال.

توفى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف تقريبا، ودفن بمرج الدحداح.

سلك الدرر ٢/٤٢ – ٤٦. والأبيات فيها ٢/٤٣.

برُوحى فتاةٌ رَنَّحَ التِّيهُ عِطْفَها ... تَميسُ بإعْراضٍ وعُجْبٍ على الصَّبِّ
أمال بها سُكْرُ الدَّلالِ فعرْبَدَتْ ... لَواحِظُها بالفَتْكِ فى الجسمِ والقَلْبِ[1]
وقد جاوزَتْ فى الحُسْنِ فَرْطَ بَهائِها ... ولم تَخْشَ لَوْمِى بل يَلَذُّ لها عَتْبِى
أماطتْ حِجابَ الحُسْنِ عن نُورِ وَجْهِها ... نَخِرُّ هلالُ الأُفْقِ مُلْقًى على التُّرْبِ
غَوازِلُ لَحْظَيْهـــا وفُتُرُ جُفونِها ... رَمَتْنِى بهم تِيهًا غُزَيِّلةُ السِّرْبِ
فلم أدرِ فى أىِّ رَمَتْنِى وإنَّمـــا ... سمِعتُ بأُذْنِى رَنَّةَ السهمِ فى قلبِى

ومن ذلك قول الأديب عمر بن مصطفى الرّجيحى[2]، مَواليا :

حَنَّتْ جميعُ العِـــدَى لمَّا المُتَيَّم حَنّ ... والحِبُّ قاسِى لِمضناه الشَّجِى ما حَنّ
لمَّا وَفَى قَوْسَ أهْدابِه لقتلِى سَنّ ... سَمِعْتُ فى وَسْطِ قلبِى السهمَ لمَّا رَنّ

ومن ذلك قولُ جامعه الفاضل محمد المحمودى[3] :

نَهانِىَ عن باهِى المُحَيَّا عَواذِلِى ... وما علِمُوا أنِّى به قد فَنِى رَسْمِى[4]
فقلتُ لهم كُفُّوا المَلامَ وأعْرِضُوا ... فما قلبُكم قلبِى ولا جسمُكم جِسْمِى
وكيف ومِن ألْحاظِه رَاشَ أسهُمًا ... وأقصَدَ أحشائِى برَشْقٍ لها يُصْمِى[5]
وما بَرِحُوا بالعَذْلِ حتى بأُذْنِهم ... لقد سمِعُوا فى مُهْجتِى رَنَّةَ السهمِ

وللشابِّ الكامل[6] عثمان بن المرحوم الشيخ محمد[6] بن[7] الشَّمْعَة :

---

(١) فى سلك الدرر : « بالجسم والقلب » . (٢) صاحب الترجمة التالية . ومن أول قوله : « ومن ذلك » السابق إلى آخر الترجمة ساقط من : س. (٣) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٤٤ . (٤) فى سلك الدرر : « قد فنى اسمى » . (٥) أقصده : رماه فأصابه ، وأصماه : رماه فقتله مكانه .

(٦) فى الأصول : « محمد بن المرحوم الشيخ عثمان » ، وقد تكررت هذه الظاهرة فى الذيل كثيرا فى مثل هذا الاسم ، كسعيد بن محمد السمسمانى ، الذى يأتى فيها باسم محمد سعيد ، وكصادق بن محمد الخراط ، الذى يأتى فيها باسم محمد صادق .

وهو : عثمان بن محمد بن رجب الشافعى البعلى الدمشقى ، المعروف بالشمعة .

ولد قبل الثمانين وألف بقليل ، واشتغل على علماء عصره ، وبرع ، وجلس لإفادة العلوم بالجامع الأموى ، وكان يعظ فى جامع السنانية ، وحج سنة ثلاث ومائة وألف ، وارتحل إلى مصر أيضا .

توفى سنة ست وعشرين ومائة وألف ، ودفن بباب الصغير .

سلك الدرر ٣/١٦٦ ، ١٦٧ ، والأبيات فى سلك الدرر ٢/٤٥ ، وفى بعضها اختلاف .

(٧) زيادة من : س ، على ما فى : ب .

تبدَّى يُهدِّدُنى برَشْقِ نِبالِهِ ... غَزالٌ كَحِيلُ الطَّرْفِ فاقَ ضِيا الشُّهْبِ

فقلتُ له رِفقــاً لأنك فاتِنى ... وتقْتُلنِى ظُلْماً ولم أدْرِ ما ذَنْبِى

فقال اصْطَبِرْ صَبْرَ الكرامِ لأننى ... أعاملُ أهلَ العِشْقِ بالقتْلِ والسَّلْبِ

وصالَ ووَافَى قَوْسُه لِىَ رامِيــاً ... سمعتُ بأُذْنِى رَنَّةَ السهمِ فى قلبِى [1]





(١) فى ص : « وصال وأوفى » ، والمثبت فى : ب ، وهذا البيت ملفق من بيتين فى سلك الدرر .
وقد أشار المرادى إلى أن كل هؤلاء ضمنوا عجز بيت أبى تمام ، ثم أورد بيتين له ، لم أجدهما فى ديوانه . وانظر سلك الدرر ٢/٤٦ .

١٦

عمر بن مصطفى الرجيحى*

مَوْرِدُ أُنْسٍ حلَتْ وُرودُه[1] ، وتبسَّمتْ فيه شَقائقه وتفتَّحَت وُرودُه .

يُوافيك زَهْرُه جَنِيًّا ، ويُواليك أُنْسُه نَجِيًا .

فيَبْسِم وَجْهُ الزمان من نشْره ، ويسْتدْعى الأمَلَ لبَسْط الأُنْسِ ونَشْرِه .

بلُطْفٍ يَمْلِكُ القلوبَ هواها فيه ، وبحْرٍ كبا نُهاها فتُوَفِّيه حَقَّه وتُوافِيه .

وهو يَنْقُشُ بزخْرُفِهِ البُنْيان ، مالا يَنْقُش فى الربيع الجنان .

فكأنَّه صَدْرُ هَزارٍ أو مُطَوّق ، أو عِقْدٌ على جِيد عَرُوسٍ مُطوَّق .

وهو رفيق فى مكتب الوِداد ، حيث يصبُغ أفْواهنا المِداد .

فما تغيَّر مِنَّا عَهْد ، ولا أمالَنا عُنُق لغايته أو نَهْد .

***

وهو أديب أرِيب ، وشاعر مَنْزَعُه قريب .

تصرَّف من المقاطِع فى مثل قِطَع الرِّياض ، وأجْرَى سَواد نِقْسِه[2] على بَياضِ طِرْسِه فتعجَّبْ لذلك السَّوادِ والبَياض .

وقد أتيتُكَ منه بما تعرِف به نَظْمَ الأسْلاك ، وزَهُو بالكواكِب طالعةً فى الأفْلاك .

فمن ذلك قولُه[3] :

(*) عمر بن مصطفى الرجيحى الدمشق .
أديب ، كاتب ، لطيف الذات ، حسن السمات ، من ذوى البيوت القديمة بدمشق .
توفى سنة ثلاثين ومائة وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير
سلك الدرر ٣/١٩١ .

(١) جمع الورد ، بالكسر وهو ورد الماء .

(٢) النقس : الحبر . (٣) الأبيات فى سلك الدرر ٣/١٩١ .

وافى الربيعُ فحبّذاك أوانُ ... سُرّت به الأرواحُ والأبدانُ
ووَفى الحبيبُ لِدَوحِ رَوضٍ نَوْرُه ... ما الدُّرُّ ما الياقوتُ ما المَرجانُ[(١)]
يجرى القَراحُ مُبشِّراً بقُدومِـه ... سِلْكاً سَعَتْ لِنظامِه الخِلّانُ[(٢)]
لمّا تفوّه بالبشارة مُعلِناً ... نَشرتْ عليه حُلِيَّها الأغصانُ

***

وقوله :

لَقِيتُ البدرَ وهو أخو غَرامٍ ... فحيّانى ولم يُطِقِ التّمَوُّهْ
وأخفى وَجْدَه عنّى ولكنْ ... أبَى إخفاءه حَرُّ التّأوُّهْ[(٣)]
وأسكرَ جَفنَه دمعاً فأضحى ... يُكفكِفُه بمِنديلِ التّأوُّهْ

***

وقوله[(٤)] :

البدرُ يُعزَى لِحسنِ طَلعتِه ... والغُصنُ يحكى لِلِينِ قامتِه
وللثّنايا الجُمانُ مُنتمِياً ... والليلُ من بعضِ فَرْعِ طُرّتِه
مُحجَّبٌ كم أرومُ زَورتَه ... والموتُ للصَّبِّ دون زَورتِه

***

---

(١) فى سلك الدرر : « وافى الحبيب » . (٢) القراح : الماء الخالص .
(٣) فى الأصول : « أبى إخفاؤه » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) الأبيات فى سلك الدرر ٣ / ١٩١ .

١٧

يوسف بن محمد القُباقُبِيّ*

نَسِيجُ وَحْدِهِ فى الفضائل الجلائل ، وعليه من الثناء بُرْدٌ[1] من رقيق الغلائل .

فَرَوْضُ أدبه صفا لمن ورَد عليه[2] ، بظِلٍّ ظَليل ضفا بُرْدُ بَرْدِهِ على عِطْفِ نَسماتٍ سَرَيْن إليه .

وهو الآن مُتَخَلٍّ عن التعلّق بالعلائق ، مُتخلّقٌ بأحسن ما يُتخلّق به من الخلائق .

يُبيِّن المُخْلِفَ من الصَّيِّب[3] ، ويُميِّز الخبيث من الطَّيِّب .

فهو مُحَلًّى[4] بسُكونٍ وهُدُوٍّ ، مَظِنّةُ فائدةٍ فى رَواحٍ وغُدُوٍّ .

إلى منطقٍ تُزْرِى[5] عُذوبتُه بالرُّضاب ، وطَلاقةٍ كما راقَ الفِرِنْدُ القِرْضاب[6] .

وفيه لِلَّطافة شَواهِد ، تُزَفُّ منها للمُنَى أبْكارٌ نَواهِد .

***

وشِعْرُه دُرَرٌ من بُحُور ، نُظِم عُقوداً فى نُحور .

ذكرتُ منه ما يَلَذُّ للطَّبْع ، لَذّةَ الماء يُشْرَب من أصْلِ النَّبْع .

(*) يوسف بن محمد بن تاج الدين القباقبي الدمشقي الخزرجي الشافعي .
من أسرة عرفت بالتجارة ، وهو أديب نبيل ، شاعر .
توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف .
سلك الدرر ٤ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وقد نقل المرادي صدر ترجمة المحبي له ، والبيتين اللذين اختارهما .
والقباقبي : نسبة إلى قباقب ، وهو اسم نهر بالثغر ، قرب ملطية ، وهو نهر يدفع فى الفرات .
معجم البلدان ٤ / ٢٦ .

(١) فى س : « برود » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر . (٢) فى سلك الدرر : « إليه » .
(٣) الصيب : السحاب ذو المطر . (٤) فى س : « محلى » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .
(٥) فى سلك الدرر : « تزدرى » .
(٦) الفرند القرضاب : السيف القطاع .

فمنه قوله[1] :

أَكْرَمَ الأكْرمين أنتَ إلٰهِى　　وشفيعُ الأنامِ أكرمُ خَلْقِكْ

أأُرَى بين أكْرَمَيْنِ مُضَـامًا　　أو مُضاعًا حاشا الوفاء وحَقِّكْ[2]

***

والأصلُ فيهما قولُ الأديب عبد الحيّ الشهير بطَرْزَ الرَّيْحان[3] :

أكرمُ الخلقِ أنتَ ذاك وربِّي　　أكرمُ الأكْرمين والذنبُ ذَنْبِي

أأُرَى بين أكْرَمَيْنِ مُضَـامًا　　أو مُضَـاعًا حاشا وفاكم وحُبِّي

ورأيتُ عليهما تخْميسيْن : الأولُ لجناب مولانا الشيخ عبد الغنيّ النَّابُلُسِيّ ، أمْتَع الله المسلمين بحياته ، وهو قوله :

ياشفيعَ الورَى رجاؤُك دَأْبِى　　حيث أنتَ المَلاذُ من كلِّ كَرْبِ

إن تكنْ أنتَ شـافعًا لى فَحَسْبِي　　أكرمُ الخَلْقِ أنتَ ذاكَ وربِّى[4]

أكرمُ الأكْرمين والذنبُ ذَنْبِي

جئتُ أشكوكَ لَوْعةً وغَرامًا　　وأسىً بين أضْلُعِي وأُوامًا[5]

أنا فى بابِكم قصَـدتُ ذِمامًا　　أأُرَى بينَ أكْرَمَيْنِ مُضَـامًا

أو مُضاعًا حاشَا وَفاكم وحُبِّي

---

(١) البيتان فى سلك الدرر ٤/٢٤٠ ، وقد ذكر المرادى مناسبة لهذين البيتين ؛ فقال : « قلت : وأخبرني بعض الأصحاب لهذين البيتين نكتة ، وهى أن صاحب الترجمة تقلبت به الأحوال ، وضاق عيشه، بعد ما كان من ذوى الدنيا كما تقدم ، حتى صار كاتبا فى بعض طواحين دمشق ، فتذكر يوما من الأيام بحاله ، وماجرى له ، ونظم هذين البيتين المتقدم ذكرهما ، فما مضى على ذلك ساعتان إلاورجل مقبل عليه ينادى باسمه فنهض قائما إليه ، وقال له : مامرادك ؟ قال مرادى أنت ، أن تجيب إلى فلان ــ يعنى أحد تجار الشام ــ فذهب معه إليه ، فلما رآه استقبله بغاية الإكرام والابتسام ، وأخبره أن أحد أولاد عمه بمصر مات ، وانحصر إرثه فيه ، وخلف أموالا عظيمة ، ودفعوا له المكاتيب المصرحة بذلك ، فجد السفر إلى مصر ، ورجع منها إلى الشام فى تجارة عظيمة على عادته التى كان عليها » .

(٢) سقط ما بعد هذا إلى نهاية الترجمة من : س .　(٣) تقدمت ترجمته فى النفحة ١/٢٥٤ .

(٤) فى الأصول : « إن تكن أنت شافع » .　(٥) الأوام : شدة العطش .

والثانى للفاضل البارع محمد بن أحمد الكَنْجِىّ [1] ، وهو قوله :

يا أمينَ الهدى وخيرَ مُلَبِّى ذِمَّتِى نِسْبتِى إليك وحَسْبِى

مَن سِواكَ المَلاذُ إنْ جَدَّ كَرْبِى أكرمُ الخلقِ أنت ذاك وربِّى

أكرمُ الأكْرَمِين والذنبُ ذَنْبِى

حيث أنتَ الوَفِىُّ تَرْعَى الذِّماما وبرُحْماكَ حُسْنُ صبرِى اسْتقاما

أنتَ بالفَضْلِ لم تَزلْ رَحَّاما أأُرَى بين أكْرَمَيْنِ مُضاما

أو مُضاعاً حاشا وَفاكم وحُبِّى

ويُناسِب أن يُذْكَر هنا قولُ فريد زمانه، ووحيدِ أوانه ، مصطفى أفندى البابِى [2] ، من نَبَوِيَّة :

إليك رسولَ اللهِ قد جاء ضارِعاً أخو عَثْرةٍ يرْجُو الإقالةَ مُذْنِبُ

فبابُك بابُ اللهِ ما عنه مَهْرَبٌ وطالبُه من غيرِ بابِك يُحْجَبُ

فليس بنا من مِحْنةٍ أو يَمَسُّنا بكَسْبِ يَدٍ إلّا بيُمنِك تذهبُ [3]

منها :

إذا قُمْتَ فى وَعْدِ المَقامِ فإننا على ثقةٍ أن ليس فينا مُخَيَّبُ

ألم يُرْضِك الرحمنُ فى سُورةِ الضُّحَى وحاشاك أن تَرْضَى وفينا مُعذَّبُ

أتَرضَى مع الجاهِ العريضِ ضَياعَنا ونحن إلى أعْتابِ بابِك نُنْسَبُ

---

(١) تقدمت ترجمته ، صفحة ٥٥ .

(٢) تقدمت ترجمته فى النفحة ٢/٤٣٣ ، والأبيات فيها ٢/٤٣٧ ، والقصيدة فى ديوانه (العقود الجوهرية) ٢ — ٥ .

(٣) هذا البيت ملفق من بيتين ، جاءا فى النفحة والديوان هكذا :

فليسَ لنا من مِنْحَةٍ بتفَضُّلٍ منَ اللهِ إلا عن مَساعِيكَ تُجْلَبُ

ولا مَسَّنا مِنْ مِحْنَةٍ أو يَمَسُّنا بِكَسْبِ يَدٍ إلّا بِيُمْنِكَ تَذْهَبُ

أَتَرضَى مع العِرْضِ العَرِيضِ بأن يُرَى ... مَقامُكَ مَحْموداً ونحن نُعَذَّبُ
أَتخذُلُ ياحامِي الذِّمارِ عصابةً ... بِهَدْيِك دانتْ مالها عنك مَذْهَبُ
دَعَوْتَ فلَبَّيْناكَ سَمْعاً وطاعةً ... وحاشاكَ أن ندْعُوكَ ثم نُخَيَّبُ

منها :

عليكَ صلاةُ اللهِ تَتْرَى مُسَلِّماً ... مع الآلِ والأصحابِ ما انْهَلَّ صَيِّبُ
صَلاةٌ تُوازِي قَدْرَ ذاتِك رِفْعَةً ... بتَبْليغِها عنّي إلى اللهِ أرْغَبُ

قبلها :

هو العاقِبُ الماحِي الذى بَزَغَتْ به ... على الكَوْنِ شمسٌ نُورُها ليس يَغْرُبُ
فإن لَدَغَتْكَ المُوبِقاتُ فداوِها ... به فهْو تِرْياقُ السُّمومِ المُجَرَّبُ



عبد الرحمن بن إبراهيم، ابن عبد الرزّاق*

هو بالنَّباهة مُتخلِّق، وبالآداب الغضَّة مُتعلِّق.

لبس حبائر الحمد مفوَّفة، واقتضى [1] عِدَةَ الفضل لا مَمْطولةً ولا مُسوَّفة.

يُغازِل الألطاف غَزَلَ ابنِ أُذَيْنة [2]، ويَكْلَفُ بها كَلَفَ جَميلٍ بِبُثَيْنة.

بشبابٍ له مَجْنىً رَطْب ومُهْتصَر، وعُودُه الطَّرِيُّ لماء الحياة مُعْتصِر.

فعَيْنُ الرَّجاء شاخِصة إليه، وسَمْعُ الأملِ يَطِنُّ بالثناء عليه.

بطبعٍ يُنير فيجلُو الظلام المُعتكِر، ويَفيض فيُخجِل الوَسْمِيَّ [3] المُبتكِر.

***

وله شِعْر حَقيقٌ بالاعْتبار، راجتْ بضاعتُه فنفَق عند أهل الاخْتبار.

أرَقُّ من نَسَمات الأسْحار، وأنْضَر من الرَّوْض المِعْطار.

فما أهداه إليَّ، وأرسلَها بِكْراً تُجْلَى لَدَيَّ، قولُه [4]:

(*) عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الحنفي الدمشقي، المعروف بابن عبد الرزاق.

ولد سنة خمس وسبعين وألف، ودأب في طلب العلم على مشايخ عدة؛ منهم: عبد الغني النابلسي، وأبو المواهب الحنبلي، ومحمد الكاملي.

وكان خطيب جامع السنانية، وله منظومة في الفرائض، سماها «قلائد المنظوم في منتقى فرائض العلوم» وشرحها باسم «نثر لآلئ المفهوم شرح قلائد المنظوم»، وله «ديوان شعر»، و«ديوان خطب».

توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف.

سلك الدرر ٢/٢٦٦ — ٢٧٤، وقد نقل المرادي الترجمة عن ذيل النفحة.

(١) في ب: «واقتص»، وفي ص: «وانقض»، والمثبت في سلك الدرر.

(٢) يعني عروة بن أذينة، وأذينة لقب والده، واسمه يحيى، وهو شاعر من أهل المدينة، فقيه محدث، شهر بالغزل وغلب عليه، ويقدر الأستاذ الزركلي وفاته نحو سنة ثلاثين ومائة للهجرة.

الأعلام ٥/١٨، وسمط اللآلي ١٣٦، والشعر والشعراء ٢/٥٧٩، ٥٨٠.

(٣) الوسمي: أول مطر الربيع. (٤) الأبيات والرسالة بعدها في سلك الدرر ٢/٢٦٧، ٢٦٨.

يابديعاً حوتْ لطائفَه الغُرُّ كما لا يرِفُّ لُطْفاً وحِلْما (١)
لم تدعْ للأنام أبكارُ أفكا رِك معنًى تصوغُه فيك نَظْما
فاعذِرِ الفكرَ في القصورِ فأنَّى يُدرِكُ الفكرُ بعضَ معناك فَهْما (٢)
لا بَرِحْتَ الزمانَ تَطْلُعُ في أُفْ قِ المعالي فَرائداً بك تُسْمَى

سيِّدي وسَنَدي الذي قلَّدَ أجيادَ البلاغة بِغُرَرِ فكرِه، وقسَّم السِّحْر بين بدائع نظمه ونثرِه.

وأدار على النُّهى سُلافةَ ألفاظه وحِكَمَ كلماته، وعطَّر الأرجاء بطِيب نَفْحَة وصِيَغِ عباراته.

وأوْدَعها أبكاراً ألذَّ من المنى عند النفوس، يقول مُقَبِّلُ أرْدانها: لا عِطْرَ بعد عَرُوس.

وكيف لا وقد صيَّر بديعَ الزمانِ من رُواةِ أقلامِه، وصاحبَ « قلائد العِقْيان » من جُملة خُدامِه.

وأوْقَفَ العيونَ والأسماع، بفنونِ طرْزِها بتوْشيح اليَراع.

ورصَّعها (٣) بجواهرِ قوافيه وزَواهِرِ إيجازه (٣)، فلولا الكتابُ لَتُلِيَتْ من سُوَرِه وعُدَّتْ من إعْجازه.

فهو لعَمْرِي آيةٌ لم يَسْمعْ بمثلها الدهر، وحديقةٌ كلَّل أغصانَها الزَّهْر.

فالله تعالى يحفظها على الدوام، ويحرُسها من (٤) الغِيَرِ والأوهام (٤).

هذا، والمُتوقَّع من سحابِ نَداه، وبحرِ أفضاله الذي لا يُدْرَكُ مَداه:
أن يَمُنَّ بسكتابِه « القاموس المحيط، والقابوس الوسيط ».

---

(١) في سلك الدرر: « يافريدا حوت ». (٢) لم يرد هذا البيت والذي يليه في: س.
(٣) في سلك الدرر: « بجوهر إيجازه ». (٤) في سلك الدرر: « غير الأوهام ».

فلا زالت أيامُكم الزّاهرة ، وأوقاتُكم الزّاكية العاطرة .
مَواسمَ أعيادٍ وأفراح ، تنْشرح بها الصدورُ والأرواح .
والسلام ، [١] على الدّوام [١] .

***

وقوله من قصيدة [٢] :

بدرُ تمٍّ سَمَا على أُملُودِ ... أم شموسٌ علَتْ قُدودَ الغِيدِ [٣]
أم مليحٌ مُقَيّدٌ بالثُّريّا ... حُسْنُ مَرْآه فتنةُ المَعْمُودِ [٤]
رِيمُ إنسٍ دَبَّ الفُتورُ بعيْنَيْـ ... ـهِ فأغْنَى عن ابنةِ العُنْقودِ
وثَنَى عِطْفَه الدّلالُ فخِلْنَا ... غُصُناً زانَهُ رطيبُ النُّهودِ
أَلِفَ الصَّدَّ والنِّفارَ فحسْبِي ... بالأمانِي أجْنِي ثمارَ الصُّدودِ
ياخليلَيَّ في الصَّبابةِ مَن لي ... وفؤادي يَسيلُ فوق خُدودِي
حَدِّثانِي عن الحِمَى فعُهودِي ... في هوَى غِيدِه الحسانِ عُهودِي
زمنٌ كنتُ أجْتنِي ثَمرَ القُرْ ... بِ لدَى ظِلِّ عَيْشِها الممدودِ
حيث فيها غُصْنُ الشَّبيبةِ غَضٌّ ... ورُباها مَراتعٌ للغِيدِ
وبها كلُّ مُتْرَفِ الجسمِ ألْمَى ... زانَ خدَّيْه رَوْنَقُ التَّوْرِيدِ
شَقَّ عن زِيقِه الهلالَ وأمسَى ... فَرْعُه فوق بَنْدِه المَعْقودِ [٥]
يَفقِدُ القلبَ كلُّ مَن رام أن يُبْـ ... ـصرَ هِمْيانَ خَصْرِه المَفْقودِ [٦]

---

(١) تكملة من سلك الدرر . (٢) القصيدة في سلك الدرر ٢/٢٦٨ .
(٣) في سلك الدرر : « قدود الخدود » .
والأملود : الغصن الناعم .
(٤) في سلك الدرر : « مقلد بالثريا » .
والمعمود مثل العميد ، وهو من هده العشق .
(٥) الزيق من الثوب : ماأحاط منه بالعنق وما كف من جانب الجيب .
(٦) الهميان : ما يشد به الوسط . معرب . انظر شفاء الغليل ٢٣٤ .

آهِ مما لَقِيتُ منـــه وآهٍ ⁂ من دَوَاعِيه كاذباتِ الوُعودِ[1]

فلـكمْ رُحْتُ من جَفـاه معنًّى ⁂ فاقدَ الصـبرِ زائدَ التَّسهيدِ

ملَكَ القلبَ حُسْنُه مثلَ مَن قد ⁂ ملَكَ الدهرَ بالنَّدَى والجُودِ

منها :

يُودِع الطِّرْسَ من بدائِعِه الغُرِّ ⁂ كرَقْمِ العِذارِ فوقَ الخدُودِ

لو رآه النَّظَّامُ عايَنَ أنَّ ⁂ الجَوْهرَ الفَرْدَ ليس بالمَفْقودِ[2]

***

وقوله من أخرى ، أوَّلُهـــا[3] :

راقَ السرورُ ورَقَّ عُـودُهْ ⁂ والسَّعْدُ فيه اخْضَرَّ عُودُهْ

والدهرُ وافَى بالذى ⁂ نَرْجُو وقـد صَدقتْ وُعودُهْ

والوقتُ طَـابَ وجاد بالْـ ⁂ ـبدرِ الذى كالظَّبْيِ جِيدُهْ

تَرِفٌ يـكاد يسيلُ مِن ⁂ لُطْفِ الصَّبا لولا بُرُودُهْ[4]

يُبْدِي الصُّـدودَ وكلَّما ⁂ أبْداهُ يحـلُو لى وُرودُهْ

سلطانُ حُسْنٍ إنْ بَدَا ⁂ شخَصتْ لطَلْعتهِ جُنودُهْ

وإذا المُتيَّمُ شاقَـه ⁂ بخيالِه احْمَرَّتْ خُـدودُهْ

فـكرى لطـائرِ وَصْلِه ⁂ نصَبتْ حبـائلَهـا تَصِيدُهْ

فاصْطَادَ قلبِي صُدْغُه الْـ ⁂ آسِي وقَيَّدَهُ زُرُودُهْ[5]

قَسَمًا بِطَلْعَـةِ وَجْهِـهِ ⁂ وبِخَـدِّهِ الزَّاكِى وَقُودُهْ

---

(١) فى سلك الدرر : « آه مما لقيته ثم آه » ، وفى ب : « كاذبات الوعيد » ، والمثبت فى : ص ، وسلك الدرر .

(٢) تقدم التعريف بالنظام فى الصفحة ١/٣٦٣ . (٣) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٤) بروده جمع برد ، بضم فسكون .

(٥) زروده : جمع الزرد ، بالتحريك ، وهى الدرع يتداخل بعضها فى بعض .

وبِطَرْفِهِ السَّاجِي الذي جارتْ على المُضْنَى خُدُودُهْ[1]
وبِسُقْمِ خَصْرٍ ناحِلٍ أرْواحُنا راحتْ تَعُودُهْ
ماخانَ قلبي وُدَّهُ كلاَّ ولا نُسِيَتْ عُهودُهْ[2]

***

وقوله[3]:

أسَرُوا الخَواطِرَ بالنَّواظِرْ وتقَلَّدُوا البِيضَ البَواتِرْ
وتَناهَبُوا الألْبابَ ما بينَ الحَواجِبِ والمَحاجِرْ[4]
فهمُ الأُلَى قادُوا الأُسو دَ إلى الرَّدَى وهمُ الجَآذِرْ
هَزُّوا القُدُودَ وأسْبَلُوا من فوقِها تلكَ الغَدائِرْ
لى منهمُ الرَّشَأُ الذي بالطَّرْفِ أسْبَى رِيمَ حاجِرْ[5]

(١) فى ب : « على المضنى خدوده » ، والمثبت فى ٥ س ، وسلك الدرر .
(٢) بعد هذا فى س زيادة :

« وأنا الذى حَفِظَ الودا دَ وفى الهوى قدشاب فَوْدُهْ
دَعْ يافؤادى لَحْظَهُ الْ فَتَّانَ يفعلُ ما يُرِيدُهْ
فإلى مَ تشكو الفَتْكَ مِن غَمَزاتِهِ ولَكم تُعِيدُهْ
فالسهمُ عن لَحَظاتِهِ لم يُلْفَ عن قلبي مَحِيدُهْ
مُذْ مالَ من تَرَفٍ ومِن خَمْرِ الصِّباءِ بَدَا نُهودُهْ
خضَعَ الجمالُ له كما خضَعَ الكمالُ لمن يَسُودُهْ
مَوْلًى إذا اسْتَنْجَدْتَهُ فى حَلِّ صَعْبٍ تَسْتفيدُهْ
فتراه مِن قبلِ اللِّقا فُكَّتْ بِهِمَّتِهِ قُيودُهْ » .

(٣) القصيدة فى سلك الدرر ٢٦٩/٢ . (٤) بعد هذا البيت فى س زيادة :

وسَبَوْا بغَمَزاتِ العُيُو نِ الفاتِكاتِ ذَوِى البصائرْ

(٥) فى س ، وسلك الدرر : « بالطرف أمسى » .

رَيَّانُ مِن ماءِ الدَّلا لِ يَميسُ فى خَلَلٍ نَواضِرْ

هاروتُ أحْوَرِ طَرْفِه الْـ فَتَّانِ للألْبابِ ساحِرْ

خُوطٌ يُريك إذا انْثَنَى فى تِيهِه فِعْلَ السَّماهِرْ[1]

وإذا اسْتبانَ جَبينُه ضاءَتْ بِطَلْعتِه الدَّياجِرْ[2]

ما لاحَ بارِقُ ثَغْرِه إلَّا وشِمْتُ الجَفْنَ ماطِرْ

أو خِلْتُ وَرْدَ خُدُودِه إلَّا وفاحَ الوَرْدُ عاطِرْ[3]

مَلِكٌ رَعِيَّتُه القُلو بُ وكُلُّ باهِي الحُسْنِ باهِرْ

حتَّى مَ يَجْفُو بالصُّدو دِ أمَا لِهذا الصَّدِّ آخِرْ[4]

***

وقوله من قصيدة ، مَطْلَعُها[5] :

أشمسُ الضحى لاحتْ أم الأنْجمِ الزُّهْرُ أم الصبحُ أم وَجْهُ الحبيبِ أم البدرُ[6]

أم افْتَرَّ ثَغْرُ السَّعْدِ فى مَرْبَطِ المُنَى فأشْرقتِ الأكْوانُ وابْتَسم الزَّهْرُ[7]

أم الرَّوْضُ أهْداه الربيعُ قلائداً جَواهِرَ أزْهارٍ تكَلَّلَها القَطْرُ

وهَيْهاتَ بل هذا فريدٌ بِشامِنا أتاها فأحْياها وعَمَّ بها البِشْرُ

وقَلَّدها عِقْدَىْ فَخارٍ وسُؤْدَدٍ فذا سِمْطُه عِلْمٌ وذا سِلْكُه بِرٌّ[8]

فأصبحتِ الأفواهُ تَشْدُو بمَدْحِه فذا نثرُه زَهْرٌ وذا نَظْمُه دُرٌّ

وأطْلَعَ فى أُفْقِ المَعانى دَقائقاً يَحارُ لَدَيْها الفهمُ بل يقف الفكرُ

---

(١) الخوط : الغصن الناعم ، والسماهر : جمع السمهرى ، وهو الرمح المنسوب إلى سمهر زوج ردينة ، وكانا مثقفين الرماح . (٢) فى س ، وسلك الدرر : « ضاءت اطلاعته » .

(٣) فى سلك الدرر : « وفاح الخال عاطر » . (٤) فى س ، وسلك الدرر ، بعد هذا زيادة : «

وإلى مَ أُرْمَى بالبِعا دِ وكم نُرَى فيه أُخاطِرْ » .

(٥) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٦٩ ، ٢٧٠ . (٦) فى سلك الدرر : « أم وجه المليح » .

(٧) فى سلك الدرر : « فى مربع المنى . . . وابتهج الدهر » .

(٨) فى الأصول : « وذاملكه بر » ، والمثبت فى سلك الدرر

هُمامٌ له في كلِّ علمٍ فِراسةٌ ومَوْلًى على أبوابه يسجدُ الفخرُ

حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ في أُفْقِ العُلا ونال فَخاراً دون عَلْيائِه النَّسْرُ[١]

منها :

وإن صاغَ من عَذْبِ الحديث بدائعاً لَمَسْنَ الغَوانِي الجيدَ فانتثر الدُّرُّ

***

هو من قَوْلِ المَنازِيّ[٢] :

تَرُوعُ حَصاهُ حالِيةَ العَذارَى فتلْمَسُ جانبَ العِقْدِ النَّظِيمِ

ومثلُه قولُ الأمير المَنْجَكِيِّ في وصف خَطٍّ[٣] :

لو شامَ ذُو الخَالِ نَقْطَ أَحْرُفِهِ لَرَاحَ باليدِ لَامِسَ الخَالِ

ويُضارِعُه قولُ الأديب محمد بن الدَّرَّا[٤] ، من قصيدة له[٥] :

وحقِّ هوًى مُصافحةُ المنايا أخفُّ عليَّ منه باليدَيْنِ

إذا فكَّرْتُ فيه لَمَسْتُ رأسِي كأنِّي مُوقِنٌ بهُجُومِ حَيْنِي

وأصلُ هذا من قَوْلِ أبي نُواس في الأمين بن الرَّشيد[٦] :

إنِّي لَصَبٌّ ولا أقول بِمَنْ أخافُ مَن لا يَخافُ من أحدِ

إذا تفكَّرتُ في هَوايَ له أَلْمَسُ رأسِي هل طار عن جَسَدِي

---

(١) في سلك الدرر : « في حلبة العلا » .

والنسر : أحد كوكبين ، يقال لأحدهما النسر الطائر ، وللآخر النسر الواقع .

(٢) تقدم التعريف بالمنازي في النفحة ١/٢٢٨ ، والبيت فيها ، وفي : ريحانة الألبا ٢/٥١ ، ٩٧ ، ٤ ، سلك الدرر ٢/٢٧٠ ، طراز المجالس ٤ ، معاهد التنصيص ١/٨٥ ، معجم البلدان ٤/٦٤٩ ، وفيات الأعيان ١/١٢٦ .

(٣) سلك الدرر ٢/٢٧٠ ، ونفحة الريحانة ١/٢٢٨ ، وديوان منجك ١٩ ، برواية مختلفة هي :

لَوْ شَامَ ذو الخالِ رَقْمَ أَحْرُفِها لَرَاحَ بِالْكَفِّ لامِسَ الْخَدِّ

(٤) تقدمت ترجمته في النفحة ١/٢١٥ .

(٥) البيتان في : تراجم بعض أعيان دمشق ٢٢٦ ، سلك الدرر ٢/٢٧٠ ، نفحة الريحانة ١/٢٢٦ .

(٦) ريحانة الألبا ٢/٩٦ ، ٤ ، طراز المجالس ٤ ، مختار الأغاني ٣/١٤٩ ، ١٥٠ ، نفحة الريحانة ١/٢٢٦ ، ٢٢٧ .

قال المُؤلِّف ، رحمه الله تعالى ، في « نفحته »[١] : وهذا النوعُ سَمّاه المُبَرِّدُ في «الكامل»[٢] ، والتِّبْرِيزِيُّ في « شرح ديوان أبي تَمَّام »[٣] الإيماء ، وهو إمّا إيماء إلى تَشْبِيه ، كقوله[٤] :

* جاءوا بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطّ *

أو إلى غيره .

قال الشِّهابُ في كتاب « الطراز »[٥] : وكنتُ قبلَ هذا أُسَمِّيه[٦] طيفَ الخيال ، وهو أن تَرْسِمَ[٧] في لَوْحِ فِكْرِك معنًى صوَّرَتْه يَدُ الخيال ، فتَصُبّه في قالَب التَّحْقيق[٨] ، وتَرمُزَ إليه بجَعْلِ رَوادِفِه وآثارِه مَحْسُوسةً ادِّعاءً ، كما أنَّ ما يُلْقَى إلى المُتَخَيَّلة في المَنام يُرَى كذلك[٩] ، ولا يلزمُ من ابْتِنائه على الكِناية والتَّشْبِيهِ أن يُعَدَّ منهما ، لأمرٍ يَدْرِيه مَن له خِبْرةٌ بالبديع .

ثم رأيتُ الخَفَاجِيَّ في آخر كتابه « الريحانة »[١٠] بَسَط القولَ فيه ، وقال : هذا لم أرَ مَن ذَكَرَه ، وهو مِمّا استَخْرَجْتُه ، وسَمَّيْتُه نُطْقَ الأفعال . انتهى مُلَخَّصاً .

***

(١) الجزء الأول ، صفحة ٢٢٧ ، وانظر سلك الدرر ٢٧٠/١ . (٢) الجزء الأول صفحة ٢٧ .

(٣) هكذا ذكر المحبي هنا وفي النفحة أن الشرح للتبريزي ، وكذلك جاء في طراز المجالس ٤ ، وقد جاء في ريحانة الألبا ٢/ ٥٠ ، ٥١ أن هذه التسمية جاءت في شرح المرزوقي لديوان أبي تمام ، وانظر ما كتبته حول هذا في حاشية الريحانة ، وانظر أيضا مقدمة محمد عبده عزام لديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، الجزء الأول ، صفحة ٣٣ من المقدمة .

(٤) شرح الشواهد للعيني ٣/ ٦٤ ، وقال : « عزى إلى العجاج ولم يثبت » ، طراز المجالس ٤ ، اللسان (م ذ ق) ١٠/ ٣٤٠ ، وروايته فيه :

* جاءوا بضَيْحٍ هل رأيتَ الذِّئْبَ قطّ *

وقبله :

* حتى إذا جَنَّ الظلامُ وَاخْتَلَطْ *

(٥) طراز المجالس ٤ ، وانظر ريحانة الألبا ٢/ ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

(٦) في الطراز : « سميته » . (٧) في الطراز : « يرتسم » . (٨) في الطراز : « المتحقق » .

(٩) في الطراز : « كذلك » . (١٠) الجزء الثاني ، صفحة ٤٩٧ .

وللمترجَم من قصيدة ، مطلعها[1] :

طَلَعتْ فأشْرقتِ المنازلْ حُسْناً وتَرْفُل فى غلائِلْ[2]

وسَرَى بوَجْنَتِها الحَيا فانْهلَّ ماءُ الحسنِ جائِلْ[3]

ورَنَتْ فخِلْتُ بجَفْنِها بِيضَ الظُّبا بل سِحْرَ بابِلْ

ورمَتْ بأسْهُم طَرْفِها عَمْداً فلم تُخْطِ المَقاتِلْ[4]

نصبتْ لحَيَّات القلو ب سَوالِفاً هُنَّ الحبائِلْ

وسَبَتْ بوَسْواسِ الحُلِيِّ ذَوِى العقولِ وبالخَلاخِلْ

ومَشَتْ تَهادَى بالدَّلا لِ وفرْقُها يُبْدِى الدَّلائِلْ

تخِذَتْ لصارِمِ جَفْنِها من هُدْبِها تلك الحمائِلْ

منها :

فسألتُها ماذا الذى بدرُ الدَّياجِى منه آفِلْ[5]

هلْ ذاكَ نُورُ جمالِكِ الْـ باهِى أمِ الزُّهْرُ الكَوامِلْ

باللهِ إلَّا ما أجَبْـ تِ فإننى وَافَيْتُ سائِلْ

قالتْ وحقِّك إن هٰـ ذا الأمر لم يَحْتَجْ دلائِلْ

هذا ضياءُ أماجِدٍ مَلَكُوا الفضائِلَ والفَواضِلْ

مَنْ أشْرقتْ بهِمُ البلا دُ وشُرِّفتْ بهِم المَنازِلْ

***

وقوله من أخرى ، أوَّلُها[6] :

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٢ / ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) فى سلك الدرر : « حسناء ترفل » ، وهى رواية حسنة .

(٣) فى سلك الدرر : « ماء الحسن سائل » .

(٤) فى الأصول : « ورنت بأسهم طرفها » ، والمثبت فى سلك الدرر .

(٥) فى سلك الدرر : « بدر الدياجر » .

(٦) الأبيات فى سلك الدرر ٢ / ٢٧١ .

يا رِياضاً حكَى شذاها العُودُ ... كَلَّلَتْها من الزُّهورِ عُقودُ

ورَنَتْ نحوَها عُيونُ مِياهٍ ... نَبَّهتْها الشَّمُولُ وهْى رُقودُ

حبَّذا والمَليحُ طافَ بكأسٍ ... من رَحيقٍ عَصيرةِ العُنْقودِ(١)

ونسيمُ الصَّبا أمالَ غُصوناً ... حسَدتْ عِطفَها الرطيبَ قُدودُ

وزهَا الجُلَّنارُ فى الرَّوْضِ لمَّا ... سَرقتْ وَرْدَه الجَنِىَّ الخُدودُ(٢)

فوقَه العَنْدليبُ يشْدو إذا ما ... صفَّق النهرُ وانثنَى الأُملودُ(٣)

***

وقوله من أخرى(٤) :

بسَم الزَّهْرُ وَسْطَ روضٍ أريضٍ ... عن ثَنايا كأنّ اللآلِىءَ بِيضِ

وزها الياسَمينُ فيه وأضحَى ... كَمليحٍ يرْنُو بطَرْفٍ غَضيضِ

ولطيفُ النسيمِ هبَّ فأهدَى ... من شَذاهُ الشِّفا لقلبٍ مَريضِ(٥)

وترى النهرَ فيه مُدَّ كجسْرٍ ... من لُجَيْنٍ صافٍ طويلٍ عريضِ(٦)

***

---

(١) فى ب : « عصيره العنقود » ، والمثبت فى : س ، وسلك الدرر .

(٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من سلك الدرر ، ويتكون من صدره وعجز التالى بيت فيها .

(٣) الأملود : الغصن الناعم . (٤) سلك الدرر ٢ / ٢٧١ . (٥) فى سلك الدرر : « لقلب المريض » .

(٦) بعد هذا البيت فى س زيادة : « وله :

وَافَى الرَّبيعُ فَسرَّ القلْبَ وَالبَصرَ ... وَالرَّوْضُ يَعْبَقُ فِيهِ العَنْبرُ العَطِرُ

أمَا تَرَى خَلَلَ الأغْصانِ كَلَّلَها ... دَرُّ الْغَمامِ عُقُوداً كُلُّها دُرَرُ

ونَفْحَةُ الْوَرْدِ ما بَيْنَ الرُّبَا عَبِقَتْ ... والنَّوْرُ مِثْلُ اللآلِى فِيهِ مُنْتَشِرُ

والْوُرْقُ غَنَّتْ على الأدْواحِ وَابْتَسَمَتْ ... مَباسِمُ الزَّهْرِ لمَّا جادَها الْمَطَرُ

فَحَىِّ أكْنافَ هذَا الرَّوْضِ مُصْطَبِحاً ... مَعَ النَّدامَى ففِيهِ يَعْذُبُ السَّحَرُ

وَاسْتَجْلِ كَأسَ الْحُمَيَّا مِنْ يَدَىْ رَشَأٍ ... يَبْدُو إذَا ما بَدَا مِنْ وَجْهِهِ الْقَمَرُ =

وقوله[1] :

نَبَّهَتْ مُقْلَةَ الرِّيَاضِ نَسَائِمْ ... وأثارتْ عَبِيرَ تلكَ الكَمَائِمْ

وتَثَنَّتْ مَعَاطِفُ الدَّوْحِ لَمَّا ... قَلَّدَتْها عِقْدَ الزُّهورِ الغَمَائِمْ

وشَدَتْ فوقَها سَوَاجِعُ وُرْقٍ ... فأهاجتْ بلَحْنِها كلَّ هائِمْ

ونُجومُ الغصونِ تزْهو إذا ما ... حرَّكتْ عِقْدَها أيادِي النَّعائِمْ[2]

فوقَهَا العَنْدَلِيبُ قام خطيباً ... يتَهادَى ما بين خُضْرِ العَمائِمْ

وثُغورُ الأقاحِ قد بسَمتْ مُذْ ... أيْقَظَ الطَّلُّ جَفْنَهُ وهْو نائِمْ

وبِهَا الجُلَّنارُ قام يُرِينا ... أكْؤُساً زانَهَا عقودُ التَّمائِمْ

وخَرِيرُ المِيَاهِ غَنَّى نَخِلْنَا ... حَوْلَه طائرَ المَسَرَّةِ حائِمْ

فسقَى جِلِّقَ الشَّآمِ سَحابٌ ... كلَّما سامَ نَيْرَبَ السَّفْحِ سائِمْ[3]

ورعَى عهدَها بتلك الرَّوابِي ... ما تغنَّتْ على الغصونِ حمائِمْ[4]

***

وقد عارض بها قصيدةَ أستاذنا وشيخنا ومولانا عبد الغني النَّابُلسي ، حفظه الله تعالى ،

= حُلْوُ الْفُكَاهَةِ مُرُّ الصَّدِّ مَوْعِدُهُ ... بالوَصْلِ غُصْنُ خِلافٍ ما لَهُ ثَمَرُ

يا ظالمًا أسَرَتْ ألْحَاظُهُ مُهَجًا ... وطابَ في حُبِّهِ للأعْيُنِ السَّهَرُ

سَقْيًا لأوْقاتِهِ اللَّائي جَنَيْتُ بِهَا ... أثْمارَ أُنْسٍ وبُسْطٍ ساقَهَا القَدَرُ

كأنَّهَا وعُيُونُ السَّعْدِ تَرْمُقُهَا ... أيَّامُ صَدْرِ المَوالِي كلُّها غُرَرُ »

والخلاف الذي ورد في البيت السابع : صنف من الصفصاف ، وهو خوار ضعيف . انظر تاج العروس (خ ل ف) .

(١) القصيدة في سلك الدرر ٢/٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٢) في ب : « حركت عقدها كعقد النعائم » ، والمثبت في : س ، وسلك الدرر . والنعائم : من منازل القمر .

(٣) تقدم التعريف بالنيرب ، صفحة ٦٦ . (٤) في سلك الدرر « ورعى عهدنا » .

وهى[1] :

ذيلُ قاسونَ بَلَّلتهُ النسائمْ ... بندَى الوردِ والبخورِ الكمائمْ[2]

لِمُلاقاتِنا ببُستانِ أُنسٍ ... فوقَ أعوادِه تغنّتْ حمائمْ

وجرتْ حولنا جداولُ ماءٍ ... فكأنّ الرُّبا لهنّ غمائمْ

وثُغُورُ الزُّهورِ تضحكُ زهواً ... وقُدودُ الغصونِ خُضْرُ العمائمْ

عطَسَ الفجرُ فانتهزْ يا نديمي ... فُرصةَ العيشِ فى الزمانِ المُلائمْ

وتأمّلْ زَهْرَ الرياضِ إذا ما ... عُقِدتْ منه فى الغصونِ تمائمْ

وانشقِ الطِّيبَ من مداهنِ وردٍ ... نبّهتْه يدُ الصَّبا وهو نائمْ

ومِنَ الجُلّنارِ لاحتْ كُؤوسٌ ... من عقيقٍ بها المُتيَّمُ هائمْ

أو هو النارُ حلَّ فوقَ بساطٍ ... أخضرٍ لا يزال فى الجوِّ عائمْ[3]

جمعتْنا مع الصِّحابِ رياضٌ ... ثَمَّ بالنَّيْرَبَيْنِ ذاتِ النعائمْ[4]

فابتهجْنا بيومِنا وشهِدْنا ... موسمَ الأُنسِ وهو فى الروضِ قائمْ

وجلسْنا من تحتِ ظلٍّ ظليلٍ ... نتّقى فى الهجيرِ حرَّ السمائمْ[5]

حيَّ يا صاحبى على طيبِ عيشٍ ... طيرُ حظّى على تلاقيه حائمْ[6]

واستمعْ بُلبُلَ الرُّبا فهو شادٍ ... وامتثلْ قولَنا ودعْ كلَّ لائمْ

إنَّ هذا عيشُ ابنِ آدمَ أمّا ... ما سواهُ فذاك عيشُ البهائمْ

***

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٧٢ . (٢) قاسون : هو قاسيون ، الجبل المشرف على دمشق ، وتقدم ذكره كثيرا .

(٣) فى الأصول : « أو هو النارجل » ، فهل يريد النارجيل ! ، وهى كلمة فارسية هى جوز الهند وقشره ، ويدخن فى النارجيل التنباك . انظر المحكم فى أصول الكلمات العامية ٢٢٩ .

(٤) تقدم التعريف بالنيربين ، صفحة ٦٦ .

(٥) فى ب : « نتقى فى الحر هجر السمائم » ، والمثبت فى : س ، وسلك الدرر .

(٦) فى سلك الدرر : « على تلافيه حائم » .

وقد عارضها أيضا البارع السيد يوسف المذكور[١] ، مُتخلِّصا بها إلى مدح الأستاذ المذكور ، ولكن لم يلتزمْ فيها إلَّا لِزامَ[٢] ما لا يلزم ، ومُستْهلُّها قولُه[٣] :

يا رياضًا زَهَتْ بلُطْفِ النَّسائِمْ ... وبهــا الوردُ شَقَّ جَيْبَ الغَمائِمْ

وتغنَّتْ فيهــا البلابلُ لمَّا ... ساجَلَتْها في الدَّوحِ وُرْقُ الحَمائِمْ

منها :

فاعْطِ للرَّوضِ نَظْرةً ثم نَبِّهْ ... منك طَرْفَ السُّرورِ إذْ هو نائِمْ

واجْلُ كأساً من الحديثِ علينــا ... يَزْدَرِي نَظْمُه بعِقْدِ التَّمائِمْ

وتَمتَّعْ بمــا يُفيدُكَ شَيْخُ الأ ... وقْتِ عبدِ الغَنِيِّ حاوِي المَكارِمْ[٤]

كعبةٌ للعــلومِ ليس له غَيْـ ... ـرُ صِفاتِ الكمالِ منــه دَعائِمْ

كم جَنَيْنا ألفاظَه بمعــانٍ ... أخْجلتْ بالمقالِ عَذْبَ المَباسِمْ[٥]

وشَفَيْنا بهــا الفؤادَ فكانتْ ... لجِراحِ القلوبِ خــيرَ مَراهِمْ[٦]

***

---

(١) أي الذي تقدمت ترجمته صفحة ١٥٨ .

(٢) كذا في الأصول . (٣) القصيدة في سلك الدرر ٢/٢٢٢ .

(٤) بعد هذا في سلك الدرر : « ومنها » . (٥) في سلك الدرر : « أخجلت بالمقام » .

(٦) في س بعد هذا زيادة : «

وللمترجَم أيضا مُساجَلاتٌ أنيقة ، ومُطارَحاتٌ رقيقة .

منها مع الشيخ البارع اللبيب ، الشيخ سُعُودِيّ ، الشهير بالمُتنَبِّي [تأتي ترجمته برقم ٢١] ، قال المترجَم :

نَشَرَ الرَّوضُ نَفْحةَ الأزْهارِ ... وجَلَا الغُصْنُ أكْؤُسَ الجُلَّنارِ

فقال المتنبي :

وسَنَا السَّفْحِ قد أضاء الدنيا ... فاجْتلَيْنا للنَّورِ والأنْوارِ =

(١) وللمترجَم مُساجلاتٌ أنيقة ، منها مع الأديب (٢ صادق بن محمد الخَرّاط ٢) ، والأديب

= فقال المترجم :

ونسيمُ الصباحِ هَبَّ فأهْدَى بشَذاهُ لَطائفَ الأخبـــارِ

فقال المتنبي :

وصَفَا وقتُنا لمجلسِ أُنْسٍ بين تلك الأزْهار والأنْهـــارِ

فقال المترجم :

حَيث فيه يُساجِلُ الخِلُّ خِلًّا بحديثٍ أشْهَى من الأوتارِ

كل شَهْمٍ أفكارُه كرياضٍ مُثْمِراتٍ بَدائعَ الأبْكارِ

فقال المتنبي :

سِيَّما والسَّمِيرُ مَن سامَرَ الْـ ـفضلَ رَضِيعاً وسار في الأخْيارِ

ذاك عبدُ الرحمن خِدْنُ المَعالِى بفنونِ العلومِ كالبحرِ جارِ

فقال المترجم :

سِيَّما مَطْلَعُ الكمالِ سُعودِى مَن سَنَا فضلِه كشمسِ النهارِ

لفظُه العَذْبُ كم أدار علينا من مَعانٍ دَقيقـــةِ الأنظارِ

فقال المتنبي :

وحَبيبٌ كذاك أنت ومن نو رِ مُحَيّاك طَلْعَةُ الأنْوارِ

يا رَعَى اللهُ مجلساً قد تَقَضَّى بيننا بين بُلْبُلٍ وهَزارِ

فقال المترجم :

ورَعاك الإلهُ فى كلِّ وَقْتٍ سامِياً بالتقى رفيـــعَ المَنارِ

ما تَغَنَّى الشُّحْرُورُ فوق غُصونٍ كَلَّلَتْها جَواهرُ الأزْهارِ ».

(١) من هنا إلى آخر قوله : « فإن روحى لم تعلم بها الجسدا » الآتى ، ساقط من ، س .

(٢) فى الأصول : « محمد صادق بن الخراط » ، وتقدم التعريف به فى صفحة ١٨٤ ، وتقدم هناك أيضا الإشارة إلى هذا الإيراد لاسمه فى هذا الذيل .

محمد الدَّكْدَجِيّ(1) ، وكانوا فى نُزْهة بروض ناضر ، بُغْيَةِ النَّواظر .

فقال صادق(2) :

حَدِّثانى عن الرياض الأنيقَهْ فعهودِى بها عهودٌ وَثيقَهْ

فقال هو :

حَبَّذا نَوْرُها البَهِىُّ وورْدٌ قدحكَى وَجْنةَالرَّداحِ الرَّشيقَه(3)

فقال صادق :

حيث ذيلُ الرُّبا يَبُثُّ شَذَا الْ مِسْكِ ويُهْدِى لنا النسيمُ فَتِيقَهْ

فقال هو :

حيثُما الجُلَّنارُ كأسُ عَقيقٍ قام يَجْلُو على الرِّياض حَقيقَــهْ

فقال الدَّكْدَجِىّ :

حيث أيْدِى الرَّبيعِ مَدَّتْ بِساطًا من زهورٍ تَحْوِى فُنونًا أنيقَهْ

فقال هو :

حيثُفيها الغُصُون بالمَيْلِ سَكْرَى والشَّحارِيرُ فوقها مُسْتَفيقَــهْ

فقال صادق :

حيث صاغَتْ خَلاخِلًا من لُجَيْنٍ للرَّوابى تلك المياهُ الطَّليقَهْ(4)

فقال هو :

وبها قام ينْجلى غُصْنُ بانٍ أسْفَرَ البدرُ عند ماشَقَّ زِيقَهْ(5)

غَمْزُ أجْفانِه المِراضِ لقلــبى وفؤادى مازال يَرْمِى رَشيقَهْ

---

(1) تقدم التعريف به فى صفحة ٤٢ . (2) فى الأصول : « فقال محمد صادق » .

(3) الرداح : الثقيلة الأوراك .

(4) فى الأصول : « صاغت خلاخل » ، ولعل الصواب ماأثبته .

(5) فى الأصل : « عندما شق ريقة » ولعل الصواب ماأثبته ، والزيق : ماأحاط بالعنق من القميص .

فقال صادق :

يالَقَوْمِي ومُهْجتي وهَـــواهُ أمَدَ الدهرِ لِلِّقاء مَشُـوقَه[١]

كلَّما لاح بارقٌ مِن سَنـــاهُ أذْكَرَ الصَّبَّ حاجِراً وبَرِيقَهْ

فقال هو :

لا ومَن زان خَصْرَهُ بوِشاحٍ خِلْتُ من تحتِه المَعانِي الدَّقِيقَهْ

فقال الدَّكْدَجِيّ :

لستُ أسْــلُو وكيف يَسْلُو فؤادٌ تَخِذَ الحبَّ عادةً وطَرِيقَهْ

فقال صادق :

ياخليلىَّ فى الهوى فاسْعِــدانِي فالصديقُ الذى يُعِينُ صديقَــهْ

وإذا ماشِبدُّ بُمسا فَرْطَ شوقٍ حَدِّثانى عن الرياضِ الأنِيقَهْ

***

ومما كتبتهُ من خطِّ المترجَم ، قولُه مضمِّناً للبيت الأخير[٢] :

فتَكْتَ فينا فمن بالفَتْكِ أفْتاكَا يامُخْجِلَ البدرِ قلبي صــار يهواكَا

وتِهْتَ بالدَّلِّ ياذا الرِّيمِ من هَيَفٍ وفاق بدرَ السَّما نُوراً مُحيّاكَا

وفُقْتَ غُصْنَ النَّقا بالعِطْفِ منك وقد أضْحَتْ مِلاحُ الورى جَمْعاً رَعاياكَا

وذاب جسمُ المُعَنَّى فى هَواكَ سُدًى مُذْ فَوَّقَتْ أسْهُمــا للقلبِ عَيْناكَا

لولاكَ ماعرفتْ نفسي الهوى أبداً ولم تَنَلْ شَرْبةً فى الحب لوْلاكَا

رَمَيْتنِي بالضَّنَى والأسْرِ يا أمَــلِي وسِرْتَ عنِّي ولم تنظرْ لأسْراكَا

وقد أتى العيدُ يدعو الناسَ تَهْنِئَةً وإنه بيننـــا أيامَ نَلْقــاكَا

عَوَّدْتنى باللِّقا والوصلِ تَكْرِمَةً وبعدَ ذا سيِّدى أبْعَدْتَ مَرْماكَا

---

(١) فى : ب : « فى مهجتى وهواه » ، والمثبت فى : ص .

(٢) القصيدة فى سلك الدرر ٢٧٣/٢ .

فصرتُ أَنْدُبُ أياماً لنا سَلَفتْ كان اكْتحالَ عيوني حُسْنُ مَرْآكا
إنَّا عَرَفْناكَ أياماً وداوَمنا شَجْوٌ فياليتَ أنَّا ماعَرَفْناكا

***

وقوله[1] :

أخاصتُ فيه ولم أصبُ لإشراكِ ومِسْكَةُ الصُّدْغ صادتْني بأشْراكِ
رِيمٌ تحجَّبَ عنّي في محاسنِه وصار يُبْصرني من طاقِ شُبَّاكِ
شاكِي السِّلاحِ إذا مامالَ من ترَفٍ يَسْبِي العقولَ برُوحي خَصْرُه الشَّاكِي
ألحاظُه فَوَّقتْ سهمَ المَنُونِ لنا وطَرْفُه النّاعِسُ الفتّانُ فتّاكِي[2]
ياأحْوَرَ الطَّرْفِ ماقلبُ الشَّجِي هدَفٌ فاغْمِدْ جُفونَكَ واترُكْ قولَ أفَّاكِ
وامْنُنْ على الصَّبِّ في لُقْياكَ إنَّ له قلباً خَفُوقاً ودَمْعاً بالدّما باكِي
قد حُكْتُ فيك ثيابَ المدْحِ فاصْغِ إلى قولِ البديعِ وخَلِّ نَسْجَ حيَّاكِ[4]
وجُدْ بقُرْبِك ياسُؤْلي ويا أمَلِي وهاتِ حَدِّثْ بثغرٍ منك ضَحَّاكِ

***

ومن نُتَفِه :

خُذْ يارسولَ الهوى مني مُكاتبةً إلى الغَزالِ الذي عن ناظري شَرَدَا
هي الشَّكايةُ من طُولِ البِعادِ له ومن أليمِ الذي لاقَيْتُ مُذْ بَعُدَا
فأدِّها ثم قُلْ للظَّبْي يكتُمها فإنَّ رُوحِيَ لم تُعلِمْ بها الجسدَا

***

(١) الأبيات في سلك الدرر ٢/٢٧٣ . (٢) فتاكي : منسوب إلى الفتك .

(٣) في الأصول خطأ : « قلب خفوق ودمع بالدما باكي » ، والتصويب من سلك الدرر ، وفيه : « وطرفا بالدما » .

و « باكي » أصله : « ودمعا بالدما باكيا » ، لكنه لم ينصبه لضرورة القافية .

(٤) في ب : « قد حكت فيه » ، والمثبت في : س ، وسلك الدرر .

و « حياك » كذا في الأصول ، وهو يعني « حائك »

ومن مُقطَّعاته قولُه(١) :

تَخَلَّتْ جُفونى حين بان مُعَذِّبِى فقلتُ فِلِمْ لا تَسْمَحِين بدَرِّهِ(٢)
فقالتْ قَذَى الآمالِ بالوَصْلِ مَرَّ بِى فأمسَكَ دَمعِى أن يَسِحَّ بقَطْرِهِ

***

وقولُه(٣) :

وأغْيَدَ سالتْ أدْمُعِى لصُدودِهِ فَمرَّ بجَفْنِى للوِصالِ قَذَى الرَّجَا
فأمسَكَه كَيْلا يذوبَ من البُكا ويغرَقَ طَيفٌ مَرَّ لى منه فى الدُّجَى(٤)

***

وقوله :

تَرِفُ يَرِفُّ على لَطافةِ جِسْمِه ماءُ الصِّبا ورَفاهةُ الأعْطافِ
وتكاد تُبصِرُ من صَفا خَدَّيْهِما قد مَرَّ خلفهما من الألْطافِ

***

(٥) أصلُه من(٦) قول الحسيب النَّسيب ، السيد عبد الكريم النَّقيب(٧) ، فى رِقَّةِ البَشْرة :

ومُرَهَّفٍ غَضِّ الأديمِ يَرِفُّ ما ءُ الحُسْنِ فى جُسْمانِه الأمْلاسِ
كِدْنا لِلُطْفِ صفاءِ خَدَّيْهِ نَرَى ما مَرَّ خَلْفَهما من الأنفاسِ

ومنه قول المُصنِّف ، رحمه الله تعالى فى ذلك :

---

(١) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٧٣ .
(٢) فى الأصول : « تجلت جفوني » ، وفى سلك الدرر : « بخلت جفونى » ، وماأثبته أكثر مناسبة للمعنى والوزن .
(٣) سلك الدرر ٢/٢٧٣ . (٤) فى سلك الدرر : « فرلى منه فى الدجى » .
(٥) من هنا إلى آخر قوله : « أضمرت قبل وقوعه فى وهمه » الآتى ، ساقط من : س .
(٦) ساقط من : ب وهو فى : س . (٧) تقدمت ترجمته فى الصفحة ٢/ ٦٧ .

ومُقَرْطَقٍ تَرِفِ الأديمِ تخالُه ... كالغُصْنِ قد لعب النسيمُ بقدِّه[١]
ويكاد إن شرب المُدامةَ أن يُرَى ... ما مرَّ منها تحت أحمرِ خدِّه

ومنه قولُ البارع [٢]صادق بن محمد الخرَّاط[٢] :

أفْدِيه صافِى الخدِّ تَمَّ جمالُه ... وجرتْ مِياهُ الحسن فى وَجَناتِه
فتكاد تُبْصِر بارِقًا يُخْفِيه مَدْ ... سِمُه الشَّهِىُّ يلُوح فى صَفَحاتِه[٣]

وقوله :

أفْدِيهِ ذا خَدٍّ نَقِىٍّ لم تَزَلْ ... مِنَّا العيونُ تَتِيهُ فى مِرْآتِه
وتكاد تنظُر عَذْبَ رِيقَةِ ثَغْرِه ... تَنْسابُ حولَ الدُّرِّ من صَفَحاتِه

ومن ذلك قولُ السيد أسعد العُبادِىّ[٤] :

وبى تَرِفٌ صافِى الأديمِ مُهَفْهَفٌ ... رأى الغُصْنَ يحكِيه فأخجلَه قدَّا
وأوهِم أن الوردَ يحكِى خُدودَه ... فأنبتَ ذاك الوَهْمُ فى خَدِّه وَرْدَا

ومنه قولُ الذَّهَبِىّ[٥] :

ومُحَجَّبٍ ساجِى اللَّحاظِ كأنه ... معنًى تُوُهِّمَ فى الخيالِ إذا سَرَى
وتكاد تقرأُ فى أَسِرَّةِ وَجْهِه ... وصَقِيلِ خدٍّ منه ما قد أضْمَرَا

---

(١) المقرطق : لابس القرطق ، وهو لباس شبيه بالقباء ، وانظر استعمال القرطق بمعنى القرط ، فى شفاء الغليل ١٧٧ .

(٢) فى الأصول : « محمد صادق بن الخراط » ، وتقدم الإشارة إلى هذا فى هذه الترجمة ، حاشية صفحة ٢١٩

(٣) فى س : « فتكاد تنظر » والمثبت فى : ب . (٤) تقدم التعريف به صفحة ٤١ .

(٥) فى حاشية س أن هذا الذهبى هو عبد الرحمن بن محمد ، وأن وفاته كانت باليمن سنة ثمان وعشرين ومائة وألف . والذى يقال له عبد الرحمن بن محمد الذهبى مترجم فى سلك الدرر ٢/٣١٨ ، وهو المعروف بابن شاشه ، وقد قال المرادى عنه : لم أدر فى أى سنة كانت وفاته ، غير أنه فى سنة ألف ومائة وإحدى عشرة كان موجودا .

فى سلك الدرر ٤/٦٣ ترجمة محمد بن عبد اللطيف الذهبى الدمشقى ، وكانت وفاته سنة ست عشرة ومائة وألف .

وقوله :

وَمُهَفْهَفٍ لولا العيونُ لأفهمتْ ... منه الجَفَا من قبلِ كَشْفِ لِثامِهِ

ويكاد يظهر فى صحيفـــةِ خَدِّهِ ... ما أوقَع الإيهامُ فى أوْهامِهِ[1]

ومنه قولُ الخالِ[2] :

تَرِفُ الأديمِ مُنَعَّمُ الجسَدِ الذى ... أسْقاه ماءُ شَبابِهِ من وَسْمِـــهِ

فى كلِّ عُضْوٍ منه تنظُر كلَّ ما ... أضْمَرْتَ قبلَ وُقوعِه فى وَهْمِـــهِ

***

وللمترجَم فى شريفٍ مُعَذَّرٍ ، قوله :

بأبى شريفٌ قد صَفَتْ مِرْآتُهُ ... فى خَدِّه الزَّاهِى وفى صَفَحاتِهِ

ما لاح عارِضُه البـــديعُ وإنما ... طَرَفُ العِمامةِ لاح فى وَجَناتِهِ

***

وقوله :

بِرُوحِىَ جِيداً كاللُّجَيْنِ يكاد مِن ... لَطافَتِه يجرى به زادَ بِى الوَلَهْ[3]

ولكنْ به خالٌ يَصُونُ بَيـــاضَهُ ... ككافُورةٍ صِينَتْ بِحَبَّةِ فُلْفُلَهْ[4]

***

وهذا المعنى ذكره الشيخُ داودُ الطبيبُ البَصِيرُ ، فى « تذكرته[5] » عند كلامه على الكافور ، معناه أنه يَفْنَى إذا ادُّخِرَ ويذوب ، ما لم يُضَفْ إليه حَبُّ الفُلْفُلِ[6] .

ولابن السَّمَّان أبياتٌ ذَكَرَ فى آخرِها هذا المعنى بقوله :

وبَدْرِ دُجًى أوْهَبْتُه القلبَ منزلًا ... فعوَّضَنِى منـــه المِحاقَ بجُسْمانِى

(١) فى ص : « فى صحائف خده » ، والمثبت فى : ب . (٢) تقدمت ترجمته برقم ١١ ، فى صفحة ١٣٨ .

(٣) فى ب : « بروحى جيد » ، والمثبت فى : ص . (٤) فى الأصول : « يصين بياضه » .

(٥) تذكرة أولى الألباب ١/٢٤٣ . (٦) عبارة التذكرة : « وكلما مس نقص ، وإن فارقه الفلفل ذهب » .

قَضِيبُ نَقاً مذ مال عنّىَ فى الهوى ... عليه بَدَتْ تَشْدُو بَلابِلُ أشْجانِى

يُذكّرُنى ماء المُذَيْبِ رُضابُهُ ... ووَجْنته الحَمْرا شَقائِقَ نُعْمانِ

وليس به عيبٌ سوى أنه حَوَى ... مَراشِفَ أغْنَتْ عن مُعتّقةِ الحانِ

ومِعْطَفَ نَشْوانٍ ولُطْفَ شَمائِلٍ ... ولَفْتَةَ غِزْلانٍ ومَيْلَةَ أغْصانِ

وصَفْحةَ خَدٍّ خُط بالمِسْكِ فوقَها ... حُروفُ عِذارٍ من قواعدِ رَيْحانِ

تُخايِلُها كالجُلَّنارِ وقد بَدَتْ ... لعينىَّ هاتيك النُّهودُ برُمّانِ

رَشاً تَخِذَ الكافورَ جِيداً وصانَهُ ... مَخافةَ أن يُفْنَى بقُلْقُلِ خِيلانِ

***

وللمترجَم من الرُّباعِيّات قولُه[1] :

قلبي أسرُوا وعقْدَ صَبْرِي حَلُّوا ... من قد هجرُوا وفى فؤادِى حَلُّوا

يا من سَحَرُوا عُقولنا مُذْ وَلُوا ... هَلَّا نصرُوا وَجْدا علينا وَلُّوا

***

وقوله[2] :

يا بدرُ إلى كم تُطِيلُ عُمْرَ الهجْرِ ... والجفْنُ إلى كم يَسِحُ سَحّ القَطْرِ[3]

باللهِ عليك عِدْ بوَصْلٍ كَرَماً ... فاطْفِئْ ظَمَئِى برَشْفِ ذاك الثَّغْرِ[4]

***

ومن مُعَمَّياته قولُه فى اسم عبد السلام[5] :

مَلِيحٌ يُرِيك الشُّهْدَ مَبْسِمُ ثَغْرِه ... إذا افْتَرّ عن ثَغْرِ الثَّنايا ووَامِضِه[6]

عَلا خَدَّه خالٌ من المِسْكِ خَتْمُه ... بأخْضَرِ ذاك الصُّدْغِ حَلَّ وعارِضِه[7]

---

(١) هذه الرباعية فى سلك الدرر ٢/٢٧٣ . (٢) سلك الدرر ٢/٢٧٤ .

(٣) فى سلك الدرر : « إلى م » فى الموضعين . (٤) فى سلك الدرر : « واطفِ ظمئى » .

(٥) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٧٤ . (٦) فى الأصول : « عن ثغر الثنايا وأومضه » ، والتصويب من سلك الدرر . (٧) فى سلك الدرر : « على خده » .

وفى عثمان[1] :

رَشَأٌ تَلاعَبَ بالعُقولِ ولم يَزَلْ بِطِلَا الدَّلالِ وبالمَلاحةِ يُسْكِرُ
لا غَرْوَ أن وافَى الصِّيام وخَدُّه كالجُلَّنارِ يفُوحُ منــه العَنْبَرُ

***

وفى حجازى[2] :

مِن بَنِي التُّرْكِ مُتْرَفُ الجسمِ ألمَى خَــدُّه قد أبانَ آساً ووَرْدَا
فَتَنَ العقلَ حينَ جاء بوَجْهٍ ذِى حَيــاءٍ وأَوْدَعَ القلبَ بُعْدَا

***

وفى عيسى وعلى[3] :

قُمْ يا نَدِيمِى حُثَّ الكأسَ مُصْطَبِحاً واشْرَبْ فَدَيْتُكَ بين الروضِ والزَّهَرِ
لعلَّ بعدَ احْتِساء الرَّاحِ يا أمَلِى يزُولُ عَنِّىَ ما أَلْقَى من الكَدَرِ

***

وفى جُلَّنار وتَمَّام[4] :

أفْدِى الذى صــادَ الفؤادَ بِحَبَّةٍ سَوْداءَ لاحتْ فوقَ أخْضَرِ شارِبِهْ
بَدْراً أثارَ صَبابَتِى من بعــدِما أرْمَى نِبالًا من قِسِىِّ حَواجِبِهْ

---

(١) سلك الدرر ٢/٢٧٤. (٢) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٧٤.
(٣) سلك الدرر ٢/٢٧٤ .
(٤) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٧٤ .

١٩

محمد بن أحمد بن عبد الله

الشهير بابن جدّى*

شاب توشّح مكانَ التّمائم بالخمائل ، وارْتضع من ثُدِيّ النّجابة كرمَ الشمائل .
اشْتهر من أوّلِ عهدِه نُبْلُه ، ورمَى عن قوْسِ الإصابة فأصاب لُبَّ الصواب نَبْلُه .
بِهِمّةٍ ممنوعةٍ من غفلةٍ ورُقاد ، تقُود شَوامِسَ الآداب وهي لاتحسَبُها تُقاد .
رأيتُه وعِذَارُه أوّلَ مابقَل ، وطَلْعتُه نَواظِر ومُقَل .

* * *

وقد أرسل إلىّ قِطَعاً من شِعْرِه الرائق ، فأثبتُّها وأنا جَذِلٌ بحُسْنها الفائِق .

فمنها قوله :

تَمِلْتُ بَطْرِفِه وفَهِمتُ معنًى ... قُبَيْلَ السُّكْرِ منه ليس يُفْهَمْ
وعُدْتُ مُحاولا إفْهامَ ماقد ... تعذَّر فهمُه منـــــه تَبَسَّمْ
فعرّفني بأنّ الحبَّ معنًى ... مَعـــانِيه بعِلْمٍ ليس تُعْلَمْ
كأنّ إشارةَ الأحْداقِ رَمْزاً ... تُشِير لنَعْتِها أن صار مُحْكَمْ[1]

* * *

(*) بهاء الدين محمد بن أحمد بن عبد الله الشافعي الدمشقي ، ابن جدى
شاعر ، كاتب ، توفى بدمشق ، سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف .
وجدى ، بفتح الجيم وتشديد الدال .
سلك الدرر ٤/٣٤ ، وذكر له المرادي بيتين داليين لم يذكرهما المحبي ، ثم قال : « وله غير ذلك وشعره بديع كثير » .

(١) في ص : « كأن إشارة الأحداق رمز » ، والمثبت في : ب .

وقوله :

كأنَّ مُحْمَرَّ ياقوتٍ بوَجْنتِهِ شمسٌ تراءتْ لنا من مَطْلَعِ الأُفُقِ
فأوجبت سَجْدَةَ الإبْريق فانطبعتْ في مَغْربِ الكاسِ من خدَّيْه كالشَّفَقِ

***

قريبٌ منه قولُ قابُوس (١) :

وبات بدرُ تمامِ الحسنِ مُعْتنِقِي والشمسُ في فَلَكِ الكاساتِ لم تَفُلِ (٢)
فبِتُّ منها أرى النارَ التي سَجدتْ لها المَجُوسُ من الإبْريقِ تسجدُ لِي

***

وله هذه النُّونيَّة البديعة ، والدُّرَّة السامية الرفيعة .

كتبها على ظهر كتاب المصنِّف ، ونوَّه باسْمِه واسمِ حديقة الأدبِ مَن كُتِبَ برَسْمِه .

وهي :

حازَ المَلاحةَ والجمالَ فنونُ رِيمٌ به قلبي المَشوقُ رَهِينُ
بدرٌ كأنَّ الله قال له اتَّخِذْ كلَّ المَلاحةِ واصْبِ حيث تكونُ
ريَّانُ من ماء النعيمِ فكلُّه حسنٌ وفي الوجهِ المُنيرِ فُتونُ
فالخدُّ وردٌ واللَّواحِظُ نَرْجِسٌ والصُّدْغُ آسٌ والطُّلا نِسْرِينُ (٣)
والخالُ عَنْبرةٌ وذَيَّاكَ اللَّمَى مِسْكٌ وخمرٌ والحواجبُ نُونُ

---

(١) هو شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، أمير جرجان ، وبلاد الجبل وطبرستان ، وكان أديبا ، شجاعا مغامرا .

خلعه قواده ، وظل حبيسا حتى مات ، سنة ثلاث وأربعمائة .

الكامل ٩/٩٨ ، ٩٩ ، معجم الأدباء ١٦/٢١٩ ، وفيات الأعيان ٣/٢٤٣ ، يتيمة الدهر ٤/٥٩ ، اليميني ١/٣٨٩ ، ٢/١٧٢ .

(٢) « لم تفل » أي لم تأفل ، بمعنى تغرب ، فسهل الهمزة . (٣) الطلا : العنق .

مَن لى به دارِىُّ عَرْفٍ سُكَّرِىُّ م مَراشِفٍ حُلوُ الدَّلالِ مَصُونُ
يَرْنُو فتفعل فى النفوسِ لحاظُهُ ما ليس يفعله القَنا المَسْنُونُ
أهْواهُ مَهْزُوزَ القَوامِ يُميلُه سُكْرُ الدلالِ ويُزْدَهِيه اللِّينُ
لولا تبسُّمُ ثَغْرِه الزَّاهِى لَمَا علمت نِظامَ الدُّرِّ كيف يكونُ
لولاه ماأَذْرِ الدَّلالَ ولم أبِتْ والشوقُ بين جَوانحِى مَكْنونُ
مالى إذا جَنَّ الدُّجَى فى حُبِّه إلّا النَّحِيبُ ومَدْمَعٌ مَهْتُونُ
مالى ولِلَّاحِين فى وَلَهِى به أنا فى هَواهُ مُدَنَّفٌ مَرْهونُ
هِجْرانُه ومَلالُه ووِصالُه تلك الثلاثةُ كُلُّهنَّ مَنُونُ
فَمَلالُه قَتْلٌ وفى هِجْرانِه مَوْتُ المُحِبِّ ووَصْلُه مَظْنونُ
ولقد فُتِنْتُ وحُقَّ لى أن أشْتكِى من جَوْرِه لِجَنابِ مَن هو هِينُ (١)
الأرْوَعُ المِفْضالُ مَن هو كَعبةُ الـ آمال زاكِى المَحْتِدِ بْنِ رَصِينُ
مَن ساد من شادَ المَكارمَ والنُّهى والجُودُ قد غَرَسَتْه منه يَمِينُ
تَسْعَى إليه المَكْرُماتُ مُطِيعةً ولها إلى عالِى حِماهُ رُكونُ (٢)
يا أحمدُ بنَ محمدٍ أنت الذى بحرُ المَكارمِ فى يديكَ مَعِينُ
عَمْرِى لقد جاوَزْتَ غايةَ مَدْحِنا بفَواضلٍ كالغَيْثِ وهْو هَتُونُ
اللهُ قلَّدكَ المَناصبَ كابِراً عن كابِرٍ فالسَّعْدُ حيث تكونُ
كم قد أصابَتْنا الخُطوبُ فأجْدَبَتْ ما كان أخْصَبَ رَبْعَنا المَأمونُ
فكشَفْتَها عنَّا بطَوْلٍ واسعٍ فلأنتَ لِلْغادِى المَرِيعِ خَدِينُ
لكَ ما تُحِبُّ فكُنْ كما تَخْتارُه إذْ أنتَ للفعلِ الجميلِ ضَمِينُ

***

(١) كسر هاء « هين » لتناسب القافية ، ويقال : هين لين ، أى سهل رضى الخلق .
(٢) فى ب : « . . . المكرمات قطيعة * وله . . » ، والمثبت فى : ص .

مثله قولُ الفاضل الأديب حسن الطرابُلسي[١] :

لك المعالي وعلى الأ ... فضل ضمانُ الدَّرَكِ

والأصلُ فيه قولُ ابن النَّبيه[٢] :

والله لازالُم ملوكَ الورَى ... شرقاً وغرباً وعلىَّ الضمانْ

***

لازلتَ كهفاً للعفاةِ وملجأً ... تسمُو وسعدُك بالعُلا مقرونُ

مولاىَ قَدَّمَ المضافُ وقد أتى ... كالرَّوضِ باكره الحَياءُ هَتُونُ

من كلِّ معنًى فائقٍ فى ضمنِ لَفْـ ... ـظٍ رائقٍ فى ضمنه تَبْيينُ

هو دُرَّةُ العِقْدِ الفريد وسَلْوةُ الْـ ... ـمُضْنَى العَميدِ ومثلُه مضْمونُ

نَزَّهتُ طَرْفِي فى غُصونِ فُنونهِ ... فنظمتُ منه الدُّرَّ وهو ثمينُ

وجَلا القَذَى عن مُهجتِي فتنفَّختْ ... فالآن لى نَظْمُ القَريضِ يهُونُ

وحصلتُ منه على فوائدَ جَمَّةٍ ... من كلِّ فنٍّ زانَه التَّحْسينُ

هيْهات يأتى الأوَّلونَ بمثلهِ ... كلَّا فالباقين كيف يكونُ

مُذْ تَمَّ يُعلِنُ بالبَها أرَّخْتُ طِيـ ... ـباً جاء يزْهو بالمُضافِ أمينُ[٣]

السيدُ ابنُ الأكْرمين سِيادةً ... تعلُو على هامِ السُّها وتَبِينُ

هو قُطْبُ دائرةِ الوجودِ ومَن له ... كلُّ الأفاضلِ فى العلوم تَدِينُ

ماذا امْتداحِي فى فضائِلِه التى ... فى جَنْبِها أعْلَى المدائحِ دُونُ

---

(١) تقدمت ترجمته فى النفحة ٢/٤٠١ ، والبيت فيها ٢/٤٠٤ ، وهو آخر قصيدة له .

(٢) تقدم التعريف به فى النفحة ١/٣١٠ ، والبيت فى ديوانه ٢٣ ، والنفحة ٢/٤٠٤ .

(٣) جاء حساب هذا التأريخ فى ص هكذا :

مذ تم يعلن بالبها أرخت طيبا	جاء	يزهو	بالمضاف	أمين	
٢٢	٤	٢٨	٩٥٤	١٠١	١١٠٩

أحْيي رُبوعَ الفضلِ بعد دُروسِها وأشادَها فله الإلهُ يَصُونُ

لازلتَ تُحيي العلمَ بالتَّحقيقِ والفهم دقيقِ والمعنى الخفيُّ يبينُ (١)

فلْهنأْ به وبدوْلَةٍ لاتنقضي طُولَ المدى ولمن شَناكَ الدُّونُ

وإليكَها عذْراءَ توَّجها الحَيَا إنَّ الحسودَ بحُسنِها مفتونُ

تختالُ في ثوبِ المديحِ وقد حوَتْ من كلِّ معنًى والحديثُ شُجونُ

واسلَمْ ودُمْ في نِعمةٍ أبديَّةٍ لاتنقضي أبدًا وأنت مَكينُ

ما نَقَّطتْ في الدَّوحِ مُسْحِرةً على الـ أفنانِ مُتْرعَةً سَحابٌ جُونُ (٢)

***

وقوله :

هو الحبُّ لانهْيٌ لَديْكَ ولا أمْرُ فَدَعْ لَوْمَ من أمْستْ مدامِعُه غُمْرُ

أطاعَ الهوى حتى تملَّكه الضَّنى وذاب ولم يَنفكَّ عن قلبِه الجَمْرُ

ولم يَلْقَ مَن يرْجُوه عونًا على النَّوى وقد عِيلَ من أثناءِ أحشائِه الصَّبْرُ

فياحَبَّذَا عَيْشُ الخَلِيِّ عُصارةً ولا حبَّذا عَيْشٌ يُرى حُلْوُه مُرُّ

وفي الرَّكْبِ من لوْلاحَ بارقُ ثَغْرِه لَعادَ الدُّجى كالفجْرِ وافْتَضحَ السَّفْرُ (٣)

فَلا عِقْدَ إلَّا دُرُّه دونَ ثغرِه وهيْهات ما للدُّرِّ رِيقٌ ولا ثَغْرُ

مِن الْغِيدِ مرْخِيُّ الوِشاحِ على نَقًا هَضيمٍ ومن لألاءِ غُرَّتِه الفجْرُ

يُرنِّحُ من أعطافِه خُوطَ بانةٍ كما رنَّحتْ أعْطافَ شارِبِها الخَمْرُ (٤)

أبيتُ به عانِيَ الفُؤادِ ومن يَبتْ بعِشْقِ الظِّباءِ البِيضِ مُغْرًى له العُذْرُ

وكيف يُعلَّلُ الصَّبُّ بالبانِ واللِّوى إذا كان لايَشْفِي الأُوامَ له البدْرُ

أما في سبيلِ الحبِّ صاحبُ صَبْوَةٍ عَليمٌ بأسْرارِ الهوى عنده خُبْرُ

---

(١) « يبين » هنا بمعنى : يظهر . (٢) الجون : الأسود : لتراكبه .
(٣) السفر : الجماعة المسافرون . (٤) الخوط : الغصن الناعم .

يُعَلِّلُ مَن يَطْوِى الضُّلوعَ على أسًى ... بجُؤذُرِ سِرْبٍ دأْبُه النَّأْىُ والهَجْرُ(1)

***

وقوله :

للناسِ عِيدٌ وحَجٌّ والوُقوفُ ولِى ... رَشْفُ المُدامِ وضَمُّ الشَّادِنِ النَّزِهِ

من كلِّ أغْيَدَ رَيَّانِ القَوامِ له ... فى كلِّ جارِحةٍ غُنْجٌ يُميتُ بِهِ

لاعيشَ إلَّا احْتِساءُ الرَّاحِ صافيةً ... من كَفِّ ألْمَى كَحِيلِ المُقْلتَيْنِ زَهِى

فَسَكْرَةُ العَيْشِ لِلْقومِ الذى سكِرُوا ... على الأغانِى وطِيبُ العَيْشِ فى النُّزَهِ(2)

***

وقوله :

تَعَلَّقْتُه نَشْوانَ من خَمْرَةِ الصِّبا ... رقيقَ حَواشِى الطَّبْعِ قد كاد يُرْشَفُ

له طُرَّةٌ تَحْكِى الدُّجى ومَراشِفٌ ... تُرِيكَ الدُّما واللَّحْظُ وَسْنانُ أوْطَفُ

أعاذِلُ مَهْلًا فى هَواكَ فإنَّنى ... لِيَعْقوبِ حُزْنٍ فى هَوى الحُسْنِ يُوسُفُ

---

(1) الجؤذر : ولد بقر الوحش . (2) فى س : « فائدة العيش » والمثبت فى : ب .

٢٠

مصطفى بن أحمد التَّرْزِىّ*

مجدُه مَحْبُوكٌ من جِهَتَيْه، مُيَمَّمٌ[1] عافٍ وسائِلٍ من وِجْهَتَيْه.

فلِلّه مجدٌ هو شمسُ نهارِه، ونَوْرُوزُ دهرِه وفَوْحَةُ أزْهارِه.

طلَع وقد ارْتدَى بُرْدَ الشَّباب والْتَفّ، وتحوّط بالسَّبْع المَثانِى من العَيْنِ واحْتَفّ.

فرَوضةُ أدبِه فسيحةُ الرِّحاب، صَقيلةُ ثَغْرِ البرقِ وَادِقَةُ[2] طَلِّ السَّحاب.

نَوْرُها قلائدُ حُورِ[3] العِين وغصونُها قُدُود، وبَنَفْسَجُها خِيلانٌ ووُرُودُها خدود.

مع رِقَّةِ طَبْع تَسْترِقُ الأهْوَا، وسلامةٍ تَسْتخلِص القلوبَ من الأدْوا[4].

وقد جمعَتْنى وإيّاه الأقدار، فما مارَيْتُ أنّ مِرآةَ وَجْهِه مَصْقَلةُ الأكْدار.

وطلبتُ منه شيئاً من نظامه، فأتانى بقِطَعٍ تَدْعُو إلى تألُّفِ الفِكْرِ وانْتِظامه.

فخُذْ ما تصْطَفِيه حظًّا وراحة، وتَعَطَّلْ من رَاحِ غيرِه كأساً وراحة[5].

فمنه قوله[6]:

أبدًا يَحِنُّ إليك قلبي الخافقُ ... والجِذْعُ يعلم أنّنى لك عاشقُ

يامن يَهُزُّ من الدلالِ مُثَقّفًا ... وبِسَهْمِ أحْظَيْهِ الحُشاشَةَ راشقُ

(*) مصطفى بن أحمد (باشا) بن حسين الترزى الدمشقى.

كان والده أمير الأمراء، ونشأ هو مكتسبا للكمال والعلوم، أديبا شاعرا، مع معرفة تامة بالطب وغيره.

توفى سنة ستين ومائة وألف، بعدما نهبت داره، واضمحل حاله، وتراكمت عليه الأمراض، ودفن بمرج الدحداح.

سلك الدرر ٤/١٦٦ ـ ١٧٨، وقد نقل المرادى بعض صدر ترجمة المحبى له، وكثيرا من شعره.

(١) فى سلك الدرر: «ميم». (٢) ودق المطر: قطر.

(٣) فى الأصول: «حدس»، ولعل الصواب ما أثبته. (٤) فى ص: «اللاأوا»، والمثبت فى: ب.

(٥) الراحة هنا: الكف. (٦) القصيدة فى سلك الدرر ٤/١٦٧، عدد الأبيات من ٧ ـ ١٠.

مَهْلًا فأين العــــدلُ منك لِمُغْرَمٍ ... كَلِفٍ بُحُبِّك بل بِقَوْلِك وَاثِقُ

ماراح يُضْمِرُ عنك إلّا مَوْثِقًا ... أَكْذَبْتَه وتقولُ إنِّى صَادِقُ

قَوْلُ الأعاريبِ الكرام وتنْثَنِى ... نَحْوِى بعَيْنِ أخِى المَوَدَّةِ وَامِقِ[1]

هَيْهاتَ ما لِلْغـــانياتِ مَوَدَّةٌ ... ما كلُّ قولٍ للفعـــالِ مُطابِقُ

لم تُثْنِنِى تلك الأقاويلُ التى ... صَـدَرتْ وكم قد قال فيك مُنافِقُ

وإذا الخليطُ غداةَ عَهْـدِكِ أزْمَعُوا ... سَيْرًا وأُجْدِحَ للرَّحيلِ أيانِقُ[2]

وَجَّهْتُ دمعى إثْرَ بَيْنِهِمُ دَمًـا ... غَدَتِ اللَّوائمُ باللَّحـــاظِ تُرامِقُ

أَثْنَوا الأعِنَّةَ عن مَنازِلِ وَجْرَةٍ ... صَـدًّا وأقْفرتِ العُذَيْبُ وبارِقُ[3]

شِيَمُ الليالى الغَـدْرُ من عهدِ الأُلَى ... قِدَمًـا وما للدهرِ وعــدٌ صادِقُ[4]

فَلَيَهْنَ مَن قد باتَ فى دَعَةِ اللِّقـا ... يَلْقَى أحِبَّتَـــهُ ونحن نُفارِقُ

***

وقوله[5] :

لا تَلُمْ مَن غَـدَا بِحُبِّ سُلَيْما ... نَ أسيرًا ودَمْعُـــه فى انْطلاقِ

لِىَ قالتْ جنودُ حُسْنِ مُحَيَّا ... هُ وأيضا لســـائرِ العُشّـاقِ

قد تبدَّى بطَلْعةٍ تفضَحُ الشَّمْـ ... ـسَ بَهاءً فى ساعةِ الإشْراقِ

---

(١) فى هذا البيت إقواء كما ترى .

(٢) الخليط : الجماعة المشاركون ، أمرهم واحد . وأجدح الإبل، وسمها بالمجدح ، وهى سمة للإبل بأفخاذها .

(٣) وجرة : بين مكة والبصرة ، وبينها وبين البصرة نحو أربعين ميلا ، ليس فيها منزل ، فهى مرب للوحش . معجم البلدان ٤/٩٠٥ .

والعذيب : ماء بين القادسية والمغيثة . معجم البلدان ٣/٦٢٦ .

وبارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية إلى البصرة . معجم البلدان ١/٤٦٣ .

وهذه أماكن يكثر ورودها فى الشعر ، ولا تقصد أعيانها .

(٤) فى ب : « عهد صادق » ، والمثبت فى : س ، وسلك الدرر .

(٥) سقطت هذه المقدمة والأبيات بعدها من : س، رغم ذكر الأبيات التالية ـ التى أخذ الشاعر معناها ـ فيها . والأبيات فى سلك الدرر ٤/١٦٧ .

مِثْلَ قَوْلِ الَّتِى بِها اهْتَدَتِ النَّمْـ ... لُ بِنُصْحٍ فى غايَةِ الإشْفاقِ
دُونَكُمْ فادْخُلُوا المَساكِنَ مِنْ قَبْـ ... لِ تُصابُوا بِأسْهُمِ الأحْداقِ
يَحْطِمَنْكُمْ فَتَفْقِدُونَ رَمايَا ... بِسِهامِ الخُطوبِ بالاتِّفاقِ
ذلِكَ اللَّحْظُ فاحْتَرِزْ منه واعْذِرْ ... لم يكن دونَهُ من الموتِ واقِ(١)

***

هو من قولِ بعضِهم(٢) :

أسلَمَنا حُبُّ سُلَيْمانِكُمْ ... إلى هَوًى أيْسَرُهُ القَتْلُ
قالَتْ لنا جُنْدُ مَلاحاتِهِ ... لمَّا بَدَا ما قالتِ النَّمْلُ
قُوموا ادخلوا مَسْكَنَكُم قبل أن ... تَحْطِمَكم أعينُهُ النُّجْلُ(٣)

***

وقول المترجَم ، وقد تخلّص فيها بمَدْحِ شيخِ الطريقة ، ومَعْدِنِ السُّلوك والحقيقة ، محمد ابن عيسى الخَلْوَتىِّ الصَّالِحىِّ(٤) ، وهى من غُرَرِ قصائده(٥) :

هَوًى يشُوق النَّفْسَ والنَّسِيبَا ... وصَادِحاتٌ حَسَّنَتْ تَشْبِيبَا
وحُمِّلَتْ نَشْرَ الزُّهورِ شَمْأَلٌ ... تُهْدِى إلينا عَنْبَراً وطِيبَا
واخْضَرَّ وَجْهُ الدَّوْحِ مِن عارِضِهِ ... لمَّا اسْتدار جَدْوَلاً مَنْسُوبَا

(١) فى سلك الدرر : « فاحترز منه واحذر » . (٢) سلك الدرر ٤/١٦٧ .

(٣) فى الأصول : « أعينها النجل » ، والتصويب من سلك الدرر .

(٤) محمد بن عيسى بن محمود الكنانى الحنبلى الصالحى الدمشقى الخلوتى .

ولد سنة أربع وسبعين وألف ، ونشأ فى كنف والده ، وأخذ عنه الطريق ، وتلمذ لعلماء عصره فى الفنون المختلفة .

وحج إلى بيت الله الحرام ، ثم لما توفى والده ، صار مكانه فى شياخة الطائفة .

وألف « تاريخا » جعله سجلا للوقائع اليومية ، وقد استفاد منه المرادى فى تاريخه .

توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف ، ودفن بسفح قاسيون بالصالحية .

سلك الدرر ٤/٨٥ ، ٨٦ .

(٥) القصيدة فى سلك الدرر ٤/١٦٨ ، عدا الأبيات ١٥ ، ٢٢ – ٣١ ، ٣٧ ، ٣٩ – ٤١ .
وقد سقط من س الأبيات : ١٠ – ٢٦ ، ٢٩ – ٣٧ .

فاعْتدَلَ الغُصْنُ وصار فَوْقَه الشْ ... حْرُورُ من وَجْدٍ به خَطِيبا
فقام يَدْعو والحَمامُ هُتَّفٌ ... قد أتقنتْ أَلْحَانَها ضُرُوبا
قمْ إلى تلك الرياضِ مُسْرِعاً ... مُبْتَكِراً ونادِمِ المَحْبُوبا
يا بأبي ومَن يقول بأبي ... ذاكَ الغزالَ الشّادِنَ الرُّعْبُوبا[1]
في وَجْهِه للنـــاظرين جَنّةٌ ... للحُسْنِ كانتْ مَنْظراً عجيبا
مُنَمْنَمٌ يزْهو على عُشّاقِه ... مُخَضِّباً بنانَه تخْضِيبــــا
ماصادَفتْ قلبي سِهامُ لَحْظِه ... إلّا أنتْ غزّالةً تُصِيبا[2]
فليْتَه صَيّرَ لى من وَصْلِهِ ... وقُرْبه ياصاحبي نَصِيبا
جرّبْتُ من بِعادِه نارَ الغَضَا ... عَـذّبَني بحَرِّها تَعْذِيبا[3]
لولا الهوى ماشاقَ عَيْني مألَفٌ ... وبالحِمَى كم وَدّعتْ حبيبا
هوًى حقيقٌ له موَدّةٌ ... قد وَلّدتْ نَجْلَ الوَفَا نَجِيبا
ليس المجازُ خلف العادات ... والحقُّ منهم قد غَـدَا قريبا[4]
أهلُ السّماحِ في الدُّنا قد زَهِدُوا ... وقدّسُوا بالواحدِ القُلُـــوبا
وبالرِّضا قد مُزِجتْ طِباعُهم ... فلا ترى في وَجْهِهم قُطوبا
وأخْلَصُوا للهِ قلباً قد صفَا ... من كَدَرٍ واسْتأنَفُوا العُيوبا[5]
فما دَعَوا للغَيْثِ يوماً وبَكَوْا ... إلّا أجاب قبلَ أن يُجِيبـــا
رَاحُوا براحِ الحالِ في وُجودِهم ... لَمّا اخْتلَوا ورَوّقُوا المشْرُوبا

(١) جارية رعبوب : حسناء رطبة حلوة .

(٢) في ص : « غزالة تقيبا » ، والمثبت في ب ، وفي سلك الدرر : « غزالة تصيبا » .

(٣) في ب : « خربت من بعاده » ، وفي ص : « جربت من بعاده » ، والمثبت في سلك الدرر .

(٤) ورد صدر هذا البيت ناقصاً هكذا في الأصول ، وفي ص : « الفادات » مكان « العادات » في : ب .

(٥) في سلك الدرر : « واستأنفوا الغيوبا » ، ولعله هنا استعمل « استأنف » استعمال « أنف من الشيء » أي كرهه وترفع عنه .

مُذْ عامَلُوه فى مَقاماتِ الْوَفَا ... هَبَّ لهم عَرْفُ الرِّضَا هُبوبَا

إن البحار . . الذى بفضــــلِه ... انقلَبَ الْجَدْبُ أخْضَرَاخَصِيبَا(١)

يالَيْته يَلْمَحُنِى برأفةٍ ... فَالْحَقُّ الْمَقصودَ والمطــــلوبَا

مَنْ لى سَمَا أعْلَى مَقاماتِ الْوَفَا ... مُهَذَّبٌ مِن صِغَرِه تَهْذِيبَا

مِن أرْفَعٍ والدُه أعْلى وَفَا السَّـ ... ـادَاتِ لا زُوراً ولا تَكْذِيبَا

نعمْ ولى بسيِّدى محمدٍ ... وُدٌّ من الصِّدْقِ غَدَا مَوْهوبَا

ياسيِّدى جسمِى دَعاكَ رُقْيَةً ... من كلِّ سُوءٍ مانِعاً مُجِيبَا

وحُبُّ مِثْلِى أن يكون داعياً ... بالغَيْبِ واللهُ يعلمُ الغُيوبَا

إنِّى اتَّخَذْتُ سيدى عن الورَى ... خِلًّا كريماً صادقاً صَحِيبَا

باللهِ لا تارِكُه فى مِحْنَــــةٍ ... ولا سمعتُ غيرَه لَبِيبَــــا

فهل أقام الرَّدَّ مِثْلِى شارِعاً ... نَهْجَ الأُلَى وقرَا المكْتُوبَا

كالمسْكِ وَافاكَ دُعاه مُخْلِصٍ ... رَيَّانَ من ماءِ الْوَفَا رَطِيبَــا

إنْ لم يرَاكَ لا يُسَرُّ قلبُــه ... ويَكْرَهُ الخيالَ أن ينُوبَا(٢)

ما لِلْفتى قد لَعِبَ الدهرُ به ... وصَرْفُه صَيَّرَه مَتْعُـــــوبَا

مِن الزَّمانِ عَلِقَتْه مِحَنٌ ... قد شَعَّبَتْ بقلبِــه شُعوبَا

إلَّاكَ يسْتظِلُّ فى جَنابِهِ ... والناسُ قد أفْنَيْتَهم تَجْرِيبَا

واحتَفِظِ التَّبْليغَ لا تَرْضَ به ... إذاعةً وانتظِرِ الأُدِيبَا

واسْتَجْلِها من البديعِ غادةً ... لا تَرْتَفِى غيرَ الْهَنا مَرْكُوبَا

تَسْتأنِفُ الشمسَ إن تكنْ رَدِيفَها ... والبدرَ مُعجِباً إن يكُنْ جَنِيبَا(٣)

---

(١) فى س : « إن التجار » ، والمثبت فى ب ، ومكان النقط بياض ، وهو مشترك فى النسختين .

(٢) كذا « إن لم يراك » لسلامة الوزن .

(٣) « إن تكن » كذا بالأصول فى الموضعين وحقها « أن تكون » ، وهذه القصيدة مضطربة كما ترى ، وقد سقط من س ، ومن سلك الدرر ، كثير من أبياتها المضطربة ، كما بينته فى أولها .

تُراعِيها الجوزاء في ارتقائِهـــا مدّتْ لهـــا أنجُمها طُنُوبا(1)
حمّلتُها تحيّةً تُزْرِي يدَ الرّ وضِ اصطبحتِ الشَّمالَ والجنُوبا(2)

***

(1) في ب ، س : « سراعيها الجوزاء . . . أنجمها وطيبا » ، والمثبت في : س .
(2) ما بعد هذه القصيدة إلى نهاية الترجمة لم يرد في : س ، وجاء مكانه :

« وله :

تولّى وبي في كلِّ جارحـــةٍ وَجْدُ وواعدني واحرَّ ما أثمر الوعـــدُ
وأسّلَ من جَفْنَيْهِ سيفـــاً على الحَشا وأودَعَـــه قلبي وقلبي له الغِمْدُ
[أسل الرمح : حدده ، واستعمله هنا للسيف]
وأسبي العذارى الغيدَ جيداً ولَفْتةً وعِطْفـــاً ويالله ما فعل الهِنْدُ
وأهْوى لتقبيلِ الأناملِ خاضعاً فطار بلُبِّي بعـــد ما انفطرَ الكَبْدُ
وخلّفني أُذْرِي الدموعَ صَبـــابةً مُبدَّدةً مني كما بُدِّدَ العِقْـــدُ
ألا في سبيل الحُبِّ مَن كتَمَ الأسى زماناً فلم يُبْدِ الذي فعل البُعْدُ
إلى أن أطارَ اللبَّ بعـــدَ قرارِه أغرُّ كحيلُ الطَّرْفِ مَبْسِمُه الصَّدُّ
أرى النّومَ عنّي نافراً بعدَ بُعْدِهِ ولازمني التّبريحُ والحزنُ والسُّهدُ
وبي لاعجٌ لايبلُغ القولُ وَصْفَهُ ولو وَصَفتْها لي بأشوارِها هِنْدُ
[كذا : بأشوارها]
يَدِبُّ بأعضائي الهوى ومَفاصِلي كمِثْلِ دَبِيبِ السُّمِّ حتّى به زَنْدُ
أُشاهِدُ مَعْناهُ فأطْرَبُ والهوى وإن كان مُرّاً فهو للعاشقِ الشُّهْدُ

وقوله :

أنا إن نَصَبْتُ يَراعَ نَصْلِي مُصْلَتاً ذَلّتْ لِعِزّةِ بأسِه أُسْدُ الشَّرى
وإذا جريْتُ مُباحِثا بنوادِرِي ظَلَّ الحَسودُ يُعيـــدُ ذاكَ تَحيُّرا
وإذا صَغَى الأُدَباءُ نحوَ بَدائِعي شَرِبوا بكاساتِ التفكُّرِ كَوْثَرا
لكنْ أُسَلِّي خاطِري بمديحِ مَنْ قد صـــارَ بالآدابِ رَوْضاً مُثْمِرا »

وقوله يمدح جامعه الفقير محمد المحمودىّ ، وقد أهداها له من نفثاته ، وهى[1] :

خَـــدٌّ يُوَرِّدُه لَهِيبُهْ فتــكاد أَعْيُنُنـــا تُذِيبُهْ
أَنْدَى من الوردِ الذى حَيَّاهُ رَيَّانًا نَصِيبُـــهْ
وبثغرِه ماءُ الحيـــا ةِ يَرُوقُ كالصَّهْبا صَبِيبُهْ[2]
وسَقاهُ ماءُ شَبِيبـــةٍ راح الجمـــالُ بها يَشُوبُهْ
مَيّالُ أعْطافِ الصِّبـــا تِيهـــاً يُرَنِّحُهُ وَثُوبُهْ
ذو قامةٍ هَيْفـــاءَ مِثْـ لَ الغُصْنِ يحمِلُه كَثِيبُهْ
أبداً يميـــلُ مع النَّسِيـ مِ يَقَـــاءُ يعطِفُه هُبُوبُهْ
وبوجهِـــه آياتُ حُسْـ نٍ فيـــه زَيَّنَها قُطُوبُهْ
أبْدَى قِسِيَّ حَواجِبٍ بالرُّوحِ يَفْدِيهـــا سَلِيبُهْ
من مُقْلَتَيْهُ أراشَ فى قلبى السهامَ به يُصِيبُهْ
فرمَى نُدُوبَ سِهـــامِه فى اللُّبِّ قد أصْمَتْ نُدُوبُهْ
ظَـــبْىٌ بمُلْتفتيْهِ رَوْ ضُ الحسْنِ يَسْبِينا عَجِيبُهْ
مُتمنِّعٌ عن ناظرِى ما زال يَحْمِيه رَقِيبُهْ[3]
كالبـــدرِ يَعْبَثُ بالمُشِيـ رِ وِدادُه بُعْـــداً قَرِيبُهْ
بَرَقَتْ بوارِقُ وَعْدِه والبَرْقُ يُطْمِعُنا خَلُوبُهْ
وإذا بَدَا يَزْوَرُّ مِثْـ لَ الرِّئْمِ نَفَّرَهُ مُرِيبُهْ
ولِصَدِّه أهْـــدَى الضَّنَى مُتحيِّراً فيـــه طَبِيبُهْ
مَنحَ السُّهـــادَ لمُقْلتى مُذْ طال عن نَظَرِى مَغِيبُهْ

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٤/١٦٩ ، ١٧٠ ،عدا الأبيات : ١٢، ١٤ ، ١٦ ، ٢٦ – ٢٨ ، ٣٦ .

(٢) فى سلك الدرر : « يرق كالصهبا » .

(٣) فى س ، وسلك الدرر : « مازال يحجبه » ، والمثبت فى : ب .

أَوْدَى بجسمى هَجْرُه والحبُّ تُسْتَحْلَى خُطوبُهْ
وأرى عِقَابَ صُدودِهِ بالوصلِ قد غُفِرتْ ذُنوبُهْ(١)
يا ليتَ شِعْرِى ما الذى بصُدودِه عنِّى يَنوبُهْ
يَقْسُو علىَّ فؤادُه وقَوامُه غُصْناً رَطِيبُهْ
أتُراهُ يعلم بالذى يشكُوه من سُقْمٍ كَئِيبُهْ
وصُدودُه أبداً على عُشَّاقِهِ ليستْ تَعِيبُهْ
كم ذا أُمَوِّهُ بالهوَى والصبرُ قد شُقَّتْ جُيوبُهْ
هيهاتَ من لَدْغِ الجَفَا بسِوَى اللِّقا يُشْفَى لَسِيبُهْ(٢)
فَرِقتْ من العشقِ الأسو دُ وسَهْلُه عندى صَعِيبُهْ
والشِّعْرُ لا يأْتِى بأدْ نَى وَصْفِك السَّامِى طَرُوبُهْ
قَصُرتْ فَصاحةُ مادحٍ أحْصَى كَمالَك أو يُذِيبُهْ
يا مَن يباهِرِ شِعرِه قد راح يُسْكِرنا نَسِيبُهْ
شِعرٌ هو السِّحْرُ الحَلا لُ يَروقُ هَذَّبه لَبِيبُهْ
مُنْشِى حُلاهُ محمدُ ال محمودُ مُفْرَدُه نَجِيبُهْ
الفاضلُ اللَّسِنُ الذى مَحْلُ الزمانِ به خَصِيبُهْ
فى كلِّ لفظٍ من مَعا نى فضلِهِ تُسْبَى شُعوبُهْ
مُتَناسِقٌ كالدُّرِّ فى الْ عِقْدِ الذى نُظِمتْ ثُقُوبُهْ(٣)
بنَقاهةٍ تُنْسِى الأُلَى فى الدهرِ واحدُه أَدِيبُهْ
وإذا ذَكَرْنا الشِّعْرَ فهْ وَ كما سمعتَ به حَبِيبُهْ(٤)

---

(١) فى سلك الدرر : « ورأى عقارب صدغه » .

(٢) اللسيب : الملدوغ . (٣) فى ب : « نصبت ثقوبه » ، والمثبت فى : ص ، وسلك الدرر .

(٤) يعنى حبيب بن أوس أبا تمام .

وافَتْكَ مِثْلَ الرَّوضِ يَبْهَرُ لِدى عَرْفِهِ نَفْحاً جَنُوبُهْ[1]
وَمَدِيحُكَ السَّامي غَدَا فَرْضاً على مِثْلِي وُجوبُهْ
والمَهْرُ منكَ جَوابُهَـــا وكَفاهُ فَخْراً مَن يُجِيبُهْ
نَفَحَتْكَ مِــنِّي بالثَّنــا ءِ وطابَ عَنْبَرُه وطِيبُهْ

***

وقوله ، وقد كتبه للفاضل الماهر ، والأديب الشاعر ، محمد بن مراد بن محمد السقاميني[2] ، أمين فَتْوَى السادة الحنفيَّة ، بدمشق المَحْمِيَّة ، مادحا له بهذه الأبيات ، الحرِيّة بالإثبات .

وهي[3] :

لكَ في المَعالِي رُتْبَةٌ من دونِها زُهْرُ النجومِ وتلكَ فوقَ هِلالِها
فلذاكَ أنتَ أمينُ أسْرارِ الهُدَى واللهُ قد أَوْلاكَ حُسْنَ خِلالِها
وجواهِرُ النُّعْمانِ عَزَّتْ غَيْرَةً إلّا عليكَ لمن بَغَى لِمَنالِها[4]
فاهْنَأْ بها لا زِلْتَ تُرْشِدُ قاصِداً يَبْغِي الهدايةَ لِلتُّقَى بسُؤالِها
يا مَن له قَلَمٌ إذا وَشَّى به صَفَحاتِ طِرْسٍ أشْرقَتْ بجمالِها
ولذاكَ الفُضَلاءُ مُعجَبَـاً أنْشَدَتْ بِعُلاكَ بَيْتاً من بديعِ مَقالِها
إنّ الكتابةَ لِلْفَتاوَى لم تَجِدْ أحَداً سِواكَ يَحُلُّ من إشْكالِها
وَسَمَتْكَ من بين الوَرَى بمُرادِها حتى ارْتَضاكَ اللهُ من أمْثالِها[5]
لا زِلْتَ مَحْرُوسَ الفُؤادِ مُؤَيَّداً بعَوارِفٍ قد حُزْتَها بكمالِها

***

(١) في سلك الدرر : « عرفها نفحا » .
(٢) تقدمت ترجمته برقم ٩ ، صفحة ١٠١ ، وهو هناك : « محمد مراد بن محمد » .
(٣) الأبيات في سلك الدرر ٤/١٧٠ .
(٤) في س : « لمن بغى لمنالها » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .
(٥) في سلك الدرر : « من أمثالها » .

وقوله ، وقد مدح به فَرْعَ الشجرةِ الزكيَّة ، وطِرازَ العِصابة الهاشميَّة ، السيد الشريف يحيى بن المرحوم السيد الشريف بَرَكات[1] ، سلطانُ مكة المُعظَّمة سابقاً ، حين وُرُودِه إلى دمشق المَحْمِيَّة ، لا زالتْ مَحْروسةً من كلِّ بَليَّة .

وهي[2] :

قُدُومٌ كما انهلَّتْ سحائبُ أمطارِ ... وقد أشْرقتْ منه الرِّياضُ بأزْهارِ

حكى الشمسَ غِبَّ الغَيْمِ أشْرقَ ضَوْؤُها ... ولاحتْ على الدنيا ببَهْجَةِ أنْوارِ[3]

وسُرَّتْ به الآفاقُ شَرْقاً ومَغْرِباً ... وأرَّجها كالمسكِ فَتَّتَهُ الدَّارِى[4]

وذاكَ قُدومُ السيد الأعظمِ الذى ... أتانا كيُسْرٍ بعدَ بُؤْسٍ وإعْسارِ

فكان كطِيبِ الأمنِ وَافَى لخائفٍ ... وكالنَّيِّرِ الأعْلَى به يهْتدِي السارِى

فأهْلًا به من قادمٍ قدِمِ الهَنا ... بأقْيَاهُ بل رُؤْياه غايةُ أوْطارِى

من القومِ إن هم فاخَرُوا جاء شاهداً ... لهم مُحكَمُ التَّنْزيلِ من غيرِ إنْكارِ

وإن نَطَقُوا جاءوا بأبْلَغِ حِكْمَةٍ ... يَلِينُ لها صَلْدٌ وجامدُ أحجارِ

وإن يَنْتمُوا جاءوا بكلِّ حُلاحِلٍ ... تذِلُّ له شُمُوسُ المُلوكِ بإقْرارِ[5]

بَنِى حسنٍ أهلَ العُلا مَنْبَعَ الهدى ... أئمَّةَ حقٍّ هم بأصدقِ أخْبارِ

مَيامِينُ غُرٌّ من ذُؤابةِ هاشمٍ ... فهم فى دُجَى الخَطْبِ المَهُولِ كأقْمارِ[6]

وأشْرَفُهم يحيي الذى شَرُفَتْ به ... دمشقُ ونِلْنا فيه أرْفَعَ مِقْدارِ

فيا ابنَ رسولِ اللهِ وابنَ وَصِيِّهِ ... ومَن أنْزَلَ القرآنَ فى مدحِه البارِى

(١) تجد بعض أخباره فى ترجمة والده بركات بن محمد ، فى خلاصة الأثر ١/ ٤٣٦ – ٤٥٠ .

(٢) القصيدة فى سلك الدرر ٤/ ١٧٠ ، ١٧١ .

(٣) فى سلك الدرر : « غب الغيم إشراق ضوئها » .

(٤) الدارى : نسبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، والدارى هنا صفة لجالب المسك .

(٥) الحلاحل : السيد فى عشيرته ، والأشوس : الشديد الجرئ فى القتال .

(٦) فى ص ، وسلك : « هم فى دجى الخطب » ، والمثبت فى : ب .

إليكَ اعتذارِي من كَلالِ قَريحتِي ... لجَوْرِ زمانٍ فيه قد قَلَّ أنصارِي

ولكنَّ لي في مَدْحِكم خيرَ قُرْبةٍ ... بها اللهُ يَعفُو عن عظائمِ أوْزارِي

لقد مَزَجَ الرحمنُ رَبِّي وِدادَكم ... بقلبِي وسمعِي والفؤادِ وإبْصارِي

وواللهِ ماوَفَّيْتُ بالمدحِ حقَّكم ... ولو طَلَعَ الجَوْزَا نتائجُ أفْكارِي[1]

لآلِ عليٍّ في الأنامِ تَوَجُّهِي ... ومَدْحُهمُ وِرْدِي ودِينِي وأذْكارِي

وهُنِّيتَ بالعيدِ السعيدِ وعائدٌ ... عليك بما نالُوا به خيرُ أبْرارِ[2]

فإنَّ العُلا تَسمُوا بكم وكَفا كمُ ... عُلًا أنكم مَلْجا الأنامِ من النارِ

ولا زِلْتَ ذا عُمْرٍ طويلٍ مُؤيَّدًا ... مَدَى الدهرِ ماهبَّتْ نَسائمُ أسْحارِ

***

وقوله ، مادحا ومُهنِّئا ، وممتذرا لعَلاَّمة الزمان ، وخليفة النُّعْمان .

محمد أفندى العِمادِي[3] ، مفتي السادة الحنفيَّة ، بدمشق المَحميَّة .

لا زال السَّعْد خادماً بنادِيه ، ومُستقبلُه خيرٌ من ماضيه .

وهي قوله[4] :

العفوُ أولَى من عقابِ المذنبِ ... والذنبُ يَخْرِسُ كلَّ شهمٍ مُعْرِبِ

كَرَّتْ علَيَّ عجائبٌ لو أولِعتْ ... بمَتالِعٍ لانْقَضَّ قَضَّ الكوكبِ[5]

مَن لي بعُذْرٍ أن يقومَ بحُجَّتِي ... عندَ الإمامِ الطيِّبِ بن الطيِّبِ

عَلَّامةُ الآفاقِ مَن بوجُودِه ... أفَلَتْ نجومُ ذَوِي الضَّلالِ بمَغربِ

حتى يزولَ مُحالُ قولٍ باطلٍ ... قد ألبَسُونِي فيه ثَوْبَ الأجْرَبِ[6]

---

(١) في ب : « وواللهِ ماوافيت » ، والمثبت في : س ، وسلك الدرر .

(٢) « بما نالوابه » على لغة « أكلوه البراغيث » . (٣) تقدمت ترجمته برقم ١ ، صفحة ١١ .

(٤) القصيدة في سلك الدرر ٤/١٧١ ، ١٧٢ ، عدا الأبيات ٢٣ ـ ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ .

(٥) في الأصول : « بمثالب لانقض » ، والتصويب من سلك الدرر .

ومتالع : جبل بنجد ، وآخر بناحية البحرين ، بين السودة والأحساء . معجم البلدان ٤/٤١١ .

(٦) المحال ، بالضم معروف ، وبالكسر : الكيد وروم الأمر بالحيل .

نَزَّهتُهُ عن سَمْعِ مولاىَ الذى   أنا عبدُه الأدْنَى وهـذا مَنْصِبِى
مُفْتِى البَرِيَّةِ فى الفَواخِرِ كلِّها   كالبحرِ يُلْقِى الدُّرَّ للمُتطَلِّبِ
إن فاهَ أسْكتَ كلَّ ذى لَسَنٍ بما   يُبْدِيه من صَوْغِ البيانِ كيَعْرُبِ (١)
مَوْلًى إذا اختَلَكتْ فُهومُ أُولى النُّهَى   جَلَّى برأْىٍ مثل بَدْرِ الغَيْهَبِ (٢)
وأبانَ كُلَّ عَوِيصةٍ فى العلمِ كأنَّهُ   جَمُّ الرَّفِيع بمثلِ حَدِّ مُشَطَّبِ (٣)
وَرِثَ الفضائلَ كابراً عن كابرٍ   يومَ العُلا عن كلِّ جَدٍّ مُنْجِبِ
قومٌ بهم دِينُ الإلهِ مُقَيَّدٌ   من أن يُدَنِّسَهُ مَقالُ مُنَكِّبِ (٤)
شادَ العمادُ لهم ثَناءً ظاهراً   حَمَلَ الرُّواةُ له لأقْصَى المغربِ
مولاىَ أنتَ أجلُّ مَن حازَ العُلاَ   بفضائلٍ هىَ كالطِّرازِ المُذْهَبِ
هُنِّيتَ بالرُّتَبِ التى هى فى الورَى   فَخْراً كوَضْعِ التاجِ يومَ الموكبِ
هى مَنْصِبُ الفُتْيا الرفيعِ مَقامُها   فوقَ السِّماكِ الشامخِ العالى الأبِى (٥)
دامتْ لكَ العَلْياءُ ودام لكَ الهَنا   ما سارَ رَكْبٌ فى فَيافى سَبْسَبِ (٦)
مَولاىَ عَفْواً فاسْتَمِعْ بتفضُّلٍ   بعضَ اعتذارِى من صَمِيمِ تلَهُّبِى
قد قَوَّلُونى فى عَلِىِّ جَنابِكم   مالم أقُلْهُ وحَقِّ رَبِّى والنَّبِى (٧)
أنا ماحَيِيتُ مَدِيحُكم وثَناؤُكم   وِرْدِى به عنـد الإلهِ تَقَرُّبِى

(١) فى سلك الدرر : « من صوغ الكلام المعرب » .
ويعرب : هو ابن قحطان بن عابر ، الذى تنسب إليه العرب العاربة ، وهو أبو قبائل اليمن ، وأحد ملوك الجاهلية . الأخبار الطوال ٧ ، التيجان ٣١ – ٤٧ .
(٢) فى سلك الدرر : « مثل بدر أشهب » .
(٣) المشطب : السيف فيه شطب ، وهى الخطوط أو الطرائق فى متنه .
(٤) فى سلك الدرر : « دين الإله مؤيد » .
ونكب عن الطريق : عدل عنه .
(٥) السماك : أحد نجمين نيرين يقال لأحدهما : الأعزل ، وللآخر : الرامح .
(٦) السبسب : الأرض البعيدة المستوية ، والفيفاء : المفازة لا ماء فيها .
(٧) فى ب : « فى علا جنابكم » ، وفى سلك الدرر : « قد قولانى فى علو جنابكم » ، والمثبت فى : م .

حاشايَ من قولٍ هُزاً لو قلتُه   لَنُهيتُ عنه بألفِ ألفِ مُكذّبِ[1]

بل كيف أقتحمُ الهلاكَ وأرتضى   غَضَبَ الإلهِ كفعلِ مَشْنُوٍّ غَبِي[2]

إنّي ولى عقلٌ يَطِيشُ حُلاحِلٌ   عنه ويثبُتُ فى الحلومِ ككَبْكَبِ[3]

لكنّ لى حَظًّا إذا استَنْهَضْتُه   سابَقْتُ أعْوجَ فى الطّرادِ بتَوْلَبِ[4]

أنا بعدَ قُرْبِى منكمُ ومَدائحى   أصْبحتُ عندكَ كالدَّنىءِ الأجْنَبِ

فَلَئِنْ قَبِلْتَ تَدَلُّلى وتَمَلُّقِى   بُشْرايَ إنّى قد ظفرتُ بمَطْلَبِى

ولَئِنْ رُدِدْتُ وذا مُحالٌ ظاهرٌ   حاشاكَ تلْقانِى بوجْهٍ مُقْطِبِ[5]

تأبَى خلائقُك الشّريفةُ والعُلاَ   من أن تُسوِّفَنِى ببَرْقٍ خُلَّبِ

دُمْ لِلْبَرِيَّةِ مَلْجَأً ومُؤَمَّلاً   ما أزْهَرَ الليلُ البَهِيمُ بكَوْكَبِ

ويُدِيمُ لى ابْنَىْ أخيكَ بدَوْلةٍ   لا تنْقضِى فى ظلِّ عيشٍ مُخْصِبِ

***

وقوله يمدح الشيخ الجليل ، والسيد السَّنَد النَّبيل .

شيخَ المشايخ العِظام ، وقدوةَ آل الشيخ عبد القادر الكرام .

السيد الشريف ، ذو القدر الباذخ المُنيف .

الشيخ على[6] شيخ الطريقة القادريَّة ، حين وُرُودِه لدمشق المَحْمِيَّة .

---

(١) فى ب : « من قول سوى » ، وفى ص : « من قول هزى » . والمثبت فى سلك الدرر ، وهو بمعنى هُزُءاً

(٢) فى سلك الدرر : « مبشوم غبى » .
والمشنو : المبغض .

(٣) كبكب : جبل خلف عرفات ، مشرف عليها . معجم البلدان ٤/٢٣٣ .

(٤) أعوج : فرس للعرب نجيب . انظر خبره فى أنساب الخيل ١٦ ، ١٧ .
والتولب : الجحش .

(٥) جاء عجز البيت السابق صدرا لهذا البيت فى سلك الدرر ، وهو خلط .

(٦) السيد على بن يحيى بن أحمد الكيلانى القادرى الحموى .
شيخ السجادة القادرية بحماة ، ولد بها سنة أربعين وألف ، وقرأ القرآن العظيم وجوده ، وتلقى الأدب والفقه والعربية والمنطق واللغة والتصوف .

وهى[1] :

يُزارُ بِزَوْراءِ العِراقِ ضَرِيحُ ... وللحقِّ أنوارٌ عليــــه تلُوحُ
تحُومُ حَوالَيْهِ المــــلائكُ رِفْعةً ... ووِرْدُهم التَّقْدِيسُ والتَّسْبِيحُ
سلامٌ عليه من ضَرِيحٍ مُعظَّمٍ ... إليه تحيّاتُ الإلهِ ترُوحُ
ضَرِيحُ إمامِ الأولياءِ وقُطْبِهم ... أبى صالحٍ عالى الجنابِ فَسِيحُ
يحُجُّ إلى بغدادَ يبْغِى زيارةً ... له القُطْبُ يسمَى خادماً ويَسِيحُ[2]
ومِن جَوْهرِ المُخْتارِ جوهرُه الذى ... له فى عُلُوِّ المَكْرُماتِ وُضوحُ
فمَن أمَّ عالِى بابه نال رفعـةً ... ووَافاهُ من فَيْضِ الإلهِ فتوحُ
فثَمَّــةَ أرْواحُ الجِنانِ وطِيبُهــا ... وتُزْرِى بعَرْفِ المِسكِ حين تفوحُ
وثَمَّةَ كنزٌ للفقــيرِ وفَرْحةٌ ... لمَن طَوَّحَتْه غُرْبةٌ ونُزُوحُ
وثَمَّةَ غَوْثٌ للأنامِ جميعِهِم ... وغَيْثٌ بأنواعِ العَطاءِ يَسِيحُ[3]
به تُكْشَفُ الجُلَّى ويرْتفِعُ البَلا ... ويُثْنَى عِنانُ الخَطْبِ وهْو جَمُوحُ
وأبْنــاؤُه الغُرُّ الكرامُ مَلاذُنا ... ودُنْيُوهُمُ إنِّى بذاك نَصُوحُ
ومِصْباحُهم مَوْلًى عَلِىٌّ جَنــابِهِ ... عَلِىٌّ به بابُ الهُــدَى مفتوحُ

= حج وهو صغير ، وتولى نقابة الأشراف بحماة وحمص سنة سبعين وألف ، واستقام نقيبا إلى أن توفى ابن عمه إبراهيم بن شرف الدين ، فجلس على السجادة القادرية فى البلاد الشامية ، وذلك سنة اثنتين وثمانين وألف .

سافر إلى الحج وهو كبير ، عن طريق دمشق ، ثم سافر إلى طرابلس الشام وإلى حلب .

وكان أديبا شاعرا ، له « ديوان » ، و « رحلة » .

توفى بحماة سنة ثلاث عشرة ومائة وألف .

سلك الدرر ٣/٢٤٦ ـ ٢٥٧ .

وكان وروده إلى دمشق سنة تسعين وألف . انظر سلك الدرر ٣/٢٤٨ .

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٤/١٧٢ ، ١٧٣ ، عدا الأبيات ٨ ـ ١٠ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٥ .

(٢) فى س ، وسلك الدرر : « يسعى خادم » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ب : « وغوث بأنواع » ، والمثبت فى : ب .

كريمُ سَجايا النفسِ لألاءُ وجهِهِ ... يُضيءُ فتخفَى عند ذلك يُوحُ[1]
مُهذَّب أخلاقٍ من الفضلِ والحِجا ... كثيرُ اتِّضاعٍ بالنَّوالِ سَمُوحُ
عليمٌ بأسرارِ الحقائقِ عارفٌ ... بأنفـــاسِهِ للسَّالِكين نَفُوحُ
متى تَلْقَهُ تَلْقَ أغرَّ كأنَّمـــا ... صَفَا وهو لُطفٌ من صَفاهُ ورُوحُ
ومَوْلًى هو البحرُ الخِضَمُّ ومَن به ... دعَا آبَ مَوْفُورَ الجَناحِ نَجِيحُ
ولكنه بحرُ العـــلومِ قَرارُهُ ... عميقٌ على مَن رامَهُ وطَليحُ
مَحامِدُهُ تُتْــلَى فيَعْبَقُ طِيبُها ... كنَشْرِ رياضٍ عَلَّهنَّ صَبُوحُ[2]
وقد حَلَّ في وادِي دمشقَ رِكابُهُ ... بسَعْدِ سُعودٍ للنُّحوسِ يُزِيحُ
فَوافَى رُبوعاً طالَما طال شَوْقُها ... إليـــهِ وكادتْ بالغرامِ تَبُوحُ
وقد بَسَمَ النُّوَّارُ في الروضِ فَرْحَةً ... وغَنَّتْ حَماماتٌ لَهُنَّ صُدوحُ
وخَفَقَ في الوادي السعيدِ نسيمُها ... وهَبَّ به مُعْتَلٌّ وهو صَحيحُ
وعَمَّ الورى فيها سُرورٌ ونَشْأَةٌ ... وإنِّي وهذا القولُ صاحِ صَريحُ
فنادتْ جميعُ الخلقِ أهلاً ومَرْحَباً ... ببَدْرٍ بأفلاكِ الكمالِ سَبُوحُ
أمَوْلايَ أرجُو نظرةً فيكَ إنني ... مُفارِقُ عَهْدِ الخليطِ جَريحُ
أهيمُ إذا غنَّى ابنُ وَرْقاءَ في الرُّبا ... وأسمعُ منـــهُ لَحْنَهُ فأنُوحُ
رمَتْني صُروفُ النائباتِ بأسْهُمٍ ... لها في فُؤادِي والصَّميمِ جُروحُ
ولكنْ بمَوْلايَ أرى كلَّ كُرْبَةٍ ... تَزُولُ ومنها الدَّمْعُ كانَ سَفُوحُ
وأنِّي وإنِّي في حِماكَ ومن يكنْ ... جِوارُكَ أمسَى منـــهُ فهو رَبيحُ
وكان قُصارَى بُغْيَتِي منكَ نَظْرَةً ... وطَرْفِي إلى مَرْأَى عُلاكَ طَمُوحُ
وعُذْراً فقـــد وافتْكَ منِّي بخَجْلَةٍ ... وشِعْرِي بمَدْحٍ في سِواكَ شَحيحُ

---

(١) يوح : من أسماء الشمس .   (٢) عله : سقاه مرة بعد أخرى .

وليس بمُحْصٍ بعضَ وَصْفِك مادحٌ ... ولو جاء منـــه المديح مديحُ
وإنّى قَسْرًا عن ثَناكَ مُقصِّرٌ ... ولو كان أنْطِق بالبيانِ فصيحُ
ولـكنّهـــا ترجو السَّماحَ كَرامةً ... وأنتَ عن الذنبِ العظيمِ صَفُوحُ
ودُمْ فى سُعُودٍ وارْتقاء ونِعْمةٍ ... بعُمْرٍ طويلٍ عنه قَصَّر نُوحُ

***

فراجعه عنها بقوله[1] :

مَخايِلُ سَعْدٍ للعُيونِ تلُوحُ ... بوَجْهِ سَرِيٍّ للسُّمُوِّ طَموحُ
قَرِينَةُ عِزٍّ فى غُصونِ حَبيبةٍ ... فتغْدُو بِبُشْراها له وترُوحُ
فتًى من سُراةِ الناسِ ممَّن تقدَّموا ... لنَيْلِ المَعالى والرِّكابُ سَبُوحُ
أديبٌ أريبٌ فاضلٌ مُتفضِّلٌ ... بليـــغٌ ولَفْظُ الدُّرِّ منه فَصيحُ
تَغذَّى لِبانَ الفضلِ فى حالِ مَهْدِهِ ... غَبُوقٌ له منها رِواً وصَبُوحُ[2]
إمامٌ هُمامٌ فى العلومِ مُقـــدَّمٌ ... وفى الأدبِ الغَضِّ الطَّرِىِّ فصيحُ[3]
كريم حوَى وَصْفَ الكرامِ وفِعْلَها ... شُجىً مصطفًى والفعلُ منه مليحُ
فأهْدَى لبكرٍ بنت فكرٍ توَشَّحتْ ... بوَشْىٍ بديـــعٍ بالعطورِ تَفُوحُ
فقبَّلْتُها بعـــدَ القَبُولِ مُجيزَها ... بتَقْرِيضٍ اذْ بعضُ القريضِ مَديحُ
نُخذْ نَزْرَ شَذْرٍ واغْضِ عن قَصْرِ قاصرٍ ... وسامِحْ بفضلٍ فالكريمُ سَمُوحُ[4]

***

وقوله ، وقد كتبه على « سفينة » البارع الفاضل ، والمولى الأجلِّ الـكامل ، سَليلِ الأصائل والأكابر ، الذى وَرِثَ الفضلَ كابراً عن كابر .

حامد[5] سَليلِ المولى المرحوم على أفندى العِمادِى ، عليه رحمةُ الرحيمِ الهادِى .

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٤ /١٧٣ .
(٢) الغبوق : شرب العشى ، والصبوح : شرب الصباح . (٣) فى سلك الدرر : « فى الفهوم مقدم » .
(٤) فى سلك الدرر : « نخذ بعض شذر » . (٥) تقدم التعريف به فى صفحة ٢٤ .

مُفْتِي السادة الحنفيَّة بدمشق كان ، سَقَى قبرَه سِجالُ الغُفْران[1] :

فَرائِدُ دُرٍّ فى صحائفِ ألْماسِ ... ونَوْرُ رياضٍ فى مَهارِقِ قِرْطاسِ[2]

وإلَّا دَرارِي الأُفْقِ ضِمْنَ سَفِينةٍ ... تسيرُ بلُجٍّ من زَخارِفِ أنْفاسِ

إذا كان قاموساً لها علمُ ماجدٍ ... فبحرٌ خِضَمٌّ لا يُقاسُ بمقْياسِ

فكيف ورَبَّانِيُّها فى مَسِيرِها ... له قلمٌ يجرِى كسابقِ أفْراسِ

همامٌ حوَى وَصْفَ الكرامِ وفِعْلَها ... وفاق الأُلَى بالفضلِ كالعَلَمِ الرَّاسِى

سَليلُ أساطينٍ فُحُولٍ ضَراغِمٍ ... همُ فى ذُرَا العَلْياءِ فى قُنَنِ الرَّاسِ[3]

تكلَّفَ فكرِى وَصْفَ بعضِ صفاتِهِ ... فتاهَ بمَوْماةٍ وعام بمِغْماسِ[4]

وكيف ونَيْلُ النَّجْمِ أقربُ مَأْرَبًا ... لفكرِى أو أُحْصِى عُلاه بأنْفاسِ[5]

فشُكْرِى فى آلِ العِمادِ لحامدٍ ... ومَدْحُهُمُ فَرْضٌ لتطْهِيرِ أدْناسِى[6]

فلا زال نادِيهم لمِثْلِيَ مَلْجَأً ... إذا الدهرُ لاقانى بصَوْلَةِ عبَّاسِ[7]

ودامُوا لكَشْفِ البُوسِ فى كلِّ حادثٍ ... شُمُوساً تلاشَى عندها كلُّ نِبْراسِ

***

وقوله ، مادحاً له أيضا ، ومُؤرِّخا إتْمام « الحواشى » التى جمعها الممدوحُ على كتاب « دلائل الخيرات » ، فى الصلاةِ على سيدنا محمد عليه أفضل التحيّات والصَّلَوات[8] :

أمَوْلاىَ زادَ اللهُ قَدْرَكَ رِفْعَةً ... بجاهِ رسولِ اللهِ خيرِ الخلائقِ

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٤/١٧٣ . (٢) المهارق : الصحف .

(٣) فى سلك الدرر : « هم من ذرا » .

والقنة : أعلى الشىء .

(٤) الموماة : الفلاة ، ولم أجد المغماس فيما بين يدى من معاجم اللغة ، ولعله أراد الذى يغمس فيه ، أى البحر البعيد القعر .

(٥) فى س : « أو أحصى علاه بأنفاسى » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٦) فى سلك الدرر : « فشكر لآل العمادى حامد * ومدحهم فرض . . » .

(٧) فى سلك الدرر : « بصورة عباس » . (٨) القصيدة فى سلك الدرر ٤/١٧٤ .

فأنتَ على تَقْوَى الإلٰهِ مُواظِبٌ تسير على نَهْجِ الهدى والحقائقِ
ومَن يكُ ذِكْرُ المصطفى دَيْدَنًا له لقد حازَ فى الدَّارَيْن عِزَّ المُسابِقِ[1]
دلائلُ خَيْراتٍ إذا ما تَلَوْتَها أفَدْتَ بها أجرًا لكم لم يُفارِقِ
فهذا دليلُ الخيرِ والرُّشدِ والهدى تَشيدُ به ذِكرًا كمِسْكٍ لناشِقِ
فهَذَّبْتَه سِفْرًا بتحْرِيرِ مَتْنِهِ وجاءتْ حَواشيه رِقاقَ الدَّقائقِ[2]
ورَصَّعْتَ من كنزِ العلومِ حَواشِيًا كتَرْصيعِ دُرٍّ فى نُضارِ المَناطِقِ
لقد طاوَلَتْ شُهْبَ السماء بما حوَتْ بهَدْىِ رسولِ اللهِ أفْصحِ ناطقِ
فطُوبَى لكم آلَ العِمادِ فسَعْيُكم دَوامًا على نَهْجِ الهدى فى الطَّرائقِ
وعَظَّمْتَها مَوْلاىَ حامدُ نُسْخَةً تُخَلِّدُ فيها الصِّدْقَ ضِمْنَ المَهارِقِ
فدُمْ ما تَلا ذِكْرَ النبىِّ أخُو هدى وصلَّى عليه عاشقٌ إثْرَ عاشقِ
صلاةٌ يُضِىءُ الكونُ من نُورِ ذِكْرِها تفُوحُ كمِسْكٍ فى العُذَيْبِ وبارِقِ
ومُذْ تَمَّ ذاكَ السِّفْرُ قلتُ مُؤَرِّخًا وَشائِعُ حُسْنٍ لَحْنَ من نُورِ صادقِ[3]

***

وقد أرَّخ جنابُ المولى المذكور، حامدٌ أفندى كتابةَ الكتابَ المذكور، بهذه الأبيات الفائقة، البديعةِ الرائقة.

وهى:

سِفْرٌ به نُشِرتْ فضائِلُ مَن غدَتْ زُهْرُ الدَّرارِى فى عُلاهُ تُنَظَّمُ
أجْرَى يَراعُ الحُسْنِ فى تارِيخِهِ بَيْتًا به بُرْدُ الإجادةِ مُعْلَمُ[4]

---

(١) الديدن: العادة والدأب. (٢) فى ب: «دقاق الدقائق»، والمثبت فى: س، وسلك الدرر.

(٣) جاء حساب التأريخ فى س، وسلك الدرر هكذا:

وشائع	حسن	لحن	من	نور	صادق	
٣٨٧	١١٨	٨٨	٩٠	٢٥٦	١٩٥	١١٣٤

(٤) برد معلم: فيه خطوط.

دَأْبِي مَدِيحُ محمدٍ نُورِ الهدى   صَلُّوا عليه يا كرامُ وسَلِّمُوا[1]

***

والمترجم ، مَضمِّنًا أبياتَ الشيخ داود[2] البَصير الطبيب الثَّلاث ، بقوله[3] :

لَيلِي كقادِمَتَيْ غُرابٍ مُغْدِفٍ   يَمْضِي بأحزانٍ وطُولِ تَلَهُّفِ[4]

وصباحُ يومِي إن سُئِلْتُ فإنَّه   كصباحِ ثَكْلَى مات واحدُها الوَفِي[5]

أبْكِي لشَمْلٍ بات وهْو مُصدَّعٌ   كالعِقْدِ بُدِّدَ بعد شَمْلٍ تألُّفِ

ظَنَّ الخَلِيُّ وقد رآنِي باكيًا   أنِّي رُعِفْتُ من الجُفونِ الذُّرَّفِ

هل راحِمٌ صَبًّا أذابَ فُؤادَه   دَهْرٌ ألَحَّ لصَرْفِه لم يَصْرِفِ

بان القَطِينُ فبانَ صبرِي معْهُمُ   واعْتَضْتُ ناراً في الحَشا لا تنْطفِي[6]

اللهُ يعلم أنَّنِي من بعدِهم   لَحَلِيفُ أحْزانٍ بقلبٍ مُدْنَفِ

أهْفُوا إلى مُرِّ الحِمامِ وشُرْبِهِ   ومَذاقُه ياما أحَيْلاهُ بِفِي

---

(١) جاء حساب التأريخ في س هكذا :

دأبي	مديح	محمد	نور	الهدى	صلوا	عليه	يا كرام	وسلموا	
١٧	٦٢	٩٢	٢٥٦	٥٠	١٢٧	١١٥	٢٧٢	١٤٣	١١٣٤

(٢) داود بن عمر البصير الأنطاكي .

ولد بأنطاكية ، وبلغ سبع سنوات وهو لا يقدر على القيام ، ثم عولج فشفي ، وكان ضريرا .

حفظ القرآن وأتقن علوم اللسان وهو صغير ، ثم تعلم العلوم الحكمية ، ودرس اللغة اليونانية ، ومهر في الطب .

وتنقل بين جبل عاملة ودمشق ، وأخذ عن العلماء بهما ، ثم هاجر إلى مصر ، فنزل القاهرة .

كان رأس الأطباء في زمانه ، قوي البديهة ، غزير المادة .

له مؤلفات كثيرة ؛ منها : « تزيين الأسواق » ، و « تذكرة أولي الألباب » .

ذهب إلى مكة ، وأقام بها أقل من سنة ، ثم توفي سنة ثمان بعد الألف .

البدر الطالع ١/٢٤٦ ، خلاصة الأثر ٢/١٤٠ ــ ١٤٩ ، ديوان الإسلام لوحة ٣٧ ؛ ، ريحانة الألبا ٢/١١٧ ــ ١١٩ ، سلافة العصر ٤٢٨ ، سمط النجوم العوالي ٤/٣٥٩ ، ٣٦٠ ، وذكره العصامي فيمن توفي سنة سبع .

(٣) الأبيات في سلك الدرر ٤/١٧٤ ، والأبيات المضمنة في : خلاصة الأثر ٢/١٤٨ ، ريحانة الألبا ٢/١١٨ ، ١١٩ .

(٤) أغدف الليل : أرخى سدوله . والغداف : غراب كبير ضخم الجناحين .

(٥) في سلك الدرر : « إن سألت » .

(٦) القطين : أهل الدار ، أو جمع القاطن .

مِن طُولِ إبْعادٍ ودهرٍ جائرٍ ... ومَسِيسِ حاجاتٍ وقِلَّةِ مُنْصِفِ

ومَغِيبِ خِلٍّ لا اعْتِياضَ بغيرِه ... شَطَّ الزمانُ به فليس بمُسْعِفِ

أوَّاهُ لو حَلَّتْ لِيَ الصَّهباءُ كَيْ ... أنْشَى فأذْهَلُ عن غرامٍ مُتْلِفِ

***

وقوله ، عند تراكُمِ الخطوبِ عليه ، وعدم مُشْفِقٍ يأخُذ بيديْه[1] :

إنَّ قلبي قُطْبُ البلاءِ أُدِيرَتْ ... بِشَقائي رَحَى الهمومِ عليْهِ

أو تراهُ مِغْنَطِيساً للرَّزايا ... يَجْذِبُ الخَطْبَ من سَحِيقٍ إليْهِ

***

وقوله ، ناعِياً ثَمَراتِ الفُؤاد ، ونُجَباءَ الأولاد[2] :

غُرابٌ ينُوح لتفْرِيقنا ... وبُومٌ يصيح بتلك الرُّسومْ

فبانُوا وأصبحتُ من بعدِهم ... أليفَ الشُّجونِ خَدِينَ الهمومْ

فما أجْلَدَ القلبَ فى النَّائباتِ ... ويا قلبُ صبراً لهذِى الكُلُومْ

وكانوا نُجومَ سماءِ الحَشَا ... وفى التُّرْبِ غَيَّبتِ تلك النجومْ[3]

فوَا وَحْشتاهُ لتلك الوُجوهِ ... وبعدَ السُّرورِ ألِفْتُ الوُجومْ

***

وقوله ، يهجو ابْنَه العاقّ[4] :

ثَكِلتُك حَيًّا بالعُقوقِ وإنَّما ... ثَمانُك عندى من حياتِك أصْلَحُ

فأنت القَذَى فى ناظِرَيَّ وغُصَّةٌ ... بحَلْقِي وهمٌّ فى فؤادى مُبَرِّحُ

جُفِزِيتَ ما جُوزِي اللَّعِينُ ابنُ مُلْجَمٍ ... وفى غَضَبِ الرَّحْمٰنِ تُمْسِي وتُصْبِحُ[5]

---

(١) سلك الدرر ٤/١٧٤ (٢) الأبيات فى سلك الدرر ٤/١٧٥ .

(٣) فى سلك الدرر : « وفى الترب غيب »

(٤) ذكر المرادى فى سلك الدرر ٤/١٧٨ أنه كان للمترجم ولد ، قتله الوزير أسعد باشا والى دمشق وأمير الحاج الشامى ، فيمن قتل من أشقياء الجند ، وقد تراكت على المترجم الملل من جراء ذلك ولم تطل مدته ومات .

(٥) يعنى عبد الرحمن بن ملجم المرادى ، قاتل على أبى طالب رضى الله عنه ، وقد قتل سنة أربعين إثر قتله أمير المؤمنين ، قطعوا يديه ورجليه ثم لسانه ، وأجهزوا عليه ، وقيل : أحرق بعد قتله . انظر الكامل للمبرد ٣/١٩٨ ـ ٢٠٠ ، والكامل لابن الأثير ٣/١٩٦ ـ ١٩٩ .

٢١

سعودى بن يحيى

الشهير بالمتنبّى العبّاسى *

أديبٌ محاسِنُه سافرةُ النُّقُب ، ومعانيه لم تسمع[1] أبدعَ منها مسامعُ الحِقَب .

فهو مُسْلَكُ[2] السَّبْكِ مُتْقَنُ الرَّصْف ، جارٍ فى خلائقه على أحسن ما يُقال من الوصف .

جرى فى حَلْبة الشعراء مِلْءَ العِنان ، فاعترفتْ له السَّبْقَ بمَزِيَّة البيان والبَنان .

فتشنَّف أدبُه من عِقْدِ الثُّريّا ، وتحلَّى شِعْرُه تحلِّىَ الروضةِ الريّا .

وقد اجتمعتُ به مرّات ، حمدتُ بها مَبَرّات ومَسَرّات .

فجعلتُ حِجّتى عليه متصورة ، وأثنيتهُ فى فى غير محصورة .

واستمليتُه من أشعارِه فأخرجها لى فى دَرْج[3] ، وكأنما أطلَع لى منها كواكبَ مجموعةً فى بُرْج .

(*) أبو السعود بن يحيى بن محيى الدين بن محمد بن يحيى ، الشهير بالمتنبى العباسى الشافعى الدمشق .

عالم ، أديب ، فاضل

أخذ عن كثير من علماء عصره ؛ منهم: عبد الغنى النابلسى، محمد بن عبد الهادى ، عبد القادر العمرى ، وإسماعيل اليازجى .

وله ديوان سماه : « مدائح الحضرات بلسان الإشارات » .

توفى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ، ودفن ببرج الدحداح .

هكذا ترجمه المرادى فى سلك الدرر ١/ ٥٨ — ٦٢ ، باسم « أبو السعود بن يحيى » ، وهو فى أصول الذيل « سعودى بن يحيى » ، ويرد هكذا فى الشعر خلال الترجمة، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبى له ، وبعض شعره .

(١) فى ب : « تستمع » ، والمثبت فى : س .   (٢) فى سلك الدرر : « سالك »

(٣) الدرج : ما يكتب فيه .

فكتبتُ ما راق وطاب ؛ وكساهُ الدهرُ بُرْدًا طِرازُه فَصْلُ خطاب .

فمنه قوله ، فى قصيدةٍ مطلعُها[١] :

خُذا حيثُ بدرُ التِّمِّ طافَ بِباصِرْفَا ... وأبرَزَها من خِدْرِها تنجلِى كَشْفَا

وعُوجَا بسَفْحٍ كم سَفَحْتُ مَدامِعِى ... خليلَىَّ فيه والهوى يُوجِبُ الحَتْفَا

فإنَّ بِها هَيْفاءَ ذاتَ محاسِنٍ ... إذا ما بَدَتْ عادَ الأنامُ إلى الزُّلْفَى

فريدةُ حُسْنٍ قد تجلَّتْ فخِلْتُها ... بكلِّ قَوامٍ مائسٍ قد ثَنَتْ عِطْفَا[٢]

أعارتْ سَناها للبُدورِ فأشرقتْ ... وأهْدَتْ لورد الرَّوضِ من عَرْفِها عَرْفَا

وقد عَمَّتِ الأكْوانَ حُسْنًا فما ترى ... سوى أغْيَدٍ يَسْبِيكَ أوغادةٍ هَيْفَا

ووَجْهِ غَزالٍ قد غَزانا بلَحْظِهِ ... وغازَلَنا بالطَّرْفِ والمُقْلَةِ الوَطْفَا[٣]

فكلُّ مَلِيحٍ راح يختالُ فى الورَى ... بثَوْبِ جَمالٍ من محاسِنِها شَفَّا

وهى طويلة ، وقد تخلَّص فيها بمدْحِه لشيخِه المكرَّم ، الشيخ عبد الغنى[٥]

المحترم ، منها[٤] :

وأورَدَنا عَيْنَ الحياةِ وقد غدَتْ ... شموسُ الهدى تُجْلَى بمَوْرِدِه الأصْفَى

وفى جَنَّةِ العِرْفانِ كم سال كَوْثَرٌ ... لَدَيْهِ فأسْدَى من مِياهِ الهدى غَرْفَا

ومَغْرِسُه النَّامِى بِرَوْضِ عُلومِه ... قَطَفْنا ثِمارَ الفضلِ من غُصْنِه قَطْفَا

***

وقوله ، من قصيدة أوَّلُها :

سَمَحتْ لنا بعد الجَفا بوَفاءِ ... هَيْفاءُ ذاتُ محاسِنٍ وبَهاءِ

زارتْ وقد مَدَّ الأصِيلُ مِلاءةً ... صَفْراءَ تحت الخَيْمةِ الزَّرْقاءِ

وثَنَى النسيمُ الرَّطْبُ أفْنانَ الرُّبا ... فغدَتْ تَمِيسُ بحُلَّةٍ خضراءِ

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ١ / ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) فى سلك الدرر : « قد تثنت فأخجلت » .

(٣) الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين .

(٤) ساقط من : س ، وهو فى سلك الدرر أيضا .

(٥) أى النابلسى ، وتقدم ذكره كثيرا .

وافْتَرَّ ثغرُ الأقْحُوانِ وقد رَنَا ... نحوَ الشَّقيقِ بمُقْلةٍ سَوْداء

فرأى عَقيقًا فوقَ غُصْنِ زُمُرُّدٍ ... يزْهو بتلك الوَجْنةِ الحمراء

والوُرْقُ بالعِيدانِ قد غَنَّتْ وما ... أحْلَى الغِنا بالرَّوضةِ الغَنَّاء

وتثنَّتِ الحسناء تِيهًا وانثَنَتْ ... تصْبُو إلى ياقُوتةِ الصَّهْباء

وجَلَتْ كؤُوسَ رُضابِها ولِحاظِها ... نسَكِرْتُ باللَّعْساء والوَسْناء[1]

وطَفِقْتُ ألثُمُ جِيدَها مُتمَسِّكًا ... من قدِّها بالصَّعْدةِ السَّمْراء[2]

ونَثَرْتُ من عَيْنِي الدموعَ لآلِئًا ... حُمْرًا على كافورةٍ بيْضاء

منها في وصف حَمَّام :

وعيونُه تجْرِي على أجْرانِه ... كدموعِ صَبٍّ وَالِهٍ مُتنائِي[3]

مُتصاعِدُ الأنفاس من ألَمِ النَّوَى ... مُتَأهِّبُ العَبَراتِ والأنْواء[4]

نَظَمَ الثُّرَيَّا في سماء قِبابِه ... دُرًّا يُضِيء على صَفاء الماء

***

وقوله[5] :

ومَلِيحٍ أدارَ كأسَ سُلافٍ ... واحْمِرارُ الخُدودِ للكاسِ كاسِ[6]

فأراد الخيالُ يَقْطِفُ وَرْدًا ... من رياضِ الخُدودِ بالإخْتِلاسِ

فأرانا لئالِئًا فوقَ وَرْدٍ ... وأسالَ العَقيقَ حولَ الآسِ

***

أحسنُ ما قيل في هذا المعنى قولُ الأمير مَنْجَك[7] ، رحمه الله[8] :

(١) اللعس : سواد في الشفة مستحسن ، وأراد بالوسناء : فتور الألحاظ .

(٢) الصعدة : القناة المستوية . (٣) الجرن : حجر منقور للماء وغيره .

(٤) في ص : « من ألم الهوى » ، والمثبت في : ب . (٥) الأبيات في سلك الدرر ١/٦١ .

(٦) « كاس » اسم فاعل من كساء الثوب . (٧) تقدمت ترجمته في الصفحة ١/١٣٦ .

(٨) البيتان في : ديوانه ٦٨ ، سلك الدرر ١/٦١ ، نفحة الريحانة ١/٤٩٤ .

لقد زارنى من بعدِ حَوْلٍ مُودِّعاً ... وطَوْقُ الدُّجى قد صار فى قبضةِ الفجرِ [1]

فأخجلتُه بالعتْبِ حتى رأيتُه ... يُريحُ الثُّريَّا بالهلالِ عن البدرِ

وقوله[2] :

لو لم يكنْ راعَها فكرٌ تصوَّرَها ... مِن وَالِهٍ أو رأتْها مُقلةُ الأملِ [3]

ما قابلتْ نصفَ بدرٍ بابْنِ ليلتِه ... وألقتِ الزَّهْرَ فوقَ الشمسِ من خَجَلِ [4]

***

وللمترجم أيضا :

بخدِّه والمَبْسِمِ السُّكَّرِى ... ماءُ الحَيَا والوَرْدِ والكَوْثَرِ

ظَبْيٌ رَخِيمُ الدَّلِّ حُلْوُ اللَّمَى ... يهزأ بالبدرِ وبالجؤذُرِ [5]

نَكْهتُه والجِيدُ مع خالِه ... كالمسكِ والكافورِ والعنبرِ

ووَرْدُه الأحمرُ فى خدِّه ... سَبَّجَهُ بالعارضِ الأخضرِ [6]

وحُسْنُه الزَّاهرُ فى وجهِه ... كالرَّوْضِ يَرْويه عن الأزهرِ [7]

لكن لسَلْبِ الرُّوحِ من حُبِّه ... جَرَّدَ ماضِى طَرْفِه الأحورِ

وقام يَرْوِى الحُسْنَ عن يوسفٍ ... وثغرُه يَرْوِى عن الجوهرِ [8]

***

(١) صدر البيت فى الديوان :

* أتى زائرى مِنْ بَعْدِ حَوْلٍ مُوَدِّعاً *

وفى سلك الدرر : « من بعد عام ... راحة الفجر » .

(٢) ديوان منجك ١٣١ ، وسلك الدرر ١/٦١ ، ونفحة الريحانة ١/١٥٣ .

(٣) فى السلك والنفحة : « من واله وثنتها مقلة الأمل » . (٤) ابن الليلة : البدر .

(٥) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . (٦) سبجه : سوده .

(٧) يشير إلى أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، صاحب « التهذيب » ، المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة.

(٨) يشير إلى أبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، صاحب « الصحاح » ، المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

وللأديب محمد بن السَّمان عَرُوض ذلك من الوَزْنِ والقافية ، وهى :

مِن قَدِّهِ والنَّاظِرِ الأحْوَرِ   قُتِلْتُ بالأبيضِ والأسْمَرِ
ظَبْيٌ بِدَاجِي شَعْرِهِ ما بَدَا   إلَّا وغابَ البدرُ والمُشْتَرِى
مِن عِندِ رِضْوانَ غَدَا نافِراً   ورِيقُه العَذْبُ من الكَوْثَرِ
ذو وَجْنةٍ حَمْراءَ بل جَنَّةٍ   قد زُخْرِفَتْ بالسُّنْدُسِ الأخْضَرِ
وقامةٍ تُزْرِى بغُصْنِ النَّقَا   ولَفْتةٍ تَسْبِى طُلَا الجُؤْذُرِ
وخَدُّهُ من فَرْطِ ماءِ الحَيَا   يَرْوِى حديثَ الجامعِ الأزْهَرِ
واللَّحْظُ والرِّيقُ لقد أنْشَدَا   ما أحْسَنَ اللَّوْزَ على السُّكَّرِ

***

وقد نَسجا على مِنْوالِ أبياتِ المُصَنِّف ، رحمه الله تعالى ، التى هى أرَقُّ من الشَّمُولِ ، وألْطَفُ من الشَّمال .

وهى :

أما اكْتفَى عن ذلك الخَنْجَرِ   بفِعْلِ ماضِى طَرْفِهِ الأحْوَرِ
غُصْنٌ متى أُلْوِى عِنانَ الرِّضَا   يَنفِرْ عَنَّا نِفْرَةَ الجُؤْذُرِ
إذا بَدَا يَخْطِرُ فى أبيضٍ   حَدَّثْ عن الأبيضِ والأسْمرِ
يَضُمُّنا من وَصْلِهِ مجلسٌ   مُفَرِّحُ المَنْظَرِ والمَخْبَرِ
فاشْرَبْ من الأحمرِ فى كَفِّهِ   كأساً على شارِبِه الأخْضَرِ
وخَلِّنِى أحْظَى ولو خِلْسَةً   بنَهْلةٍ من رِيقِهِ السُّكَّرِى
فإنَّما رِيقَتُه كَوْثَرٌ   أغْنَتْ بصَهْبَاها عن الكَوْثَرِ

***

وللمترجم من مُعَشَّراته الفائقة ، قوله :

انْجَلَتْ بالصِّفَاتِ والأسْماءِ   ذاتُ حُسْنٍ سَمَتْ على أسْماءِ

أدْهَشَتْنا بحُسْنها إذْ تَبَدَّتْ ... بين تلك الظِّلالِ والأفياء
أثبتَتنَا بنورِها مُذْ تجلَّتْ ... فبَقِينا ولم نزَلْ فى فِناء[1]
أسعدتْنا منها بطَلْعةِ وَجْهٍ ... عنه كلُّ الوُجودِ برْقُ سَناء
أسْفَرتْ عن نِقابِها فأرتْنا ... مِن سَناها الظُّهورَ عَيْنَ الخفاء
أيُّها الفارقُ المُثنِّي رُوَيْدًا ... لا تُوارِي الشُّموسَ بالأنْواء
إنَّ وَجْهاً من الحبيبِ نَراهُ ... قد تجلَّى من حُسْنِه فى مَرائي
إن تَدانَى بدَا لكلِّ البَرايَا ... أو تَناءى بدَا بإسم السَّواء
اسْتوَى الأمرُ فالشُّهودُ حِجابٌ ... والتَّدانِي منه له والتَّنائي

***

وقوله :

جَمالٌ به أضحَى الوجودُ مُتوَّجا ... وحُسْنٌ على أبوابِه سَجَدَ الحِجَا
جلَتْ وَجْهَها سَلْمَى على كلِّ عاشقٍ ... فلا كان قلبٌ من محاسِنِها نجَا
جميلةُ ذاتٍ بل هى الغادةُ التى ... جمالُ الورَى من حُسْنِها قد تبلَّجَا
جليلةُ قَدْرٍ عزَّ إدْراكُ نَيلِها ... فمن بسواها ليلُ أوْهامِه سَجَى
جَفَتْنا وطَوْراً وَاصلَتْنا ولم تكنْ ... سِواها وبحرُ الذاتِ فينا تَموَّجا
جميعُ الوَرى محبوبُنا وحبيبُنا ... بِهم ينْجلِي والطِّيبُ منه تأرَّجا
جآذِرُنا الأكوانُ وهْىَ لَوَاحِظٌ ... لِعَيْنِ فتاةٍ طَرْفُها قد تَدَعَّجا[2]
جَنَيْنا ثمارَ العلمِ من رَوْضِ ذاتِها ... ونُورَ سَناها مِن سَنا البدرِ أبْهَجا
جرى حُكْمُها منها علينا لحكمةٍ ... فكانت هى الأكوانَ والصبحَ والدُّجَى

(١) فى ص : « إذا تجلت » ، والمثبت فى : ب . (٢) دعجت العين : صارت شديدة السواد مع سعتها.

جَهِلْتَ شُؤُونَ الحقِّ فينا أخا الحِجا ... عسى اللهُ أن يجعلْ لنا منه مَخْرَجا(1)

***

ومن ذلك قوله يمدح النبيّ صلّى الله عليه وسلم(2) :

جاء بالحقِّ من أنارَ الدَّياجِي ... فهــدانا بنورِه الوَهَّاجِ

جَلَّ مَن بالجمالِ فيه تجلَّى ... واجْتَباهُ لقُرْبِه والتَّنــاجِي

جَرَّدَ العَزْمَ فهْو خيرُ نبيٍّ ... مِن أولِي العَزْمِ واضحِ المِنْهاجِ

جَدَّدَ الدِّينَ بعد مافرَّقَتْه ... عُصْبةٌ بين زائغٍ ومُداجِ(3)

جُودُه عمَّ الوُجــودَ وجَدْوا ... هُ بحارٌ والخلْقُ كالأمْواجِ(4)

جَحَدَتْهُ عيونُ قومٍ فأطْفا ... إذ رمَى اللهُ نورَها بالعَجاجِ(5)

جَمَع الأمْرَ بين خَلْقٍ وخُلْقٍ ... وانطوَى الكلُّ فيه بالإندراجِ(6)

جِبْرَئيلُ الأمينُ منه يُناجِيــهِ بطُورِ الفُؤادِ وهْو المُناجِي

جالَ في لُجَّةِ الغُيوبِ وأسْرَى ... ورأَى اللهَ ليلةَ المِعْراجِ(7)

***

وقوله :

دَوَا عِلَّتِي مَدْحُ النبيِّ محمدٍ ... وقُرَّةُ عيْني أن ترَى نورَ أحمدِ

دَنَا ليلةَ الإسْرا ودانَ له العُلا ... وشاهدَ نورَ الذّاتِ في خيرِ مَشْهدِ(8)

دَعانا إلى الدِّينِ الحنيفيِّ فاهْتدَى ... بنورِ سَنا آياتِه كلُّ مُهْتَدِ

---

(1) سكن لام « يجعل » لضرورة الوزن . (2) الأبيات في سلك الدرر ٦٢/١ .

(3) في ب : « بعدما مزقته » ، والمثبت في : س ، وسلك الدرر .

(4) في سلك الدرر : « جوده عمر الوجود » . (5) العجاج : الغبار .

(6) في سلك الدرر : « بين حق وخلق » . (7) بعد هذا في سلك الدرر زيادة :

جُدْ بعَفْوٍ ياخيرَ مَنْ بذَلَ الجُو ... دَ لعبدٍ ما زالَ للفضلِ راجِي

[هكذا : « راجي » ، وحقه النصب »]

(8) في س : « في غير مشهد » ، والمثبت في : ب .

دَلائِلُه دَلَّتْ على قُدْسِ ذَاتِهِ ... وقد بَهَرَتْ آيَاتُه كُلَّ مُعْتَدِ [1]

دَعائِمُ دِينِ الحقِّ قامتْ بِصَحْبِهِ ... وكم قَعَدُوا للحربِ في كلِّ مَرْصَدِ

دَعُونِي أُجِيدُ النَّظْمَ في وَصْفِ حُسْنِهِ ... وقد طاب إنْشادِي بهِ وتَرَدُّدِي [2]

دليلُ قَبُولِي أنَّه خيرُ مانِحٍ ... وخيرُ مَلِيٍّ بالوفاءِ مُعَوَّدِ

دَرَى بعُلومٍ في عَوالِمِ ذَرِّهِ ... بها مادَرَى غيرُ الإلٰهِ المُوَحَّدِ [3]

دَقائِقُ أسْرارٍ من الغَيْبِ سُيِّرَتْ ... إلى خَيْرِ مَبْعوثٍ وأكْرَمِ مُنْجِدِ

رَقائِقُ صُحْفِي بالذُّنوبِ تَسَوَّدَتْ ... فَكُنْ لي إذا شَقَّ الورَى خَيرَ مُسْعِدِ [4]

***

وقوله :

يا نَبِيًّا له المَقامُ العَلِيُّ ... في التَّجَلِّي ونُورُه أزَلِيُّ

يُوسُفٌ حُسْنُه بل الحُسْنُ طُرًّا ... عنكَ يَرْوِيهِ حُسْنُكَ اليُوسُفِيُّ

يَلْمَعُ البَرْقُ إنْ تَبَدَّى مُحَيَّا ... كَ ويَزْهُو سَناؤُكَ الأوْحَدِيُّ

يَشْخَصُ الكَوْنُ ثم يَرْفُلُ زَهْوًا ... إنْ تَجَلَّى جَمالُكَ الأوْحَدِيُّ [5]

يَرْقُصُ العَرْشُ إنْ ذُكِرْتَ جِهارًا ... ويُصَلِّي عليكَ يا ذَا النَّبِيُّ

يَنْجَلِي الغَيْنُ والسَّوَا إنْ تَبَدَّيْـ ... ـتَ ويَبْدُو سِرُّ الإلٰهِ الخَفِيُّ [6]

يَظْهَرُ الحَقُّ منكَ شَفْعًا ووِتْرًا ... فلِذا أنتَ شافِعٌ مَرْضِيُّ

يا حَبِيبِي هٰذِي عَرُوسَةُ ذَاتٍ ... أقْبَلَتْ تَنْجَلِي وأنتَ الصَّفِيُّ [7]

يَشْهَدُ النَّاظِرُونَ وَجْهَكَ حَقًّا ... قد تَجَلَّى والأمْرُ فيه جَلِيُّ

(١) في س : « على قدر ذاته » ، والمثبت في : ب ، وفي ب : « كل مقتدى » ، والمثبت في : س .

(٢) في ب : « إنشادي به وترددى » ، والمثبت في : س (٣) في س : « بها ما ذرى » والمثبت في : ب .

(٤) في ب : « دقائق صحفي . . فكن في . . » . (٥) هكذا كرر وصفه بالأوحدي .

(٦) الغين : الغيم ، وهو يعني الـبهم ، وغان قلبه : تغشته الشهوة ، أو غطى عليه وألبس .

(٧) قوله « عروسة » استعمال محدث ، تستعمله العامة إلى اليوم .

يرتجي أن يفوزُ منك سُعودِي بنوالٍ والجُـودُ منك وَفِيّ

***

وقوله ، مُضمِّنًا المِصْراعَ الأخير :

وروضُ أُنْسٍ به اللَّذَّاتُ تُنْتَهَبُ أزهارُه الدُّرُّ والياقُوتُ والذَّهبُ

غَنَّى هَزارٌ على أغصانِه طَرَبًا حتى تَراقصَتِ الأفنــانُ والقُضُبُ

وفاح لِلوَرْدِ نَشْرٌ من كَمائمِهِ والنهرُ كالصِّلِّ في الأدْواحِ يَنْسَحِبُ

وقام مُبْتَسِماً ثَغْرُ الأقاحِ به يَحْكِي ابْتِسامَ مَلِيحٍ هزَّه الطَّرَبُ

فقلتُ والطَّرْفُ من مَرْآه مُبْتَهِجٌ لقد حَكَيْتَ ولكن فاتَكَ الشَّنَبُ[1]

***

وبقوله :

وكاسِ دُرٍّ بشَمْسِ الرَّاحِ يلْتَهِبُ جَلاهُ بدرٌ به الأرْواحُ تُنْتَهَبُ

فقلتُ مُذْ رامَ يَحْكِي خَمْرَ رِيقَتِه لقد حَكَيْتَ ولكنْ فاتَكَ الشَّنَبُ

***

ولِرَوْضةِ الأدب ، جَنابِ مولانا الشيخ عبد الغنيّ ، من ذلك قولُه[2] :

رام المُدامُ بأن يَحْكِي بأكْؤُسِهِ دَوْرَ الغَلايِين لمَّا مُدَّتِ القُضُبُ[3]

فهَبَّ نَفْحُ دُخانِ التَّبْغِ يُنْشِدُهُ لقد حَكَيْتَ ولكنْ فاتَكَ الشَّنَبُ

---

(١) الشنب : ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان .

وقد ذكر ابن شاكر فى فوات الوفيات ٢/٥٤٤ ، والمرادى فى سلك الدرر ٣/٢٢٥ ، بيتين لمجير الدين بن تميم ، على هذا النحو ، هما :

إنْ تاهَ ثَغْرُ الأقاحِي في تَشَبُّهِهِ بثَغْرِ حِبِّي وَاسْتَوْلَى بِهِ الطَّرَبُ

فَقُلْ لهُ عِنْدَ مَا يَحْكِيهِ مُبْتَسِماً لَقَدْ حَكَيْتَ وَلَكِنْ فَاتَكَ الشَّنَبُ

(٢) البيتان فى سلك الدرر ٣/٢٢٥ .

(٣) ذكر المحبى فى الصفحة ٣/٧١ أن لفظ الغليون يطلق على الآلة التى يوضع فيها ورق التبغ ويشرب .

وللأديب حسن الشهير بالدَّرْزِيّ(١)، من ذلك(٢):

حكى دُخاناً سما مِن فَوْقِ وَجْنَةِ مَنْ ... قد مصَّ غَلْيُونَهُ إذْ هزَّهُ الطَّرَبُ(٣)

غَيْمٌ عَلَا بَدْرَ تِمٍّ قد تقطَّع مِن ... أيْدِي النَّسيمِ فوَلَّى وهْو يَنْسحِبُ

فقلتُ والنَّارُ في قلبِي لها لَهَبٌ ... لقد حَكَيْتَ ولكنْ فاتَكَ الشَّنَبُ

وقد تصيَّدَه من قول الأديب حسين بن الجزَرِيّ الحلَبِي(٤):

كأنَّما دُخانُ غَلْيُونِهِ ... حين بَدَا من ثَغْرِه الدُّرِّي(٥)

غَيْمٌ نَشا من شَفَقٍ أحْمَرٍ ... مُرْتَفِعاً غطَّى سَنَا البَدْرِ(٦)

***

وللمترجم مضمِّناً(٧):

قد عَضَّ من فوقِ العَقِيقِ بلُؤْلُؤٍ ... من ثَغْرِه حُلْوِ اللَّمَى والمَبْسِمِ

لحَمَى رُضاباً من سُلافةِ رِيقِهِ ... قد لاحَ من شَفَقِ العقيقِ كعَنْدَمِ

خَمْرٌ له دُرَرُ الثَّنايا أمْسَكتْ ... من عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ(٨)

***

وله كذلك:

ذُو لِحْيةٍ بيضاءَ قد غَنَّى لها ... برَبابةٍ وبلَحْنِ لفظٍ مُعْجَمِ

بالحِنَّةِ الحمراء خَضَّبَ شَيْبَةً ... من عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ(٩)

***

---

(١) تقدمت ترجمته في النفحة ٢/٤٧٤.

(٢) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/٧٩، ٨٠، سلك الدرر ٣/٢٢٥، نفحة الريحانة ٢/٢٧٥.

(٣) رواية خلاصة الأثر رفع «دخان» على أنه فاعل «حكى»، ونصب «غيم» في البيت الثاني، على أنه مفعوله، وهي رواية أفضل.

(٤) تقدم التعريف به في النفحة ١/٣٧٦.
والبيتان في ديوانه (العقود الدرية) ٨٧، ونفحة الريحانة ٤/٥٧٢.

(٥) في الديوان، والنفحة: «لما بدا».

(٦) في الديوان: «غشى سنا البدر».
وفي النفحة: «محتجب غطى سنا البدر».

(٧) الأبيات في سلك الدرر ١/٣٥.

(٨) تقدمت تضمينات كثيرة لعجز هذا البيت.

(٩) الحنة: استعمال محدث للفظ الحناء المعروف.

وقد ضَمَّنَه أيضا زُمْرَةٌ من بُلَغاء دمشق ؛ منهم سيدنا الشيخ عبد الغنيّ النَّابُلُسِيّ ، حفظه الله ، ضَمَّنَه بعشر تضامين ، منها :

شَفَقٌ بحُمْرَتِه تبدَّى فى السَّمَا هو مُؤْذِنٌ بمَجِيء ليلٍ مُظْلِمِ
ثم اختَفَى بضياء بدرٍ طالعٍ من عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ

ومنها[1] :

وشَقائقُ النُّعْمانِ حولَ الماء فى رَوْضٍ أريضٍ بالربيعِ مُنَمْنَمِ
هَطَلَ النَّدَى فيه النَّضارةَ مُمْسِكًا مِن عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ

ومنها :

يومَ الفِراقِ بكَيْتُ مَن أحبَبْتُه بمَدامعٍ تحكِى عُصارةَ عَنْدَمِ
حتى اتَّقَيْتُ ولاح ضَوْءُ جَبينِه مِن عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ

ومنها[2] :

قُتِلَتْ بجِلَّقَ عُصْبةٌ لعِبَتْ بهم أهْواؤُهم بفِعالِ طاغٍ مُجْرِمِ
وبشَيْبةِ الشَّاوِيشِ كان خِتامُهم من عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ

ومنها[3] :

ومُهَفْهَفٍ وقَفَ الجمالُ بوَجْهِه فأهاجَ شَوقَ أخِى الصَّبابةِ مُغْرَمِ
وصَفَا بَياضُ الخدِّ زِينَ بحُمْرةٍ مِن عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ

---

(١) البيتان فى سلك الدرر ١/٣٥ .
(٢) سلك الدرر ١/٣٥ ، وذكر المرادى أنه قال هذا فى واقعة دمشق .
(٣) البيتان فى سلك الدرر ١/٣٥ برواية أخرى هى :

ومُهَفْهَفٍ يحكى بأبيضِ جسمِه فى شَعْرِه بدرًا بليلٍ مُظْلِمِ
وبَدَا بوَرْدٍ أحمرٍ فى كَفِّه من عادةِ الكافورِ إمساكُ الدَّمِ

ومنها ، للفاضل عبد الرحمن بن إبراهيم الرَّزّاق[1] :

وَرْدُ الرِّياضِ تفتَّحتْ أزْهارُه ... والجُلَّنارُ أدارَ كأسَ العَنْدَمِ[2]

والياسَمينُ الغَضُّ وَافَى بعدَه ... من عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ

ومنها ، للأديب إبراهيم بن مراد بن الرّاعِى[3] :

رَشَأٌ أدارَ الكاسَ ليلًا بيْننا ... من خمرةٍ تحْكِى عُصارةَ عَنْدَمِ

حتى بَدَا وَجْهُ الصباحِ فقال لى ... مِن عادةِ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ

***

ألَمَّ بقَوْل الأمير المَنجَكِى[4] :

ورَوْضةِ أُنْسٍ بات فيها ابنُ أيْكَةٍ ... يُغرِّدُ والنّايُ الرَّخِيمُ يُشَنِّفُ

وقد خيَّمَتْ فيها من الليلِ سابِغًا ... رِداءٌ بأكْنافِ السَّحابِ مُسَجَّفُ

وباتَتْ عَرانينُ الأباريقِ بالطِّلَا ... إلى أن بدَتْ كافورةُ الصبحِ ترْعُفُ

***

وأبياتُ الخالِ[5] فى تَضْمين المِصْراعِ المذكور ، تقدَّمتْ فى ترجمته ، فَلْنُمْسِكْ عِنانَ اليَراعِ ، لئلَّا تَمَلَّ الأسْماع .

فنقول : وللمترجَم من قصيدةٍ مطلعُها :

رُوحِى مَن أسْكَنْتُهُ فى نَواظِرِى ... وقلبِى اتَّقاهُ من عُيونِ النَّواظِرِ

---

(١) فى الأصول : « الرازق » ، وتقدمت ترجمته صفحة ٢٠٦ ، والبيتان فى سلك الدرر ١/ ٣٥ .

(٢) فى سلك الدرر : « تفتحت أكمامه » .

(٣) إبراهيم بن مراد بن إبراهيم الراعى الدمشقى .

أديب بارع ، رحل فى خدمة الشيخ عبد الغنى النابلسى إلى البقاع وبعلبك ، سنة مائة بعد الألف ورحل فى خدمته أيضا للقدس ، فى سنة إحدى بعد المائة .

توفى سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ، ودفن بمرج الدحداح .

سلك الدرر ١/ ٣٣ – ٣٧ ، والبيتان فيه ١/ ٣٤ .

(٤) تقدمت ترجمته فى الصفحة ١/ ١٣٦ ، والأبيات فى ديوانه ٩٩ ، ريحانة الألبا ١/ ٢٥٤ ، سلك الدرر ١/ ٣٤ .

(٥) فى ترجمته السابقة ، انظر صفحتى ١٥٣ ، ١٥٤ .

وبى بَدْرُ تِمٍّ كُلَّما رُمْتُ نَظْرةً لِطَلْعَتِــــه الغَرَّا توارَى بناظِرِى
بَدِيعُ جمالٍ عنه وَارَيْتُ بالرَّشَا وكَنَّيْتُ عنه بالظِّباء الجآذِرِ[1]
أُغالِطُ عُذَّالِى علَيــــه تجَلُّداً ولكِنْ هواهُ ساكِنٌ فى السَّرائرِ
رَخِيمُ دَلالٍ ماسَ فى حُلَلِ البَهَا وأسْبَلَ فوقَ البدرِ سُودَ الغَدائرِ
وصالَ على المُشْتاقِ فى حَوْمةِ الهوَى وقد فعَلَتْ عَيْناهُ فِعْلَ البَواتِرِ
فوَيْلاهُ مِن قاسِى الجوانِحِ لَيِّنِ الْـ ـمَعاطِفِ وافِى الهجرِ بالوَصْلِ غادِرِ
تبَدَّى كبَــدرٍ بالعَقِيقِ وحاجِرٍ فأفْنَى الورَى منه بسُودِ المَحاجِرِ

***

ومن أُخْرَى ، أوَّلها :

بِرُوحِىَ ظَبْياً لَحْظُه صالَ بالفَتْكِ وقد عَبِقَتْ مِن فِيهِ رائحةُ المِسْكِ
بوَجْنَتِهِ الياقوتُ والثغرُ كَوْثَرٌ وعِقْدُ اللآلِى مِن ثَناياهُ فى سِلْكِ
دَعَا حسنُه كلَّ المِلاحِ فأقبلَتْ وعادَتْ ملوكُ العِشْقِ فى قبضةِ المُلْكِ
وقد سَفَكَتْ أسيافُ ألحاظِه دَمِى ووَجْنَتُه الحمراءُ تشهَــدُ بالمِلْكِ
وشُحْرُورُ ذاكَ الخالِ فى الخدِّ قد شَدَا فَفاحَ عَبِيرُ الوردِ والنَّدِّ والمِسْكِ
مِن الرُّومِ رِيمٌ مُذْ رَنَا قال لَحْظُهُ حَذارِ سيوفَ الهندِ من أعْيُنِ التُّرْكِ
وحِينَ رأتْ عَيْنايَ عارِضَه بَدَا على خَدِّهِ الوَرْدِىِّ قالتْ قِفَا نَبْكِ

***

وللأديب محمد بن السمّان عَرُوضُ ذلك من الوزن والقافية :

أمَا وقَوامٌ لا يَمَلُّ من الفَتْكِ وصارِمُ لَحْظٍ لا يَمَلُّ من السَّفْكِ
وصَفْحةُ خَــدٍّ من لُجَيْنٍ تخالُها مُسَطَّرةً باللّازَوَرْدِ وبالمِسْكِ[2]

(١) كذا بالأصول : « واريت » وهو يعنى : « وربت » ، من التورية .

(٢) اللازورد : معدن نفيس ، أجوده الشفاف الصافى الأزرق الضارب إلى حمرة وخضرة .

لئنْ تُليتْ للأذْنِ حِلْيةُ حُسْنِهِ ... يُناشدُنى فكرى القريحُ قِفا نبكِ
فُتِنتُ به تُرْكِى اللّواحظِ باللّقا ... ضَنينٌ وضيقُ العيْنِ يَعْهَدُ بالتُّرْكِ
تَملّكَ أنواعَ المحاسنِ وَجْهُه ... ولامُ عِذارِ الخدِّ تَشْهَدُ بالمِلْكِ
رَشًا نَظرتْهُ العيْنُ بحرَ محاسنٍ ... وأرْدافُه كالموجِ يلعبُ بالفُلْكِ
وحين رأيتُ الخالَ بالحُسْنِ عَمّهُ ... على ثغْرِه واللّحظ صالَ إلى الفتكِ
عجبتُ لكسرى كيف قام بسيفِهِ ... وأضحى النَّجاشى حائزًا خاتمَ المُلْكِ

***

وللمترجَم من قصيدة ، مطلَعُها :

مَطالِعُ سَعْدٍ كالشّموسِ طَوالِعُ ... تُرِيكَ بُدوراً فى الرِّياضِ رَواتِعُ
وتُبْدِى من الأسرارِ دُرًّا مُحجَّبًا ... كأن لها كَنْزَ الغيوبِ وَدائعُ
بها مِنْبَرُ التوحيدِ يزْهو مَنارُهُ ... كنِبْراسِ نجمٍ فى دُجَا الليلِ طالعُ
ومُذْ شِيمَ بَرْقٌ من ثناه ثَنائها ... فأرْشدَنا أن البديعَ بَدائعُ
وأهْدَى لنا نَشْراً من السُّنّةِ التى ... نُصَّتْ بها للناسكين شَرائعُ
فلاحَ فَلاحِى من سُعودِ مَواهِبِى ... وراح رَقيبِى بالضَّلالِ يُنازِعُ

***

وله ، من نَبَوِيّة :

يا نبيًّا أهْدَى سَناهُ الغَزالَهْ ... ورَسولًا شكَتْ إليه الغَزالَهْ[1]
وحَبيبًا حَباهُ مَولاهُ حُسْنًا ... وجمالًا وهَيْبةً وجَلالَهْ
سَيِّدٌ قد سَما لحضْرةِ قُدْسٍ ... نال فيها مُرادَهُ وسُؤالَهْ
ورأى رَبَّه بدون حِجابٍ ... وتَجلَّى له وحازَ وِصالَهْ
فالمَثانِى تَتْلُو الثّناء من اللّـ ... ـهِ عليه لنا وتُبْدِى كَمالَهْ

(١) الغزالة الأولى : الشمس ، والثانية : الحيوان المعروف .

هو عَيْنُ الوجودِ قد كَمَّـل اللّـ ـهُ سَناهُ وحُسْنَه وكَمالَهْ
هو كالبـدر والحقيقـةُ شمسٌ وجميعُ الأنامِ عنـه كهالَهْ[1]

***

وله مخمّسًا ، قوله :

حليفُ غرامٍ قـد أثارَ شُجونَهُ هَواكُم وأجْرَى كالعُيونِ عُيونَهُ
أيا غادياتٍ لِلنقَا تَنزِلُونَهُ قِفُوا واسْألُوا عن حالِ من تَهْجُرونَهُ
لَعلَّكمُ بعـدَ الجَفا تَرْحَمونَهُ

مُحِبٌّ تَفانَى فى بديعِ صِفاتِكمْ وغاب عن الأكْوانِ فى حَضراتِكمْ
وإن تسألُوا عن حالِ مُضْنًى بذاتِكمْ فما هو إلَّا هالكٌ وحياتِكمْ
يُعَدُّ من الأمْواتِ لولا أنِينُهُ

لقد حَلَّ فيكم عِشْقُهُ ما أنالَهُ وأخْفَى هَواكم رَسْمَهُ وخَيالَهُ
فلا تُنْكِرُوا فى حُبِّكم ماجرَى لَهُ ولا تَتْهِمُوهُ بالسُّلُوِّ فما لَهُ[2]
طريقٌ إلى السُّلْوانِ والموتُ دُونَهُ

لقد شِمْتُكم فى الكُلِّ غِيداً أوانِسا وكم من مُحيَّاكُم جَلَوْتُ عرائِسا
ولما غدا فيكم فُؤادِي مُنافِسا تنفَّسْتُ فى الوادى فأصبح يابِسا
ونُحْتُ اشْتِياقًا فيـه سالَتْ عيُونُهُ

***

وله هذا المُوَشَّح العجيب ، والأسلوب الغريب ، حذا به حَذْوَ مَن سَبقه فلَحِقه ، وهو :

يارِياضًا غَيْثُهـا قد وَكَفا فى دمشق الشّامِ ذِى الحُسْنِ السَّنِى[3]
قد مَلأْتِ العَيْنَ أُنْسًا وصَفا مُذْ نَشَرتِ الزهرَ والوردَ الجَنِى

(١) « كهالة » كاف التشبيه ، والهالة التي تحيط بالقمر .
(٢) « تتهموه » من التهمة بمعنى الادعاء عليه : استعمال محدث .
(٣) وكف الغيث : سال وقطر .

بَسَمَ البرقُ وغَنَّى العَنْدَلِيبْ ‌ ‌ حيثُ كُنَّا في رُبَا السَّفْحِ نزُولْ
وصَفَا الليلُ وقد غاب الرَّقِيبْ ‌ ‌ واستَنارتْ بِبَهْجَةٍ تلكَ الطُّلولْ
وانجَلَى مابينَنا كأسُ النَّسِيبْ ‌ ‌ فانثَنَى عِطفُ النَّدامَى بالشَّمُولْ

يالهَــا لَيْلةَ أُنسٍ وصَفَـــا ‌ ‌ غالَهــا الصُّبْحُ بليلٍ مُكْمِنِ
وإذا ما الفجرُ أبدَى مُرْهَفَـــا ‌ ‌ ذهب الليــلُ كأن لم يَكُنِ

قُمْ بنا نَسْعَى لأعْلَى الشَّرَفِ ‌ ‌ نَنْتَشِقْ من عَرْفِ ذَيَّاكَ النَّسِيمْ[1]
واتحِفِ الطَّرْفَ بتلكَ التُّحَفِ ‌ ‌ في رِياضٍ هي جنَّاتُ النَّعِيمْ
بِصَبَا المَرْجَةِ دَائِي يَشْتَفِي ‌ ‌ وشَذاها يُبْرِئُ القلبَ السَّقِيمْ

كم عليهـــا من نَسِيمٍ أشْرَفَا ‌ ‌ بعــــد ماصافحَ شِيحَ اليَمَنِ
وعلى أدْواحِهـــا قد عَكَفَا ‌ ‌ ناشِراً منهـا عبيرَ السَّوْسَنِ

حَبَّذَا رَوْضاتُ أُنسٍ بَهَرَتْ ‌ ‌ بسَنَاها إذْ بَدَتْ للنَّاظِرِينْ
ولأرْجاءِ الرَّوابِي عَطَّرَتْ ‌ ‌ وبها قد فاحَ عَرْفُ اليَاسَمِينْ
يالهـا جَنَّاتُ عَدْنٍ زُخْرِفتْ ‌ ‌ وبهـــا كَوْثَرُها ماءٌ مَعِينْ

حيثُ ذاكَ الغُصْنُ نَحْوِي انعَطَفَا ‌ ‌ وحَيــاتِي منـــه بالعَيْشِ الهَنِي
ومَحَــا بالوَصْلِ أوْقاتَ الجَفَــا ‌ ‌ إنَّ هـــذا من عَظِيمِ المِنَنِ

ورُبَا الرَّبْوَةِ أقْصَى أرَبِي ‌ ‌ طابَ لي منها صُدورِي والوُرُودْ[2]
فاجْتَلِ فيها كُئوسَ الطَّرَبِ ‌ ‌ بين جَنْكٍ من سَواقِيها وعُودْ[3]

---

(١) الشرف الأعلى: قطعة من سفح قاسيون بدمشق ، وهي من سوق ساروجا حتى صدر الباز ، وهو يطل على المرجة الآتي ذكرها ، والمرجة من المحاسن التي لا تدرك . منادمة الأطلال ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٢) انظر ماتقدم عن الربوة في النفحة ٢/٩٦ ، ٢٢٣ . (٣) الجنك : من آلات الطرب .

واسْقِنِي شمساً كلَوْنِ الذهبِ عَرْفُها عطْرٌ أنفاسَ الوُجودْ

وصَفا الكاسُ بها حين صَفا مُذْ ثَناهُ وَجْهُ ذاكَ الحَسَنِ
فالحُمَيَّا والمحيَّا ائتلفا في تلاقٍ والهوى والمِحَنِ

قد سقاني شَفَقاً من خَدِّهِ لاحَ في الكاسِ فخِلْناهُ رَحيقْ
بل من الرِّيقِ ونادى وِرْدُه خَمْرُنا والثغرُ كاسٌ من عَقيقْ
ماس تيهاً يَنْثَني في بُرْدِهِ فَسَبانا قَدُّه ذاكَ الرَّشيقْ

رَشَأٌ إن لاحَ للبدرِ اختفى وغدا من عشقِه في شَجَنِ
ليته يسمحُ يوماً بوَفا لأسيرٍ في الهوى مُرْتَهَنِ

ظَبْيُ إنْسٍ قد أعارَ الحَدَقا للظِّبا والحُسْنَ منه للمِلاحْ
وبِلالُ الخالِ في الصبحِ رَقا خِدَّهُ مُذْ شامَ عامودَ الصَّباحْ
وأقامَ اللحْظُ لمّا رَمَقا بازْوِرارٍ بَيْتاً سُوقَ السِّلاحْ

طَرْفُه الوَسْنانُ أبدى مُرْهَفا ثم بالسِّحْرِ أتى بالفِتَنِ
وأراشَ الجفْنَ ثم انعطفا بهما في حَرْبِه يقْصِدُني

حَدِّثاني عن سَنا البَرْقِ اللَّمُوعْ يا خليليَّ فقد بانَ النَّهارْ
وانفجارُ النُّورِ ما بين الرُّبُوعْ من قُصورِ الشامِ داني الاشتهارْ
يالَقَوْمي كيفَ يهنا لي هُجوعْ وأنا مأسورُ أشواقٍ غِزارْ

بهُمامٍ قد عَلاهُم شَرَفا هو رُوحٌ والسِّوَى كالبَدَنِ
قصْرُه السَّامِي عليهم أشرفا فسناهُ ليس بالمُكْتَمِنِ

إنْ فَتَحِي بالثَّنا فيه مُبِينْ حيثُ للأفرادِ قد أضحى خِتامْ

وهْو بالإرْثِ لِخَتْمِ المرسلينْ خُصَّ فى ذا العصر من دون الأنامْ
كاملٌ أضحى يمُدُّ الـكاملين وهْو للأقطاب قُطْبٌ وإمامْ

نُورُه سِرُّ المثانِي كشَفـا وبَدَتْ عنـه بُروقُ السُّنَنِ
كيف لا يحْدُو بنا حَدْوَ الصَّفـا وهْو سِرُّ المصطفَى عبدُ الغنِي

أحمد المُزَّمِّلُ والهادى الأمينْ مظْهرُ الذَّاتِ وعرشُ الاسْتِوَا
فارقٌ بالنُّورِ بين العالَمِينْ جامعٌ للحقِّ والخلقِ سوَا
فهْوَ عينُ الكلِّ فى عينِ اليقينْ حيث منه السِّرُّ للكلِّ حوَى

فعليـه صلواتٌ تُصْطَفَى كلَّ آنٍ فى ممرِّ الزَّمَنِ
وسـلامٌ برْقُه قد هتَفَـا بالرِّضَـا من ربِّه والمِنَنِ

وعلى الخِيرَةِ من كلِّ الأنامْ نُخْبَـةِ الأبْرارِ أهلِ الاصْطِفَا
وهمُ الأصحابُ والآلُ الكرامْ مَن بهم نِلْنـا الهدى والشَّرَفَا
وبهمْ أرجُوا من اللهِ المَرامْ وهْو حسْبِي فى أُمورِي وكَفَى

وسُعودِي بالقُصورِ اعْـتَرَفَا عن ذَوِى أهلِ النُّهى واللَّسَنِ
وإذا موْلاهُ عنه قد عفَـا فهْو فى أسْنَى مقـامٍ حسَنِ

***

وقد عارَض به موشَّحات أرَقَّ من نَغَمات الهزار، وأعطرَ من نفَحات الأزهار.
وأجْدَرَ أن تُـكْتَب بالتِّبْر، فَضْلا عن الحِبْر.
لِنُبَهاء العصر فى جِلِّق الحُسْمِيَّة، لازالت نفحاتُ آدابهم عِطْرِيَّة.
شبَّبُوا فيها بمحاسن دمشق الشام، ومُنْتَزَهاتِها[1] سقَاها وَسْمِيُّ[2] الغَمام.

(١) كذا فى الأصول، وهو استعمال لأهل هذا العصر، والأصل: «ومتنزهاتها».
(٢) الوسمى: مطر الربيع الأول.

عارَضُوا بها مُوَشَّحات الأندلسيين السَّبْع ، الفائقة بحُسْنها على كلّ نظم وسَجْع .
حيث وصَفُوا محاسِنَ ومعالم الأندلس بألطفِ عبارة ، ووَسَمُوها بالكواكب السَّبْعة السَّيَّارة .

فأحببْتُ أن أذكر منها ما يطيبُ للسَّمع ، ويحسُن خِتامُه فى هذا الجمع .
مُقْتفِياً بذلك أثرَ المصنِّف رحمه الله تعالى فى الأصل ، حيث ختَم الشَّاميِّين بقصيدة هى أزْهَى من وَجْنةِ المَليح وأشْهَى من ليالى الوَصْل .
تَغَزَّل فيها بمحاسن دمشق السَّنِيَّة ، وأماكنها الفائقة البهيَّة .
ومطلعها[1] :

سقَى دمشقَ مَوْطِنَ الأوطارِ	دمعى وصَوْبُ العارضِ الزَّخَّارِ
حتى يُرَوِّيا بهـــا كلَّ رُبًا	تصوَّرت فى صُورةِ الأنْوارِ[2]
يُسافِرُ الطَّرْفُ بها إلى مَدًى	يُغْنِى به الخُبْرُ عن الأخْبارِ
وباكَرتْ نَيْرَبَهـــا نُسَيْمةٌ	عابقةٌ فى رَوْضِه المِعْطـــارِ
من قبلِ أن تَصدَى بأنفاسِ الورَى	بَليلةَ الأذْيالِ فى الأسْحارِ
فنَبَّهتْ أطْفالَ نَبْتٍ نُوَّمًا	ترضعُ ثَدْىَ الدِّيمةِ المِدْرارِ[3]
وللرِّياضِ طِيبُ أنْفاسٍ بها	تُهْدِى الثَّناءَ الجَمَّ للأمطارِ
يتلُو خَطيبُها بصوتٍ شاكرٍ	مِدْحَتَه فى مِنْبَرِ الأشجارِ
وينـــثُرُ الزَّهْرَ فينْظِمُ النَّدَى	يا حُسْنَ ذاك النظْمِ والنِّثارِ
لَوَى القَضِيبَ ثم جِيداً غَنِمتْ	تَقْبيلَه مَباسِـــمُ الأنوارِ[4]

(١) القصيدة تقدمت فى نفحة الريحانة ٢/٢٢٢ ــ ٢٢٤ ، وكثير من الأماكن التى وردت فيها تقدم التعريف به فى الموشح السابق ، وسيرد ذكر هذه الأماكن فى بقية موشحات هذا الفصل .
هذا ، ولم يرد فى س من هذه القصيدة إلا مطلعها .

(٢) فى س : « فى صورة الأسفار » ، والمثبت فى : ب ، ونفحة الريحانة .

(٣) فى النفحة : « الديمة المعطار » . (٤) فى الأصول : « ثم جيداً نعمت » ، والمثبت فى النفحة .

والمـــاء فى خَرِيرِه مُنْهمِكٌ والطيرُ عاكفٌ على التَّهْدارِ
إن رَدَّدَ اللَّحْنَ انثَنَتْ غُصونُها تسمع منـــــه رَنَّةَ الأَوتارِ
وربمـــا انْحَنَتْ لتقرا أسْطُراً فى النهرِ خَطَّها النسيمُ السارِى
والنَّوْرُ قد فتَّح عن أكْمامِهِ وفَــكَّكَ الوردُ عن الأزْرارِ
والرَّبْوةُ الغَنَّاء حَيَّاها الصَّبا فَنَفَحتْ عن جَوْنةِ العَطَّارِ
أُعِيذُ بالسَّبْعِ المَثانِى دَوْحَها على احْتواء السَّبْعةِ الأنْهارِ(١)
ودَيْرُ مُرَّانَ القديمُ لا عَدَتْ سُحْبُ الحَيــا ما فيه من آثارِ(٢)
فيـــه حديثُ البيِّعَا وعَهْدُه حَلْىُ لجيدِ سالفِ الأعْصارِ(٣)
والمَرْجَةُ الفَيْحاء والوادِى الذى مَنظرُه الباهى جِلَا الأبْصارِ
مَعاهدٌ فيها النَّدامَى أغْصُنٌ مُثمِرةٌ فَواكِهَ الأسْمارِ
من كلِّ وَضَّاحِ الجَبينِ مُسْفِرٍ عن طَلْعـــةٍ تَهْزأ بالأقمارِ
فالنَّجْمُ سار طالباً لقيتــــه لذاك قد لُقِّبَ بالسَّيَّارِ
وشابَ حُزْناً طَرْفُه وما رأى شَبِيهَهُ فى الفَلَكِ الدَّوَّارِ
يَعْرَقُ وَجْهُ الكاسِ بالحَبابِ إن فاهَ وخَدُّ الرَّوضِ بالقُطَّارِ(٤)
مُنْتقِبٌ بالوردِ من خَجْلَتِهِ جُوداً ومُرْتَدٍ حُلَى الوَقارِ
وكلُّ مُختـــارِ المَعانِى حسنُه قَيْدُ النُّهَى وعُقْلةُ الأفكارِ

---

(١) الأنهار السبعة هى : يزيد ، وثورا ، وبردى ، وبانياس، والقنوات ، والقناية ، والدارانى . انظر نزهة الأنام فى محاسن الشام ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) دير مران : بالقرب من دمشق ، على تل مشرف على مزارع الزعفران . معجم البلدان ٢/٦٩٦ . وانظر النفحة ٢/٩٦ مع حاشية الصفحة .

(٣) انظر يتيمة الدهر ١/٢٥٣ .

(٤) فى ص : « وخد الروض بالنظار » والمثبت فى : ب، والنفحة. والقطار : السحاب الكثير القطر .

تلميذُه هاروتُ يرْوِى فَنَّهُ عن لَفْظِهِ عن طَرْفِهِ السَّحَّارِ

أهدتْ لىَ السُّقْمَ عُيونُه لِذا وَهَبَتُها النومَ عن اضْطِرارِ

خَطَّ الجمالُ فوق طِرْسِ خَدِّه سَطْراً برأْسِ القلمِ الغُبارِى [1]

أرى على وَجْنتِـــه دائرةً حَرَّرها الجمـــالُ بالبركارِ [2]

فالخالُ فى كُرْسِيِّها قد استوَى كَمَرْكَزٍ لذلك المَـــدارِ

قد كاد مَوْجُ رِدْفِهِ يُغْرِقُه لولا اعْتِلاقُ الخصْرِ بالزُّنَّارِ

وكاد أن يَسِيلَ إلَّا أنَّه جاذَبَهُ تشبُّثُ الإزارِ

أذْكُرُ عهـــدَه فمِن تأوُّهِى نَجْمُ الدُّجَى مُحْتَرِقٌ بالنـــارِ

وإن تَقَلْقَلْتُ لماضِى عهـــده فإنَّ عُذْرِى سيدُ الأعْذارِ [3]

ولى إلى الجامعِ شوقٌ وَالِهٌ لا يَفْتُرُ الدهرَ عن التذْكارِ

للهِ أقوامٌ به أعِزَّةٌ من خُلَّصِ الأخيارِ والأبْرارِ

فى جُنْحِ لَيْلاتِهِمُ أذْكارُهم تَعْرِفُهـــا بَلابِلُ الأسْحارِ

كم دعوةٍ فى المَحْلِ أضحتْ لهم تَفْرِى جفونَ السُّحْبِ باسْتِعْبارِ [4]

فارقتُهم لا عن رِضًى وإنَّما عِنانُ عَزْمِى فى يَدِ الأقدارِ

نَشْوانُ خمرِ السُّهْدِ طَرْفِى نومُه أغْرَقَهُ البكاءُ فى تيَّارِ

وما بُـــكائى غيرَ رَشِّ أدْمُعِى تُوقِظُ من نَوْمَتِهِ اصْطِبارِى [5]

---

(١) القلم الغبارى : قلم ضئيل ، مولد من الرقاع والنسخ ، مفتح العقد من غير ترويس ، وقد سمى بذلك لدقته كأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته ، كما يضعف عن رؤية الشىء عند ثوران الغبار ، وتغطيته له .

وبالقلم الغبارى تكتب بطائق الحمام التى تحمل على أجنحتها فى ورق الطير .

صبح الأعشى ٣/١٢٨ .

(٢) فى الأصول : « حررها الجمال بالبيكار » ، والمثبت فى النفحة .

وفى شفاء الغليل ٦٤ : « بركار ، آلة ، معروفة ، لم يسمع فى شعر قديم ، والذى قاله الدينورى أنه فرجار ، بالفاء ، معرب بركار » .

(٣) فى النفحة : « وإن تقلقت » . (٤) فى ب : « تفرى جفون السحب » ، والمثبت فى : ص ، والنفحة .

(٥) فى النفحة : « غير رش أدمع يوقظ . . » .

لعلَّ من لُطفِ الإلٰه مَدَداً يُوصِلني بهم إلى دِيارِي
فأكْسِبُ الفوزَ بفضلِ قُرْبِهم فرُبَّمــــا يُجَرُّ بالجِوارِ (١)
لا زال رَيْحانُ تحيّاتى لهمْ يَرِفُّ فى رَوضِ الثّنا المِعْطارِ
واللُّطفُ ما زال يُحَيِّي أرْضَهم تحيّةَ النســـيمِ للأزْهارِ

***

رجعْنا إلى ما نحن فيه من ذِكْر المُوَشّحات الفائقة ، حاويةِ الألْفاظِ الرائقة .

فمن ذلك مُوَشّح سيدنا عَلّامة عصرِه ، ووحيدِ دهرِه ، مولانا الشيخ عبد الغنيّ النّابُلُسِيّ ، حفظه الله تعالى :

فى رياضِ الشامِ لُطفٌ وصَفَا وسُرورٌ طــارِدٌ للحَزَنِ
وبِصَفْوٍ مَن لهــــا قد وَصَفَا صادقٌ فى وَصْفِــه لم يَمِنِ (٢)

حبّذَ المَرْجَةُ ذات الشَّرَفَيْنِ صادتِ الناسَ بصَدْرِ البازِ (٣)
حيث فيها النهرُ زاهِي الطَّرَفَيْنِ وهو يجرى بسِواها هازِى
ناظِرانَا ليس بالمُنْصَرِفينِ عن رُباها بَهْجَـــةِ المُجْتازِ

قَنواتٌ ماؤُها قد وَكَفــا وعليهــا بانِياسُ المُحْسِنِ (٤)
بَرَدَى الرّائقُ حسْبِي وكَفَى يا صَفَا سَلْسالِه العَذْبِ الهَنِــي

قُمْ إلى الرَّبْوةِ والمِنْشــارِ وتَنَشّقْ طِيبَ ذاكَ الوَادِي
ومِيــاهُ السَّبْعةِ الأنْهارِ جارِياتٌ لِارْتِواءِ الصّادِي

---

(١) فى الأصول : « فإنما يحسد للجوار » ، والمثبت فى النفحة .

(٢) لم يمن : لم يكذب .

(٣) صدر الباز : فى سفح قاسيون . انظر منادمة الأطلال ٤٠٠ ، ٤٠١ ، وانظر نزهة الأنام ٧٤ مع حاشيته .

(٤) القنوات وبانياس وبردى ، من الأنهار السبعة التى تقدم ذكرها قريبا .

والبساتينُ أُولُو الأزهارِ نَفْحُها المِسْكِيُّ فيهـــا بَادِي

رَوْضُهـــا أزْهَرَ وَجْهـــاً وقَفَا كادت الأرضُ به لم تَبِنِ
كلُّ مَن مَرَّ عليهـــا وَقَفَا يتمنَّاهُ كحُبِّ الوطنِ

والحواكيرُ التي قد نَفَحتْ في زُهورِ الياسَمينِ البَهِجِ (١)
ورياضُ الزَّهْرِ فيها فَتَّحتْ أعْيُنَ الوردِ بطِيبِ الأَرَجِ
وزِنادُ البَسْطِ فينا قُدِحَتْ لِلَّذي يقْرَعُ بابَ الفَرَجِ

وعَلَا الخـيرُ عليـــه وطَفَا وهو غرْقانُ ببحرِ المِنَنِ
ولِحاظُ الغيـــدِ تَزْهو وُطُفَا حَـيَّرتْ أعْيُنَ حوْرَا عدَنِ (٢)

يا نسيماً فائحـــاً بالنَّيْرَبِ بين هاتيك الرَّوابِي والرِّياضْ
عَهْدُنا الماضِي بوَصْلِ الرَّبْرَبِ مالنا عنه وإن فات اعتياضْ (٣)
شَرِّقِي يا صَبْوَتِي أو غَرِّبِي نحن مرْضَى أعْيُنِ الغيدِ المِراضْ

طالَما قلـــبِي عليهـــا وَجَفَا خافِقـــاً من خَفْقِ قُرْطٍ مُثْمَنِ
ذُبْتُ وَاوَيْلاهُ هَجْراً وجَفــا ليت لو فُكَّ أسـيرُ الشَّجَنِ

وبقَاسُونَ وسَفْحِ الجبلِ وسَواقِي الماءِ من نَهْرِ يَزِيدْ
كم ضَرِيحٍ لِنَبِيٍّ ووَلِي صار منه النُّورُ يبْدُو ويَزِيدْ
والفتى يُدْرِكُ كلَّ الأمـلِ دائِمـا في ظِلِّه ذاكَ المَدِيدْ

---

(١) الحواكير : هي كالحدائق في سفح قاسيون . نزهة الأنام ١٠٢ .

(٢) وطف جمع وطفاء ، وهي كثيرة شعر الحاجبين والعينين .

(٣) الربرب : القطيع من بقر الوحش .

والأسَى والهمُّ عنه صُرفا وهو بالأفْراح فى عيشٍ سَنِى(١)
ولِدُرِّ الأُنْسِ أضْحَى صَدَفَا فى بحارِ البَسْطِ كالمُرْتَهَنِ

ياسقَى الوادى بشَرْقِ البلادْ صَوْبُ مُزْنٍ فى رُباهُ يهْطِلُ
كم بهِ من نُزْهةٍ فوقَ المُرادْ رَقَصَ الغُصْنُ وغَنّى البُلْبُلُ
وجرى النهرُ لَدَيْهِ بامْتدادْ حَوْلَ النَّبْت الأغضّ الأخْضَلِ(٢)

لو عَلَا فوق خَيالٍ لطَفَا رِقّةً جالبةً للفِطَنِ(٣)
ويمَن يجاس فيه لَطَفَا كلَّ حين تحت ظلِّ الفَنَنِ(٤)

هٰذه الشامُ وفى جامِعِها للقناديلِ ثُرَيّاتٌ تلُوحْ
كنجوم فى ذُرَى طالِعِها مُبْهِراتٌ كلَّ ذى عقلٍ ورُوحْ
وعَرُوسُ الُحسْنِ فى شارعِها مالها عن طَرَبِ السَّمْعِ نُزُوحْ

قل لذاك الصَّحْنِ منه أسَفَا وَيْحَكَ الْهمّ عن المُمْتَحَنِ
وإذا فات عليه أسَفَا نادِ بين الناس طُولَ الزَّمنِ

طلع البدرُ علينا طَلَعَا وهو من قامتِه فوق قَضِيبْ
طَرْفه الصارمُ قلبى قطَعا مَنْ تُرَى يُنصِفُنى من ذَا الحبيبْ
خَدُّه الوردُ إذا ما امْتَنَعا عَقْرَبُ الصُّدْغِ له فيه دَبِيبْ

قد جَناه ناظِرِى واقْتطَفَا ياله من وَرْدِ بُسْتانٍ جَنِى
والحيا مثلُ النّدَى وقتَ طَفَا فوقه ذاب اصْطبارِى وفَنِى

يا أخلاَّئِى فؤادى فى الْتهابْ مِن هوى الأهْيفِ ذى الخدِّ الأسِيلْ
وَاعَذابى من ثناياهُ العِذابْ تركتْ دمعى من العينِ يسيلْ

---

(١) فى ب : « والأذى » والمثبت فى : ص . (٢) لم يتجه لى عجز هذا البيت .
(٣) « لطفا » من طفا يطفو . (٤) « لطفا » من اللطف .

وإلى كم نحن بالحسنِ المُهابْ ... كالأسارَى في يدِ الظَّبْيِ الرَّبِيبْ[1]

لو رآه صَـلْدُ هَجْرٍ لَهَفَا ... نَحْوَه من نُورِ وَجْهٍ حَسَنِ
ذابَ فيه القلبُ ثمَّ لَهَفَا ... لَيْتَهُ بالوصلِ لو يَرْحَمنِي

يلعب السالِفُ في وَجْنتِهِ ... أسودٌ في رَوضِ وردٍ أحمرِ
ويَغارُ الظَّبْيُ من لَفْتَتِهِ ... أسمرٌ صالَ بقَدٍّ أسْمَرِ
كلُّ شمسٍ في ضِيا وَجْنتِهِ ... يختفي مَعْ كلِّ بدرٍ مُقْمِرِ

قَدُّهُ الهمزةُ صارتْ أَلِفَا ... وهْو من خَمْرِ صِباهُ يَنْثَنِي
قلبُه للهجرِ فينا أَلِفَا ... كيف يقسُو وهْو رَطْبُ الألْسُنِ

جَلَّ مُنْشِيهِ من النُّور الذي ... نشأتْ منه جميعُ الكائناتْ
وهْو نُورُ المصطفَى الطَّلْقِ الشَّذَى ... قد هَدانا من ضلالِ الظُّلُماتْ
وبه في كلِّ حِينٍ نَقتدِي ... قام بالآياتِ فينا البيِّناتْ[2]

نفْسُـه في اللهِ بِيعتْ سَلَفَا ... نَصْرُها كان له كالثَّمَنِ
يارعَى اللهُ زَماناً سَلَفَا ... كان فيه هادِياً للسَّنَنِ

أحمدُ المختارُ طَه ذو الكمالْ ... صاحبُ المِعراجِ للسَّبْعِ الطِّباقْ
مَن له الإسْراء في جُنْحِ اللَّيالْ ... وترَقَّى راكباً فوق البُراقْ
نابعٌ من يَدِه الماءُ الزُّلالْ ... وبه للصَّحْبِ أرْوَى والرِّفاقْ

وهْـو عن كلِّ كمالٍ كَشَفَا ... نُورَ حقٍّ ظاهرٍ مُكْتَمِنِ
ومِن الدَّاء لعافٍ كَشَفَا ... قُلْ دَواءٌ هـو للمُفْتَتِنِ[3]

---

(١) كان حق القافية هنا أن تكون لامية كالبيتين السابقين .

(٢) في ب : «في كل حين نقتدي» ، والمثبت في : س . (٣) « لعاف » كذا في الأصول .

خاتَمُ الرُّسْلِ وكلِّ الأنْبِيَا من أتى بالحقِّ والذِّكْرِ الحكيمْ
وإمامُ النُّجَبَا والأوْلِيَا قد هَدَانا للصِّراطِ المستقيمْ
حَوْضُـه تشربُ منه الأتقيَا وبه يَلْقَوْنَ جنَّاتِ النعيمْ

وصلاةٌ عَرْفُها ماخَلَفَا عنه طِيبٌ فى نَوَاحِي الدِّمَنِ
وسلامٌ عمَّ منه خَلَفَا صالحًا هامَ بهم عبدُ الغَنِي

لم يزلْ هذا عليه دائِمَا أبداً كلَّ مَساءٍ وصَباحْ
مع أصحابٍ كرامٍ قائِمَا أهْلِ جُودٍ وكَمالٍ وسَماحْ
ماشَجَا الطيرُ فُؤاداً هائِمَا بالتَّغَنِّي وثَنَى الغُصْنَ رِياحْ

وعن الأغيارِ سَمْعِي عَزَفَا إذْ غدا شادِي الحِمَى يُطْرِبُنِي
وعلى العِيدانِ فينا عَزَفَا طائرُ السَّنِّ كثيرُ الحَزَنِ

قلتُ هذا وأنا المعترفُ بقُصورِ الباعِ عن أوْجِ النُّجُومْ
ومن البَحْرِ أنا المُغْتَرِفُ بحرفيضِ الغيبِ فى ظِلِّ الكُرومْ
وذُنوباً إنَّنِي مُقْتَرِفُ وليالِي العَفْوِ أرْجُوها تدُومْ

فعسَى يُدْرِكُ قَدْرِى شَرَفَا وارْتقاءً فيه نحوَ الظَّنَنِ
وأحاذِي باتِّضاعِي شَرَفَا عالِياً فوق ذُرا المجدِ بُنِي

***

ومن ذلك قول المولى الحَسِيب النَّسِيب، السيد عبد الكريم(١) النقيب بدمشق الشام المحمِيَّة :

يازمانًا بالتَّهانِي سَلَفَا فى رُبا جِلَّقَ ذاتِ الحسَنِ
لا أرَى بعدك يوماً خَلَفَا لا عَدَتْ ذِكْراكَ رَطْبَ الألْسُنِ

---

(١) تقدمت ترجمته فى الصفحة ٢ / ٦٧ .

كم حُبيتُ الحظَّ فى رَبْوَتِها إذ غدَتْ ذاتَ قرارٍ ومَعِينْ
ولُبانات بها بُلِّغتُها حيثُ مَنْ أهواهُ فى طَوْعِ اليَمينْ
ياَلهَا من رَبْوَةٍ نَضْرَتُهـا صَيْقَلُ الأبْصارِ والقلبِ الحزينْ

لا عَدِمْناها لِقصفٍ مَـألَفَـا ولجَمْعِ الشَّمْـلِ أزْهَى مَوْطِنِ
وسَقَتْها المُزْنُ منها ماصَفَـا وشُئُونُ الدَّمْعِ ماءَ الأعْيُنِ

يارعَاكَ اللهُ عَهْـدَ النَّيْرَبَيْنِ وأرانَا منكَ عَوْداً أحْمدَا
يالَشَجْوانِهِمَا من جَنَّتَيْنِ فيهما الأنْهارُ تجرى سَرْمَـدَا
حُقَّ أنْ يَزْدَرِيا بالرَّقْمَتَيْنِ إذْ غَـدا طَيْرُهما مُعرِبدَا[1]

كيف لا يَأْوِيهما مَن كَلِفَـا والهوَى قـد خَصَّهُ بالْمِحَنِ
وعلى ظِلِّهـما مُنْعكِفَـا كيف لا يُلفَى خَـدِينَ الحزَنِ

وحَمى الخَضْراءِ ذاتَ الشَّرَفِ عن عَفاءٍ وسَقاها الوَابِلُ[2]
قد غدَتْ مَرْتَعَ كلِّ مُتْرَفِ سِحْرُ عينَيْـه عَنَتْهُ بَابِلُ
لا أرَى عن فَيْئِها مُنْصَرَفِ ونُضارُ المـاءِ فيهـا سائِلُ

إن تـكُنْ ياصاحِ حَقًّـا مُنْصِفَا بالرُّقِى حَقٌّ لهـا أن تَعْتَنِى
إذ غدَتْ لا غَرْوَ رَوضاً أُنُفَـا قد حَبـاها بعَظِيمِ المِـنَنِ

ورَعَى الغُوطَةَ من مُنْتَزَهٍ فاق فى الحسنِ سِواهُ وسمَـا[3]

(١) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج ، بعد ماوية تلقاء البصرة ، وبعد حفر أبى موسى تلقاء النباج ، وهما على شفير الوادى. معجم البلدان ٢/٨٠١ .

« ومعربدا » كذا بالأصول .

(٢) فى ص : « وحما الخضراء . . عن عفار » ، والمثبت فى : ب .

(٣) الغوطة : هى الكورة التى منها دمشق ، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، ومياهها خارجة من تلك الجبال ؛ وهى كما يقول ياقوت : أنزه بلاد الله وأحسنها منظرا . معجم البلدان ٣/٨٢٥ .

و « منتزه » هكذا على الاستعمال المحدث لكلمة « متنزه » .

فى ذُرَا أفيائِها كم نُزَهِ تُجتلَى والنَّجمُ يَحكِى الأنجُما[1]
المزايا قد حوتْ من أوْجُهِ فهى للآمالِ تُلفَى مغنَما

كم حَلَلْنَا من حِماهُم غُرَفَا ونعِمْنا صاحِ بالعيشِ الهَنِى
واتَّخَذْنا دَوْحَها مُنعَكَفَا وشَهِدْنا ماءَ فَيْضِ الأعْيُنِ

وبِسُوحِ السَّفْحِ كم من ليلةٍ بالهنا أحييْتُها حتى الصَّباحْ
حيث حَظِّى فى الهوى ذُو دَوْلةٍ والصَّبا يُمَرْجِنِى نحوَ الصَّباحْ
لا خَلَتْ أنحاؤُه من رحمةٍ نَتَوخَّاها صَباحاً ورَواحْ

مُذْ تقَضَّتْ إثْرَها القلبُ هَفَا فأنا نِضْوٌ لفَرْطِ الشَّجَنِ[2]
وإذا ما الصَّبُّ أضحَى لَهِفَا كيف يَلْقَى راحةً فى البدَنِ

سَلَفتْ لى والأمانى أَمَمْ حيثُ مَن أهواهُ لى كان سَمِيرْ[3]
أسْعَدَتْ حَظِّى بذاك القَسَمْ بُرْهةً كانت كسِرٍّ فى الضَّمِيرْ
إذْ تُرِينى اللُّطفَ منه الشِّيَمْ ويُوافِينى بوَجْهٍ مُسْتَنِيرْ

كلَّما حرَّكْتُ منه طَرَفَا يجتنِى سمعِى ثمارَ الألسُنِ
وإذا ما استمْتُه الوصلَ وَفَا يُنْجِزُ الوعدَ وفيه لا يَنِى

لِسَمِيرِى كيف لا أرْعَى الذِّمامْ وله طارِفُ وَجْدٍ والتَّلِيدْ
فعليه وعلى الحَظِّ السلامْ إذْ به حَظِّى لقد كان سعيدْ
ليت ذاك الحظَّ لو عاد ودامْ وتَمَنِّى عَوْدِه جُهْدُ العَمِيدْ[4]

كم أُقَضِّى بالتَّمَنِّى زُلَفَا وأُعانى فى الدَّياجِى مِحَنِى

---

(١) النجم : ما نجم من الأرض ، أى النبت . (٢) النضو : الهزيل المعيى . (٣) أمم : قريبة .
(٤) العميد : من هده العشق .

ولقـــد قَضَيْتُ قِدْمًا كَلِفًا في هَوَى مَنْ حُبُّهُ تَيَّمَنِي

إِنَّما العُمْرُ لهاتِيك اللَّيالْ حيث شَمْلِي كان كالعِقْدِ النَّظِيمْ
بأُصَيْحابٍ لهم وَصْفُ الكمالْ وخِلالٌ تَزْدَرِي لُطْفَ النَّسِيمْ
نَجْتَلِي إذْ نحن في أنعمِ بالْ كأسَ ساقٍ أَجْيَدِ الجِيدِ كريمْ

ما عَهِدْناه لِكاسٍ عَكَفَا عن مُرِيدٍ وعن الحَثِّ وَنِي
لِسِوَى تَقْبِيلِهِ مُرْتَشِفَا من أعالِيهِ لِقَصْدٍ حَسَنِ

يالَهُ ساقٍ حَوَى كلَّ الجمالْ تَتَفَدَّاه هَوًى مِنَّا النفوسْ
تَرِفُ الجسمِ رَبِيبٌ بالدَّلالْ سيفُ لَحْظَيْهِ سَبَى حَرْبَ البَسُوسْ
طَيِّبُ العَرْفِ فمَن رَيَّاهُ نالْ قال لا عِطْرَ إذًا بعدَ عَرُوسْ

حَبَّذَا منه التَّدانِي والوفا فهْيَ الحظُّ به يُسْعِدُنِي
وأراهُ لي مُعِيدًا لُطْفا ومُدِيرًا لي كُؤُوسَ اليُمُنِ

مِن مُدامٍ تُلْزِمُ الساقِي انْعِطافْ تَتَدانَى منه نحوَ القُبَلِ[1]
تُكْسِب النَّشْأةَ قبلَ الارْتِشافْ بشَذاها الكاسُ قَبْلِي ثَمِلُ
بنتُ كَرْمٍ خُطِبَتْ قبلَ القِطافْ ثم زُفَّتْ حين وافَى الأجَلُ

قد تحلَّتْ بحَبابٍ قد طَفَا تَوَّجَ الكاسَ بتاجٍ مُثْمَنِ
فهْو صِرْفًا يجْتَلِيها قَرْقَفَا مازِجًا لي باللَّمَى كاسَ السَّنِي[2]

ماعلى مَن يجْتَلِي الرَّاحَ جُناحْ إن تَعاطاها بِشُرْبِ الأَرَبِ
لِلتَّصابِي هي ياصاحِ جَناحْ تطرُدُ الهمَّ بخَيْلِ الطَّرَبِ

---

(١) هكذا بكسر اللام ، مع ضمها فى البيتين التاليين . (٢) القرقف : من أسماء الخمر .

فاحتسيها قبلَ إفْصاحِ الصباحْ　　من يدَىْ ساقٍ شهىِّ الشَّنَبِ (١)

كلَّما عاطاكَ كأساً مُلطِفاً　　حثَّ من لحظَيْهِ كاسَ المِحَنِ
فبكاسَيْهِ ترى مُعترِفاً　　قائلا أيُّهما أسْكرَنِى

أتُرى يَقْضِى لصَحْوِى سَكَرِى　　من حُمَيَّا كاسِ راحٍ وغَرامْ
أم بسُكْرِ الحبِّ يَمْضِى عُمُرِى　　حبَّذا لى ذاكَ بل أقْصى مَرامْ
إنَّ صَحْوِى ليس بالمُغتفَرِ　　لستُ أرْضاهُ ولو ذُبْتُ اضْطِرامْ

فحُمَيَّا الحبِّ طبعاً وشفاً　　ما اسْتحالتْ لصلاحِ المُعْدِنِ
ما احْتساها غيرُ مَن قد عرَفاً　　وغدَا عن حبِّها لا يَنْثَنِى

كم بها نالَ الأمانِى عارِفٌ　　مُذْ تراءتْ نارُ ليلاهُ فمالْ
وإلى حاناتِها كم واصِفٌ　　لِزاياها دَعانا ما استمالْ
لا عدانا مِن سَناها عاطِفٌ　　أبداً يَعطِفُنا نحوَ الجمالْ

إنَّما أعْنِى جمالَ المصطفَى　　والدِ الزَّهراءِ جدِّ الحسَنِ
دام لى صاحِ ذَراهُ كنَفاً　　ومَلاذاً فهْوَ أجْدَى مأمَنِ

إذْ هو المَلْجأُ لا غَرْوَ غدَا　　حيث يُضْنِى الناسَ هَوْلُ الموقفِ
فلِعَلْياهُ انْتسابِى قد غدَا　　وَاضِحاً بُرْهانُه غيرَ خفِى (٢)
مَن سِواهُ منه أرْجُو المَدَدَا　　وهْو للذِّمَّةِ أوْفَى مُنْصِفِ

وبه الأُمَّةُ أضْحَتْ حُنَفَا　　فلها البُشْرَى بعزٍّ بيِّنِ
فاجْزِهِ اللهُمَّ عنَّا رأفَا　　بالذى يُرْضِى جنابَ المُحْسِنِ

***

(١) « فاحتسيها » هكذا لسلامة الوزن . والشنب : برد وعذوبة فى الأسنان .
(٢) فى الأصول : « واضح برهانه » .

ومن ذلك لحديقة الأدب ، وأبدع مَن وَشّى وكتب ، الأربب الفاضل ، زَيْن المحافل ، (١)صادق بن محمد(١) الخرّاط :

جاد رَبْعَ الشامِ غيثٌ وَكَفَا   وسقى عَهْدِى بتلك الدِّمَنِ
لم تكُنْ إلّا وِصالًا ووفَا   واختلاساً من أيادِى الزّمَنِ

يا حمَى اللهُ زمانًا فى حِمَى   نَيْرَبَيْها قد تَقَضّى كالخيالْ
حيثما ثغرُ الرّوابى ابتسَما   وعيونُ الزّهْرِ تَنْدَى باللآلْ
ونسيمُ الأُنْسِ فيها نَسَمَا   وثنَى الأغصانَ خفّاقُ الشّمالْ

وابنُ وَرْقاءَ بها قد هَتَفَا   بفُنونِ الشّوقِ فوقَ الفُنَنِ
فشجَا قلبًا كئيبًا دَنِفَا   مُحِيَتْ آثارُهُ بالمحَنِ

ياليالِى الوصلِ أيّامَ الصِّبَا   جادَكِى صَوْبُ الحَيَا كلَّ صَباحْ(٢)
فى رُبَا رَبْوَتِها مَرْبَى الظِّبَا   وفِنَا أفنانِها ذاتِ المِراحْ
كلّما هبّتْ بها ريحُ الصَّبَا   أو شَدتْ فى دَوْحِها ذاتُ الجَناحْ

أذْكَرَتْنِى طِيبَ عيشٍ سَلَفَا   يالَهُ فى الدهرِ من عيشٍ هَنِى
لم أزلْ أبكى عليه أسَفَا   وفؤادِى لم يزَلْ فى شَجَنِ

عَمْرَكَ اللهَ إذا ماجُزْتَ فى   جانبِ السّفحِ صَباحًا يانسيمْ
فعلَى المَرْجَةِ ذاتِ الشّرَفِ   عُجْ وحَيِّيها(٣) بأنواعِ النعيمْ
فلوادِيها رفيعُ الغُرَفِ   لم يزَلْ شَوْقِى مدَى الدهرِ مُقيمْ

ياخليلَىَّ خُذانِى وقِفَا   فى رُباها حيثُ مَجلَى الحزَنِ

---

(١) فى الأصول : « محمد صادق بن » ، وتقدم التعريف به صفحة ١٨٤ .
(٢) أشبع الكاف فى « جادكى » لسلامة الوزن .
(٣) « وحييها » كذا لسلامة الوزن .

إنني مازلتُ فيها كَلِفًا فعسى الآمالُ أن تُسْعِدَنِي

صَفَّقَ النهرُ وغنّى البُلْبُلُ ... عند ماقد رقصتْ هِيفُ الغُصونْ
ونسيمُ البانِ وافَى ينْقُلُ ... نَفْحَةَ الزهرِ عن الروضِ المَصُونْ
ولنا أهْدَتْ شَذاهُ الشمْألُ ... بعدَ ماابتَلَّتْ بأطْرافِ العيونْ

والصَّبا مُذْ مرَّ فيهــا حَلَفا أنَّه عن ظِلِّها لا يَنْثني
فسقى الوَسْميُّ رَوْضًا أُنُفًا عنده أصْبَحْتُ كالمُرْتَهَنِ (١)

قُمْ بنا نَجْلو كؤوسَ الطَّرَبْ ... في رُباها بين وردٍ وشَقيقْ
واملَإِ الكاسَ بماءِ الذَّهَبِ ... إنمــا اللَّذَّةُ كاسٌ ورَفيقْ
شمسُ راحٍ حُرِسَتْ بالشُّهُبِ ... كاسُها منها غدًا لا يستفيقْ

فاعْطِنيها يانَديمي قَرْقَفَا ودَعِ اللاحِي عليها يَلْحَني
فلها مازِلْتُ أصبُو شَغَفًا وهْي تَسْري كالشِّفا في البَدَنِ

قَهْوَةٌ في الحانِ تُجْلَى كالعَروسْ ... راحةُ الرُّوحِ وكنزُ المِنَحِ
لستُ أدْرِي أبُدورٌ أم شُموسْ ... قد أضاءتْ من أعالِي القَدَحِ
رَقصتْ من طَرَبٍ فيها الكُؤوسْ ... حين دارتْ بالهنا والفرَحِ

فاحْتَسيْناها سُروراً وشِفا وانْتَهَزْنا فُرْصَةً لم تكُنِ
فرعَى اللهُ لُوَيْلاتِ الصَّفا إذْ حَبَتْنا بعظيمِ المِنَنِ

كيف لا أذْكُرُها تيك اللَّيالْ ... وبها قد مرَّ لي عيشٌ رَغيدْ

---

(١) الوسمي : مطر الربيع الأول ، وروضة أنف : لم ترع .

حيثُ كانَ الدهرُ صافِى كالزُّلالْ   وغَزالُ الإنْسِ عنِّى لا يَحيدْ[1]
يَنْثنِى بالتِّيهِ فى بُرْدِ الجمالْ   فيَغارُ الغُصْنُ منه إذْ يَميدْ

لو رأى البدرُ سَنـاهُ انْكَسَفا   وقضِيبُ الْبانِ أمْسَى مُنْحَنِى[2]
سَلَّ من لَحْظَيْـهِ عَضْباً مُرْهَفـا   يالَقَوْمِى من سُيوفِ اليَمَنِ

تَخِـذَ الجَوْزاءَ فى الجِيدِ عُقُودْ   بعدَ ماقد صيَّرَ البدرَ غُلامْ
وبَدَتْ من فَرْقِهِ شمسُ الوجودْ   واحْتَسَيْناها من الثَّغْرِ مُدامْ[3]
وأعارَ الوردَ فى الرَّوْضِ خُدودْ   وغُصونَ الْبانِ لِيناً وقَوامْ

واسْتَبانَا مُذْ تَثَنَّى هَيَفـا   بجمالٍ يُخْجِلُ البدرَ السَّنِى
وعن الْمُرْهَفِ بالغَمْزِ اكْتَفَى   يابرُوحِى غَمْزُ تلكَ الأعْيُنِ

ظَبْىُ إنْسٍ فى فُؤادِى رَتَعَا   أتْلَعُ الجِيدِ كحيلُ الْمُقْلَتَيْنْ[4]
خانَ وُدِّى ولعَهْـدِى مارَعَى   وصَلَى قلبِى بنارِ الوَجْنَتَيْنْ
وإذا رُمْتُ وَفاهُ امْتَنَعا   ولَوَى جيداً وأدْلَى طُرَّتَيْنْ

يا عَذُولًا فى هَواهُ عَنَّفَـا   لاحَبـاكَ اللهُ بالعيشِ الهَنِى
كم تَرانِى ذُبْتُ فيـه كَلَفـا   وبفَرْطِ اللَّوْمِ تُذْكِى شَجَنِى

أيُّهـا السائِلُ عن حالِ الغَرِيبْ   سَلْ ظِباءَ الْمُنْحَنَى لِمْ بَعُدُوا
إنَّ لى مِن بَعْدِهِم حالًا عَجِيبْ   لَيْتَهُـم وَفَوْا لمـا قد وَعَدُوا
خَلَّفُونِى بين وَجْدٍ ونَحِيبْ   وضُلوعِى جَمْـرُها يَتَّقِدُ

---

(١) « صافى » كذا للوزن أيضاً .   (٢) « منحنى » كذا أيضا للقافية .
(٣) فى ب : « وبدت من فوقه » ، والمثبت فى : ص .
(٤) فى ص : « من فؤادى » ، والمثبت فى : ب . وأتلع الجيد : طويل العنق .

وعيونٌ جَفْنُها قد رَعَفَـــا وبهم عافتْ لَذيذَ الوَسَنِ (١)
واصْطِبارِي حين بانُوا قد عَفَـا وغَرامٌ للهـــوى لم يَخُنِ

آهِ واشَوْقِي لهانيكَ الطُّلولْ ياسقَاها اللهُ أوْفَى الدِّيَمِ
إنَّ لى فى ظِلِّها عُرْباً نُزُولْ لَيتَهم زَارُوا ولو فى الحُلُمِ
قَسماً عن حُبِّهم لستُ أحُولْ لا ولا يَشْفِى الحَشَا من ألَمِ

غَيرُ ذِكْرِى لجَنابِ المُصْطَـــفَى مَن حَمانَا من جميـــعِ الفِـتَنِ
أحمدُ المختـــارُ كنزُ الاصْطِفَا أشْرفُ الخلْقِ إمامُ اللَّسَنِ

مَن سَرَى ليلًا إلى أعْلَى العُلَا ورأى بالعَيْنِ أنْوارَ اليَقِينْ
وله شَوْقاً سعَى جِذْعُ الفَلَا وحُبِى بالفتْحِ والنصرِ المُبينْ
ولِدِينِ الحقِّ بالحقِّ جَــلَا وأبادَ الشِّرْكَ بالعَزْمِ المَتِينْ

زادَهُ رَبُّ البَرَايـــا شَرَفَا إذْ دَعَا الخلْقَ بخُــلْقٍ حَسَنِ
وأبانَ الحقَّ من بعدِ الخَفَـا وهَدَى النـاسَ لأعْــلَى سَنَنِ

فعليـــه كلَّمـا هَبَّتْ شَمـالْ صَلَواتُ اللهِ تَتْرَى والسلامْ
وعَلَى الآلِ الأُلَى نالُوا الوِصالْ أبداً ما أسْفَرَ البـدرُ التَّمامْ
واخْصُصِ الأصْحابَ أرْبابَ الكمالْ بتحيَّاتٍ لهـا المِسْكُ خِتامْ

ما تَذكَّرْتُ أُوَيقَاتِ الوَفَــا وغَدَا الشوقُ لهـا يُنْشِدُنِى
جادَ رَبْعَ الشـامِ غَيْثٌ وَكَفَا وسَقَى عهـدِى بتلك الدِّمَنِ

***

(١) رعف : خرج الدم منه .

ومن ذلك قَوْلُ أُطْرُوفةِ الزمان ، ومصباحِ النُّدْمان .

الفاضل الأريب ، والكامل الأديب .

رَوضةِ الأدب ، وشريفِ الحَسَب والنَّسب ، محمد سَعْدِي العُمَرِيّ[1] :

يارَعَا اللهُ زمانــاً سَلَفَـا في رياضِ الشام بالعيشِ الهَنِي
كم حَلَلْنــا من رُباه غُرَفـا قَلَّدَتْنــا بعُقــودِ المِنَنِ

والتَّصابِي رَوْضُهُ الغَضُّ قَشِيبْ والصَّبـا مادٍ بأعْطافي يجُولْ
وشبابِي غُصْنُهُ اللَّدْنُ رطيبْ والهَوى يلعبُ بي لعبَ الشَّمُولْ
وانْتِهابِي فُرَصَ العيشِ الرَّحِيبْ جَرَّ بِي من فاضلِ اللهوِ ذُيولْ

لم يكنْ إلا خيالاً وعَـفَى وتقاضَتْــه عوادِي المِحَنِ
كم به جاورتُ روضاً أُنُفـاً حسَدتْ عيــني عليها أُذُنِي

حيث طيرُ اللهوِ خَفَّاقُ الجناحْ وجَمُوحُ الدهرِ مَغْلولُ اليدَيْنْ
ودَواعِي الأُنْسِ وَفْقَ الاقْتِراحْ والمُنَى تَلْحَظُ آمالِي بعَيْنْ
ورَخِيمُ الدَّلِّ محلولُ الوِشاحْ حاسِرُ الطُّرَّةِ عن مِثْلِ اللُّجَيْنْ

كلَّمــا ساوَمْتُه الوصلَ وَفَى وحَبــانِي وردَ خَدَّيْهِ الجَنِي
وسقــانِي من لَمــاهُ قَرْقَفَا أطْفأَتْ حرَّ الجــوَى والمِحَنِ

بأبِي أفْدِيه من ساقٍ رَشِيقْ واضحِ الغُرَّةِ مَعْسولِ الشَّنَبْ[2]
في صَفـا خَدَّيْهِ وردٌ وشَقِيقْ وبكَنْزِ الدُّرِّ غُمْرٌ وضَرَبْ[3]

---

(١) تقدم التعريف به في صفحة ٣٣ ، باسم سعدي بن عبد القادر بن بهـاء الدين ، وهو هكذا في كل الأصول : «محمد سعدي العمري» . (٢) الشنب : ماء وعذوبة وبرد في الأسنان .

(٣) الغمر : الزعفران ، والضرب : العسل الأبيض .

وَالشِّفَاهُ اللُّعْسُ مِسْكٌ وَعَقِيقْ غُشِّيَتْ أَسْلاكَ دُرٍّ وَحَبَبْ (١)

زَمْزَمَ الكَاسَ وَأَحْيَى دَنِفَا بِشَذَا خَاتَمِ ثَغْرٍ حَسَنِ
بِنْتُ كَرْمٍ بِسَنَاهَا وَالصَّفَا سَابَتْ رِقَّةَ بِنْتِ الْيَمَنِ

وَالرُّبَا تَسْحَبُ لِلظِّلِّ ذُيُولْ مِنْ حُلَى الدَّوْحِ عَلَى زُرْقِ الْعُيُونْ
وَالنَّسِيمُ الرَّطْبُ خَفَّاقُ الذُّيُولْ يَتَهَادَى بَيْنَ أَعْطَافِ الْغُصُونْ
وَجُفُونُ الزَّهْرِ مِنْ بَعْدِ الذُّبُولْ مَسَّحَتْهَا رَاحَةُ الطَّلِّ الْهَتُونْ

وَبِهَا الطَّائِرُ مَهْمَا هَتَفَا سَلَبَ الطَّرْفَ طُرُوقَ الْوَسَنِ
وَإِذَا مَا طَارِحَ الصَّبَّ هَفَا وَانْثَنَى يَهْتَزُّ شَرْوَى الْغُصُنِ (٢)

كَيْفَ لَا آسَى عَلَى تِلْكَ اللَّيَالْ وَأَنَا فِي قَبْضَةِ الْهَمِّ أَسِيرْ
وَغَوَانِي الْإِنْسِ مِنْ بَعْدِ الْحِجَالْ كَسَفَ الْخَطْبُ مُحَيَّاهَا النَّضِيرْ
وَالْأُلَى عَاطَيْتُهُمْ صِرْفَ الْكَمَالْ عَاهَدُوا التَّفْرِيقَ فِي كُلِّ شَفِيرْ (٣)

فَإِذَا حَاوَلْتُ مِنْهَا طَرَفَا أَجِدُ الْأَقْدَارَ لَا تُسْعِدُنِي
فَأَنَا بَيْنَ التَّأَسِّي وَالْجَفَا غَائِضُ الْفِكْرَةِ عَافِي الْبَدَنِ

كَانَ لِلشِّعْرِ وَأَهْلِيهِ زَمَانْ رَكَضَتْ فِي ظِلِّهِ قَبْلِي رِجَالْ
نَصَبُوا لِلسَّبْقِ مَيْدَانَ الرِّهَانْ وَجَرَوْا فِي سَفْحِ ذَيَّاكَ الْمَجَالْ
وَرَمَوْا الْأَفْهَامَ عَنْ قَوْسِ الْبَيَانْ فَأَصَابُوا سَهْمَ مِنْ وَشْيٍ وَقَالْ

---

(١) اللعس، بالتحريك: سواد في الشفة يستحسن .

(٢) في ص : « شبه الغصن » ، وأثبت في : ب ، وهو بمعنى مثل أيضاً .

(٣) الشفير : ناحية الوادي من أعلاه .

جاد رَبْعَ الشامِ غَيثٌ وَكَفا وسقَى عَهْدِي بتلك الدِّمَنِ
فتجارَيْتُ وحَسْبِي شَرَفَا مَدْحُ خيرِ الخلقِ جَدِّ الحسَنِ

خيرُ من شَيَّدَ أرْكانَ الهدَى بيَدِ التوفيقِ مِن بارِي النَّسَمْ
وجَلا الرُّشْدَ لأهلِ الاهْتِدا بمَساعٍ أرْهفتْ بِيضَ الهِمَمْ
وامْتَرَى بالقُرْبِ أخْلافَ النَّدَى وارْتوى بالصِّدْقِ من ضَرْعِ الكَرَمْ(١)

خَرَقَ الحُجْبَ بأنْوارِ الصَّفَا واجْتلَى بالقُرْبِ ما لم يَكُنِ
ورأى ما عنه جبريلُ اخْتفَى وتحامَى ذلك الشَّأْوَ السَّنِي

مَن حَكَتْ آياتُه زُهْرَ النُّجُومْ وعلَى ما يعلم اللهُ اشْتَمَلْ
وجَرَتْ منه يَنابيعُ العُلومْ برِوَا الصِّدْقِ وإشْراقِ العَمَلْ
فارْتَوَتْ منها بأقْداحِ الفُهومْ جُمَلُ الأفْكارِ عَلًّا ونَهَلْ(٢)

ودعانا للهُدَى فانْكَشَفَا عن مُحَيَّا الحقِّ رَيْبُ الوَهَنِ
ومَحَا عنّا بآياتِ الشِّفَا كُلَّ ما خَطَّتْهُ أيْدِي الفِتَنِ

كَنْزُ أنْوارِ الهدى طَهَ الأمينْ مَعْدِنُ الأسْرارِ كَشّافُ الكُروبْ
قائدُ الغُرِّ بأسْبابِ اليقين لاقْتباسِ النُّورِ من شمسِ الغُيوبْ
جاء بالآياتِ والنُّورِ المبينْ فأماطَ الغَيْنَ عن عَيْنِ القُلوبْ(٣)

قِبْلَةُ الحقِّ لأهلِ الاصْطِفَا مُسْتوَى عرشِ الرَّشادِ البيِّنِ
من ظُهورِ الكَوْنِ يُجْلَى والخَفَا لِمَرائِي سِرِّهِ والعَلَنِ

(١) مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر ، والخلف للناقة ، كالضرع للشاة .
(٢) النهل : أول الشرب ، والعلل : الشربة الثانية .
(٣) غين على قلبه : تغشته الشهوة ، أو غطى عليه وألبس .

فهْو فى غَيْبِ مُناجاةِ القدير ْ حاضرُ القلبِ لإدْراكِ السُّعودْ
واضحُ الآثارِ والوَجْهِ المنيرْ ساطعُ النُّورِ بآفاقِ الوُجودْ
جَوْهَرِيُّ الذَّاتِ قُدْسِيُّ الضَّميرْ غائِصُ الأفكارِ فى بحر الشُّهودْ

مَن نحا بحرَ نداهُ اعْتَرَفَا وارْتوى من كَوْثَرِ الحقِّ الهَنِى
ورأى وَجْهَ الهدى مُنْكَشِفَا فاهْتدَى منه لأقْوَى سُنَنِ

ضاق ذَرْعُ اللُّبِّ والفكرِ الصحيحْ عن مدَى عَلْياكَ واسْتعْفَى اليَراعْ(١)
وتحامَى وَصْفَها كلُّ فصيحْ بعد ماجَفَّتْ عيونُ الاخْتراعْ
هل يَفِى بالقولِ مَن رام المديحْ ومَنالُ الزُّهْرِ مالا يُسْتطاعْ

فإذا المادحُ أثْنَى اعْتَرَفَا بعُلًا تُعْيِى جميعَ الألْسُنِ
لكن الآمالُ إن غِيضَ الوَفَا فيكَ ياغَوْثَ الورَى تُطْمِعُنِى

فعسى مَدْحِى لِذَيَّاكَ الجنابْ منكَ أن يطرف لى ذَيْلَ القَبُولْ(٢)
وأرَى رَيَّا شَذاهُ المُسْتطابْ ساحِبًا فى عَيْنِ آمالِى ذُيولْ
لِيَقِينِى عَرْفُهُ مَسَّ العذابْ يومَ يَغْشَى الناسَ هَوْلٌ وذُهولْ

ويدُ الأقْدارِ تجلُو صُحُفَا مُلِئَتْ من سَيِّءٍ أو حَسَنِ
فإذا المرءُ رأى ما اقْتَرَفَا عرَفَ المُذْنِبُ فضلَ المُحْسِنِ

وأفانينُ صلاتى والسَّلامْ لكَ يامُخْتار حِينًا بعدَ حِينْ
وعلى الأصْحابِ والآلِ الكرامْ مَصْدرِ الحقِّ وأنْوارِ اليقينْ
راجيًا فى حُبِّهِم حسنَ الختامْ وَاثِقًا باللهِ ربِّ العالمينْ

(١) فى الأصول : « ضاع ذرع اللب » .
(٢) فى ب : « يطرف فى ذيل » ، والمثبت فى : س .

ماحلا مدحي لطه المصطفى وثنى أعطاف أهل اللسن
وجلا الأسماع منه طرفا درها المكنون غالي الثمن

***

ومن ذلك قول جامع الفضائل بالاتفاق ، عبد الرحمن بن عبد الرزاق[1] :

كم جنينا زهر أنس وصفا في روابي الشام ذات الأعين
واجتلينا من أويقات الوفا شمس أفراح لدى عيش هني

بالوادي المفدى بالعيون في ربا ربوتها الرحب الوسيم
حيثما يممت نهر وعيون ونسيم لطفه يحيي الرميم
طالما حييت واديه المصون والربا يثنيه أنفاس النسيم

وهزار الدوح فيه هتفا بلحون قد أثارت شجني
وبمرآه البهي قد شغفا كل طرف ياله مرأى سني

لست أنساه أويقات السحر والصبا يعطف أعطاف المياه
وغصون البان تندى بالزهر وجنى الورد يندي من حياه
حبذا تجلو بمرآه النظر وترى الأطيار تشدو في رباه

كل طرف كم تراه وقفا عنده زهر التهاني يجتني
وبه مازال طرفي كلفا جاده دمعي غزير المزن

بأبي والروح عالي الشرف ديرمران البهي الآنس[2]
لم تزل أكناف ذاك الطرف بالبها تزهو على الأندلس
كم به الندمان بالأنس الوفي مزجوا الصهبا بماء الألعس

---

(١) تقدمت ترجمته ، صفحة ٢٠٦ .

(٢) ذكر المحبي في النفحة ٢ / ٩٦ ديرمران فقال إنه معروف بدمشق بالقرب من الربوة . وانظر حاشية هذه الصفحة .

وشَمالٌ في ذُراهُ عَكَفَا ناشراً أزْهارَ تلك الدِّمَنِ
كيف لا يَصْبُو فؤادٌ دَنِفَا لِحِماهُ وهْو أَهْنَى مَوْطِنِ

رقصَ الغُصْنُ وغَنَّى العَنْدَلِيبْ في رُبًا نَيَّرَبِها الغَضِّ النَّضِيرْ
والحَيَا قَلَّدَ أجْيادَ القَضِيبْ بِلآلٍ زَانَها الزَّهْرُ الوَثِيرْ
وخُوَيْطٌ ناعِمُ الجسمِ رَطِيبْ يَنْثَنِي مابين رَوْضٍ وغَدِيرْ(١)

يافَدَتْهُ الرُّوحُ رَوْضاً أُنُفَا فَرْشُه العَنْبَرُ والوردُ الجَنِى(٢)
لم يكُنْ إلْفِي سِواهُ مَأْلَفَا ياشقيقَ الرُّوحِ طولَ الزَّمَنِ

فسقَى جِلِّقَ وَسْمِيٌّ العِهادْ ورَعَى غُوطَتَها مَجْنَى السُّرُورْ(٣)
إذْ هَواهَا لم يزَلْ يُحْيِي الفُؤادْ حَبَّذَا مابين أنفاسِ الزُّهُورْ
إنَّها الشَّامَةُ في جِيدِ البلادْ بالَها تزْهُو بوِلْدانٍ وحُورْ

بل هى الجنَّةُ حُفَّتْ بالصَّفَا دُرُّها الحَصْباءُ غالِي الثَّمَنِ
بِعْتُ نفسى فى هَواها سَلَفَا كيف عنها غُصْنُ شوقى ينْثَنِي

قُمْ بنا نقضِي لُبانَاتِ الهَوَى ياسَمِيرِي عند هاتيك الرِّياضْ
نَحْتَسِي صِرْفًا على وَفْقِ المُنَى والتهاني قَهْوةً تَشْفِي المِراضْ
إنَّها للجسمِ رُوحٌ مالَنا إن تَناءتْ لَحْظَةً عنها اعتِياضْ

نجتلِي مارَقَّ منها وصَفَا بين رَيْحانٍ وغَضِّ السَّوْسَنِ
فى رياضٍ غَيْثُها قد وَكَفَا والشَّحارِيرُ بها تُطْرِبُنى(٤)

(١) الخويط : تصغير الخوط ، وهو الغصن الناعم . (٢) روض أنف : لم يرع .
(٣) الوسمى : أول مطر الربيع ، والعهاد أيضاً : أوائل مطر الربيع .
(٤) وكف الغيث : تتابع .

ونَدِيمٍ قامَ يجْلُوها صَبـاحْ   بِكْرُ دَنٍّ أشْرقتْ منها الشُّمُوسْ

خَدُّهُ يزْهُو بوَرْدٍ وأقاحْ   وبِهَا يُسْفِرُ عن سُوقِ العرُوسْ

ماعلَى مَن هامَ فيها من جُناحْ   يالها تُحْيِي برَيَّاها النُّفوسْ

هاتِها شمسَ الحُمَيَّـا قَرْقفا   ودَعِ اللاّحِي عليها يَلْحَنِي[1]

مِن يَدَيْ حُلْوِ الثّنايا أهْيَفـا   تَرِفِ الجسمِ رَطِيبِ البَدَنِ[2]

خَنِثِ الأعْطافِ ساجِي الحَدَقِ   لم يزلْ يختالُ فى زاهِي البُرُودْ

وجهُهُ يَسْبِي بُدورَ الغَسَقِ   والحيا قد زان تُفّـاحَ الخُدُودْ

عِطْفُـه الرَّيّانُ بالدَّلِّ سُقِي   وتَبَدَّى فيـــه رُمّانُ النُّهُودْ

يالَقَوْمِي سَــلَّ عَضْباً مُرْهَفا   من عُيونٍ خَمْرُها يُسْكِرُنِي

ورَنَا نحْوِي بطَرْفٍ أوْطَفـا   آهِ وَاوَيْـلاهُ لو يَرْحَمُـنِي[3]

تَقْطُرُ الآدابُ من أعْطافِهِ   عندما يجلُو كُؤوسَ الطَّرَبِ

وإذا ما جالَ فى ألطـــافِهِ   يمْـلأُ الدَّلْوَ لِعَقْدِ الكَرَبِ[4]

ياحَياةَ الصَّبِّ فى إسْعافِهِ   نَهْـلةٌ من رَشْفِ ماءِ الضَّرَبِ[5]

حَشْوُ بُرْدَيْه يُرِيـنـــا طُرَفَا   والهوى يُبْدِي فُنونَ الفِـــتَنِ

آهِ ما أحْلَى لَمـاهُ مَرْشَفَـــا   دُرُّهُ أهْـــدَى عُقودَ المِنَنِ

---

(١) القرقف : من أسماء الخمر .

(٢) نصب « أهيفا » لتناسق قوافى الموشح .

(٣) نصب « أوطفا » لتناسق قوافى الموشح .

(٤) قوله : « يملأ الدلو لعقد الكرب » مثل يضرب لمن يبالغ فيما يلى من الأمر ، والكرب : هو الحبل الذى يشد فى وسط العراقى ثم يثنى ثم يثلث ليكون هو الذى يلى الماء ، فلا يعفن الحبل الكبير . انظر مجمع الأمثال ٢ / ٢٠٤ .

(٥) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

كلَّما حاولتُ لثمَ الوجنتَيْنْ أحرقَ الأحشاء ذاكَ الاضطرامْ
وإذا ماخِلْتُ غمزَ المقلتَيْن فرّقا لقلب أنواعَ السِّهامْ
ذُبْتُ واويلاهْ فى ذا الحالتَيْن فاقرءوا ياقوم من رُوحِي السّلامْ

كلٌّ من فى حُبِّــه قد عنّفَا لا يرى إلّا فنونَ المِحَنِ
يارعاهُ اللهُ حسْبِي وكفَى ورعَى فى الحبِّ مَن تيَّمَنِى

وسقى عصرَ التّصابِي والشبابْ سُحبُ دمع من جفُونٍ تقْطرُ
ورعَى عهدَ النّدامَى والصِّحابْ وأُويقاتٍ مُناهَا يَبهرُ
هل لها ياصاحِ رجْعٌ أو إياب أم ترَاها فى الأمانِي تخطرُ

يا لَعَمرِي قد بكتْها أسفَا أعيُنٌ ماذُقْنَ طعمَ الوسَنِ
لا ولا مِن بعْدِها طرْفٌ غفَا ليت لو تُفْدَى بغمضِ الأعْــيُنِ

ليت شِعرِي كيف قد مزّقَها ساعدُ الدهرِ ورَدّاعُ الخطوبْ
والنّوَى مِن جوْرِه أحرقَهـا بجوًى حُفَّ بنيرانِ الكُروبْ
هكذا الأقْـدارُ مَن حقّقَها يُلفِهـا تجرِى صباحاً وغروبْ

بقضاهُ ليس يُدْنيــهِ خفَـا لـكنِ الظـنُّ بـه يُطْمِعُنِى
أنه لا غرْوَ يحبُونَا الوفَا وَفْقَ ما يرضَى وفيـه لا يَنِى(١)

يالَدمْعٍ جاد من فرْطِ الغرامْ تخذَتْهُ العيْنُ للجيـدِ عقُودْ
إننى مازلتُ فى جُنْحِ الظلامْ هائِماً فى شمسِ أنْوارِ الوجودْ
سيِّدُ الرُّسْلِ وقد وافى ختامْ ورَقى مِعْراجَ قُرْبٍ وشُهودْ

---

(١) فى الأصول : « يحبينا الوفا » .

مَلْجَأُ الرَّاجِينَ طَـٰهَ المصطفَى أحمدُ الهـادى لخيرِ السُّنَنِ
مَن سعى شوقًا له صَـلْدُ الصَّفَا ثم حَيَّـاهُ بصَـوْتٍ حَسَنِ

كم لَدَيْهِ مُعْجِزاتٍ بهرَتْ مِثْل نَبْعِ الماء صافٍ كالزُّلالْ
وأحاديثَ له إن نُشِرَتْ تلمسُ الحسْناءُ مَنْظُومَ اللآلْ
يا نَبِيًّا سارَ حتى ظهرَتْ حضرةُ الذاتِ له جُنْحَ اللَّيالْ

فرأى وازْدادَ حقًّا شَرَفَا رَبَّهُ المُحْبِيه بالقَدْرِ السَّنِى
وعَـلاَ فى نُورِ غَيْبٍ شَرَفَا لِسِـواه والضُّحَى لم يَكُنِ

فصلاةُ اللهُ تَتْرَى كلَّ حينْ معْ سلامٍ فاحَ من روضِ الكمالْ
دائمًا تُهْدَى إلى طَـٰهَ الأمينْ مَن أعارَ الـكونَ أنْوارَ الجمالْ
وذَوِيه الآلِ أرْبابِ اليقينْ مَن تَحلَّوا فى الهدى أسْنَى الخصالْ

وكذا الأصحابُ أهلُ الاصْطِفَـا أَبْحُرُ التقـوى إمامُ اللَّسَنِ
ماعُبَيْدٌ يرْتجِى حسـنَ الوفَا فى رِضَا الرحمنِ والعيش الهَنِى (١)

***

(١) مابعد هذا البيت إلى آخر الترجمة لم يرد فى : س ، وجاء مكانه فيها :

«وللأديب البارع أحمدالسَّلامِىّ ، المعروف بابنِ اكرى بوز : [تقدمت ترجمته صفحة ١٨٩]

جادَكَ الغَيْثُ إذا ما وَكَفَـا يا زمانًا مَرَّ بى كالوَسَنِ
فى رُبَا جِلِّقَ حسْبِى وكَفَى إنه كان من العَيْشِ الهَـنِى

فى رُبَا رَبْوَتِها نِلْتُ المَرامْ بلذيذِ العيشِ صافٍ عن كَدَرْ
حيث مَن أهْواهُ مِطْواعُ الزِّمامْ يفْضَح الشمسَ سَناءً والقمرْ
أحْتَسِى من لَحْظِه صِرْفَ المُدامْ واجْتَنِى من وَرْدِه ورد الخفرْ =

. . . .

= لم أزلْ أُمسي عليـه عاكفًا بسُرورٍ لم يُشَبْ بالحَزَنِ
وترى الدَّوحَ عليـه معْطفًا مُسْبَلَ السِّتْرِ بذيلِ الغُصُنِ

ياسقى النَّيربَ في الروضِ الأريضْ بسِجالٍ من شآبيبِ الدِّيَمْ
مألفُ الغِزْلانِ من سُمْرٍ و بيضْ مَسْرحُ الطَّرْفِ مُطيفٌ بالقَدَمْ
أنْشِدُ الأشْعارَ فيها والقَريضْ ما أبالي من تَوَلَّى أو حَكَمْ

حيث لا وَاشٍ يُعـانِي المُدْنَفَا أو رقيبٌ مُزْعِجٌ بالظِّنَنِ
نجْتلي بِكْرًا عَرُوسًا قَرْقَفَا مَزْجُها من مُعْصَراتٍ هُتُنِ

يا رعَى اللهُ لَيـالٍ حيثما مَرَّ بالوادي بظَبْيٍ آنِسِ
أنْهَزُ الفُرْصةَ فيـه مُنْعِمًا آمِنًا من كَدَرِ الدهرِ المُسِي
رَاشِفًا في وردِ ثَغْرٍ مَبْسِمًا أشْنَبًا ألمَى شَهِيَّ اللَّعَسِ

وعلى تلك الليـالي آسِفًا حيث كانتْ غَفْـلةً من زمَني
وعَدُوُّ اللهـوِ عنِّي مُجْنَفَا وعن النَّاصِحِ صُمَّتْ أذُنِي

هي أوقاتٌ حَلَتْ بالانْشِراحْ في جَبينِ الدهرِ كانت غُرَرَا
تَرْعَتْ الأُذْنَ بألفاظٍ فِصاحْ لو تنظَّمْنَ لَـكُنَّ الدُّرَرَا
مَعْ ثُغورٍ حَشْوُها طَلْعٌ وراحْ وإذا ما ذُقْتَ كانت سُكَّرَا

ومَضَتْ كالطَّيْفِ أو طَرْفٍ غَفَا أو خيالٍ مَرَّ أو لم يَكُنِ
وَخَطَ الشَّيْبُ وأرْخَى سُدَفَا فذَوَى غُصْني وزادتْ مِحَني =

ومن ذلك قولُ الأريب الأديب ، عبد الرحمن بن محمد التُّرْكُمانيّ النَّحْلاوِيّ[1] :

غَنِّيانِي بِسُعادٍ وصِفا مَطْلَعَ الشَّامِ بمعنًى حسنِ
دارُ أُنْسٍ وسُعودٍ وصَفا جَنَّةُ الأرضِ عَرُوسُ المُدُنِ

مالِوادِيها لَعَمْرِي من نَظِيرْ مَسْرَحُ الآرامِ آرابُ النُّفوسْ
كم لنا في رَوْضِهِ الخَضْرِ النَّضِيرْ صَبْوَةٌ أطْيَبُ من حَثِّ الكُؤُوسْ
وازْدِهاءُ الجامِعِ الرَّحْبِ المُنِيرْ غادَرَ المُدْنَ كَسَوْداءِ العَرُوسْ

شامةُ الدنيا دِمَشْقٌ وكَفَى إنَّها مَثْوَى الكرامِ الفُطُنِ
كيف لا وهْيَ بنَصِّ المصطفَى مَعْدِنُ الإيمانِ حينَ الفِتَنِ

=

حَبَّذَا شَرْخُ الصِّبا كنتُ على مَتْنِ طِرْفٍ منه مَطْلُوقِ العِنانْ
لَابِساً فى صَفْوَةِ الدهرِ حُلَى رَاتِعاً باللَّهْوِ مَعْ بِيضٍ حِسانْ
وكُؤُوسُ الرَّاحِ صِرْفاً تُمْتَلَى وغِناءٌ مثلُ تَرْنامِ القِيانْ

ومُدِيرُ الكأسِ أحْوَى أوْطَفَا ضَامِرُ الكَشْحِ نَقِيُّ البَدَنِ
غَنِجُ اللَّحْظِ رَخِيمٌ مُتْرَفَا يُخْجِلُ البدرَ بِوَجْهٍ حَسَنِ »

[ترعث الأذن : تلبسها الرعثة ، وهى القرط . ونصب أوطفا ومترفا ، فى البيتين الأخيرين لتسلم له معارضة الموشحات السابقة] .

(١) عبد الرحمن بن محمد بن على التركمانى النحلاوى الشافعى الدمشقى ، الشهير بالبهلول .
شاعر ، لغوى ، فائق فى فن التاريخ .
قرأ على جماعة من مشايخ دمشق ، وأخذ عن عبد الغنى النابلسى .
وكان فقيرا سيء الحال ، يروى أنه حج لبيت الله الحرام ماشيا على قدميه ذهابا وإيابا ، مستخدما عند بعض الجمالين ، ولم يجد من يحمله ، أو يسعفه بشىء .
توفى سنة ثلاث وستين ومائة وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .
سلك الدرر ٢ / ٣١٠ – ٣١٧ ، ولم يذكر المرادى فى نسبه « التركمانى » .

كلَّل الطَّلُّ رُبَا رَبْوتِهـــا فاكْتَسى الدَّوحُ لُجيْناً وشُذُورْ
ولقد نَمَّ شَذَا بُقْعتِهـــا بابْتِسامِ الرَّوضِ عن شَرْوَى الثُّغورْ[1]
إنَّ لى مِن شَرَفَىْ مَرْجَتِهـــا مَرْتَعاً بين تهـــانِى وسُرورْ

ورَقيقُ الدَّلِّ يجْلُو قَرْقفـــاً مِن رَحيقِ الدَّنِّ والثَّغرِ الجَـــنِى
فاسْتحـــال الـــكأسُ شمساً وصفَا واخْتَلَسْنـــا طِيبَ عيشٍ أيْمَنِ

حَبّذَا النَّيْرَبُ مُصْطافُ الهنَا حيثُما أرْفُل فى الروضِ الأَريضْ
ساحِبـــاً بالتِّيهِ أذْيالَ المُنَى ولنا لاحَ من البِشْرِ وَميضْ
مع مَيْسُونَ إذا طـــارَحَنـــا نَثْرَ اللُّؤلُؤِ نَثْراً وقَرِيضْ[2]

بأبِى أحْوَرَ أحْوَى أهْيَفـــاً كلَّما ساجَلْتُه يُنْشِـــدُنِى
قُمْ بنا نَنْهَبْ أُوَيْقـــاتِ الصَّفَا قبلَ تَغْشـــانَا خُطوبُ المِحَنِ

بَاكِرِ الحَانَةَ واجْلُ الخَنْدَرِيسْ مُتْرِعاً أكْؤُسَها فاللَّهْوُ طابْ[3]
مِن رَشِيقٍ حسنِ الغُنْجِ أنِيسْ فاحِمِ الطُّرَّةِ مَعْسُولِ الرُّضابْ
يابنفسِى ثَغْرُه الدُّرُّ النَّفِيسْ ولَمًى طابَا رُضـــابٌ وحَبـــابْ

ذو حُلًى ألطَفُ من راحِ الشِّفَـا وأُحَيْـــلَى من لَذِيذِ الوَسَنِ
خُوطُ بَانٍ حازَ طَرْفاً أوْطَفـــا فضَـــحَ السُّمْرَ وبِيضَ اليَمَنِ[4]

---

(١) شروى الثغور : مثل الثغور .

(٢) فى س : « مع ميمون » ، والمثبت فى : ب .
ولم أجد ذكر الميسون هذا ، اللهم إلا أن يكون نهر يزيد سمى باسم أمه ميسون بنت بحدل بن أنيف ، أو سمى بعض منه بهذا الاسم .

(٣) الخندريس : من أسماء الخمر .

(٤) الخوط : الغصن الناعم . الأوطف : الثقيل شعر الحاجبين .

يا سَقَى الوَدْقُ لُوَيْلاتِ السُّعُودْ ورَعَى ماضِىَ أيّامِى الحسانْ
إذ تُعاطِينِى الغَوانِى بنتَ عُودْ وتُهادِينِى الأمانِى بالأمانْ
أفَلَتْ أنْجُمُ هاتيك العُهودْ بأُصَيْحابٍ وخَيْراتٍ حِسانْ

يَمِّمِ السَّفْحَ وحَيِّ الغُرَفَا واذْكُرْ آوِنَةَ العيشِ الهَنِى
كان لى عهدٌ قديمٌ وعفَا لستُ أنساهُ بتلك الدِّمَنِ

ما رِياضُ الحسْنِ مادارُ النَّعيمْ رَفَلَتْ فى ظِلِّها بِيضُ الغُرَرْ
وشَدَا العُودِ ومَغْناهُ الرَّخِيمْ والغَوانِى معْ نُسَيْماتِ السَّحَرْ
وارْتِشافُ الرّاحِ مِن راحِ النَّدِيمْ وارْتِوَا الظَّمْآنِ من لَثْمِ الثَّغَرْ

ولذيذُ الوصلِ من خِشْفٍ وَفَا بَعْدَ بُعْدٍ لسَمِيرِ الشَّجَنِ
بأحَيْلَى من مديحِ المصطفَى شارِعِ الدِّينِ الصحيحِ البيِّنِ

مَن به افْتَرَّ بل ازْدانَ الوُجودْ جَذَلًا بل منه بَدْءُ الخلقِ كانْ
وتَباهتْ أُمّهاتٌ وجُدودْ وتَساوَى كلُّ عصرٍ وأوانْ[1]
لاحَ فى المَوْلِدِ لألاءُ السُّعودْ وتَلاهُ البِشْرُ من كلِّ مكانْ

وشَدَتْ وُرْقُ الهَنا بل هَتَفَا بُلْبُلُ الأفراحِ فوقَ الغُصُنِ
وبَشِيرُ الأُنْسِ وَافَى وهَفَا رائِحُ البُشْرَى لنَفْىِ الحَزَنِ

أوْدَعَ اللهُ يَنابِيعَ العلومْ قَلْبَه فانبَجَسَتْ منه الحِكَمْ
وارْتَعَى مِن فِيهِ يَعْسُوبُ الفُهومْ فاجْتَنَى مِن أرْىِ نُعْماهُ النِّسَمْ[2]
سار من فَيْضِ عَطاياهُ غُيومْ وارْتَوَى من بحرِ كَفَّيْهِ الكَرَمْ

(١) فى ص : « وتسامى كل عصر » ، والمثبت فى : ب .
(٢) اليعسوب : ذكر النحل . والأرى : العسل .

وانتمى الفضلُ إليه والوَفَا   بوُعودٍ وببَذْلِ المِـــنَنِ
وحَباهُ وبه اللهُ اختـــفَى   بَمقامٍ دونه العَرْشُ السَّنِي

سيِّدُ العالَمِ فَضْلاً وجَـمالْ   صَفْوةُ العالَم من لُبِّ العرَبْ
مَوْرِدُ الحكمةِ يَنْبوعُ الكمالْ   عَبْقَرِيٌّ الأصلِ مَيْمُونُ النَّسَبْ
أفْرغَ اللهُ عليه ذُو الجلالْ   حُلَلَ الآدابِ حِلْماً وحَسَبْ

كعبةُ الرُّشدِ وسِرُّ الاصطِفَـا   ذِرْوةُ الفخـــرِ عِمادُ السُّنَنِ
وإذا الجَافِي سعَى أو طَوَّفَا   بذَراهُ نال عَفْوَ المُحسنِ

ولقد أُفرِدَ بالوصف البديعْ   واعتَامَهُ بالكتاب المُستبينْ(١)
بالتُّقَى تَوَّجَهُ المولَى البـــديعْ   وهْوَ للعِــلْمِ اللَّدُنِّيِّ أمينْ
وبه تحْلُو أفانِينُ البـــديعْ   برقيقِ النَّظْمِ والنَّثْرِ الحَسِينْ

فَرَعَ الخَلْقَ عُـــلاه شرَفَا   فرعَى الحقَّ بصِــدْقِ اللَّسَنِ
مِثْلَمَا السُّؤدُدُ فيـــه شَرُفَا   عَشِقَ الحسنُ مُحَيَّاهُ السَّنِي

شَأْوُكَ الأسْنَى مُحالٌ أن يُرامْ   وحُلاكَ الغُرُّ عَزَّتْ عن مَثِيلْ
مَن بها الأفْهام عَيَّتْ والقِلامْ   حَاشَ أن يَسْطِيعَها إلَّا الجَليلْ
هَبْنِيَ الإغْضاء عن فَحْوَى نِظامْ   لك يتْلُو فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجميلْ

كم مَعانِيك التي لن تُوصَفَـــا   أفْحَمتْ مِن لَوْذَعِيٍّ فَطِنِ
لـكِنِ المأْمولُ يا كَنْزَ العُفَـــا   بقَبُولٍ منك أن تُتْحِفَنِي(٢)

---

(١) اعتامه : اختاره .

(٢) العفاة : جمع العافي ، وهو طالب الفضل أو الرزق .

عَلَّنِي أُدْرَجُ فِي سِلْكِ الأُلَى ظَفِرُوا منك بتوفيقِ السَّدادْ
رَاقِيــاً مُجْبُوحَة الفَوْزِ بِلا مِحْنَةٍ تُخْطِئُه بى نَهْجَ الرَّشادْ
سيِّدى إن لم تَكنْ لى مَوْئلا فإلى مَن ألتجِى يومَ المَعــادْ

لن يخافَ الدهرَ شادٍ هتفَا وَصْفَ مَعْناكَ البَهِيَّ الحَسَنِ
فأغِثْنِي يومَ آتِي المَوْقِفــا واحْمِنِي من كلِّ ما يُحْزِنُنِي

زادَكَ اللهُ سَناءً واحْتِرامْ وصَلاةً وسلاماً دائمَيْنْ
نَفْحُها عَرْفُ لَطِيمٍ وبَشامْ وسَناها فاق ضَوْءَ النَّيِّرَيْنْ(١)
حَقَّ مِقْدارِكَ والآلِ الكِرامْ وذَوِيكَ العِزُّ سِيَما الصَّاحِبَيْنْ

ما استَبانَ ابنُ ذُكاءٍ أو خَفِي بارِقٌ من طَيْبَــةٍ واليَمَنِ(٢)
وتَحــلَّى كلُّ نَظْمٍ أَلِفَا بافْتِتاحٍ واخْتِتامٍ حَسَنِ

***

ومن ذلك قولُ جامعه الفقيرِ ، محمد المحموديّ :

حَبَّذَا جِلِّقُ دارُ الظُّرَفَا نَبعَ الفضلُ بها كالأعْيُنِ
لا تَعدَّاها سحابٌ وَكَفَا هامِلُ الطَّلِّ وصافى المُزُنِ

يا رعَى الرحمنُ ذاكَ الوادِي حولَه الأنهارُ والسَّواقِي
ماؤُها يرْوِى غليلَ الصَّادِي وصَفاهُ مثلُ ما الأحْداقِ
ورعَى الجامعَ رَحْبَ النادِي كم به من غُصْنِ عِلْمٍ راقِي

كلَّما قد غاب نجمٌ واختَفَى في سَماها من أُهَيْلِ اللَّسَنِ(٣)
أطْلَعتْ سبعين بدْراً خلَفَا أسْفَرُوا عن كلِّ مَعْنًى حَسَنِ

---

(١) اللطيم : المسك (٢) ابن ذكاء : الصبح .
(٣) فى ب : « من أهالى اللسن » ، والمثبت فى : ص .

بَلْدةٌ أحْسِنْ بها من بلدةٍ مالَها شِبهٌ لدَى البُلْدانِ
قد جرَى النهرُ بها من فِضَّةٍ وحَصاهُ دُرَرُ التِّيجانِ
وعليها جِسْرُهُ بالحكمةِ قد بَنَوْه مُحكَمَ الإتقانِ

فهْو يحكى زَنْدَ خَوْدٍ مُتْرَفَا زِينَ تِيهًا بالسِّوارِ الحَسَنِ(١)
غذَّتْهـا باللهِ ثم المصطفَى فهْىَ لا شكَّ عَروسُ المُدُنِ

كلُّ ما تهْوَى النفوسُ فى الجِنانْ من نعيمٍ وثمارٍ باقيَهْ
فهْوَ موجودٌ بها طولَ الزمانْ لم تجِدْها منه وَقتًا خالِيَهْ
لو رأى الرَّائِى مَعَانِيها الحِسانْ ورأى أبوابَها الثمانِيَهْ

قال ذِى الجنةُ من غيرِ خَفَا زُخْرِفَتْ من كلِّ شىء حَسَنِ
ادْخُلُوها بسلامٍ وصَفَا مَعْ مَزِيدِ الأَمْنِ والعيشِ الهَنِى

لو ترى الرَّوْضَ البَهِىَّ النَّضِرا يُذْهِلُ العقلَ مع الأذهانِ
أرضُه السُنْدُسُ تجلو النَّظَرَا كُلِّلَتْ بالطَّلِّ لا المَرْجانِ
وبه الأغصانُ تزْهُو إذْ ترَى قُلِّدَتْ بالزَّهْرِ ذى ألْوانِ

وإذا الأوراقُ فيهـا هُتِفَا شَمْأَلٌ إذْ هى شِبهُ الأُذُنِ
فتُثَنِّى منـه قَدًّا أهيَفَا يا لَه من قَدِّ غُصْنٍ لَيِّنِ

نَزِّهِ الطَّرْفَ بسَفْحِ الجبلِ وانْتَشِقْ عَرْفَ الُخزامَى والعَرارْ(٢)
وانْظُرِ الغِزْلانَ سُودَ المُقَلِ تتهادَى بين قَصْرٍ ومَزارْ
واشْرَبِ الماءَ الذى كالعَسَلِ ذابَ من ثَلْجٍ فما الخمرُ العُقارْ

واستَمِعْ قولَ مُنادٍ مُنصِفَا ذا مِنِ الفِرْدَوْسِ وافانا سَنِى
يا حَبيبى اشْرَبْ هنيئًا وشِفَا شَرْبةً تُنْعِشُ رُوحَ البَدَنِ

---

(١) الخود: المرأة الشابة. (٢) الخزامى: نبت زهرة من أطيب الأزهار. والعرار: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة.

واجْتَنِ الأثمارَ من تلك الغصونْ   وادَّكِرْ جنَّاتِ عدْنٍ والنَّعيمْ
جلَّ مُبْدِيها بكافٍ وبنُونْ   صِبْغةُ البارِى المُهَيْمِنْ والرَّحيمْ
سِيَّما الأعنابُ تُبْهِر للعيونْ   طَعْمُها كالشهدِ يُبْرِى للسَّقيمْ

كلُّ عُنقودٍ إذا ما قُطِفَا   فهْو خيرٌ من خَراجِ اليَمَنِ
بل خَراجُ الرُّومِ أيضا والكِفَا   مَن رأى ذلك قد صدَّقني

دام لى البَسْطُ بها بالبِشْرِ   معْ أُصَيْحابِى سُراةِ المَجْدِ
مَن عُلاهم فوقَ هامِ النَّسْرِ   فَضْلُهم ليس له من حَدِّ (١)
قَلَّدُوا الشامَ بعِقْدِ الفخرِ   زاهِيًا أحْسِنْ به من عِقْدِ

فهمُ الساداتُ من أهلِ الوَفَا   وهمُ القاداتُ طولَ الزَّمَنِ
صانَهُمْ مولاىَ ما طَرْفٌ غَفَا   مِن صُروفِ الدهرِ بل والمِحَنِ

وحَماهُم من رَكِيكِ الشِّعْرِ   بل من التَّنفيرِ والتَّعقيدِ
ووَقاهُم عثَراتِ الفِكْرِ   ومِن اللَّفظِ الرَّدِى المَرْدُودِ
ورَعاهُم طُولَ مَرِّ الدَّهْرِ   ما حَباهُمْ بالثَّنا المَحْمُودِ

وكَفَى مَن منهمُ سَهْوًا هَفَا   وحَمَى ألْسُنَهم من لَكَنِ
حَسْبُهم رَبُّ البَرايَا وكَفَى   فهْو غَفَّارٌ لعبدٍ مُؤْمِنِ

وصَلاةُ اللهِ رَبِّى والسلامْ   والتحيَّاتُ عَلَى رَاقِى الذُّرَا
أحمدُ الهادِى إلى سُبْلِ السلامْ   كلُّ مَدْحٍ عن عُلاهُ قَصَّرَا
أوَّلُ الخَلْقِ به مِسْكُ الخِتامْ   للنَّبِيِّينَ مَلاذُ للوَرَى

وعلَى الآلِ الكِرامِ الخُلَفَا   وعلَى الأصْحابِ أهلِ الفِطَنِ
كلَّما خطَّ أرِيبٌ أحْرُفَا   فى مَدِيحِ الخاتَمِ المُؤْتَمَنِ

❊

(١) النسر: كوكبان: الواقع، والطائر.

الفصل الثاني

في من انتشا من بلغاء المدينة المنورة

على ساكنها أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ السلام

لا بَرِحَتْ أنفاسُهُمْ بالآداب مُعَطَّرَة على مَرِّ الشهور والأعوام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فيهم :

٢٢

عبد الرحمن بن محمد بن عابدى

فارسٌ طَلْق ، ومُخْتار خُلُقٍ وخَلْق .

عارفٌ بما يَبْرِيه ويَرْمِيه ، وسيفُه يحفظ مجدَه وقلمُه يحْمِيه .

فأدَبُه اشْتَمل على وقايةِ الله دِرْعاً مُفاضَة ، والْتحَف عِزَّةَ النفسِ أثْوابا فَضْفاضَة .

وهو فى هذا الشأن وَافِرُ البضاعة ، مَصُونُ الأوقات فى التحصيل عن الإضاعة .

فهو تامٌّ فى آلَته ، كامل فى حَالَتِه .

مع شِدَّةِ فهم ، أسْرَع من نُفُوذِ السَّهْم .

إلى رِقَّةِ طِباع ، مُتحَلِّيةٍ بلُطْفٍ وانْطِباع .

وقد وَرَدَتْ علىَّ منه رسالة ، عَرَّفَتْنى بأنه تبجَّح بين بَراعةٍ وبَسالة .

وهى كما تراها ، فتقول : ما أحقَّها بالتَّنْوِيه وأحْراها .

وهى :

تحياتٌ عَنْبَرِيَّةُ الشَّمِيم ، وتسليماتٌ سِحْرِيَّةُ النَّسِيم ، وثناء أعْطَرُ من رَحِيقٍ مِزاجُه تَسْنِيم[1] ، وأنْضَرُ من مُحيَّا الوَجْهِ الوَسِيم ، وأضْوَعُ من روضٍ سَقَاه مُضَاعفُ الغَيْثِ العَمِيم .

إلى الذَّاتِ التى أصبحتْ إنسانَ العينِ ، وعينَ الإنسان ، والحضرةِ التى يقصُر عن اسْتِيفاء صِفاتِها البَيان والتِّبيان .

---

(١) التسنيم : هو أرفع شراب أهل الجنة . غريب القرآن لابن عزيز ٧٥ .

مَلِكُ أَئمّـةِ اليَراعة ، ومالِكُ أزِمّةِ البَراعة .

لا زالتْ صُدورُ الدُّرُوسِ مُجمَّلةً بغُرَرِ فوائده ، وسُطورُ الطُّروس مُـكمَّلةً بدُرَرِ فرائده .

وبعد ؛ فقد فَهِمْنا الإرادةَ لشيءٍ من كلامِ أهل طَيْبةَ المُطيِّبـةِ المُـكرَّمة ، وجيران الأماكن الزكيّـةِ المُحرَّمة .

جَبْراً لخواطِرهم ، وإلّا فذلك البحرُ غيرُ محتاجٍ لجواهرهم .

فبعثتُ شيئًا ممّا جادت به القَرِيحة ، اتّـكالا على ما عنـدكم لأهلِ هذه البـلدة من المَوَدَّة الصحيحة .

وكان الأحْرَى أن لا أفُوه ببِنْتِ شَفَة ، وأن لا أَضُمَّ خَرَزَةً إلى تلك الجواهر البديعةِ الصِّفة .

فمهلًا يا إمامَ البلاغة فما مِنّا من يُجارِى ويُساجِل ، ورِفْقـاً فما في القُطْرِ الحَرَمِىِّ من يُبارِى ويُباهِل[1] .

غيرَ أنّا نستمدُّ من مَقاطِرِ أقلامِك ، ونستَنِد إلى مَعاطِرِ أرْقامِك .

وأمّا « نفحة الريحانة » فهو الذى ترك رِقَّ البلاغة مُـكاتَباً بحُسْنِ تدْبيرِه ، ونزَّهنا في حدائق الإنْشاء بعد وُرُودِه على زَهْرِ مَنْثورِه .

ولا بِدْعَ فـكم جَلَتْ لنا مَعَالِيه[2] عَرُوسَ الأفراح ، واهتدينْا بنُورِ مَعانِيه ففُتِحتْ لنا أبوابُها بغير مِفْتاح .

وكيف لا ومُنْشِيه قد أُوتِىَ بمُعْجِز محمد والإضافةُ للفاعل ، وأُوتِىَ من سحرِ البيان ما لم يبلُغه قولُ قائل ، ولا أدْرَكه السَّوابِقُ من الأوائل .

---

(١) يقال : باهل بعضهم بعضا ، أى تلاعنوا . وهو يعنى هنا الغلبة في الحجاج .

(٢) في ص : « مقاليه » ، والمثبت في : ب ، ولم أهتد إلى ما يعنيه .

وقد تطفّل الفقير ، على مَدْحِ ذلك الجناب الخطير .

بهذه الأبيات ، المخصوصةِ بالإثبات ، وهي :

سلامُ اللهِ ما طلَع النّهارُ وهبّتْ شمْألٌ وشدَا هَزارُ (١)

وما حَيَّى الحَيَا وادي دمشقٍ وصافح كفَّ رَبْوتِها البَهارُ (٢)

على المَولَى الذي ساد المَوالِي وساد بفضلِ سُؤددِهِ الكبارُ

على فَرْدِ الأنامِ ولا تَحاشٍ على شيخِ العلومِ ولا اعْتذارُ

تَتِيهُ به دمشقُ وما حَواها على الخَضْراء والشّهْبا تغارُ

يُفِيد الطّالبين نَدًى وعِلْماً وحضرتُه لأهلِ العِلمِ دارُ

كأنهمُ نجومٌ وهْو شمسٌ ومجلسُهم به فَلَكٌ مُدارُ

وما بَرِحُوا لَدَيْه وُفودَ فضلٍ لذاك إليه في العلْيا يُشارُ

فيا مَن رام فَضْلًا لا يُضاهَى محمدٌ الأمينُ له الفَخارُ

بِدايتُه نِهايةُ حاسِديه وساحلُ بحرِه لهمُ قَرارُ

هو البحرُ الذي يُلْقِي اللّآلِي وسُفّارُ العلومِ لها تِجارُ (٣)

فيا فَرْدَ الزمانِ نَصبْتَ فينا لِواءَ الفضلِ وارْتفع المَنارُ

فإنّك من ذَوِي شرفٍ رفيعٍ عِماداهُ السَّكِينةُ والوَقارُ

لك التّاريخُ طُومارُ المَعالِي وفَضّاحُ مُحقّقُه المُشارُ (٤)

نَسخْتَ به رِقاعَ مُناظِريهِ وليس على حَواشِيه غُبارُ (٥)

به الحِكَمُ التي جُمِعتْ فَصحّتْ وقابَلها قَبولٌ واعتبارُ

ونَفْحةُ حانةِ الآدابِ دارتْ على أهلِ النُّهَى منها عُقارُ

---

(١) الهزار : طائر غريد .

(٢) البهار : نبت طيب الرائحة . (٣) السفار : جمع السافر ، وهو المسافر . (٤) الطومار : الصحيفة .

(٥) في ب : « رقاع معاصريه » ، والمثبت في : ص .

سُلافتُها لأهلِ العصرِ تَرْوِى ... وكاساتُ البديعِ بها تُدارُ
ولكنْ ما شَذَا نحوى شَذاهَا ... وفى إرْسالِها لكمُ الخيارُ[1]
ودُمْ واسلَمْ بَقاءَ الدهرِ فينا ... وخادمُك المَسَرَّةُ واليَسارُ
ولا زالتْ نجومُكَ فى سُعودٍ ... ومُشْرِقةً بطالِعك الدِّيارُ

***

وقوله ، يمدح سيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، عمَّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم :

لَمن هذه الأنوارُ تعْظُمُ أن تخْبُو ... لَمن هذه الأسرار يمنَحُها الرَّبُّ
لَمن هذه الأملاكُ تُهْدِى سلامَها ... لَمن هذه الرَّحماتُ عاكِفةً تصْبُو
لحمزةَ عمِّ المصطفَى فَخْرِ هاشمٍ ... كريمِ السَّجايا ذلك البطلُ النَّدْبُ[2]
هو الليثُ لَيْثُ الله فالدين غابُهُ ... بَراثِنُه الإيمانُ مَطْعَمُه القُرْبُ
له مَشْهَدٌ بيتُ القصيدةِ شاهدٌ ... على أنَّ أهلَ البيتِ فخرُهمُ حَسْبُ
كريمٌ ولا مَنٌّ حَليمٌ ولا رِيًا ... عظيمٌ ولا كِبْرٌ عليهم ولا كَسْبُ
جوادٌ يُذِلُّ المالَ فى جَنْبِ عِزِّهِ ... وتخْجَلُ من ذِكْرَى مُروءتِهِ السُّحْبُ
له راحةٌ فيها لِراجيهِ راحةٌ ... وكَفٌّ به قد كُفَّ عن جارِه الخطْبُ
تَخِذتُ المُنَى نُوقًا إلى سُوحِ ماجدٍ ... ومن حادثاتِ الدهرِ فى ساقتِى رَكْبُ[3]
فآبَتْ كما شاءتْ عَواطِفُ بِرِّهِ ... تُغازِلُنِى الأفلاكُ والسَّبْعةُ الشُّهْبُ
وإن الذى أمْسَى وحمزةُ قَصْدُه ... تعذَّر فى نَيْلِ المطالِب أن يَكْبُو
فيا ابنَ وُلاةِ البيتِ دُونَكَ مِدْحةً ... تُترجِم ما يُمْلِى لأوزانِها القلبُ[4]
تَفَضَّلْ وقابِلْها بجَبْرِكَ كَسْرَها ... وبادِرْ فلا يتْلُو بَوادِرَكَ العَتْبُ

---

(١) شذا شذاها : أى انتشر طيبها .   (٢) الندب : السريع الخفيف فى الحوائج .
(٣) الساقة : الموكب ، أو مؤخر الجيش .
(٤) ق ب : « دونك رحمة » ، والمثبت فى : ص .

وَلاؤُكُمُ روحٌ ورُوحِيَ جِسْمُها ... وإعْراضكم داءٌ ولُطْفُكُمُ طِبُّ
عليكم صلاةُ اللهِ آلَ محمدٍ ... ويتلُوكمُ فيها العَشِيرةُ والصَّحْبُ

***

وقوله ، من قصيدة :

أَلْحبُّ ماشَقَّ المَرائِرْ ... وأباحَ أسْرارَ الضمائِرْ
لى فى الغرامِ مَوارِدٌ ... بلَغ الفؤادُ بها المَصادِرْ
سبَقَ التَّصبُّرُ سَلْوتِى ... والدَّمْعُ فى الخدَّيْن عاثِرْ
ياقاتلَ اللهُ العيو ... نَ فما لمن قتلَتْهُ ثائِرْ[1]
دِيَةُ المُحِبِّ غرامُهُ ... وقِصاصُها إحْدَى الكبائِرْ
عَجَباً لها تَسْبِى وتَأْ ... سِرُ وهْىَ فى حِجْرِ المَحاجِرْ[2]
بى قامةٌ خطَرتْ برُو ... حِى والهوى فينا مُخاطِرْ
دَعْ عنك تشْبِيهِى لها ... بغُصُونِ روضاتٍ نَواضِرْ
الغصنُ يُثْمِرُ بالنَّوَى ... والقَدُّ يُثْمِرُ بالنَّواظِرْ
لِقَوامِه فِعْلُ الطِّوا ... لِ ولَحْظِه فعلُ البواتِرْ
رُحْ سالماً أوْلا فما ... لك قُوَّةٌ منه وناصِرْ
حُسْنٌ تَكوَّنَ من سَنًا ... والخلْقُ من تلك العَناصِرْ
مَن ذا يُماثِلُه وأرْ ... بابُ المِلاحِ له عَساكِرْ
نَمَّتْ عليه شمائِلٌ ... مِن مِثْلِها تبدُو السَّرائِرْ
بَدْرٌ أشعَّةُ نُورِه ... سَبَبٌ لتعليقِ الخَواطِرْ
نَشْوانُ ماشَرِب الطِّلا ... نَعْسانُ ماسِهر الدَّياجِرْ

---

(١) ثائر : أى يأخذ بثأره منها .

(٢) فى ب : « تسبى وتأثر » ، والمثبت فى : ص .

أحيي ببارِدِ رِيقِهِ ... وأظَلّ إذْ يهتزّ فاترْ

لله كم زُمَرٍ سَبَا ... ولُهْجتي يس فاطِرْ[1]

سَفَهٌ مُحاجَجَةُ العَذُو ... لِ ووجهُه أبْدَى الغَدائِرْ

يبْدُو فبدرُ التمِّ يَرْ ... كضُ والغَزالُ يظَلُّ نافِرْ

دَلّتْ ثنَاياهُ بأنّ ... الدُّرَّ مَثْمَنُه الأصاغِرْ

***

هذا من قول ابن النَّبيه[2] :

ولم أرَ قَبْلَ مَبْسِمِهِ ... صغيرَ الجوهرِ المُثْمِنْ

***

زاكِي المَغارِسِ طَيِّبٌ ... والفَرْعُ مثلُ الأصل طاهِرْ[3]

يَحْمِيه عن فِعْلِ الخَنَا ... ماقد حَواهُ من المَفاخِرْ

نالَ السَّماءَ بِنِسْبَةٍ ... شَرُفَتْ وشَرّفتِ المنابِرْ

أرْجُوه ذُخْراً باقِياً ... لي حين ما تُبْلَى السَّرائِرْ

لي فيه حُسْنُ عقِيدةٍ ... أرْجُو بها رَفْعَ الضَّرائِرْ

عَلِّي أفوزُ بنَظْرةٍ ... من جَدِّه كَنْزِ الذّخائِرْ

بَحرِ النَّدَى فخرِ الهُدَى ... كَسْرِ العِدَى نَصْرِ المُؤازِرْ

دِيني هَواهُ ومُنْيَتِي ... ألْقاهُ للزَّلاتِ ساتِرْ

يارَبِّ أبلِغْهُ الصَّلا ... ةَ من الذي لِهُداه شاكِرْ

تَتْلُو السَّلامَ بآلِه ... وبصَحْبِه بَدْءاً وآخِرْ

***

---

(١) يشير إلى : الزمر ، وسبأ ، ويس ، وفاطر ؛ من سور القرآن الكريم .

(٢) ديوانه ٤٠ ، ونفحة الريحانة ١/ ٩٠ . (٣) من هنا إلى آخر القصيدة لم يرد في : س .

وقوله أيضا :

أَسَرَ المحاسِنَ واستباحَ زمانَهُ   قَمَرٌ أُعِيذُ بعِزِّهِ سُلْطانَهُ

حَجَبَتْهُ أنوارُ الجمالِ فلا تَرَى الْ   عُشَّاقُ من لَمَعانِهِ أشنانَهُ

مازال يطرُقُ كلَّ قلبٍ حُبُّه   حتى غدَتْ أعوانُه أعيانَهُ

بدرٌ ولكنْ لم يزلْ بمنازلٍ   مُذْ حَلَّها لا يختشِي نُقْصانَهُ

رَقَّتْ صحيفةُ خدِّهِ فتوهَّمَتْ   أبصارُنا أحداقَها خِيلانَهُ

***

أَلَمَّ بقَوْلِ مُظَفَّر الأعمَى[١] ، حيث قال[٢] :

لا تحسَبوا شامةً فى خدِّه طُبِعتْ   على صَحيفةِ خَدٍّ راقَ منظرُه[٣]

وإنّما خدُّه الصافِي تخالُ به   سوادَ عَيْنَيْكَ خالًا حين تَنْظُرُه[٤]

وألطف منهما قولُ الأميرِ المَنْجَكِي[٥] :

لَمَّا صَفَتْ مِرْآةُ حُسْنِك أيقنَتْ   عَيْناىَ أنِّى صِرْتُ فيك خَيالَا[٦]

وحَسِبْتُ أهْدابِي بوَجْهِك عارِضًا   وظَنَنْتُ إنْسانِى بخَدِّك خالَا[٧]

***

(١) هو مظفر بن إبراهيم بن جماعة العيلاني المصرى .

أديب ، شاعر مجيد ، له فى العروض « مختصر » دل على حذقه ، وله « ديوان شعر »

ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمصر ، وتوفى بها سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

إنباه الرواة ٣/٣٣٠ ، ٣٣١ (حاشيته) ، معجم الأدباء ١٩/١٤٨ - ١٥١ ، نكت الهميان ٢٩٠ - ٢٩٣ ، وفيات الأعيان ٤/٣٠١ - ٣٠٤ .

(٢) البيتان فى إنباه الرواة ٣/٣٣١ (حاشيته) .   (٣) فى إنباه الرواة :

لا تحسبوا فى حلاه شامة طبعت   على نضارة خد راق منظره

(٤) فى الإنباه : « سواد عينك خالا حين تنظره » .

(٥) ديوانه ١٢٥ ، والنفحة ١/٤٠٤ .

(٦) فى الديوان : « مرآة وجهك .. أنى عدت فيك .. » ، وفى النفحة : « مرآة وجهك .. أهواى أنى عدت .. » .

(٧) فى الديوان : « وظننت أهدابى ... وحسبت إنسانى .. » ، وفى النفحة : « بخدك عارضا .. وحسبت إنسانى » .

عَوْداً :

نَمَّتْ بأسْرارِ الرِّياضِ خُدودُهُ لَمَّا حَكَتْ عذَباتِها تيجانَهُ
مُتأوِّدُ الحرَكاتِ لولا أنَّهُ بَشَرٌ لِخَلْنا رُوحَه جُسْمانَهُ
دَمِثٌ تكَلَّفَ للمُحِبِّ قَساوةً ورأى إساءتَه له إحْسانَهُ
عَجَباً لبارِدِ ثَغْرِه لم يَبْتسِمْ حتى رأى من مَدْمَعِى هَتَّانَهُ
أفْدِيهِ لِمْ كَرِهَ التَّعطُّفَ قَدُّهُ نَحْوِى أيَخْشَى أجْتَنى سَوْسانَهُ
وهَواهُ وهْو أَلِيَّةٌ مَبْرورَةٌ ماحَلَّ فِكْرِى ساعةً هِمْيانَهُ(١)
أهْواه لا لِدَنِيَّةٍ وأغارُ مِن نَسْجِ الحريرِ إذا كَسا أعْكانَهُ(٢)

***

وألْطَفُ ماقيل فى الغَيْرة قولُ بعضِ الأنْدَلُسيِّين :

إنِّى لأحسُد ناظِرَىَّ عليْكا حتى أغُضَّ إذا نظرتُ إلَيْكا
وأراكَ تَخْطِر فى مَحاسِنِكَ التى هى بُغْيَتِى فأغار منك عليْكا
ولو استطعتُ منعتُ لَفْظَكَ غَيْرةً كى لا أراه مُقَبِّلًا شفَتَيْكا
خَلَصَ الهوى لى واصْطَفَتْكَ مَوَدَّتِى إنِّى أغارُ عليك من مَلَكَيْكا

***

عَوْداً :

للهِ جَفْنٌ لا يَقَرُّ قَرارُه حتى يرَى من مالكٍ رِضْوانَهُ
أيَرُومُ سُلْوانِى العَذُولُ بجهلِهِ ويصُدُّنى عنه ويهْضِم شانَهُ
نَمْ يا خَلِىُّ ودَعْ نصيحةَ وَالِهٍ ما مَنْ أباحَ هَوًى كَمَن قد صانَهُ

---

(١) الألية : الحلف . والهميان : ما يشد حول الوسط وأراد به الإزار . (٢) الأعكان : طيات البطن.

صَبْرِي تَرَحَّلَ والفُؤادُ مُشَيِّعٌ   وعظيمُ وَجْدِي عامِرٌ أوْطانَهُ
عِشْقِي قديمٌ في هَواهُ ولَوْعَتِي   لا تَنقضِي أو أجْتنِي رَيْحانَهُ

***

ومن بَدائعه قوله :

باحَتْ بِسِرِّ مُحِبِّكم أحْشاؤُهُ   والصبرُ خالَفَهُ وقَلَّ وَفاؤُهُ
يبكِي العَقِيقُ فماؤُه من دَمْعِه   ومِنَ المَحاجِرِ فُتِّتَتْ حَصْباؤُهُ
وعلى الكَثِيبِ ولا أُصَرِّحُ باسْمِ مَن   سَلَبَ العُقولَ جمالُه وبَهاؤُهُ
بدرٌ تَستَّرَ بالكمالِ ودُونَهُ   بِيضُ النِّصالِ وهكذا رُقَباؤُهُ
ما كنتُ أحْسَبُ أنَّ يومَ قِيامتِي   يومُ الرَّحيلِ بما يَعِزُّ لِقاؤُهُ
يا مَن يُؤَنِّبُ عَبْرةً تجرِي دَماً   السَّفْحُ بعدكمُ تَغَيَّرَ ماؤُهُ
قِفْ واستمِعْ منِّي شَكِيَّةَ وَالِهٍ   لو رامَ بَثَّ الوَجْدِ طال عَناؤُهُ
إنْ جئتُ أُكتِمُ قيل بُخْلاً بالهوى   أو جئتُ أُعْلِن قيل ضاق وِعاؤُهُ
فمَنِ المُعَذَّبُ قبلَه يَبْغِي هوًى   ويَرُومُ أمْراً دَقَّ عنه خَفاؤُهُ
إن لاح ليلٌ فهْو منه ثاقِبٌ   أو لاح صُبْحٌ لم يَبِنْهُ ضِياؤُهُ
إنِّي أُحَذِّرُكَ الهوى فصَباه من   عارٍ ومن نارِ اللَّظَى نَكْباؤُهُ[1]
والحقَّ أتْبِعْ إنَّ مَرْضاةَ المُنَى   وغَرامَ كُلٍّ حيث حَلَّ هَواؤُهُ[2]

***

فعارَضه الأديب الشيخ[3] محمد أمين بن علي أمين[3] المَدَنيّ ، بقوله :

أخْفَى الهوى وتحدَّثت رُقباؤُهُ   فتمزَّقتْ أيْدِي سَبا أحْشاؤُهُ

---

(١) النكباء : الريح تنحرف عن مهاب الرياح القُوَّم وتقع بين ريحين .

(٢) لعله يعني بـ « مرضاة » مرضاته .   (٣) في س : « أمين بن علي بن أمين » .

صَبٌّ طَوَتْ أضلاعُه جَمْرَ الغضا لولا الأُبَيْرِقُ والعُذَيْبُ وماؤُهُ
ماخانَهُ الصبرُ الجميلُ وعافَهُ إلَّا عَصاهُ جميلُهُ ووفاؤُهُ
وبىَ الذى لولا جَوارِحُ طَرْفِهِ نَمَّتْ على غُصْنِ النَّقا وَرْقاؤُهُ
غُصْنٌ إذا ماحرَّكتْهُ يَدُ الصَّبا أو ماس يسْقُط فى الغَدِيرِ رِداؤُهُ
ثَمِلُ المعاطِفِ كاديشربُ خَدَّهُ لَحْظِى وتشرب مُهْجَتِى أعْضاؤُهُ
ويكاد من لُطفٍ يهُبُّ مع الصَّبا ويسيل من تَرَفِ النَّعيم رِداؤُهُ
ماطَرَّ شارِبُه وخُطَّ عِذارُهُ لكنْ تَوَرَّد حُسْنُه وبَهاؤُهُ
رَقَّتْ شمائلُه ورَقْرق وجهُهُ ماءَ الجمالِ فراقَ فيه رُواؤُه
تاللهِ لولا رِقَّةٌ فى خَصْرِه مارَقْرَقَتْ دمعَ النَّوَى بُرَحاؤُهُ
كَلَّا ولولا غِلْظَةٌ فى رِدْفِهِ ما أثْقَلَتْ ظهرَ الهوى أعْباؤُهُ
يامَن يؤَنِّبُ مُقْلتِى فى نَظْرةٍ والقلبُ قد عَبَثَتْ به أهْواؤُهُ
ويظَلُّ يجْهَد فى نصيحةِ وَالِهٍ أبدًا ينوح صَباحُه ومَساؤُه(١)
ويلُوم فى خَلْعِ العِذارِ بمُشْتَكِى وتَراهُ من عارِ الصِّبا آراؤُهُ
اللهُ يعلم أنَّ عِشقِى ظاهرٌ والوَجْدُ ليس بمُمْكِنٍ إخفاؤُهُ
وإليْك مَعْذِرَتى فعُذرُ ذَوِى الهوى عندى وحسْبى صَدُّه وجَفاؤُهُ

***

وقد عمل المترجَم « تاريخا » فاعْتَرض عليه بعضُ أدباء عصره فى المدينة المُنوَّرة ، من جهةِ الوزن ، فكتب إلى العالم العَلَّامة سيدنا الشيخ عبد الغنىّ ، حفظه الله(٢) ، يسألُه عن ذلك(٣) ، وصورةُ ما كتبه قولُه :

إلى ماجدٍ ذَلَّتْ صِعابُ القصائدِ مُمنَّعَةَ الآداب عن كلِّ قاصدِ

---

(١) فى ب : « ويظل يجهد » ، والمثبت فى : س .
(٢) فى س بعد هذا زيادة : « وذلك حين كان فى المدينة ، سنة ١١٠٥ » .
(٣) فى س بعد هذا زيادة : « وقد كنت إذ ذاك معه فى خدمته » .

إلى حَكَمِ الآدابِ إنسانِ عَيْنِها ... إلى رُوحِ جسمِ الفضلِ شمسِ الأماجِدِ

إلى مَن حوَى من كلِّ فنٍّ أصولَهُ ... إلى مَن غدَا بيتاً لحجِّ المقاصِدِ

يُمَيِّزُ منها زَيْفَهـا من نُضارِها ... ويَفْصِلُ منها بين جارٍ وراكِدِ

تحرَّكَ داعِي الوَجْدِ يوما بدَوْحةٍ ... بها جَمْعُ أحْبابٍ وبَسْطُ فوائِدِ

فجاءتْ بأبْياتٍ خَلَتْ عن قُصورِها ... على الغايةِ القُصْوَى قَرِيحةُ وَاجِدِ

ولكنَّها كادتْ تَسِيلُ لَطافةً ... فناظَرَها دهرٌ بمُقْلةِ جاحدِ[1]

ولا غيرَ فَعْلانِ المطَرَّزِ وَشْيَها ... فهل فيه عَيْبٌ عند ذَوْقِ المناشدِ[2]

وهذا بَهاءُ الدِّينِ عالمُ فارسَ ازْ ... تَضاهُ وهل يكْفِي به من مُساعِدِ[3]

فلا زالتِ الأقْلامُ تسْعَى لنَحْوِكمْ ... فيَرْجعْنَ من دارِينَ مَلْأَى الموارِدِ[4]

ولا انْفكَّ بحرُ الشِّعْرِ يجرِي بفَيْضِكمْ ... فيقْذِفُ عنه عَنْبَراً في الموارِدِ

ودُمْ حَكَماً عدْلاً لكلِّ عَوِيصةٍ ... تُزِيلُ صدَا إشْكالِها عن مُعانِدِ

أدام الله عزَّ مولانا المنِيعِ ، غارةً طلَعتْ من شِعْبٍ مَضِيق ، ووادٍ سَحِيق ، فأغارتْ على رَبيبَةِ فكرِي ، وظَعِينةِ صدْرِي .

فأُعِيذ صاحِبَها الباهِرِ بمجدِ مولانا ، من نَيْلِ جَهُولٍ إذا عَسْعَس[5] ، ومن أرْقَمَ حَسُودٍ إذا تنفَّس .

وما ذاك إلا الضَّرْب الداخلُ على أهلِ الذَّوْق بالاسْتِبْدان ، المعوَّض عن فعان بفعلان .

وكنتُ ـ كما علم الله ـ من ذلك حَذِرا ، أُقدِّم في إظْهار القصيدة رِجْلاً وأؤخِّر أخرى .

---

(١) في ص : « بمقلة جامد » ، والمثبت في : ب . (٢) في ص : « ولا غير مفلان المطرز » ، والمثبت في : ب .

(٣) يعني الملا بهاء الدين العاملي ، وسبقت ترجمته في الصفحة ٢/٢٨١ .

(٤) دارين : فرضة بالبحرين ، كان يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٢/٥٣٧ .

(٥) عسعس : أظلم ، أي اشتد في جهالته .

حتى رأيتُ المنلا بها ، الدين مُفْتِي شاه عباس[1] استعمله[2] في قصيدته التي مطلعها قولُه[3] :

يا نَدِيمي بمُهْجَتي أفْدِيكْ   قُمْ وهاتِ الكُؤُوسَ من هاتِيكْ

فأقْدمتُ بعد ما أحْجَمْتُ ، وتابعتُ بعد أن أبْدَعْتُ .

وها أنا أسأل الله الكريم ، أن يَهَبَ لها من حَلْبةِ البلاغة فارسا يَفُكُّ بأيْديه أسْرَها ، ويُعيد رَبْعَها بعد الوَحْشة آنِسا ويَنْقُد[4] بسِتر الجواب مَهْرَها .

لا زالت رِكابُ الفوائد بسَرْحِكم مُناخة ، ولها بحضْرتكم العليَّة دراسة ودِراية ونَساخة ، آمين .

وهاهي صورة الأبيات المذكورة :

صاحِ بادِرْ لمشْرِقِ الأنْوارْ   وتَمتَّع بمَطْلَعِ الأسْرارْ

وتَمتَّع برَوْضةٍ عظُمتْ عن سِواها بحيرةِ المُخْتارْ

رَوْضةٌ أيْنَعتْ عَصائِدُها حين جاءتْ طِلالها الأنْهارْ[5]

وعَرُوسُ النَّخِيل قد جُلِيَتْ   وتجلَّتْ قلائِدُ الأثْمـارْ

وتَهادَتْ والطَّلُّ نَقَّطَها   بجُمانٍ وفاحتِ الأزْهارْ

رَقَصَ الغُصْنُ حولَها طَرَبًا   وتَغنَّتْ سَواجِعُ الأطْيارْ

ضاعَ فيها عَبِيرُ نَرْجِسِها   ونسيمُ الصَّبا عليه دارْ[6]

وحَوَتْ بِرْكةً مُربَّعةً   جَلَّ تَثْمِينُها عن المِقْدارْ

وبأمْواهِها ترى نُزَهًا   يالعمْرِي تَسْتوقِفُ الأبْصارْ

---

(١) هو عباس بن محمد ، سلطان العجم ، تقدم له ذكر في النفحة ١ / ١٩٠ ، ٢ / ٢٨١ ، ٢٩٢ .

(٢) في الأصول : « استعمل » . (٣) انظر النفحة ٢ / ٢٨٢ . (٤) في الأصول : « ويفقد » .

(٥) الطلال : جمع الطل ، وهو المطر الضعيف أو الندى . (٦) ضاع : انتشر وعبق المكان .

فهى تجلى هموم ذى شجن ... بشذاها وتصقل الأفكار
قد حكت حسن خلق ساكنها ... من تحلى بحلية الأخيار
الجمال الذى به انتظمت ... درر الصحب فى طلا الأسمار
نجل عبد العزيز من شهدت ... بمزايا صفاته الأخيار
جددت مذ جلى محاسنها ... ببياض فزادها أنوار
جاء تاريخا على عجل ... حين لا بد نعم هذى الدار[1]

***

فأجابه جناب الأستاذ المحترم ، الشيخ عبد الغنى المكرم ، من الوزن ، بقوله :

سرت بين يقظان الغرام فراقد ... نسيمة لطف من سماء فراقد
فأهدت شذا روض الكمال لناشق ... وأبدت معانى فضل أهل المحامد
فجاءت ترينا حسن مطلع وجه من ... حوت بردتاه مجد فخر الأماجد
رضيع لبان الفضل والأدب الذى ... زكا مشرب الآداب منه لوارد
إليك فخذ منى جوابا مفصلا ... كعقد لآل فى نحور الخرائد[2]
ودع عنك صرف الزائدين عن الملا ... بتسويل مصروف ووسواس حاسد
فقد يجمع الإنسان مع غير جنسه ... كما جمعوا خلدا بلفظ مناجد[3]
هو الشعر إلا أنه البحر للحجا ... ولكنه عصر الشباب المعاود
ولطف معان فى سلاسة منطق ... يميل بأفكار الحجا المتزايد
وقد جاء فى بحر المديد وفاؤه ... بفعلان فى فعلن كثير القصائد

---

(١) التاريخ هو قوله : « نعم هذى الدار » ، وهو مكتوب بالحمرة فى النسختين .

(٢) فى ب : « فخذ عنى » ، والمثبت فى : ص .

(٣) الخلد : ضرب من الفيرة ، والفأرة العمياء، ويجمع على مناجد، من غير لفظه. انظر القاموس (خ ل د).

ومن ذلكَ الطِّرْماحُ أبلغُ شاعرٍ ... قصيدتُه الغَرّاءُ ذاتُ الفَرائدِ[1]

أتتْ « شَتَّ شَعْثُ الحيِّ » فاسمعْ مقالتي ... ففيها يُرى بعدُ الْتئامٌ لقاصدِ[2]

ونحنُ لنا فيه القصيدُ بوَزْنِ يا ... نَديمي وقُلْ أفديكَ جَمُّ الفوائدِ[3]

وكم من قصيدٍ هكذا جاءَ وزنُها ... لأكْمَلِ مِنْطِقٍ وأفصحِ ناشدِ

ومقصودُ أهلِ الذَّوْقِ حُسْنُ تناسُقٍ ... ورِقَّةُ لفظٍ في انْسِباكِ شواهدِ

وشأنُ مُراعاةِ العَرُوضِ تكلُّفٌ ... فيأتي بلفظٍ ناظمُ البيتِ باردِ

كما أنَّ حُسْنَ الصوتِ يُطْرِبُ والذي ... يُحَرِّرُ بالتَّقْصيدِ أسمجُ كاسدِ

وإن كان وَاعِي صَنْعةِ اللَّحْنِ كلِّها ... بعلمِ المُوسِيقَى وجَسَّ المَزاوِدِ

وغايتُه الإعجابُ بالصَّنْعةِ التي ... بها قد أتى قَصْدًا لَدَى كلِّ ناقدِ

ومقصودُ أهلِ الشِّعْرِ طَلْقُ أعِنَّةٍ ... على حَسَبِ الطبعِ السليمِ التَّوالُدِ

وهَذِّبْ معانِيه وحَرِّرْ نِظامَه ... بأعْذَبِ لفظٍ سائلٍ غيرِ جامدِ

ولا تَلْتفِتْ للمائِبين لأنهم ... عن المَنْهَلِ الصَّافِي الهَنِي بالمَراصِدِ

ودُمْ في سُرورٍ ما تألَّق بارِقٌ ... فأمْطَرَ سُحْبَ الدمعِ من غيرِ ناهدِ

وما غَرَّدتْ فوقَ الأراكِ حَمامةٌ ... فهاجتْ بشَوْقِ المُغْرَمِ المتواجِدِ

أمَّا بعد عَرْفِ السلام الفائح ، والتحيَّة المباركة بألطاف الغَوادِي والرَّوائح .

فإن هذا البحرَ المديد ، وقَوافيه ذات المَدِّ والجَزْر تشتمل على الوفاء للعَديد .

---

(١) ضبط الراء بالسكون ، والميم بالفتح مخففة لضرورة الوزن .
وهو الطرماح بن حكيم بن الحكم الطائي .
من شعراء العصر الأموى ، وهو على مذهب الشراة من الأزارقة .
وكانت وفاته فى أواخر الدولة الأموية .
الأغانى ١٢/٣٥ ـ ٤٥ ، البيان والتبيين ١/٤٦ .

(٢) ضمن فى هذا البيت بعض مطلع قصيدة الطرماح ، وسيرد الكلام عليها فيما بعد .

(٣) يشير فى هذا البيت إلى قصيدة البهاء العاملى التى سبق الكلام عليها .

ومن شواهده قصيدةُ الطِّرِمّاح التي مطلعها قولُه (١) :

شَتَّ شَعْثُ الحيِّ بعدَ الْتِئَامْ   وشَجاكَ اليومَ رَبْعُ المقَامْ

فإن هذا الشاعر المجيد، من العرب العَرْباء يُسْتَشْهد بشعره الذي هو كالدُّرِّ النَّضيد .

ولنا عَرُوض القصيدة المشهورة ، التي مطلع أبياتها المعمورة (٢) :

يانَديمي بمُهْجَتي أفْدِيك   قُمْ وهاتِ الكُئوسَ من هاتِيكْ

وذلك قولنا (٣) :

حُسْنُ كُلِّ الملاحِ أصبحَ فيكْ   آهِ من لى بنَهْلةٍ من فِيكْ

وَجْهُكَ البدرُ فوقَ غُصْنِ نَقًا   شَعْرُكَ الليلُ زائدُ التَّحْليكْ

غير أنَّ فى التاريخ المذكور ، خلافُ الأمر المعهود المشهور .

ممّا يكاد أن يكون الاحتراز عنه أمراً لازما ، ولا زال كلُّ شاعرٍ مُتَّهِماً به وعليه عازِما .

وذلك إيرادُ كلامٍ خارج عن التاريخ ، بعد لفظ أرِّخ مثلا بطريق الفصل ؛ فإن ذلك يُوهِم أنه من التاريخ ، فلو كان البيت هكذا :

حين لا بُدَّ من عَلَى عَجَلٍ   جاء أرَّخْتُ نعم هٰذِى الدّارْ

كان أسْلَمَ من النَّقد والإيراد ، وكان وافياً بغاية المَرام ، والسلامُ على الدَّوام .

***

(٤) وللمترجَم تاريخ بديع ، أنْضَر وأزْهَى من نُوّار الربيع ، وهو :

سبحان من عَمَرَ الوجودَ بفضلِه   وأباح حَوْزَةَ مُلْكِه لوَلِيِّهِ

(١) البيت فى ديوانه ٣٩٠ ، والرواية فيه : « شت شعب الحى . . وشجاك الربع . . » .

(٢) تقدم الحديث على هذه القصيدة صفحة ٣١٨   (٣) البيتان فى سلك الدرر ٢/١٩٦

(٤) من هنا إلى آخر الترجمة لم يرد فى س .

مَلِكِ البَسيطةِ مصطفى بن محمدٍ … مُرْدِي العِدى حامِي الحِمى مَحْمِيِّهِ

عَمَرَ المُصَلَّى ثم مَشْهَدَ حَمْزةٍ … والجامعَ المشهورَ باسمِ عَلِيِّهِ

والمَحْرَمَ الزّاكِي وأوّلَ مسجدٍ … والعينَ أعْذَبَ ماؤها لِرَوِيِّهِ

والمسجدَ النَّبَوِيَّ وهو أجَلُّها … فالله يحفظه إلى مَهْدِيِّهِ

وأقام خادمَه المُطيعَ مُباشِراً … وأبان منه الجُهْدَ في مَرْضِيِّهِ

أعْنِي سليمانَ المُوَلَّى جُدَّةَ الـ … باشا الهُمامَ مَن اقْتَدى بسَمِيِّهِ

فمتى تُؤرِّخْ مُعْرِباً بُنْيانَهُ في … عامِ الهَنا فاصْغِ إلى مَرْوِيِّهِ

تاريخُه الملكُ المُمَجَّدُ مصطفى … عَمَرَ المساجدَ في بلادِ نَبِيِّهِ

⁂



٢٣

أحمد بن إبراهيم الخيارى

فَرْعٌ طابَ أصلا ومَحْتِدا، وحديقةٌ كَلَّلَ أغصانَها النَّدَى .

تخلَّق بخُلُقٍ ألْطفَ من نسيم السَّحَر، وطَبْعٍ يتفَتَّق عن عَبيرِ الزَّهَر .

بلُطْفٍ تعجِز عن وَصْفِه أفْواهُ الأقلام، وفهم توَقَّدُ عن صِمادةٍ[1] فكرٍ تَقصُر عن دَرْكه الأفهام .

وهو من أسْرةٍ تقلَّدُوا غُرَرَ المعالى، وتناولُوا الجوْزا فدانتْ لهم الأيام والليالى .

ذو أدبٍ يكاد لِرِقَّتِه ولُطفِه يمتزج بالأرواح . كامْتِزاج الماء القَراح بالرَّاح .

قال المُصَنِّفُ[2] فى وصفِه وشانِه، فى ترجمة والدِه أفاض عليه المولَى سِجالَ غُفْرانِه :

ولهذا الشيخ ولدٌ اسمُه أحمد، نَبيلٌ نَبيه، قائم فى وقتِنا مَقامَ جَدِّه وأبيه .

وكنتُ قبلَ دخولِ الحِجاز سمعتُ بفضلِه، وبلُوغِه فى المعالى مَرْتبةَ أصْلِه .

فسجدتُ لله شُكْراً، ومازلتُ أُجَدِّد له ذِكْراً .

وأنا أشْوَقُ إليه من المُحبِّ إلى حَبيبه؛ وأحِنُّ إليه حَنِينَ المريض إلى طَبيبِه .

حتى لَمحْتُه بالمدينة لَمْحةً كشُرْبِ الطائِر الوَجِل، أو قَبْسةِ القابس العَجِل .

لم تَزُلْ بها عِلَّة، ولا تروَّتْ بها غُلَّة .

---

(١) الصمادة : مايلفه الرجل على رأسه من خرقة أو منديل دون العمامة ؛ وأراد هنا الرأس .

(٢) انظر النفحة ٣٧٤/٤ .

وقد بلَغَنِي أنه الآن هو المُشار إليه[1] بالبَنان ، الحائزُ قصَبَ السَّبْقِ في مَيْدان البَيان .

أشرقتْ في سماء المجد مَطالِعُه ، ولم تتهيَّأْ إلّا لتحصيلِ الكمالِ مَطامِعُه .

فاللهُ يُعيذُه من عَيْنِ كمالِه ، ويجعل أيّامَه مَطاياهُ إلى آمالِه .

ولم يبلُغني له شِعْرٌ أُنمِّقُ به الكتابَ وأُوَشِّيه ، وإذا بلَغني لم آلُ من أنّي أُذَهِّبُه به وأُحَشِّيه[2] .

أقول : قال بعضُ من ترجَمَه :

قد جمعتْني الأقدارُ بطَلْعَتِه ، وابتهجت عُيوني برُؤْيتِه .

وذلك في طَيْبةَ المُنيفة ، على ساكِنِها تَتْرَى صَلَواتٌ شريفة .

فتناولتُ من بدائعِ أفكارِه ، وتحائفِ غُرَرِ أشعارِه .

ماهو أعطَرُ من الرَّوضِ الأنيق ، وأنضرُ من تورُّدِ خَدِّ الشَّقيق .

فمن ذلك قولُه ، وقد أرسلها إلى سيِّدي ومولاي الشيخ عبد الغنيّ النَّابُلُسيّ ، حفظه اللهُ ، حين كان في المدينة المنورة :

مَن مُجيرِي من مُرْهفاتِ العُيونِ	الغَنِيَّاتِ عن مَقالِ القُيُونِ
مِن بَديعِ الجَمالِ أحْورَ أحْوَى	فاتِنٍ فاترٍ مُثيرِ الشُّجونِ[3]
باسِمٍ عن عُقودِ دُرٍّ نَضيدٍ	في حِقاقٍ من الشِّفاهِ مَصُونِ
ذِي مُحيًّا يُزْرِي البُدُورَ سَناهُ	وقَوامٍ يَميسُ مَيْسَ الغُصونِ
ووُرُودٍ تَزْهُو برَوْضةِ خَدٍّ	لم يُبِحْ قَطْفَها بغيرِ المَنُونِ
حين يفْتَرُّ عن بُروقِ الثَّنايَا	تُمطِرُ العَيْنُ غَيْثَ دَمْعٍ هَتُونِ

---

(١) في النفحة بعد هذا زيادة : « ثَمّة » .

(٢) هذا آخر كلام المحبي . (٣) في ب : « فاتر فاتن » ، والمثبت في : س .

جعَلَ الفَتْكَ فى المُحِبِّين فَرْضاً   بحُسامٍ من الرَّشا مَسْنُونِ[1]
مُذْ رأى الظَّبْيُ لَفْتَةَ الجيدِ منه   هام بين الشِّعابِ كالمفتُونِ
وكذا الغُصْنُ إذا أراد يُحاكِيـ   ـهِ قواماً رُمِى بريْبِ المَنُونِ
ماتَرَى الوُرْقَ فوقَه كيف ناحَتْ   باكياتٍ عليه فى كلِّ حِينِ

***

هو من قَوْلِ الأديب فتحِ الله [بن] النحَّاس الحلَبِى[2]

تَراءتْ فلاحَ البدرُ من خَلَلِ الخِدْرِ   وقامتْ فماسَ البانُ بالوَرَقِ الخضْرِ
ومالتْ فمات الغُصْنُ من حَسَدٍ لها   ألم تَرَهُ يبكى على رأسِه القُمْرِى

***

لَذَّ فيه خَلْعُ العِذارِ غَراماً   وهُيامِى فى حُبِّه خيرُ دِينِ
جَلَّ مُبْدِيه فِتْنةً للبَرايَا   وعِقالاً لكلِّ عقلٍ رَصِينِ
صَدَّ عَنِّى وصادَ حَبَّةَ قلبى   مُذْ غَدا ناصِباً شِراكَ الجفُونِ
ما مُعِينِى من بَعْدِ بُعْدِ حبيبى   غيرُ دمعٍ من مُقْلَتَىَّ معِينِ
زارَنِى بعد ازْوِرارٍ فأَحْيَى   مَيْتَ وَجْدِى ولَوْعَتِى وحَنِينِى
يَتَثَنَّى نَشْوانَ يسْحَبُ ذَيْلاً   ليس يَدْرِى شِمالَه من يَمِينِ
فارْتَشَفْتُ الرَّحِيقَ من كاسِ ثَغْرٍ   خمْرةٍ تفضَحُ ابْنَةَ الزَّرْجُونِ[3]
كِدْتُ أخْشَى الضَّلالَ فى الحُبِّ لولا   أن هَدَتْنِى أنوارُ ربِّ اليقينِ
رُوحُ جسمِ العُلَا وإنسانُ عَيْنِ الْـ   ـمجدِ حقًّا وعُمْدَةٌ فى الدِّينِ
بحرُ فضلٍ مِفْتاحُ كنزِ عُلومٍ   وسِراجُ الهدايةِ المُسْتَبِينِ

---

(١) فى ب : « بحسام من الرشا » ، والمثبت فى : س .

(٢) تقدمت ترجمته فى الصفحة ٢ / ٥٠٧ .

ولم أجد البيتين التاليين فى ديوانه المطبوع .

(٣) ابنة الزرجون : الخمر .

عالِمٌ عامِلٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ   للمعالى والمجدِ خيرُ قرينِ
هو عبدُ الغنى الأجلُّ المُفَدَّى الْ   غنى مَدْحُه عن التَّبيينِ
عَيْنُ أهلِ الشامِ بل شامةُ الْ   مصرِ ومُبْدِى نفائسِ التَّدْوينِ
يالَهُ من مُؤَلَّفاتٍ تجلَّتْ   كعَرُوسٍ فى أحْسَنِ التَّزْيينِ
كم معانٍ من البديعِ تراها   أثمرَتْ من بيانِهِ بفنونِ
بعُمومِ الكمالِ خُصَّ وبالمجْ   دِ قديماً من مَبْدَأِ التَّكْوينِ
زَيَّنَ العِلْمَ فى الملاَ بتُقاهُ   وبنُسْكٍ عن الرِّياءِ مَصُونِ
من تحلَّى جِيدُ الزمانِ بعِقْدٍ   من نظامٍ له كدُرٍّ ثمينِ
لو حوَى البدرُ منه بعضَ كمالٍ   ما اعْتَراهُ الخسوفُ طُولَ السِّنينِ
فَهنيئاً لكم زيارةُ طَهَ   سيِّدِ الرُّسْلِ المجْتَبى المأْمونِ
قد أُنِلْتُمْ منه الشفاعةَ حقَّاً   وحَظِيتمُ بعِزِّ مجدٍ مَكينِ
فتمتَّعْ فى روْضةِ الخُلْدِ واكْحلْ   من ثرَى المصطفى سوادَ العُيُونِ
واجْتَلِ من رُباهُ نورَ قبولٍ   واجْتَلِ نُورَ ذاتِه كلَّ حينِ
قد شكَرْنا الإلهَ لمَّا أرانا   غُرَّةَ الدهرِ فى أعزِّ السِّنينِ
كان ذا مُنْيَتى وأقصى مُرادِى   فى دُعائى المَقْرُونِ بالتَّأمينِ
سيِّدى ها كَها عَروسةَ فِكْرٍ   فى قيودِ الغَرامِ كالمَسْجُونِ
ذى اشْتعالٍ من الهوَى واشْتغالٍ   بصُروفٍ من الدُّنا وشُؤُونِ
قصَّرتْ عن ذُرَى معاليك لكنْ   ضَمِنَتْ لى القَبُولَ حُسْنُ ظُنُونى
لم يَزِنْها سوى مديحك فيها   وكفاها فى الحُسْنِ عن تحسينِ
وابْقَ فى عِزَّةٍ رفيعَ جَنابٍ   من حِمَى الله فى أجلِّ الحصونِ (١)

(١) فى ص : « فى حمى الله من أجل الحصون » ، والمثبت فى : ب .

ماتَغَنَّتْ على الأَراكةِ وُرْقٌ فأثارتْ لَواعجي وشُجُونِي

***

فأجابه حضرةُ مولانا الشيخ عبد الغنيّ، (سلمه الله[1])، بقوله :

نَسَماتٌ زَهَتْ بزَهْرِ الغُصونِ وأتَتْنا من عَرْفِها بفُنُونِ
وتَمشَّتْ على الرَّياحين وَهْناً فأثارتْ شَوْقي وهاجتْ شُجُونِي
ماشَذَا الوَرْدِ والأقاحِ سُحَيْراً والخُزَامَى والرَّنْدِ والأذْرَيُونِ[2]
ماعَبيرُ المِسكِ الفَتيقِ إذا ما شِيبَ ماءً بعَنْبَرٍ في صُحُونِ
بالذي في الأُنُوفِ يَعْبَقُ منها عند تَحْرِيكها وعند السُّكُونِ
أم هي الجَنَّةُ التي قال رَبِّي هي أجْرٌ وليس بالمَمْنُونِ
أم عُقُودُ الجُمانِ مُنْتظِماتٌ في نُحُورِ الحِسانِ ذاتِ الفُتُونِ[3]
أم هو الطِّيبُ عند طَيْبَةَ فاحتْ غِبَّ كَتْمٍ عن السِّوَى وكُمُونِ
طاب منه نَشْقُ الحياةِ لِصَبٍّ في معاني أسْرارِه مَفْتُونِ
أم بُرُوقٌ بالأبْرَقَيْنِ تراءتْ لعُيُـــونِ المتيَّمِ المَشْجُونِ
فضلوعُ المحبِّ بالرَّعْدِ جادتْ واستهلَّتْ غُيوثُ دمعِ العيونِ[4]
أم هي الشمس في بُرُوجِ المعالِي أشرقتْ فوقَ أَوْجِ تلك الحصونِ
أم هو البدرُ في الدُّجُنَّةِ بادٍ يتسامَى عن شُبْهَةِ العُرْجُونِ[5]
أم نجومُ السَّما دَنَتْ فتدلَّتْ في مَعاني نِظامِها المَوْزُونِ

---

(١) زيادة من : ب ، على مافى : ص .
(٢) فى ب : « والأرذيون » ، وفى ص : « والأزريون » ، والصواب ماأثبته .
والآذريون : نبت أصفر ، وامتنع المد لضرورة الوزن .
(٣) فى ب : « ذات الفنون » ، والمثبت فى : ص .
(٤) فى ب : « فعيون المحب بالرعد جادت » ، والمثبت فى : ص .
(٥) العرجون : العذق ، أو إذا يبس واعوج .

أم هى الخَوْدُ بالغلائلِ قامتْ ... تنجلى والسيوفُ بين الجفونِ[1]

ولهـــا القامةُ الرَّطيبةُ رُمْحٌ ... وَيْحَ قلبى من رُمحِها المسنونِ

أم هو الأهيَفُ المليحُ تبدّى ... مُحيّا جمـــالِه الميمونِ

يَتثنـــَّى بمِعْطَفٍ ذى دلالٍ ... وهْو فَرْدٌ فى فَرْطِ حُسْنٍ مَصُونِ

أم نِظامُ الكلامِ أبياتُ شِعْرٍ ... قد أتَتْنا كاللؤلؤِ المكنونِ

صاغَها أحمدُ الخياريُّ عِقْداً ... من نُضارٍ لجيدِ دهرٍ حَرُونِ

جمعتْ شَمْلَ نَشْأتى وسُرورى ... وأزالتْ شِكايةَ المحزونِ

فتذكَّرْتُ ما مضَى لأبيـهِ ... مع قلبى بساحتَىْ جَيْرُونِ[2]

والذى كان بَيْنَنا فى دمشقٍ ... من قَوافٍ بِحُرٍّ قافٍ ونُونِ

فى مَغانٍ كأنَّهنَّ مَعانٍ ... لشُروحٍ من الهوى ومُتونِ

رحِم اللهُ رُوحَه من إمامٍ ... فى ثَرَى طِيبِ طَيْبَةٍ مَدْفُونِ

أحمدُ الاسمِ جاء من نَسْلِ إبرا ... هيمَ هذا الظُّهورُ طِبْقُ البُطونِ

وَلَدٌ مثـــلُ والدٍ فى كمالٍ ... مُسْتفـــادٍ ومنزلٍ مأذُونِ

عن جُدُودٍ له الوِراثةُ منها ... فاحَ تُرْبُ البَقيعِ بعدَ الحَجُونِ[3]

يا إمامَ المِحْرابِ مِحْرابِ طه ... سيّدِ المرسلين رُكْنِ الرُّكونِ

والذى تشهدُ الصُّفوفُ له فى ... حَرَمِ المصطفى بحُسْنِ الظُّنُونِ

خُذْلك الآنَ من عُقودِ نِظامى ... خيرَ عِقْدٍ من جوهرٍ مخزُونِ

سِلْكُه المدحُ لم أبِعْهُ ببَخْسٍ ... وتجنَّبْتُ صَفْقةَ المَغْبُونِ

(١) الخود : الحسنة الخلق الشابة .

(٢) جيرون : عند باب دمشق ، وهى سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف ، وحولها مدينة تطيف بها . معجم البلدان ٢ / ١٧٥ .

(٣) يعنى بالبقيع بقيع الغرقد ، وهو مقبرة أهل المدينة . والحجون : جبل بأعلى مكة ، عنده مقابر أهلها .

غيرَ أنى قابلتُ بابْنِ مَخاضٍ ... من نِياقِ القَريضِ بنْتَ لَبُونِ (١)

ونَضَحْتُ الإناء من عَذْبِ طَعْمٍ ... مُبْدِلًا ذا بآجِنٍ مَسْنُونِ (٢)

فاعْذِرِ العبدَ فهْو بالعُذْرِ أوْلَى ... وهو للوقتِ فى اقتضاء دُيونِ

فِكْرُه للذى إليـــه تَرَقَّتْ ... هِمَمٌ عنـــه فى قُيودِ رُهونِ

شغَلتْه حلاوةُ القُرْبِ ممّن ... كان يرجُوه من زمانٍ خَؤُونِ

ثم لولا أنـــتم له بجِوارٍ ... وانْتِسـابٍ لحُبِّهِ المَامُونِ

ما تفرَّغْتُ أن أشيرَ إليـكم ... بمَديحى إشــارةَ المَضْمُونِ

وعليكم سلامُنا كلَّ حينٍ ... يا أُهَيْلَ الحِمَى كِبارَ الشُّؤُونِ

وإليكم منِّى التحيةُ تأْتِى ... ما شَدَا طائرٌ بطِيبِ لُحُونِ

أو تَغَنَّى الحادِى لأشْرَفِ وَادٍ ... فوق كَوْماء بالمَسِيرِ أَمُونِ (٣)

أو أهاجَتْ غرامَ عبدٍ غَنِىٍّ ... نَسَماتٌ زَهَتْ بزَهْرِ الغُصونِ

***

والمترجَم :

مَن مُنْصِفِى من غَزالٍ ظَلَّ يهجُرنِى ... بعدَ الوِصالِ لذا قلبى أُذِيبَ ضَنَى

أُسامِرُ النَّجْمَ طُولَ الليلِ مُكتئباً ... ولم تَذُقْ مُقْلتِى ياصاحبِى وَسَنَا

حتى ظَفِرْتُ به يوماً فلاطَفَــــنِى ... وصار عندى جميعاً فِعْـلُهُ حَسَنَا

وليس عندى رَقِيبٌ كان يشغَلُنِى ... كذاكَ لم يُصْغِ وَاشٍ نحوَنا أُذُنَا

فقلتُ قلبى لطُولِ الصَّدِّ ذا حَزَنٍ ... فقال لى العيدُ يأْتِى ينْقُضُ الحَزَنَا

***

(١) فى ب : « عن نياق الأريض » ، والمثبت فى : ص .

وابن المخاض : هو الفصيل إذا لقحت أمه ، أو ما دخل فى السنة الثانية . وابن اللبون : ولد الناقة إذا كان فى العام الثانى واستكمله ، أو إذا دخل فى الثالث .

يعنى أن شعر ممدوحه أكثر قوة وأشد متناً .

(٢) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون . والمسنون : المنتن .

(٣) الكوماء : الناقة العظيمة السنام . وناقة أمون : وثيقة الخلق .

وقوله من أخرى ، أولها :

حُلْوُ المَراشِفِ ساجِي طَرْفِهِ الغَنَجِ ... ما خِلْتُ من سَهْمِهِ الفَتَّاكِ قَطُّ نَجِي

سَقِيمُ خَصْرٍ رَشِيقُ القَدِّ ذو هَيَفٍ ... يَخْتالُ عُجْباً بِباهِي طَرْفِهِ الغَنِجِ

نَقِيُّ ثَغْرٍ يفُوق المِسْكَ نَكْهَتَه ... وشُهْدُ رِيقَتِهِ بُرْءٌ لِكلِّ شَجِ

بِعَقْرَبِ الصُّدْغِ حامِي وَرْدِ وَجْنَتِهِ ... فهل على قاطفٍ بِاللَّحْظِ من حَرَجِ

نسيمُ رِيحِ الصَّبا يَحْكِي خَلائِقَهُ ... لُطْفاً وقد فاتَها عنه ذَكَا الأَرَجِ[(١)]

عَنْعِنْ حديثَ غَرامِي إنَّه حَسَنٌ ... مُسَلْسَلٌ بِفُؤادٍ دائِمِ الوَهَجِ[(٢)]

***

وقوله ، مادحاً إيوانا لبعضِ أحبابه بالمدينة المنورة :

إيوانُ صَفْوٍ بِفَرْطِ الأُنْسِ معمورُ ... ومن شَذَا نَغْمَةِ الأزْهارِ مَغْمُورُ

حَفَّتْ به رَوْضَةٌ بين الرِّياضِ سَمَتْ ... ماشابَ صَفْواً بها ياصاحِ تَكْدِيرُ

كم لِلْجَداوِلِ رَقْصٌ فى الحِياضِ إذا ... غَنَّى بأعْلَى غُصُونِ الدَّوْحِ شُحْرُورُ

وأعْيُنُ المُزْنِ من زَجْرِ الرُّعودِ بَكَتْ ... وقد تَبَسَّم نِسْرِينٌ ومَنْثُورُ

والنَّرْجِسُ الغَضُّ ما غُضَّتْ لَواحِظُهُ ... بل جَفْنُه من دَوامِ الغَنْجِ مكسورُ

والزَّهْرُ يَطْوِى شَذاه فى كَمائِمِهِ ... لكنْ بكفِّ نسيمِ الرَّوْضِ مَنْشورُ

كأنَّما الطَّلُّ فى ثَغْرِ الوُرودِ يُرَى ... ياقُوتَةً مِلْؤُها مِسْكٌ وكَافُورُ

تَكْسُو مَعاطِفَ أغْصانٍ له حُلَلاً ... أيْدِى السَّحابِ الذى بالجوِّ مَزْرُورُ

أكْرِمْ به مَجْلِساً مَهْمَا تشاهِدْهُ ... كأنه جَنَّةٌ حَفَّتْ به الحُورُ

***

(١) فى ب : « وقد فاتها عنه » ، والمثبت فى : س .
وذكا الأرج : سطوعه وظهوره .

(٢) استعمل اصطلاحات المحدثين ، من العنعنة وهى ذكر السند ، والمسلسل : وهو الذى اتفق الرواة فى إسناده فى صيغ الأداء أو غيرها من الحالات . انظر شرح نخبة الفكر ٥٢ ، ٥٣ .

وكان أرسَل له البارعُ عبد الرحمن بن عبد الرزّاق(1) قصيدةً ، مطلعها قوله :

أصابتْ فؤادَ المُستهامِ سِهامُه ... وكلُّ جمالٍ في الحِسانِ سِهامُه(2)

---

(1) تقدمت ترجمته صفحة ٢٠٦ .   (2) جاء في س بعد هذا بقية قصيدة عبد الرحمن هكذا : «

مَليحٌ يفوق الظَّبْيَ جيداً ولَفْتةً ... وإن ماسَ أزْرَى بالغُصونِ قَوامُهُ

رَخِيمُ دَلالٍ لم يزلْ في لِحاظِهِ ... ومَبْسِمِه خمرٌ حَلَا لي مُدامُهُ

تبسَّم عن دُرٍّ نَضِيدٍ ولُؤلُؤٍ ... فزاد غَرامِي حين بان ابتِسامُهُ

إذا فَوَّقتْ منه اللَّواحِظُ أسْهُماً ... لنَحْوِيَ رَنَّتْ في حَشايَ سِهامُهُ

غزالٌ نِفارٍ قد أطال صُدودَهُ ... وقلبي له مَرْعًى وفيه مُقامُهُ

دَنَا باحْوِرَارٍ ثم أبْدَى صَوارِماً ... لقتْلِ المُعنَّى حيث كلَّ حُسامُهُ

فيا فَرْقَهُ الوَضَّاحَ يا ليلَ فَرْعِهِ ... ويا بدرَ تِمٍّ زاد فينا احْتشامُهُ

أما آن منك العطفُ تحنُو على امْرِئٍ ... أضَرَّ به نارُ الجوَى وضِرامُهُ

وقد رام نُصْحِي من يلُوم جَهالةً ... وسِيَّان عندي نُصْحُهُ ومَلامُهُ

وكيف أخافُ اللَّوْمَ منه وقد غدا ... سَمِيرِي فتًى بَرْىُ المَلامِ نِظامُهُ

هُمامٌ رَقَى أوْجَ الفضائلِ والتُّقَى ... وقد ضُرِبتْ في الخافِقيْن خِيامُهُ

حوَى قَصَباتِ السَّبْقِ في حَلْبَةِ العُلَا ... ولا مَجْدَ إلّا وهْو حقًّا إمامُهُ

وشادَ رُبوعَ الجِدِّ في رَوْضةِ المُنَى ... وقد فاق حَسَّاناً وقُسًّا كلامُهُ

فيا أحمدَ الأوصافِ يا نَجْلَ ماجدٍ ... تسامَى بعِزٍّ عَزَّ فيه مَرامُهُ

إليك أتتْ ترْجُو القَبُولَ تفضُّلاً ... حديقةُ فضلٍ فاحَ فيها خُزامُهُ

دعانِي إلى تَنْمِيقِها وُدُّك الذي ... حوَى مَوْرِداً عذْباً يَطيبُ ازْدِحامُهُ

وقد نُمْتُ منه عِقْدَ نَظْمٍ كأنه ... عُقودُ لآلِي الدُّرِّ يحْلُو انْسِجامُهُ

فأضْحَى لسانُ الدهرِ يَتْلُو صَحائِفاً ... من المدحِ قد فاق العَبيرَ خِتامُهُ

فلا زلْتَ تُوشِي في الطُّروسِ بَدائِعاً ... وتُبْدِي قَرِيضاً منك رَقَّ نِظامُهُ »

فأجابه بقوله :

أخِلّايَ من ظَبْيٍ سَبانِي كَلامُهُ … وأنحَلَ جسمِي بَيْنُهُ وكلامُهُ

وسَلَّ حُساماً مُرْهَفاً من جُفُونِهِ … وأغْمَدَهُ قلبــاً بَراهُ هُيامُهُ

وفَوَّقَ من لَحْظَيْهِ للفَتْكِ أسْهُماً … وما غيرَ قلبِ المُسْتَهامِ مَرامُهُ

يُرِيكَ إذا ما افْتَرَّ دُرًّا مُنَضَّداً … بثَغْرٍ سَبَى عقلَ الأنامِ ابْتِسامُهُ

إذا لاح بَدْراً أو تَثَنَّى أراكَةً … وإن فاهَ مِسْكاً فُضَّ عنه خِتامُهُ

غزالٌ له وَسْطَ الحُشاشةِ مَرْتَعٌ … وفى مُهْجتِي لا فى الفَلاةِ مُقامُهُ

يصُدُّ دَلالًا لا قِلىً وتجافِيــاً … ويُخْفِي وِداداً لَذَّمنه اكْتِتامُهُ

وما مُخْلِصِي منه سِوَى مدحِ ماجِدٍ … يُرَى فى اكْتِسابِ الفضلِ دهراً غَرامُهُ

أديبٌ أريبٌ كم حوَى من فضائلٍ … به ازْدانَ إقْليمٌ حَواهُ وشامُهُ

له صَفْوُ وُدٍّ لم يَشِنْهُ تكلُّفٌ … وعَقْدُ الوَلا يُرْمَى إليه زِمامُهُ

فيامَنْ نَمَا بين الأنامِ ذَكاؤُه … ومَنْ قد سَبانا نثرُه ونِظامُهُ

أبانَتْ لنا أفكارُكَ الغُرُّ غادةً … هى البدرُ لمَّا أن أُنِيطَ لِثامُهُ

وماهِىَ إلّا الدُّرُّ جاء مُنَضَّداً … وماهِىَ إلّا الرَّوْضُ ضاعَ بَشامُهُ (١)

وماهِىَ إلّا الشَّهْدُ يعذُبُ وِرْدُه … وماهِىَ إلّا الكأسُ دارَ مُدامُهُ

فأذْكَرَنِي وَجْداً وصيَّرَنِي لَقًى … وذَكَّرَنِي إلْفاً تسامَى مَقامُهُ (٢)

فلا زِلْتَ فى عِزٍّ مَنِيعٍ وسُؤْدُدٍ … وكلُّ عُلاهُ فى يديْكَ زِمامُهُ

مَدَى الدهرِ ما فاحتْ أزاهِرُ رَوْضَةٍ … وغنَّتْ على دَوْحِ الغُصونِ حَمامُهُ

***

---

(١) البشام : شجر عطر الرائحة . وضاع : انتشر وعبق المكان .

(٢) اللقى : المطرح ، ويعنى هنا أن العشق هده فتركه كالمطرح الملقى .

والمترجم أيضا قصيدة من بحر السِّلْسِلة ، على طريقة المُشَجَّر :

مَن ثغرِكَ يُرْوَى شذَا العبيرِ وعن فاكْ ‏ ‏ يامَن بجميع الجمالِ ربُّك أوْفاكْ

مَن جَفْنِك فوَّقْتَ للقلوب سِهاماً ‏ ‏ مِن هُدْبك رَيَّشْتَهُ فمَن بذلك أغراكْ

رِفقًا بفؤادِي وما لِخَوْفِ هَلاكِي ‏ ‏ في عِشْقِك لكن لأنَّ قلبِيَ مأْوَاكْ

***

ألَمَّ بقول المِهْيار[1] :

أَوْدِعْ فؤادِي حُرَقًا أو دَعِ ‏ ‏ نفسَك تُؤْذِي أنتَ في أضْلُعِي[2]

أمْسِكْ سِهامَ اللَّحْظِ أو فَارْمِها ‏ ‏ أنتَ بما تَرْمِي مُصابٌ معِي

مَوْقِعُها القلبُ وأنتَ الذي ‏ ‏ مَسْكَنُهُ في ذلك المَوْضِعِ

***

إن مِسْتَ كغُصْنٍ وإن دَنَوْتَ كظَبْيٍ ‏ ‏ أو لُحْتَ كبدرٍ لك الجوانحُ أفلاكْ

لا شكَّ عَذُولِي على هَواكَ عَذُولِي ‏ ‏ هذا وعُذُولِي سَقامُ جسمِي في ذاكْ

حَرَّكْتَ غرامي ولم تَجُدْ بمَرامِي ‏ ‏ يا بدرَ تمامٍ متى تَمُنَّ بلُقْياكْ

ضَنِنْتَ بوَصْلٍ ظَنَنْتَ أنِّيَ أسْلُو ‏ ‏ لو ذُبْتُ أسًى ما فلا وحقِّك أسلاكْ[3]

رفْرَقْتَ دُموعِي ولا رَحِمْتَ وُلُوعِي ‏ ‏ كم بين ضُلوعِي لَهِيبُ وَجْدِك حاشاكْ

ما مِلْتُ لِناهِي أنا بحُبِّك لاهِي ‏ ‏ أرجُو بإلٰهِي عسى تَرِقُّ لمُضْناكْ

يا غايةَ قَصْدِي لعل تُنْجِزُ وَعْدِي ‏ ‏ رُوحِي لك تَفْدِي وما مُرادِي إلَّاكْ

***

(١) تقدم التعريف به في النفحة ١٦٣/١ .

والأبيات مما ليس في ديوانه المطبوع ، وهي في خلاصة الأثر ١٠٧/٢ ، والنفحة ٢٩/٢ .

(٢) في الخلاصة والنفحة : « ذاتك تؤذي » .

(٣) سلاه يسلاه : كرضيه يرضاه . كما ذكر صاحب القاموس .

وقد عارضَه فى ذلك أحمد أفندى شَيْخِى زاده المَدَنِىّ ، حيث قال :

عُذْرًا لك يا مَن جَعلْتَ قلبِي مَثْواكْ ... من فَرْطِ عَنائِى ومِن إذاعةِ شَكْواكْ

مَلَّكْتُك رُوحِي وما ارْعَوَيْتَ لنَوحِي ... هل كان حَلالًا بأن تُعذِّبَ مُضْناكْ

رَقِيتَ دَلالًا وما مَنحْتَ وِصالًا ... قد طال سَقامِي فمن بصَدِّىَ أفتاكْ

أهْواكَ وأُخْفِي وليس مثلِيَ يُلْفَى ... مالى لك ذَنْبٌ سِوَى فؤادِي يَهْواكْ

لا لَوْمَ فإنِّى صَبًا إليك حَبِيبِى ... من عَهْدِ صِباىَ وليس حالِي يَخْفاكْ

حَرَّمْتَ وِصالِي ولا رَثَيْتَ لِصالِي ... من نارِك يُكْوَى وبالمَوَدَّةِ يَلْقاكْ

ضاعَفْتَ صُدودِي وما رَعَيْتَ عُهودِي ... يا ظَبْىَ كِناسٍ ففِى الحُشاشَةِ مَرْعاكْ

رِفْقـــًا بمُحِبٍّ هُيامُه بك يَحْلُو ... قد جاءك تَرْوِيه من زُلالِ ثَناياكْ

مَن رَقْرَق ذا الحسنَ فى صَحِيفةِ خَدٍّ ... تَحْمِيه سِهامٌ من اللَّواحِظِ فَتَّاكْ

يكْفِيك بأنْ كنت للحِسانِ خِتامًا ... يا مُفْرَدُ فى الحسنِ صِفْ جمالَ مُحَيّاكْ

***

وقد عارضَه أيضا كذلك المولى الهُمام محمد الخليفَتِىّ المَدَنِىّ[١] ، لكنه لم يَجْرِ على القافيةِ :

عِدْنِى بوِصالٍ على مَ تقْطعُ أوْصالْ ... يا مَن بنِصالِ الرَّنَا علىَّ لقدْ صالْ

مِن صَدِّك دائِى ومن شِفاك شِفائِى ... فاسْمحْ بلِقائِى فإنَّ هَجْرَك لى طالْ

رُوحِي لك تَفْدِي لعلَّ ذلك يُجْدِي ... أن أبْلُغَ قَصْدِي فقد كَفانِىَ إهْمالْ

أجْرَيْتَ دُموعِى من العيونِ عُيونًا ... حُزْنًا وهُجوعِى عن المَضاجِعِ قد زالْ

لم أسْلُ مَلالًا ولو سَليتُ غَرامًا ... فى الحُبِّ دَوامًا وإن يكنْ لى قتالْ

---

(١) محمد بن عبد الله الخليفتى العباسى المدنى الحنفى .
خطيب ، أديب ، ذوفهم ثاقب ، ورأى صائب ، وتبحر فى العلوم .
أخذ عن البرهان إبراهيم الكورانى ، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجى ، وغيرهما ، وله شعر لطيف .
توفى بالمدينة المنورة ، سنة ثلاثين ومائة وألف ، ودفن بالبقيع .
سلك الدرر ٤/٥٩ .

حالِي بك يُنْبِي عن انْتحالِ فؤادِي ... يا غُصْنُ وقلبِي عن التَّوَدُّدِ ما حَالْ
ضَعْفِي بك يَقْوَى ومهجتِي لك تهْوَى ... هل تسمع شكوَى صَرِيعِ خدِّك والخَالْ
رِفْقاً فكفانِي بأننى بك فَانِي ... فالوجدُ كسانِي من الصَّبابة سِرْوَالْ
مَن لى بتلافٍ يكون منك سَرِيعاً ... فى شأْنِ تلافِى فقد تزايَد بى الحالْ
يا بدرَ تمامٍ إليك دُرَّ نِظامٍ ... من حِلْفِ سَقامٍ عساك تَمْنَحُ إقْبالْ

***

ومن مُعَمَّيات المترجَم، قوله فى حسين :

رَقَّ قلبُ الحبيبِ مُذْ حلَّ فيه ... مثلُ وُدِّى ومَنَّ لى بالتَّلاقِ
فدَعِ الوَاشِىَ الكذوبَ مُعَنًّى ... خَطُّه الزُّورُ بَيْنَنا باخْتلاقِ

***

وله فى اسم شاهين :

قلتُ للحِبِّ مُذ أراد بِعادِى ... كلُّ صَدٍّ من بعدِ ذلك هَيْنُ
إنَّ قَصْدِى رِضاكَ فى كلِّ حالٍ ... يا مُنَى القلبِ ليس ذلك مَيْنُ(1)

***

(1) المين : الكذب .



الفصل الثالث

في نبهاء حلب الشهباء

ممن جلوا بروقة أشعارهم كئوس الصهباء


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢٤

أحمد بن محمد الكواكبي*

سابقُ حَلْبَةِ الإحسان ، والحُجَّةُ البالغةُ فى فضلِ الإنسان .

بِهِمَّةٍ دونها فَلَكُ التَّدْوير ، وشِهابٍ تَأْبَى أن تنطبع فى قالَبِ التَّصْوير .

لا يبعُد على قَدْرِه نَيْل السُّها ، ولا تَعِزُّ على شِيمَتِه فى المعالى[1] سِدْرةُ المُنتهى .

وَثائقُه فى المجد ثابتة ، وأغصانُ مَحامدِه فى رياضِ الشرفِ نابتة .

فهو أعظمُ من أن يَفِيَ قولٌ بأوصافِه ، وأكبرُ من أن يُقاس طَوْلٌ بمعروفِه وإنْصافِه .

وهو الآن مُفتِي تلك الديار ، وعند حِماه تُلْقَى عصا التَّسْيار .

فهو كالكعبة يُزار ولا يَزُور ، وأُمُّ الفضائلِ بمثلِه مِقْلاتٌ نَزُور .

وتآليفُه وتحريراتُه ، وفتاوِيه وتقريراتُه ؛ مِلْءُ النَّواظر والمَسامع ، ورَوْنَقُ المَحافل والمَجامع .

ولأقلامِه صَريرٌ من سُرور الصَّواب ، بتحريرِ فَتاوَى شَقَّتْ[2] صُدورَ الجواب .

***

وله شِعرٌ تَسْمُو به البراعةُ وتعلُو ، وتَنْمُو به فرائِد اليَراعة وتَغْلُو .

(*) أحمد بن محمد بن حسن الكواكبى الحلبى الحنفى .

ولد بحلب ، سنة أربع وخمسين وألف ، ونشأ بها وأخذ العلم عن علمائها ، وبرع وفاق ، وألف وأفاد ، ولازم شيخ الإسلام يحيى بن عمر المنقارى ، واشتغل بالتدريس فى القسطنطينية ، وفى مدرسة الخسروية بحلب ، وتولى إفتاء حلب سنة ست وتسعين وألف ، كما اشتغل بالقضاء فى القدس وأزنيق وطرابلس الشام

وقد نفى المترجم إلى قبرس ، ثم عفى عنه فارتحل إلى الروم ، وبالقسطنطينية توفى سنة أربع وعشرين ومائة وألف ، ودفن خارج باب أدرنة .

إعلام النبلاء ٦/٤٤٧ — ٤٥٤ ، نقلا عن المرادى ، سلك الدرر ١/١٧٥ — ١٨١ ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبى له ، كما نقل كثيرا من الشعر الذى ساقه له .

(٢) فى الإعلام والسلك : « المعانى » . (٣) فى الأصول : « شفت » ، والمثبت فى : الإعلام والسلك .

فمنه قوله مُضَمِّنًا (١) :

دَارٌ لِمَيَّاءَ كُنْتُ أَعْهَدُهَا يَجْمَعُ شَمْلَ السُّرورِ مَعْهَدُهَا
أَقْوَتْ فَـلَا رِيمُهَا ورَبْرَبُهَا بِهَا وَلَا غِيدُهَا وخُرَّدُهَا (٢)
لَا تَلْحَنِي إِذَا وَقَفْتُ أُنْشِدُهَا بَيْتَ أَخِي الشِّعْرِ وهْوَ سَيِّدُهَا (٣)
أَهْلًا بِدَارٍ سَبَـاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا (٤)
وكُفَّ عَنْ عَبْرَةٍ أُحَدِّرُهَا فِيهَا وعَنْ زَفْرَةٍ أُصَعِّدُهَا
هَلْ هِيَ إِلَّا بَلْوَى أُحَقِّقُهَـا وَنَارُ وَجْدٍ بِالدَّمْعِ أُخْمِدُهَا
مَا لِبَنَاتِ الهَدِيلِ تُطْرِبُنِي أَلْحَانُهَا عِنْـدَمَا تُرَدِّدُهَا
حَمَائِمٌ كُلَّمَـا هَتَفْنَ ضُحًى يَشِبُّ مِنْ لَوْعَتِي تَوَقُّدُهَا
أَبْكِي وتَبْكِي مَعِي فَنَحْنُ كَذَا تُسْعِـدُنِي تَارَةً وأُسْعِدُهَا
يَا مَنْ لِنَفْسٍ عَنْ بُرْئِهَا عَجَزَتْ أُسَاتُهَـا واسْتَعَاذَ عُوَّدُهَا
ومُهْجَةٍ قَدْ قَضَتْ صَبَابَتُهَا لَهَا وقَدْ خَانَهَا تَجَـلُّدُهَا
سَارُوا بِرَيَّا الشَّبَابِ نَاعِمَةٍ يَزِينُ أَعْطَافَهَـا تَأَوُّدُهَا
مَا لِغُصُونِ النَّقَـا مُوَشَّحُهَا ومَا لِسِرْبِ النُّهِي مُقَلَّدُهَا (٥)
سَارُوا وفِي حُمُولِهِمْ كَبِدِي تَائِهَةً مَا أُطِيقُ أُرْشِدُهَا

(١) القصيدة في : إعلام النبلاء ٦/٤٤٩ ، ٤٥٠ ، سلك الدرر ١/١٧٧ .
والبيت المضمن هو الرابع ، وقد أشار المرادى إلى أنه للمتنبي ، وهو مطلع قصيدة له قالها في صباه يمدح أبا الحسن محمد بن عبيد الله العلوي . انظر الديوان ٢ .
(٢) الربرب : القطيع من بقر الوحش .
(٣) في الأصول والإعلام : « لاتلمني » ، والمثبت في سلك الدرر ، وفيه وفي الإعلام : « إن وقفت » .
(٤) في ضبط « أبعد » وجه آخر على الاستفهام . انظر الديوان ، وحاشيته .
(٥) في الأصول : « النقاموشحة » ، والتصويب من : الإعلام ، والسلك .
و « النهي » أصله بتشديد الياء ، وقد خففت للوزن ، وهو جمع « النهي » بالكسر والفتح وهو الغدير أو شبهه .

بالله يا حادِيَ رَكائِبِها ... قِفْ لعلِّي في الرَّكْبِ أَنْشُدُها[١]

في كلِّ يومٍ دارٌ أُفارِقُها ... وأهلُ دارٍ بالرَّغْمِ أَفْقِدُها

تَرْمِي النَّوَى بي وناقتي سَعَةً ... للبِيدِ يُنْضِي المَطِيَّ فَدْفَدُها

أرِحْ بمَثْواكَ هِمَّةً تَعِبَتْ ... وعن بَلًا لاتزالُ تُجْهِدُها[٢]

سينظُرُ الناسُ بعدَها ويَرَى ... أطْواقَ مَدْحِي لِمَن أُقَلِّدُها[٣]

قيل فأيُّ الكرامِ تطلبُ أو ... تَقصِدُ والحالُ أنتَ أَحْمَدُها

قلتُ مُنَجِّي العبادِ هادِيها ... إذا ما عَدَتْ ومُرْشِدُها[٤]

***

وقوله[٥] :

بالله إن لَحَظاتُ فَتَّانِ الهوى ... لَحَظَتْ فكُنْ للناسِ أكبرَ ناسِ

مُتَهتِّكًا في هاتِكٍ بجمالِه ... بل فاتكٍ بقَوامِهِ المَيَّاسِ

وإذا جلسْتَ إلى المُدامِ وشُرْبِها ... فاجْعَلْ حديثَكَ كلَّه في الكاسِ

وتناوَلِ الأفراحَ من حاناتِها ... بالزِّقِّ أو بالدَّنِّ أو بالطَّاسِ

واجْعَلْ نَدِيمَكَ فيه غيرَ مُقصِّرٍ ... ابنَ الكرامِ لبنتِ كَرْمٍ حاسِ

الخمرُ طَيِّبَةٌ وليس تمامُها ... إلَّا بِطِيبِ خلائقِ الجُلَّاسِ[٦]

---

(١) في السلك : « ياحادِيَ » ، وفيه وفي الإعلام : « قفوا لعلى » .

(٢) في الأصول : « وغربلا لاتزال » ، وفي سلك الدرر : « وعزبلا لا تزال » ، والمثبت في الإعلام ولست أعتمده ، ولعل ما في الأصول : « وغِرْبلا لاتزال » ، والغربل : مخاط كل ذي حافر ، فلعله كنى به عن الناقة ، والغربل أيضا : الطين يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض متشققا ، رطبا كان أو يابسا ، فكأنه يذكر المشقة التي تنالها ناقته .

(٣) استعمل « الناس » مع الفعل « يرى » استعمال المفرد ، وهو مأثور .

(٤) في ب ، والإعلام ، والسلك : « إذا ماعرت » ، والمثبت في : ص .

(٥) القصيدة في : إعلام النبلاء ٦/ ٤٥٠ ، سلك الدرر ١/ ١٧٧ ، ١٧٨ .

وفي الإعلام أن البيتين الثاني والثالث لأبي نواس ، وستَرِد الإشارة إلى هذا بعد الأبيات ، ولم أجد البيتين في ديوانه المطبوع ، ولا في الفكاهة والائتناس ، وإنما وجدت فيه البيت السادس . انظر الديوان ٢٩٥ .

وفي س إشارة إلى أن المترجم ضمن في هذه الأبيات بيت أبي نواس .

(٦) في الإعلام ، والسلك ، وديوان أبي نواس : « الراح طيبة » .

وَمُدِيرُها رَشَأٌ كأنَّ عُيونَهُ ... وَسْنانةٌ كالنَّرْجِسِ النَّعَّاسِ

فاشْرَبْ ولا تقْنَعْ بحَسْوٍ قليلِها ... فأقَلُّ فِعْلِ الخمرِ مَيْلُ الرَّاسِ

وإذا مَلَلْتَ من المُدامِ فثَنِّهِ ... نِعْمَ المُدامُ الطَّيِّبُ الأنْفاسِ

***

[1] قوله : « متهتكا فى هاتك » البيت إلى آخره ، والذى بعده ، لأبى نُوَاس ، من خمرية ، أوْدَعهُما هنا [1].

وقوله من قصيدة ، أولها[2] :

يارَشادِي وأين مِنِّى رَشادِى ... غاب عَنِّى مُذْ غاب عنِّى فؤادِى[3]

كان عَهْدِى به بأطْلالِ سَلْعٍ ... ضَلَّ منِّى مابين تلك الوِهادِ[4]

أسَرتْهُ من ساكنيه مَهاةٌ ... فهْو فى أسْرِها ليوم المَعادِ

فهْو فى قَبْضةِ الجمال مُعَنًّى ... فى هَواها وهالِكٌ دون وَادِ[5]

ياخليلَىَّ عَرِّجا نحوَ سَلْعٍ ... وانْشُداهُ من رائحٍ أو غادِ

واشْرَحا حالتى وسُقْمِى لِمَىٍّ ... وغَرامِى بها وطولَ سُهادِى

وابْكِيَا لى بين الطُّلولِ بدمعٍ ... فدُموعى قد آذنتْ بنَفادِ

عَلَّ ذات الحِمَى تَرِقُّ لِصَبٍّ ... قد خَفِى رِقَّةً عن العُوَّادِ

***

(١) لم يرد هذا فى : س ، وسبق الحديث عن ماضمن من شعر أبى نواس .

(٢) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/ ٤٥٠ ، ٤٥١ ، سلك الدرر ١/ ١٧٨ .

(٣) فى ب : « وأين عنى رشادى » ، والمثبت فى : س ، والإعلام ، والسلك .

(٤) فى الأصول : « بأطلال سعد » ، والمثبت فى الإعلام ، والسلك ، وسيأتى فى البيت الخامس مايعضده.
وسلع : جبل بسوق المدينة . معجم البلدان ٣/ ١١٧ .

(٥) واد : من دية القتيل .

أبلغ ما قيل فى معناه قول أبى بكر الخالدى[1] :

مُهَدَّدٌ خانَهُ التفريقُ فى أملِهْ ... أضناهُ سيِّدُهُ ظُلْماً بمُرْتَحَلِهْ
فَرَقَّ حتى لوَ انَّ الدهرَ قادَ لَهُ ... حَيْناً لما أبصرَتْهُ مُقْلتا أجَلِهْ

وأغربُ منه قول أبى الطيب المتنبِّى[2] :

ولو قَلَمٌ أُلقيتُ فى شَقِّ رأسِهِ ... من السُّقْمِ ما غيَّرتُ من خطِّ كاتبِ

وقوله[3] :

رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مِثْلِ الخيالِ إذا ... أطارتِ الرِّيحُ عنه الثوبَ لم يَبِنِ
كَفَى بجِسْمِى نُحُولًا أنَّنِى رجلٌ ... لولا مُخاطبتِى إيَّاكَ لم تَرَنِى

وألطفُ منه قَوْلُ التَّمار الواسِطِى[4] :

قد كانَ لى فيما مضَى خاتمٌ ... والآنَ لو شِئتُ تمنطقتُ بِهْ[5]
وذُبْتُ حتى صِرْتُ لو زُجَّ بِى ... فى مُقْلةِ النائمِ لم ينتَبِهْ

وقول كُشاجِم[6] :

---

(١) هو محمد بن هاشم ، عرف هو وأخوه سعيد بالخالديين
وكان شاعرا أديبا، تولى هو وأخوه خزانة سيف الدولة الحمداني، وكانت وفاته نحو سنة ثمانين وثلاثمائة.
فوات الوفيات ٢/٥٣٦ ، ٥٣٧ ، يتيمة الدهر ٢/١٨٣ ، وسبق الحديث عنه مع أخيه فى النفحة ٢/٢٧ (حاشيته) .
والبيتان فى : تراجم بعض أعيان دمشق ١٤١ ، سلك الدرر ١/١٧٨ ، نفحة الريحانة ١/٢٩ .

(٢) ديوانه ٢٠٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ١٤١ ، وسلك الدرر ١/١٧٨ ، ومعاهد التنصيص ١/٢٦١ ، ونفحة الريحانة ١/٣٠ .

(٣) ديوان أبى الطيب ١ ، ٢ ، وسلك الدرر ١/١٧٨ .

(٤) سبق الحديث عن التمار هذا فى حاشية النفحة ١/٣٠ ؛ والبيتان فيها ، وفى معاهد التنصيص ١/٢٦٠ ، و تراجم بعض أعيان دمشق ١٤٢ ، وسلك الدرر ١/١٧٨ .

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق ، والمعاهد ، والنفحة : « واليوم لو شئت » .

(٦) هو محمود بن الحسين ، الشاعر الكاتب ، المعروف بكشاجم .
كان فى أول أمره يعمل طباخا لسيف الدولة الحمدانى ، ثم نبغ ومهر ، وتوفى سنة ستين وثلاثمائة .
انظر الأعلام ٨/٤٣ .
والبيتان فى : ديوانه ١٠٦ ، تراجم بعض أعيان دمشق ٢٥ ، سلك الدرر ١/١٧٩ ، نفحة الريحانة ٢/١٢٠ .

ومازال يَبْرِى أعْظُمَ الجسمِ حُبُّها ... ويَنْقُصها حتى لَطُفْنَ عن النَّقْصِ[1]

فقدذُبْتُ حتى صِرْتُ لوأنا زُرْتُها ... أمِنتُ عليهاأن يرَى أهلُهاشَخْصِى[2]

وقول أبى بكر العُمَرِى[3] :

كِدْتُ أخْفَى من ضَنَى جَسَدِى ... عن عُيونِ الجنِّ والبشَرِ

و « تقدَّمتْ أبياتُ الشريف الصُّمادِىِّ فى النُّحُول فى ترجمته »[4] ، فلنُمْسِك أزِمَّةَ المقال من هذا فإنه واسِعُ المجال[5] ، ونرجعُ إلى المترجَم .

فمن شِعرِه قولُه مُضَمِّنًا البيتين المشهورين لبعض العارفين فى ترك التَّدْبير ، وذلك بقوله :

حتى مَ فى ليلِ الهمو ... مِ زِنادُ فِكْرك ينْقدِحْ

قلبٌ تحرِّقه الأسَى ... ودُموعُ عَيْنٍ تَنْسَفِحْ

ارْفُقْ بنفسِك والتَجِى ... لِحمَى المُهَيْمِنِ تنْشَرِحْ

واضْرَعْ له إن ضاقَ عنْـ ... ـك خِناقُ حالِك ينْفَسِحْ

ما أمَّ ساحةَ جُودِهِ ... ذو مِحْنَةٍ إلَّا مُنِحْ

أو جاءَه ذو المُعضِلا ... تِ بمُغْلَقٍ إلَّا فُتِحْ

فدَعِ السِّوَى وانْهَجْ على النَّـ ... ـهْجِ السَّوِىِّ المُتَّضِحْ

واسمعْ مَقالَةَ ناصِحٍ ... إن كنتَ ممَّن ينْتَصِحْ

ما ثَمَّ إلَّا ما يُرِيـ ... ـدُ فاخلَعْ مُرادَك واطَّرِحْ

---

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أعظم الجسم حبه » .

(٢) فى المراجع السابقة : « إن أنا زرتها » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « إن أنا زرته .. يرى غيره شخصى » .

(٣) تقدمت ترجمته فى الصفحة ١/٢٢ ، والبيت فيها ١/٢٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ١٤١ ، وسلك الدرر ١/١٧٩ .

(٤) لم يرد هذا فى : س ، وأبيات الشريف الصمادى تقدمت فى صفحة ١٧٨ .

(٥) من هنا إلى آخر القصائد الحائية لم يرد فى : س .

وَاتْرُكْ وَسَاوِسَكَ الَّتِي شَغَلَتْ فُؤَادَكَ تَسْتَرِحْ

***

وللأديب حسن المُخْمَليّ الحلبيّ من ذلك ، مُضَمِّناً أيضا :

أتعبْتَ قلبكَ فاسْتَرِحْ فعليك وَهْمُكَ لا يَصِحّ
فابْسُطْ لفكرِكَ واتَّقِ فَضِيقُ قلبِكَ ينفَسِحْ
وافْزَعْ إلى بابِ الإلٰـ ـهِ بذُلِّ نفسٍ ينفَتِـــحْ
ما أمَّهُ ذُو حاجـــةٍ من جُودِهِ إلَّا مُنِحْ
أو قد دَعاهُ بشِدَّةٍ من عِـــلَّةٍ إلا صَلُحْ
فهو المُبعِّدُ من يَشَـا وهو المُقرِّبُ من نَزَحْ
فأَجِلْ إلى غَسَقِ الهُمُو مِ بنُورِ عقلٍ قد وَضَحْ
وابْرِئْ فُؤادَكَ من أذَى عُدَى التَّفَكُّرِ قد جُرِحْ
واسْمَعْ مَقالةَ عارفٍ هو نُصحُهُ من يَنْتَصِحْ
ما ثَمَّ إلَّا ما يُرِيـ ـدُ فاخْلَعْ مُرادَكَ واطَّرِحْ
وَاتْرُكْ وَسَاوِسَكَ الَّتِي شَغَلَتْ فُؤَادَكَ تَسْتَرِحْ

ومن ذلك قولُ البارع الكامل ، السيد عبد الله الحلبيّ[1] :

يا أيُّهذا المُصْطلِـــحْ قُلْ لي بماذا تصْطلِحْ
أفْسَدْتَ عَيْشَكَ بالعَنا وزَعَمْتَ أنك تنْشَرِحْ

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي الحلبي ، الشهير بابن شهاب .

ولد سنة ست عشرة ومائة وألف بحلب ، وربي في حجر أبيه ، ونشأ في طاعة الله تعالى ، وأخذ عن علماء عصره ، وصوفيته ، وارتحل إلى دمشق ، فأجازه علماؤها ومنهم الشيخ عبد الغني النابلسي .

توفي سنة ست وثمانين ومائة وألف .

سلك الدرر ٣/١٠٤ ـ ١٠٦ .

وأضأْتَ حتى كِدْتَ في نارِ الغـــوايةِ تَلْتَفِحْ
حتى مَ تَهْنَأُ بالذي تُكْفَى وأنتَ به المُلِحْ
وإلى مَ تَرْكَنُ بالحيــــاةِ ومِن وَراها تجْتَرِحْ
أوَ ما ترى الدنيـــا ويَجْمعُها الشَّتِيتُ المُنْكَسِحْ
واللهِ ما افْتخرَ العَزِيزُ بعِزِّها إلَّا طُرِحْ
كَلَّا ولا مَرِحَ الجوادُ برَخْبِهـــا إلَّا كُسِحْ
فاقْنَعْ بمَجْناها القَليـــلِ ولا تُمـــارِ تفتضِحْ
واجعلْ مَئُونَتك التُّقَى فهو الطريقُ المُتَّضِحْ
وإذا الهمومُ تزاوَجتْ فالصبرُ أنتَجُ ما لَقِحْ
لا تيــــأسَنْ من أن تُدا ويكَ الأمورُ وتنْشرِحْ
فلَرُبَّما سُرَّ الحزِينُ ورُبَّمـــا غُمَّ الفَرِحْ
واللهُ أكرمُ من يُرَجَّى في المُهِمِّ المُفْتَضِـــــحْ
فكِلِ الأمورَ لِلُطْفِـــهِ والْزَمْ حِمــاهُ المُنْفَسِحْ
واعملْ بنُصْحِ مُسَدَّدٍ مَن في تِجـــارتِه رَبِحْ
ما ثَمَّ إلَّا مايُرِيدُ فاخْلَعْ مُرادَكَ واطَّرِحْ
واتْرُكْ وَساوِسَك التي شَغَلتْ فؤادَكَ تسْتَرِحْ

***

وقد امتدح المصنف ، رحمه الله ، هذا المترجَم ، بقصيدةٍ تُنْبِئُ عن عُلُوِّ مقامِه المعظَّم ، وهي قوله[1] :

يُهيِّجني للوَجْدِ ذكرُ الحبائبِ   وللمدحِ أشواقي لوَصفِ الكواكبِ

(١) القصيدة في : إعلام النبلاء ٦/٤٥٢ ، ٤٥٣ ، سلك الدرر ١/١٨٠ ، ١٨١ .

هُمامٌ به الشَّهْباءُ تَسْمُو وتَعْتَلِي ... وتَجْرِي على مِضْمارِها بالغَرائبِ

فَتًى لَبِسَ الفخرَ المُؤَثَّلَ مجدُه ... فكان إذاً كشَّافَ كلِّ النَّوائبِ

إذا فَسَّروا والْتَفَّتِ السَّاقُ بينهم ... ودارتْ رُحاهُم في دَقيقِ القَشاعبِ(١)

فما عدَلُوا منه بمثْلِ ابنِ عادلٍ ... ولا فخَرُوا بالفخرِ عند الثَّعالِبِي(٢)

وإن حدَّثُوا قال البُخارِيُّ لَيْتَهُ ... تقـدَّمني يوماً لِيستَدَّ جانِبِي(٣)

وإن ذكرُوا الإسنادَ سَلَّمَ مُسْلِمٌ ... فمَن فوقَه حتى البَراءِ بنُ عازبِ(٤)

ومهما رَوَوْا قال الإمامانِ سلَّمُوا ... له فهْوَ منا عوْضُ ضَرْبةُ لازبِ(٥)

ومهما نَحَوْا بَزَّ الكِسائيَّ ثوبَهُ ... وجرَّ بِهِ عَمْرٌو ذُيولَ المآربِ(٦)

وإن وَزَنُوا قال الخليلُ بنُ أحمـدٍ ... عُروضُ عَرُوضِي ثَمَّ غيرُ مُناسِبِ

وإن نظَمُوا قال ابنُ أوسٍ مَدائحي ... سَبايَا وقال البُحْتُرِيُّ نَسائِبِي(٧)

جَوادٌ تُناجي الفكـرَ آثارُ جُودِه ... بأنْ تَرى نادِيَه مَثْوَى المواهبِ

لقد سارتِ الرُّكْبانُ شرقاً ومغرباً ... بأوْصافه الغُرِّ النَّقايا المنـاقبِ

تَرَقْرَقَ ماءُ البِشْرِ فيـه ورَنَّقَتْ ... على خَلْقِه الأيّامُ صَفْوَ المشارِبِ(٨)

له سُؤْدُدٌ لو كان للشُّهْبِ أصبحتْ ... شموسَ نَهارٍ لا نُجومَ غَيـاهِبِ

---

(١) في الإعلام والسلك: «دقيق النشاغب».

(٢) تقدم التعريف بابن عادل في حاشية الصفحة ٥ / ١٠، كما تقدم التعريف بالثعالبي صاحب التفسير في حاشية الصفحة أيضا ٣ / ٣٠٩.

(٣) في ب، والإعلام، والسلك: «ليسند جانبي»، والمثبت في: ص. واستد الشيء: استقام.

(٤) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، صحابي جليل، أول مشاهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، وقيل: الخندق، وهو الذي افتتح الري، ثم وليها، وفتح أيضا زنجان، ونزل الكوفة فتوفي بها أيام مصعب بن الزبير، سنة إحدى وسبعين، بعدما أضر، وقد روى له الشيخان.

أسد الغابة (الشعب) ١ / ٢٠٥، ٢٠٦، نكت الهميان ١٢٤، ١٢٥.

(٥) عوض هنا بمعنى: أبدا. وضربة لازب: لازم ثابت.

(٦) يعني بعمرو: عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه.

(٧) ابن أوس: هو حبيب بن أوس، أبو تمام. (٨) رنق الماء: كدره.

وثَمَّةَ آراءٌ بنُجْحٍ حَـــوافِظٍ ... تُسَدِّدُ من أطْرافِ سُمْرٍ سَوالِبِ

تُقلِّمُ أظْفَـــارَ المَـــكارِمِ تارةً ... وتَسْمَحُ طَوْراً عن وُجوهِ المطالبِ

من القوم يُثْنِى نحوَ سُدَّةِ مجدِهم ... عِنانُ القوافِى والثَّنا المُـــترا كِبِ

وإن كثُروا أحصَوْا بفضلِ بيانِهم ... على فَلَكِ التَّدْويرِ زُهْرَ الكواكبِ[1]

كأنِّى وقد أسْجَيْتُه الحمدَ رَيْطَةً ... ثَنَيْتُ على عِطْفَيْهِ حُلَّةَ كاعِبِ[2]

أُحَيِّيـــهِ بالمدحِ الذى فاح نَشْرُه ... وأُودِعُـــه قلبـــاً نَزُوعَ المآرِبِ

ولى أمَـــلٌ أرْجُو به طُولَ عُمْرِه ... يُجَدِّد ما أبْلَتْهُ أيْدِى الحقائبِ

فلا زال يَبْقَى للأنامِ يُفيـــدُهم ... عُلوماً كحَدِّ الماضياتِ القواضِبِ

***

[3]وقد أرسل حضرة قطب العارفين ، مولانا الشيخ زين العابدين البَكْرِىُّ الصِّدِّيقى[4] ، رحمه الله تعالى ، إلى والد المترجَم ، قصيدةً على زِنَتِها ، عظيمة الشَّأن ، مُشَيَّدة الأرْكان ، مُمْتدِحا بها جنابَه الشريف ، ومقامَه السَّامِى المُنِيف ، نتشرَّف بذِكْرِها ، ونُتْحِفُ الأسماع بدُرَرِها .

وهى :

سَماءُ المَعَـــالِى أشْرقتْ بالكوا كِبِ ... وإلَّا لآلٍ فى عُقودِ سَخائِبِ[5]

وإلَّا شُموسٌ فى ظِلالِ سحائبٍ ... وإلَّا بدورٌ فى ظلامِ غَيـــاهِبِ

إذا نُسِبَتْ مِنْهُنَّ سُودُ ذَوائبٍ ... فما أُلْحِقَتْ إلَّا بغـــيرِ ذَوائِبِ

برُوحِىَ منهنَّ التى أنا رُوحُهـــا ... ومَن لى برُوحٍ أفْتدِيها بها وبى

كَلِفتُ أنا منها برَبَّةِ نَجِيبـــةٍ ... كما كَلِفتْ مِنِّى بأرْوَعَ ناجِبِ

---

(١) فى الإعلام والسالك : « على ذلك التدوير » (٢) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا .

(٣) من هنا إلى آخر الترجمة لم يرد فى : س . (٤) تقدمت ترجمته فى الصفحة ٤/ ٤٩٢ .

(٥) السخائب : جمع السخاب ، وهى قلادة من قرنفل ونحوه .

وليلةَ زارَتْني على حــين غَفْلَةٍ ... ولم يَكُ فيما بيننــا من مُراقِبِ
وقد حَسَرَتْ دونى نِقابَ مَحاسِنٍ ... أبَتْ لكَ أن تأتى لهــا بمُقارِبِ
وحَيَّتْ بمُعْتادِ السلام عليك يا ... حَبيبىَ من قلبى وخِدْنِى وصاحِبى
ورَدَّتْ بمَرجُوعِ السلامِ بنَفْسِها ... على نفسِها والكَفُّ فوقَ التَّرائِبِ
وجاءتْ بكأسٍ من مُدامٍ شَريفةٍ ... تَداوَلها الأسْلافُ أهلُ المناصِبِ
هم القومُ حَمّــالُو المُهِمّاتِ كُلِّها ... كِرامُ المساعِي من لُؤَىِّ بنِ غالبِ
مُجِبُّ الفتى السّارى بتَيْهاءَ نَفْنَفٍ ... يَتِيهُ بها الخِرِّيتُ من كلِّ جانبِ[1]
إذا صَفَرَتْ ريحُ الجَنُوبِ بدُورِها ... أتَتْكَ بأعْلَى من صَريرِ الجنادِبِ
تَمادَى عليها خَبْطَ عَشْواءَ عاسِفًــا ... على غيرِ لَحْبٍ مَهْيَعٍ مُتناسِبِ[2]
يَزِيدُ الهزِيعَ الآبَنُوسِيَّ ظُلْمَــةً ... بها ماتَدانَى من كثيفِ السَّحائبِ[3]
وُجوهَهمُ سَرْجًا ورَيّاهمُ شَــذًا ... وذِكْراهمُ أُنْسًا بتلك السَّباسِبِ[4]
فما رَجَّعَتْهُ راحَتِى قد أحالَهــا ... ولكنّه أدْهَقَتْهُ مِن مَشارِبِى[5]
شَرابًا عَتيقًا منْ عَتيقٍ شَرِبْتُه ... أنا وأبى قَبــلِى وحُيِّيتَ يا أبِى
وقالتْ ألا أُضْفِى عليك مَلابِسى ... وأحبُوكَ تاجًا صُنْتُه عن مَواجِبِى
فقلتُ بَلَى قالتْ وأكْسُوكَ حُلَّةً ... ذَلاذِلُهــا مَرْفُوعَةٌ بكَلالِبِ[6]
فقلتُ بَــلى إنِّى لذلكَ شَيِّقٌ ... ومن لى به أُغْنَى به عن مَطالِبِى

---

(١) النفنف : المفازة . والخريت : الدليل الحاذق الذى يهتدى إلى أخرات المفاوز ، وهى مضايقها وطرقها الخفية .

(٢) اللحب : الطريق الواضح . والمهيع : الطريق الواسع البين .

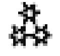
(٣) يعنى بالهزيع الآبنوسى : الطائفة الشديدة الظلمة من الليل .

(٤) سرج سرجا : حسن وجهه ، والسباسب : جمع السبسب ، وهى المفازة . وانتصب « وجوههم » وما بعده على تقدير « يزيد » قبله .

(٥) أدهق الكأس : ملأها .

(٦) الذلاذل : أسافل الثوب . والكلالب : جمع الكلاب والكلوب ، وهى حديدة معطوفة الرأس يجر بها الجمر .

ولو كنتُ أسْطيعُ الذّهابَ لداره   لِنلْتُ برُؤْياه جميعَ مَـــــآرِبى
ويالَيْتنى أُلْقيتُ فى طَىِّ رُقْعــةٍ   ولو أنَّنى غَيّرْتُ من خَطِّ كاتبِ
خِطابى له خَطّى ورُسْلِى رسائلِى   ووَجْدِى به وَجْدِى وكُتْبِى كَتائبِى
إمامٌ به الشّهْباء تسْمُو على القُرَى   ويجْرى على مِضْمارِها بالغَرائبِ
فخُذْها من البَكْرِىِّ بِكْراً تزُفُّهـا   إليكم من الأمْصارِ نُجُبُ النَّجائبِ
يُطَرِّزُ زَيْنُ العابدين نَسِيجَهـا   فتَسْمُو حُلَى صُنْعاً ووَشْىَ العصائبِ
عليك تحيّاتى وشَوْقى إليك ما   سَماه المعالِى أشْرَقَتْ بالكواكبِ(١)





---

(١) فى ب : « بالكواكب » ، والمثبت فى : ص .

٢٥

عطاء الله المانى*

خُلاصةُ أهلِ العصرِ ، المجتمِع فيه فضائِلُهم بجميعِ أدواتِ الحصر .

فهو من جوهرِ الفضل مُنتقى ، وقد رَقِىَ دَرَجَ العُلا حتى لم يجدْ مُرْتقَى .

فالكَونُ به مُتألِّق ، والأملُ به مُتعلِّق .

وله قَدَمٌ فى الأدب عالية ، والمسامعُ بآثاره البَهِيَّة حالية .

تسَهَّل له من البَراعة ماتصعَّب فَلَكُه[1] ، وتوَضَّح له من مُشْكلاتِها ماتشعَّب حتى سَلَكَه .

وقد صحبْتُه فى الرُّوم وطريقِهـا فى الرَّجْعة ، فحَمِدتُ الله حيث سَهَّل لى أمرَ هذه النُّجْعة[2] .

فاجْتنَيْتُ من مُفَاكهتِه رَوْضًا أُنُفا ، وعلَّقتُ فى جِيد أدبى وأُذُنِه قلائد وشُنُفا .

وأنا وإن كنتُ لم أتعرَّض فى الأصلِ[3] لذِكْرِه ، فإنى لم أكتبْ عنه شيئًا من تحائفِ شِعْرِه .

وقد ورَد علىَّ الآن له روائعُ بَدائِع ، فكأنها من جملةِ ما كان فى ذِمَّةِ الدهر لى من وَدائِع .

(*) ترجمه المرادى فى سلك الدرر ٣/٢٦٢ ـ ٢٦٥ نقلا عن ذيل النفحة ، وقال فى آخر ترجمته : « وهذا ما وصلنى من خبره ، ولم أتحقق وفاته فى أى سنة كانت ، غير أنه من أهل هذه المائة » .

وترجمه أيضا الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/٤١٩ ـ ٤٢٢ ، نقلا عن سلك الدرر ، وذكر أنه توفى حوالى سنة عشر ومائة وألف .

(١) فى الأصول : « فلكه » ، والمثبت فى سلك الدرر . (٢) النجعة : طلب الكلأ فى موضعه .

(٣) يعنى بالأصل نفحة الريحانة .

فدُونَكَ منها جُمْلةَ الإحسان ، وكأنما دَعا الحسن فلبَّاه الاسْتِحْسان .

فمن ذلك قولُه[١] :

فؤادٌ به نارُ الغَضــــا تتوقَّدُ ... وطَرْفٌ يُراعِي الفَرْقَدينْ مُسَهَّدُ

ودُرُّ دموعٍ فى الخدودِ مُنَظَّمٌ ... له اللُّؤلُؤُ المَنْظومُ عِقْدٌ مُبَدَّدُ

ووَجْدٌ بسَحَّارِ اللَّواحظِ أغْيَدٌ ... يُقيمُ عَذُولى بالغرام ويُقْعِدُ

من الرُّوم رامٍ من كِنانةِ جَفْنِهِ ... سِهاماً فيـــالله سهمٌ مُسَدَّدُ

يَميسُ به غُصْنٌ من القَدِّ أصلُه ... يكاد بأنفاسِ الصَّبـــا يتأوَّدُ

عليه قلوب العاشقين تَبَلْبُلاً ... فتصْدَحُ أحيــانًا وحِيناً تُغَرِّدُ

***

وقوله أيضا ، مُعارِضا قصيدة جعفر بن الُجرْمُوزِى[٢] ، التى مطلعها :

ماغَرَّد بُلْبُلٌ وغَنَّى ... إلّا أضَلَّنِي وعَنَّى[٣]

وهى[٤] :

عاوَدهُ وَجْـــدُه وحَنَّا ... وشَفَّه داؤُه فأنَّا

وأبْرَزَ الدمعَ بين صَبٍّ ... من قلبه كان مُسْتَكِنَّا[٥]

فعاد ظَنُّ الهوى يَقينــاً ... فيه وكان اليقينُ ظَنَّا

وَبلاهُ من عاذِلٍ غَبِيٍّ ... قد لَجَّ فى عَذْلِه وجُنَّا

يسُومُنِي سَــلْوَةً وأنَّى ... يسْلُو عن العشقِ قيسُ لُبْنَى[٦]

وبى مَليحٌ لو لاحَ ليلًا ... لبدرِه التِّمِّ لاسْتَكَنَّا

---

(١) الأبيات فى إعلام النبلاء ٦/ ٤٢٠ ، سلك الدرر ٣/ ٢٦٣ .

(٢) تقدمت ترجمته فى النفحة ٣/ ٣٩٧ ، والقصيدة فيها ٣/ ٤٠١ .

(٣) فى النفحة : « إلا وأضلنى » .

(٤) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/ ٤٢٠ ، سلك الدرر ٣/ ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٥) فى الإعلام والسلك : « من قبل أن كان مستكنا » .

(٦) فى الإعلام والسلك : « يسلو عن العشق من تعنى » .

غُصْنٌ يُعيرُ الغُصونَ لِيناً   بدرٌ يُعيرُ البدورَ حُسْناً

إذا تجلَّى رأيتَ شمساً   وإن تَثَنَّى رأيتَ غُصْناً

فى كلِّ عُضْوٍ ترى عُيوناً   عَواشِقاً رَوْضُه الأغَنَّا

***

ألَمَّ بقول قابوس[1] :

خَطَراتُ ذِكْرِكَ تَسْتَثِيرُ مَوَدَّتِى   وأُحِسُّ منها فى الفؤادِ دَبِيبَا

لا عُضْوَ لى إلَّا وفيه صَبابةٌ   فكأنَّ أعضائى خُلِقْنَ قلوبَا

***

عَوْداً[2] :

رَشِيقُ قَدٍّ ثَقِيلُ رِدْفٍ   يَمُوجُ حِقْفٌ إذا تَثَنَّى[3]

ولى غَرامٌ به قديمٌ   تَفْنَى الليالى وليس يَفْنَى

وليس وَجْدِى به مُعَنًّى   كلُّ البَرايَا به مُعَنًّى

***

وقوله أيضاً[4] :

بِمَواقِعِ السِّحْرِ التى   من ناظِرَيْكَ ضَمِينُها

وفَواتِكِ السِّحْرِ التى   فى وَجْنَتَيْكَ مَكِينُها[5]

وعَوامِلِ القَدِّ الذى   قلبى لَدَيْكَ طَعِينُها

---

(١) تقدم التعريف به فى صفحة ٢٢٩

والبيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٢١ ؛ ، سلك الدرر ٣/٢٦٣ ، يتيمة الدهر ٤/٦١ ، وذكر الثعالبى أنهما ينسبان إليه .

(٢) ساقط من : س ، وهو فى : ب .   (٣) شبه ردفه بالحقف ، وهو الرمل العظيم المستدير .

(٤) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٢١ ؛ ، سلك الدرر ٣/٢٦٤ .

(٥) فى الإعلام والسلك : « فى وجنتيك كمينها » .

إلّا رَئَيْتَ المُغْرَمِ دامِي الجُفونِ سَخِينُها

***

وقوله على أسلوب قولِ ابنِ مُغَيْزِل(١) :

بمَجارِي فَلَكِ الحُسْـ ـنِ الذى فى وَجَناتِكْ

وبِنُونَيْكَ على خَدَّ يْكَ من غيرِ دَواتِكْ

وبما تصنعُ فى النَّـ ـاس بساجِي لَحَظـاتِكْ

وبما أغفَلَـه الوا صِفُ من حُسْنِ صِفاتِكْ

لا تَدَعْنِي والهوَى يَجْـ ـرحُ قلبِي بحَياتِكْ

***

وقول محمد بن زين العابدين(٢) :

بالذى أوْدَعَ لَحْظَيْـ ـك حبيبَ القلبِ حَتْفَا

وسَقانى منهما كأ سًا سريعَ الشُّكرِ صِرْفَا

وحَبِي خَدَّيْك وَرْداً وحَبِي شَكْلَك ظَرْفَا

جُدْ على صَبٍّ كَئِيبٍ ذى غَرامٍ ليس يُطفَا(٣)

***

(١) فى ب : « ابن مغزل » ، وفى ص : « ابن مغرل » ، والمثبت فى سلك الدرر ٣/٢٦٤ ، وهو السيد عبد الباقى بن عبد الرحمن بن محمد ، تقدمت ترجمته فى النفحة ١/٤٩٦ .

والأبيات فى سلك الدرر ، ويفهم من كلام المرادى أنها لابن مغيزل ؛ حيث قال : « وهذا الأسلوب جرى عليه كثير من الشعراء ، منهم ابن مغيزل حيث قال : » .

(٢) هو محمد بن زين العابدين الجوهرى الدمشقى ، وتقدمت ترجمته فى النفحة ١/٣٨٨ ، وتجد له ترجمة فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٩٩ ـ ٢٠١ .

والأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢٠٠ ، سلك الدرر ٣/٢٦٤ ، نفحة الريحانة ١/٣٩٠ .

(٣) فى السلك والنفحة : « ذى أوار ليس يطفا »

(١) وقريبٌ منه قولُ البارعِ إبراهيم بن محمد السَّفَرْجلانيّ(٢) :

بالذى فى العقيقِ رَصَّعَ دُرًّا … وجَلَا تحت غَيْهَبِ الشَّعْرِ بَدْرَا
والذى أوْدَعَ المبـــاسمَ شُهْدًا … ثم أجْراهُ فى المَراشِفِ خَمْرَا
والذى صَيَّرَ الشَّقائِقَ طِرْسًا … خَطَّ فيه من البَنَفْسَج سَطْرا
والذى فى لَهيبِ خَـــدِّكَ ألْقَى … نَدَّ خالٍ يَرْبَى على النَّدِّ نَشْرَا(٣)
والذى خَصَّ أدْعَجَيْكَ بشىءٍ … لو رآهُ هاروتُ سَمَّاهُ سِحْرَا(٤)
والذى هزَّ من قَوامِك خُوطًا … يتهادَى من الشَّبيبةِ سُكْرَا(٥)
والذى صاغ من قُشُورِ اللآلِى … لك جسمًا من ناعِمِ الخزِّ أطْرَى
والذى قد كَساكَ حُلَّةَ حُسْنٍ … لستَ منها مدَى زَمانِك تَعْرَى
والذى سلَّطَ الجُفونَ وأمْضَى … حُكْمَها فى القلوبِ نَهْيًا وأمْرَا
ما الذى قالتِ العيونُ لقلبى … قال قالت ياقلبُ كُنْ بِىَ مُغْرَى

***

ومن هذا الرَّوِىّ أبياتُ عبد المحسن الصُّورِىّ(٦) المشهورات ، ومطلعها قوله :

بالذى ألْهَمَ تَعْذِيـ … ـبِى ثَناياكَ العِذابَا

---

(١) من هنا إلى نهاية قوله الآتى : « يطول علينا الذيل » لم يرد فى : س .

(٢) تقدمت ترجمته فى فى الصفحة ١/٤٧٩ باسم إبرهيم بن محمد بن إبراهيم السفرجلانى .
والقصيدة فى سلك الدرر ٣/٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٣) فى السلك : « يربو على الند » .

(٤) الخوط : الغصن الناعم .

(٥) فى الأصول : « لو رآها هاروت » ، والمثبت فى سلك الدرر .

(٦) تقدم التعريف به فى الصفحة ١/٣٩٠ ، والأبيات فيها ١/٣٩٠ ، ٣٩١ ؛ وفى سلك الدرر ٣/٢٦٤ ، ويتيمة الدهر ١/٣١٣ ، ٣١٤ .

وقد ذيّل عليهم جماعةٌ من أدباء حَلَب الشّهباء، لا حاجةَ بإيراد ذلك، لئلّا يطول علينا الذّيل .

ومن مَقاطيع المترجَم قولُه[1] :

لو أنّ أنفاسِيَ من حرِّها   مما بقلبي من هوَى ألْمَسِ
قد خالَطتْ لُطفًا نسيمَ الصَّبا   ماشِمْتَهُ بَرْدًا على الأنفُسِ

٭٭٭



(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٢١ ، سلك الدرر ٣/٢٦٥ .

٢٦

محمد صادق بن عبد السلام البَتْرُونى*

من مَحْتِدٍ صادقٍ جامع ، ذِكْراهم شرفُ لافِظٍ وسامِع .

فهم عِقْدُ الجيد وتاج المَفْرِق ، ومدحُهم فخرُ القلم وزِينَةُ المُهْرَق[1] .

نبغ منهم ماجدٌ إثْرَ ماجِد ، فارَقَهُ الدهرُ وهو لَعَمْرِى عليه واجِد .

حتى طلَع هذا بمجدٍ لا مُدَّعًى ولا مُنتحَل ، وهِمَّةٍ لو نالها[2] البدرُ لاستَخْذَى[3] له زُحَل .

فركَض فى كلِّ حَلْبةٍ من حلبات المجد ، وعانَق الغرام فى ليلِ الجِدِّ والوَجْد .

فهو الآن خُلاصةُ ذلك العُنْصُر ، وله الفضلُ الذى تتباهَى به الأعْصُر .

فهو أحَقُّ إلى العُلَا من شارِف[4] ، ومجدُه مُتنافَس فيه من تالِد وطارِف .

***

وله شِعْرٌ أخْلَصه السَّبْك إبْرِيزا ، فسما على نُظَرائِه رُجاحاً وتَبْرِيزا .

أثْبَتُّ منه ماتُدِيره كُؤوساً على النِّدام، فيتسلَّى به فؤادٌ لا تُسَلِّيه مُدام .

فمنه قوله ، من قصيدة[5] :

(*) ترجمه المرادى فى سلك الدرر ٢/١٩٩ ـ ٢٠٢ باسم صادق بن عبد السلام ، وجاء فيه نسبته « البيروتي » خطأ ، ولم يتحقق وفاته فى أى سنة كانت ، غير أنه قال : إنه من أهل هذا القرن ـ أى القرن الثاني عشر ـ وقد اعتمد ترجمة المحبي له ونقلها .

وكذلك ترجمه الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/٤٣٦ ـ ٤٣٨ نقلا عن المرادى .

والبترونى ، بفتح الباء الموحدة وسكون التاء المثناه ثم راء وواو ونون : نسبة إلى البترون ، بليدة بالقرب من طرابلس الشام . خلاصة الأثر ١/١١ .

(١) المهرق : الصحيفة . (٢) فى الإعلام والسلك : « رامها » .

(٣) فى الأصول ، والإعلام والسلك : « لاستحذى » ، ولعل الصواب ماأثبته .

واستخذى : انضم وانقاد .

(٤) الشارف : من سيصبح شريفا عن قريب .

(٥) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٤٣٧ ، سلك الدرر ٢/٢٠٠ .

دَمْعٌ بتذكارِ أحْبابٍ له سُفِحَا ... وباحَ عن سِرِّهِ المكتومِ ماافْتضَحَا
ومَعْهَدٌ بالحِمى صافٍ تَرِفُّ له ... سَرائِرٌ فى سُوَيْدَا القلبِ قد سَنَحا
أثار لاعِجَ حُبٍّ كان مُنْكتِماً ... بين الضُّلوعِ وشَوْقٍ زَنْدُه قَدِحا[1]
حيثُ الشَّبيبةُ والأيامُ مُقْبِلةٌ ... وحيثُ دهرِى عن مُمَوَّجِه صَلُحا
نَشْوان أخْتالُ من خمرِ الصِّبامرَحاً ... لا أسْتفِيقُ غَبُوقاً لا ومُصْطبَحا

***

وقوله[2] :

وَرَدْنا مَقامَك نَجْلِى الهمومَ ... بشُرْبِ المُدامِ ونَنْفِى الكُرَبْ
فلم نَرَ فيه الجَنابَ الرَّفِيعَ ... وما فيه بُغْيتُنــا والأرَبْ
فكاد الفُؤادُ جَوًى أن يذوبَ ... لغَيْبةِ مَنْ نهم العُلَا والنَّسَبْ
فلمَّا قدِمْتَ أضاء المكانُ ... وزاد السرورُ بنا والطَّرَبْ
فدِرْها سُلافاً وحُثَّ الكؤوسَ ... فهذا الصَّباحُ أراه اقْتَرَبْ
وهذا النسيمُ له مؤْذِنٌ ... وهذِى البلابلُ تُمْلِى الخُطَبْ
فَداءِ الكُلومَ ببنْتِ الكُرومِ ... وأفْرِغْ نُضارَك فوقَ الذَّهَبْ

***

وقوله[3] :

حَبَّذا عَيْشُنا ونحن بروْضٍ ... بين هَزْلٍ من الكلامِ وجِدِّ
وغِناءٍ من مُطْرِبٍ وأغانٍ ... وعَبِيرٍ يضُوعُ من عِطْرِ نَدِّ
وهَزارٍ مُغَرِّدٍ وغَـــديرٍ ... بين وَرْدَيْن من نباتٍ وخَدِّ

---

(١) فى الإعلام والسلك . « لاعج صب » . (٢) إعلام النبلاء ٦ / ٤٣٧ ، سلك الدرر ٢ / ٢٠٠ .
(٣) الأبيات فى إعلام النبلاء ٦ / ٤٣٧ ، سلك الدرر ٢ / ٢٠٠ .

وسُقَاةٍ مثـــــل البُدورِ ونَايٍ   ومُدامٍ وضَمٌ خَصْرٍ ونَهْدِ

***

وقوله[1] :

لا ولَحْظٍ بَابِلِيِّ سِحْرُهُ   وخُدودٍ حَفَّها حُسْنُ الضَّرَجْ

وخُصُورٍ مَضَّها طُولُ الضَّنَى   وشُعورٍ فوقها تحكي السَّبَجْ[2]

وثَنـايَا دُرُّها مُنْتظِمٌ   في عَقِيقٍ زانَهُ فيهـا الفَلَجْ

***

[3] هو من قَوْلِ شيخ الإسلام أحمد أفندى المِهْمَنْدارِىّ الحَلَبِىّ ، مُفْتِى دمشق الشام[4] :

إن الشِّفَــاهَ اللّائِى حَمَّلْنَنِى   فى الحُبِّ أضْعافَ الذى لا أُطِيقْ

جَدْوَلُ ياقوتٍ بَدَا تحتَـهُ   سُبْحَةُ دُرٍّ نُظِّمَتْ فى عَقِيقْ

ولمّـا سمع ذلك البارعُ الأريب ، السيد محمد أفندى العُرْضِىّ[5] ، فقال :

تلك الثَّنايَا وَاشتِياقِى بِهـا   باتَتْ تُرِينى عند لَثْمِى الطَّرِيقْ

تبدَّدتْ من غَيْرةٍ عنـدها   سُبْحَةُ دُرٍّ نُظِّمَتْ فى عَقِيقْ

***

عَوْداً[6] :

مانَسِيمُ الرَّوْضِ إلَّا أنه   سارقٌ من طِيبِ ذَيّاكَ الأَرَجْ

ماتراهُ كلما هَبَّتْ ضُحًى   فاح منه أَرَجٌ يُحْيِى المُهَجْ

***

(١) إعلام النبلاء ٦/٤٣٧ ، ٤٣٨ ، سلك الدرر ٢/٢٠٠ .   (٢) السبج : الخرز الأسود .

(٣) من هنا إلى آخر أبيات المهمندارى لم يرد فى : س .

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ، وتقدمت ترجمته فى الصفحة ١/٥٦٠ .

والبيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٣٧ ، ٤٣٨ ، سلك الدرر ٢/٢٠١

(٥) هو محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضى الحلبى وتقدمت ترجمته فى الصفحة ٢/٤٨٣ . والبيتان فيها ٢/٥٠٠ .

(٦) ساقط من : س ، وهو فى : ب .

وقوله[١] :

وَلَمَّا زارَنِى من بعدِ بُعْدٍ ... وكاد اليومُ يَقْضِى بانقضاءِ
وأرْشَفَنِى اللَّمَى بعدَ التَّنائِى ... وأحْيِى الرُّوحَ فى ذاكَ اللِّقاءِ
وقام مُوَدِّعا كالغُصْنِ قَدًّا ... وكالشمس المنيرة فى الضِّياءِ
وآلَى أنَّه فى اليوم يأْتِى ... قُبَيْلَ غروبِ شمسٍ فى السَّماءِ
فليت الشمسَ لو بَقِيَتْ قليلاً ... ففيها كلَّما بَقِيَتْ بقائِى[٢]

***

ومن مُقَطعاته قولُه فى التَّشْبِيه[٣] :

وبدرٍ يُعاطِينى المُدامَ عَشِيَّةً ... ويَمزُجُ أُخْرَى من لَماهُ بأعْذَبِهْ
إذا ما حَساها من فَمِ الكأسِ خِلْتَهُ ... هِلالاً أزاحَ الشمسَ عن وَجْهِ كَوْكَبِهْ

***

قريبٌ مَحْمَلُه من قَوْلِ الكامل فضلِ الله أفندى العِمادِىّ[٤] :

ومُدِيرٍ لنا المُدامَ بكأسٍ ... مثلِ عِقْدٍ حَبابُه مَنْظُومُ
هو بَدْرٌ وفى اليدَيْن هِلالٌ ... فيه شمسٌ وقد عَلَتْهُ نُجُومُ

وأصلُه من قَوْلِ سيِّدى عمر بن الفارض[٥] :

لها البدرُ كأسٌ وهْى شمسٌ يُدِيرُها ... هلالٌ وكم يبْدُو إذا مُزِجَتْ نَجْمُ

***

(١) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٤٣٨ ، سلك الدرر ٢/٢٠١ .

(٢) فى الأصول ، والإعلام ، والسلك : « كلما بقيت فنائى » ، والمثبت من : س .

(٣) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٣٨ ، سلك الدرر ٢/٢٠١ .

(٤) هو فضل الله بن شهاب الدين بن عبد الرحمن العمادى، وتقدمت ترجمته فى النفحة ٢/١١٦ ، والبيتان فيه ٢/١١٩ ضمن أبيات ، وهما فى سلك الدرر ٢/٢٠١

(٥) شرح ديوانه ٢/١٣٩ ، خلاصة الأثر ٣/٢٧٤ ، سلك الدرر ٢/٢٠١ ، نفحة الريحانة ٢/١١٩ .

وللمترجَم أيضا من هذا المعنى[١] :

لله يومِى بالبُسْتان إذ جُلِيَتْ ... علىَّ بنتُ الطِّلا من كفِّ ذى مَلَقِ[٢]

كأنَّه إذْ جَلاها فى الكُؤوسِ ضُحًى ... بدرٌ تناوَل شمساً من يَدِ الأُفقِ

***

وله[٣] :

وليلةٍ قد تقضَّتْ بالدُّجَى عَبَثَتْ ... والكأسُ تُجْلَى وبدرُ التِّمِّ لى ساقِ

فذْ حَساها تراءى لى بغــــير مِرًا ... بدرٌ يُقبِّلُ شمسَ الأُفْقِ من طاقِ[٤]

***

ويُناسِبُه قولُ منصور، المشهور بكَيْغَلَغ[٥] :

عاد الزمانُ بما هَوِيتُ فأَعْتَبا ... ياصاحِبَيَّ فاسْقِيانى واشْرَبا[٦]

كم ليلةٍ سامَرْتُ فيها بَدْرَها ... من فوقِ دِجْلةَ قبل أن يتغيَّبا

قام الغلامُ يُديرُها فى كَفِّه ... فحسبتُ بدرَ التِّمِّ يحمِل كوْكَبا

***

(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٣٨ ، سلك الدرر ٢/٢٠١ .

(٢) فى ب : « من كف ذى الملق » والمثبت فى : س ، والإعلام ، والسلك .

(٣) إعلام النبلاء ٦/٤٣٨ ، سلك الدرر ٢/٢٠١ .

(٤) صدر هذا البيت وأبيات منصور التالية لم يرد فى : س .

(٥) كان منصور بن كيغلغ من أولاد أمراء الشام ، أديبا شاعرا ، ترجمه الثعالبى فى اليتيمة ١/١٠٨ وذكر له هذه الأبيات ، وهى أيضا فى سلك الدرر ٢/٢٠٢ .

(٦) فى اليتيمة : « بمن هويت . . . فسقيانى واشربا » .

٢٧

السيد خضر العُرْضِى (*)

مَوْلَى الفضلِ وسيِّدُه ، ومن انْحشَر إليه حُسْن القولِ وجَيِّدُه .

فعجز عن شأوِه مَن نَاوَاه وقَصَّر ، وعُمِّيَت عليه طُرُقُ الحِيلة فلم يهتَدِ ولم يتبَصَّر .

سكن فى القلوب وُلُوعُه ، من قبل أن تُساكنَ القلبَ ضُلوعُه .

فكل قلبٍ به كَلِيم ، يتْبَعُ خضِراً فى الهوَى بوُدٍّ سَلِيم .

فما ترى له نَظِيراً ولا مِثْلا ، فإذا انتهجتَ فى وَصْفِه فانتهِجْ طريقةً مُثْلى .

فوَصْفُه كلُّه تَلْمِيح وتَمْلِيح ، والعِقْد فى الجِيد المَلِيح مَلِيح .

***

وقد ذكرتُ من شِعْره النَّضِر ، ما الْتَقَى فى رَوْضِه ماءُ الحياةِ والخِضْر .

فمنه قوله ، يمدح بعضَ قُضاةِ حَلَب (١) :

بالصَّدْرِ حاوِى القَدْرِ مَن قَدْرُهُ ... قد جاوَز العَيُّوقَ والنَّسْرَا (٢)

قد أشْرَقَتْ أرْجاءُ شَهْبائِنا ... وفاقتِ المُدْنَ به قَدْرَا

فالعدلُ فيها ثغرُه باسِمٌ ... عن كلِّ إنْصافٍ قد افْتَرَّا (٣)

(*) ترجمه المرادى فى سلك الدرر ٢/٧٨ ـ ٨١ وذكر أن اسمه خالد بن محمد بن عمر العرضى الحلبى الحنفى ، وقال: إنه نشأ يتيما وقرأ على علماء عصره ، ومهر ، ونظم ، ونثر ، وتخرج فى الأدب ، ثم قال : ولم أتحقق وفاته فى أى سنة كانت ، غير أنه فى سنة خمس عشرة ومائة وألف كان موجودا على التحقيق .

هذا وقد نقل المرادى ترجمة المحبى له ، ولم يتنبه إلى إشارات المحبى فى مقدمة الترجمة التى أكد بها أن اسمه خضرا ، ونقل الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/٤٢٢ ـ ٤٢٧ ترجمة المرادى له ، وفعل فعله .

وانظر الحديث عن نسبة « العرضى » فى حاشية النفحة ٢/٤٨٣ .

(١) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٤٢٣ ، ٤٢٤ ، سلك الدرر ٢/٧٨ ، ٧٩ .

(٢) العيوق: نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها . والنسر: كوكبان، الواقع، والطائر .

(٣) فى الإعلام ، والسلك : « باسم ثغره » .

والشَّرْعُ قد نارَ بأحكامِهِ تهلّلتْ أوْجُهُه بِشْرَا
مَوْلًى إذا قِسْتَ به حاتِماً ما قلتَ إلّا كَلِماً هُجْرَا[1]
أو بإياس رُمْتَ تشبيهَهُ أتيْتَ بالمُعضِلَةِ الكُبْرَى[2]
أو كشُرَيْحٍ قلتَ في حُكْمِهِ كنتَ لَعَمْرِي الجاهلَ الغِرَّا[3]
فكلُّ ذي مَنْقَبَةٍ لو رأى سُؤْدُدَهُ دانَ له قَسْرَا
فإنَّه بِكْرُ الليالي إذا أتَى بصُنْعٍ تَلْقَهُ بِكْرَا
لو عَلِمَتْ شَهْباؤُنا أنه يَسْعَى إليها لم تُطِقْ صَبْرَا
وابْتَدَرَتْ تسعَى لأعتابِهِ والْتَمَسَتْ من فضلِهِ العُذْرَا

***

[4] وكتب لبعضِ أحْبابِه مُعاتِباً ومُضَمِّناً البيتَ الأخير، بقوله[5]:

أيا مَن قد تحوَّل عن وِدادِي وعَهْدِي لا يَحُولُ ولا يَزُولُ
فَدَيْتُكَ من غَضُوبٍ ليس يَرْضَى سوى رُوحِي وذا شَيْءٌ قليلُ
أيَجْمُلُ أن تُخَيِّبَ فيكَ ظَنِّي وأنتَ الماجدُ الشَّهْمُ الجليلُ
وكيف رَضِيتَ بي غيري بَدِيلاً ومالي والهوى العُذْرِي بَدِيلُ
على هذا تَعاهَدْنا قديماً أم الجانِي الخَؤُونُ هو الجَهُولُ
أُجِلُّكَ أن تُصدِّقَ فيَّ عَذْلاً ومِثْلِي ليس يَجْهَلُ ما يقولُ
لِيَفْعَلْ مالكي بالعبدِ مهما يَرُومُ فإنه العبدُ الذليلُ

---

(١) الهجر: القبيح والفاحش من القول.
(٢) يعنى إياس بن معاوية بن قرة المزنى القاضى، وتقدم التعريف به فى النفحة ٣/ ٤٥.
(٣) يعنى شريح بن الحارث الكندى القاضى، وتقدم التعريف به فى النفحة ٣/ ٤٥.
(٤) من هنا إلى نهاية الترجمة لم يرد فى: س.
(٥) القصيدة فى: إعلام النبلاء ٦/ ٤٢٤، سلك الدرر ٢/ ٧٩.

فَمِلْ واهجُرْ وصُدَّ فلا اعتراضٌ ... عليك وأنتَ لى نِعْمَ الخليلُ

ولكنّى سأندُب سُوءَ حَظّى ... وما يُجْدِى بكاءٌ أو عويلُ

وكيف وكنتُ آمُلُ منك حُبًّا ... يدُوم وصِدْقَ وُدٍّ لا يحُولُ(١)

وكنتُ أظُنُّ أن جِبالَ رَضْوَى ... تزُول وأن وُدّكَ لا يزُولُ(٢)



(١) فى الأصول : « وكيف وأنت آمل » والتصويب من : الإعلام ، والسلك .

(٢) رضوى : جبل بالمدينة ، وتقدم كثيرا .

٢٨

سليمان بن خالد بن عبدالقادر المدرِّس*

رَوْضُ فضلٍ مَطِير ، عَرْفُه فَوَّاحٌ عَطِير .

يتطايرُ الجِدُّ عند انْقداحِه ، فيُورِي زَنْدَ النَّجاح قبلَ اقتداحِه .

صَحِبْتُه بدمشق إبَّانَ التَّحْصِيل ، والهِمَّةُ تَعْقِدُ بيننا وبين التَّفْرِيع والتَّأْصِيل .

ونحن فى بُلَهْنِيَةٍ[1] هَنِيَّة ، نَقْطِفُ زهرةَ الحياةِ جَنِيَّة .

فلم أعثُر منه على رِيبَة ، ولم أعْهَدْ منه حالة غريبة .

وكان له بيننا حُظْوَة ، لم تَقْصُرْ له عن سابِقِنا خُطْوَة .

فثَوْبُ الاعْتبار لِباسُه ، ونُورُ التوفيقِ اقْتباسُه .

ثم رحل إلى بلدِه حَلَب بفضلٍ وافِر ، وكمالٍ يهُون به كلُّ عَصِيٍّ[2] مُتنافِر .

فتنازَع البلدانِ فيه صَبابةً وكِلاهُما جَمُّ الغرامِ طَرُوبُ

فاجْتنى الآمال لَدْنَةَ الفروع ، وامْترى[3] حَلُوبَةَ العَيْش مَلْآنَةَ الضُّرُوع .

وأحْرَزَ قَصَبَ اليَراع ، فحاكَ وَشْياً مايُحاكُ بالابْتِكار والاخْتراع .

فالأرجاء بأضْوائِه مُؤْتلِقَة ، والأراجِى من الآمِلِين به مُعْتلِقَة .

***

(*) سليمان بن خالد بن عبد القادر الحنفى الحلبى ، المعروف بالمدرس .

كان والده من أمراء الأكراد فى ناحية حلب ، وقد نشأ المترجم بحلب ، وقدم دمشق ، وقرأ بها على علمائها ، ثم رجع إلى حلب وتوطنها ، واشتهر بالنحو ، وتولى تدريس جامع الفردوس وغيره ، وأخذ عنه كثير من العلماء .

توفى بحلب ، سنة إحدى وأربعين ومائة وألف ، عن نيف وثمانين سنة .

إعلام النبلاء ٦/٤٧٨ ، ٤٧٩ ، سلك الدرر ٢/١٥٨ ، ١٥٩ . وقد نقل المرادى ترجمة المحبى له ، ونقلها عنه الطباخ .

(١) البلهنية : طيب العيش ورخاؤه . (٢) فى الإعلام والسلك : « صعب » .

(٣) امترى اللبن : استخرجه واستدره .

ولهُ شِعْرٌ مُخْتار، كأنه جَنَى نحلٍ مُشْتار[١].

فمنه قوله، من قصيدة[٢]:

رَوَى المُلِثُّ بسَيْبِهِ الفَيَّاضِ ... رَبْعًا به زَمَنُ الشَّبِيبةِ ماضِ[٣]

ورَعَى ظِباءً فيه قد طارحْتُها ... ذِكْرَ الغرامِ بأعْذَبِ الأحْماضِ[٤]

فى رَوْضةٍ غَنَّا بغُوطَةِ جِلَّقٍ ... يجْرِى اللُّجَيْنُ بها على الرَّضْراضِ[٥]

مع كلِّ معْسُولِ الثَّنايا لَحْظُهُ ... عند الفُتُورِ أحَدُّ عَضْبٍ ماضِ[٦]

يَفْتَرُّ عن حَبَبٍ يجُول خِلالَهُ ... ماءُ الحياةِ لِمَيِّتِ الإعْراضِ

***

وقوله[٧]:

يامَلِيكًا قد سَبَى كلَّ الورَى ... وعزِيزًا عَزَّ من رامَ حِماهْ

كيف لا أزْدادُ شوقًا إذْ غدَتْ ... قِبْلَتى وَجْهَك فى كلِّ صَلاهْ

---

(١) اشتار العسل: جناه.

(٢) الملث: الغيث المتتابع.

(٣) الأبيات فى: إعلام النبلاء ٦/٤٧٩، سلك الدرر ٢/١٥٨، ١٥٩.

(٤) جمع الحمض - وهو ماملح وأمر من النبات وهى كفاكهة للإبل - على الأحماض، وجمعه الحموض، وأراد هنا مايتفكه به من الكلام.

(٥) تقدم ذكر الغوطة كثيرا، والرضراض: الحصى أو صغارها.

(٦) فى الإعلام والسلك: «أحد عضب الماضى».

(٧) البيتان فى: إعلام النبلاء ٦/٤٧٩، سلك الدرر ٢/١٥٩.

٢٩

مصطفى بن محمد، ابن بيرى البَتْرُونى*

ماجدٌ امتطى بأخمصه فَرْقَ[١] الفَرْقد ، واتخذ الصَّهْلة[٢] والصَّهْوة أنعمَ المَنْعم وأفعمَ[٣] المرْقد .

رَقِىَ من الفضل أسمى المَراقِى ، وأنزع دَلْوَه من السُّؤدد إلى العَراقِى[٤]

مَخْبَرُه قد أخذ من الكمال بالجامع ، ومَخْبَرُه تفترّ منه[٥] ثُغورُ الأمانى فى وُجوه المطامع .

وبينى وبين أبيه فى قُسْطَنْطِينِيَّة ، وأنا وإيّاه عَقِيدا وِدادٍ فى بُلَهْنِيَةٍ[٦] هَنِيَّة ، ذِمَمٌ لا تُرْفَض ، وعِصَمٌ لا تُنْقَض .

فَعَهْدُه نَقْشٌ على صخر ، ووُدُّه نَسَبٌ مَلآنٌ من فخر .

وأمّا كمالُه فقد تجاوَزَ حَدُّه منه ماتَمَّ له ، فأصابته عَيْنُه فيما أَمَّ له ، فأخطأه ما أمَّلَه .

فلَئن أصْلَتْهُ الأيام بنار نَوائِبها ، ونَفَرتْ عن يَدِه الطُّولى بذوائِبها .

(*) مصطفى بن محمد ، المعروف بابن بيرى الحنفى الحلبي البتروني .

أديب شاعر ، قدم دمشق مرارا ، وخالط أدباءها وأفاضلها ، وكانت وفاته بقسطنطينية ، سنة ثمان وأربعين ومائة وألف .

إعلام النبلاء ٦/٤٨٨ – ٥٠٢ ، سلك الدرر ٤/٢٠١ – ٢٠٩ . وقد نقل المرادى ترجمة المحبي له وزاد عليها ، وعنه نقل الطباخ .

(١) فى الأصول : « فرق » ، والمثبت فى : الإعلام والسلك .

(٢) هكذا فى الأصول ، والإعلام ، والسلك . والصهل : صوت الفرس ، والجملة كلها معماة على ، لم أهتد إلى شيء فيها .

(٣) فى الأصول : « أنعم » ، والمثبت فى : الإعلام والسلك .

(٤) العراقى : جمع العرقوة ، وللدلو عرقوتان ، وهما خشبتان يعرضان عليها كالصليب .

(٥) فى ص : « عن » ، والمثبت فى : ب ، والإعلام ، والسلك .

(٧) البلهنية : طيب العيش ورخاؤه.

فلولا السَّبْكُ ماعُرِف للتِّبْر صِرْف[1] ، ولولا النارُ ماعُرِف للعُود عَرْف .

ووَلَدُه هذا أرجو له حَظًّا وافيا ، وعُمْراً يكون ما بَقِيَ من الكَدَرِ صافيا .

فهو للمَعالى مِلْءُ نواظِرها ، وللأماني مَطْمَحُ مَناظِرِها .

وللدهرِ فيه عِداتٌ إنجازُها مضمون ، وآخرُها كأوّلِها من شوائِبِ الزمان مَأْمُون .

وقد ذكرتُ له ماتَسْتجْليه بِكْراً ، وتصْقُل به رَوِيَّةً وفِكْرا .

فمنه قوله ، من قصيدة[2] :

هاجَ لِي بَرْقُ الحِمَى ذِكْرَ الحِمَى ... فاسْتَهَلَّ الدَّمْعُ من عَيْنِي دَما[3]

مَرَّ بي وَهْناً فأذْكَى لاعِجاً ... في فُؤادِي حَرُّهُ قد أُضْرِما[4]

وانْثَنَى يَرْوِي أحاديثَ الصِّبَا ... مُنْجِداً طَوْراً وطَوْراً مُتْهِما

آهِ من دَمْعٍ لِذِكْرِ المُنْحَنَى ... كلَّما حرَّكه الوَجْدُ هَمَى

يا رَعَى اللهُ عُهوداً بالحِمَى ... نَقَضَ الدهرُ بها ما أبْرَما

ولَيالٍ مَنَحتْنا صَفْوَها ... فانْتَهَبْنا العمرَ فيها حُلُما[5]

ومَعانٍ ضرب الحُسْنُ عَلَى ... عَذَباتِ البانِ منها خِيَما[6]

ورَعَى دهراً بها قد مرَّ بي ... في رُباهَا بالأماني مُغْنَما[7]

حيث غُصْنُ العَيْشِ فيها يانِعٌ ... وبِجَفْنِ الدهرِ عن ذاك عَمَى

وسَمِيرِي شادِنٌ لولاحَ لِلْ ... بَدْرِ اعْتَراهُ مِن مَحاقٍ سَقَما[8]

---

(١) الصرف : الذهب الخالص . (٢) إعلام النبلاء ٦/٤٩٣ ، ٤٩٤ ، سلك الدرر ٤/٢٠٦ .

(٣) في ب : « هاجنى فوق الحمى » ، وفي ص : « هاجنى برق الحمى » ، والمثبت في : الإعلام والسلك .

(٤) الوهن : نحو منتصف الليل . (٥) في الإعلام والسلك : « فيها حلما » .

(٦) عذبات البان : أطراف أغصانه . (٧) في الإعلام والسلك : « قد مرلى . . بالأغاني مغنما » .

(٨) في ب : « وسمير شادن » ، والمثبت في : ص ، والإعلام والسلك . وفي ص : « اعتراه محاقا سقما » ، والمثبت في : ب ، والإعلام والسلك .

ظَبْيُ إنْسٍ صِيغَ من لُطْفٍ ولو   مَرَّ بالوَهْمِ تَشَكَّى الألَمَا

***

نقله من قَوْلِ سَيْفِ الدَّولة [1] :

قد جرَى في دَمْعِهِ دَمُهُ   فإلَى كَمْ أنتَ تَظْلِمُهُ [2]

رُدَّ عنه الطَّرْفَ منك فقد   جَرَحَتْهُ منكَ أسْهُمُهُ

كيف يَسْطِيعُ التَّجَلُّدَ مَنْ   خَطَرَاتُ الوَهْمِ تُؤْلِمُهُ

عَوْداً [3] :

سَاحِرُ المُقْلَةِ مَهْضُومُ الحَشَا   سَمْهَرِيُّ القَدِّ مَعْسُولُ اللَّمَى

ما تَثَنَّى في ثَنِيَّاتِ اللِّوَى   مَا ئلًا إلَّا أرانا العَلَمَا

أَلِفَ الهَجْرَ فلو يَخْطُرُ بي   طَيْفُهُ في سِنَةٍ ما سَلِمَا

كَتَبَ الحُسْنُ على وَجْنَتِهِ   بِفَتِيتِ المِسْكِ خَطًّا أعْجَمَا

مَعْشَرَ اللُّوَّامِ إن جُزْتُوا اللِّوَى   فَقِفُوا واسْتَنْطِقُوا تلكَ الدُّمَى [4]

ثم لُومُوا إن قَدَرْتُمْ بعدَها   عاشِقاً فيها اسْتَلَذَّ الألَمَا

***

وقوله [5] :

عَجَباً للعَذُولِ كيف لَحَاني   ورأى الشَّوْقَ قائداً بِعِنَانِي

وأتاني من عَذْلِهِ بفُنُونٍ   في هَوَى ذلكَ الغَزَالِ الجَانِي

يا عَذُولِي على الصَّبابةِ فيه   كُفَّ عَذْلِي عن طَرْفِهِ الوَسْنَانِ

لا تَلُمْنِي فقد عَلِقْتُ بِظَبْيٍ   سَرَقَتْ قَدَّهُ غُصُونُ البَانِ

---

(١) الأبيات في : إعلام النبلاء ٦/ ٤٩٤ ، سلك الدرر ٤/ ٢٠٦ ، يتيمة الدهر ١/ ٤٦ .

(٢) في الإعلام والسلك : « من دمعه دمه »   (٣) زيادة من : ب ، على ما في : ص .

(٤) كذا في الأصول : « إن جزتوا » ، وهو يعني : « إن جزتم » ، وفي الإعلام والسلك : « إن جزت الوادي » .   (٥) القصيدة في : إعلام النبلاء ٦/ ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، سلك الدرر ٤/ ٢٠٦، ٢٠٧ ، عدا البيتين : التاسع ، والثاني عشر .

(ذيل النفحة ٢٤)

هو نَشْوانُ من عُصارةِ خَدَّيْـ ـهِ لا مِن عَصيرِ بنتِ الدِّنانِ
يمزُجِ الدَّلَّ بالنِّفارِ ويفتَرّ م دَلالاً عن مِثْلِ حَبِّ الجُمانِ
يالها سُبْحةٌ تَراءتْ لعيْـــني دُرَرٌ سِلْكُها من المَرْجانِ
قد حَمَى خَــدَّه بآيةِ موسَى فنَمَى السِّحْرُ منه فى الأجْفانِ[1]
إن حُبِّى له كما هو فى الحُسْـ ـنِ فريدٌ فمـــالَه من ثانِ
بدرُ تِمٍّ فى كلِّ يومٍ ترَاهُ فى ازْدِيادٍ والبدرُ فى نُقْصانِ[2]
رَشأٌ ما بطَرْفِهِ من سَقــامٍ ما بجِسْمِ المُضْنَى الكئيبِ العانِى
لو تبدَّى لمسلمٍ قال شَجْواً غيرُ مُسْتَحْسَنٍ وِصالُ الغَوانِى

***

وقوله[3] :

مَن عَذيرِى فى هوَى رَشأٍ طَرْفُه بالسِّحْرِ مُكْتَحِلُ
يَنْثَنِى كالغُصْنِ من هَيَفٍ بقَوامٍ زانَه المَيــلُ
شادِنٌ يفـــتَرّ عن بَرَدٍ ناصِعٍ فى ضِمْنِه عَسَلُ
تاهَ عُجْباً فى شَمائِـــلِهِ فهْوَ من خَمْرِ الصِّبا ثَمِلُ
ذِلَّتِى فيـــه كعِزَّتِهِ بِكِلانَا يُضْرَبُ المَثَلُ

***

ومن مُقَطَّعاته قولُه[4] :

وكأنَّما جُرُمُ الكواكبِ قدبَدَتْ للنّاظِرين على غَدِيرِ الماءِ

(١) فى الإعلام والسلك : « بآيات موسى » ، وآية موسى كانت فيما بهر به السحرة من معجزات .
(٢) فى الإعلام والسلك : « والبدر فى النقصان » .
(٣) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/ ٤٩٥ ، سلك الدرر ٤/ ٢٠٧ .
(٤) إعلام النبلاء ٦/ ٤٩٥ ، سلك الدرر ٤/ ٢٠٧ .

شَرَرٌ يُبَعِّدُهُ النَّسِيمُ بِمَرِّهِ   من فوقِ وَجْهِ مُلاءَةٍ زَرْقاءِ

***

وقوله[1] :

لَهْفِي لِماضِي عَيْشٍ تَقَضَّى   والعَيْشُ فيه حَظٌّ وَرِيقْ

أيَّامَ فِي حِينِهِ التَّصابِي   نَقْلٌ وَراحِي عَضٌّ وَرِيقْ[2]

***

وقوله[3] :

كُلَّما رُمْتُ سَلْوَةً عن هَواهُ   جاءَ ناهٍ من حُسْنِهِ مَقْبُولُ

خَطُّ لامِ العِذارِ معْ أَلِفِ القَدِّ   يَصُدُّانِي فكيفَ السَّبِيلُ

***

مِثْلُه قولُ سيدِنا الشيخ عبدِ الغَنِيِّ النَّابُلُسِي[4] :

مُقْبِلُ الوَجْهِ كُلَّما صَدَّ وَافَى   زائراً لِي فَيَعْقُبُ النَّحْسَ سَعْدُ

يفعلُ الذَّنْبَ ثم أَحْنُو عليهِ   حيثُ يأتي بشافعٍ لا يُرَدُّ

والأصلُ فيه قولُ القائلِ[5] :

وإذا المليحُ أتَى بذَنْبٍ واحِدٍ   جاءَتْ مَحاسِنُهُ بألفِ شَفِيعِ

وللمصنِّف، رحمه الله، مايقرُبُ من ذلك[6] :

وأُرِيدُ أنْ أُبْدِي شِكايَةَ هَجْرِهِ   فيسُدُّ منه بكأسِ مَوْعِدِهِ فَمِي

***

(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٩٥ ، سلك الدرر ٤/٢٠٧ .

(٢) فى الإعلام والسلك : « غصن وريق » .

(٣) إعلام النبلاء ٦/٤٩٥ ، سلك الدرر ٤/٢٠٧ .

(٤) البيتان فى سلك الدرر ٤/٢٠٧ . (٥) سلك الدرر ٤/٢٠٧ .

(٦) هكذا نسب السؤالاتي وابن السمان هذا البيت إلى المحبي ، وتجد ذلك أيضا فى السلك ٤/٢٠٨ نقلا عن ذيل النفحة ، والحق أن البيت مما عربه المحبي لمحمد بن فضل الله الرومي المعروف بمعيدي ، انظر النفحة ٣/١١٦ .

وللمترجَم فى مُعَذَّر [١] :

قالوا تَعذَّر فاقْلِعْ عنه قلتُ لهم كُفُّوا الملامَ فقد حَلَّى محاسِنَهُ
فالبدرُ ليس له نُورٌ يُضاء به إلّا إذا ما سَوادُ الليلِ قارَنَهُ

وقوله :

وعَد الطَّيْفُ زَوْرَتِى فى المِثالِ وأرَى ماعَداهُ عَيْنَ المحالِ
لو وَفَى طَيْفُك المُلِمُّ بوَعْدِى لرأى للرَّقيبِ ألْفَ خيالِ

***

وقوله :

حين لاحَ المَشِيبُ فى الفَوْدِ مِنِّى أعرَضَ الغانياتُ عنِّى وصَدُّوا
فكأنَّ المَشِيبَ نُورُ ذُكاءٍ وكأنَّ الجفونَ مِنْهُنَّ رُمْدُ [٢]

***

وقوله :

إيَّاكَ أن تُصْغِى إلى رَأْىِ مَنْ لرُتْبَةِ التَّدْبيرِ لم يَبْلُغِ [٣]
فأنتَ أَوْلَى منــه باللَّوْمِ إذْ برَأْيِهِ أفْســدَ ما تَبْتَغِى

***

وقوله :

مُذْ غَرَبتْ شمسُ مُحيًّا مُؤْنِسِى عنِّى فجَفْنِى قد بَراهُ الأَرَقُ
فالجَفْنُ بابُ تَوْبَةٍ مالم تَؤُبْ الشمسُ من مَغْرِبِها لا تُغْلَقُ

***

وقوله :

(١) إعلام النبلاء ٦/٤٩٥ ، سلك الدرر ٤/٢٠٨ (٢) ذكاء : الشمس .
(٣) فى ب « إياك والإصغا إلى رأى من » ، والمثبت فى : س .

أجْفانُ عينى لم تَذُقْ طعمَ الكَرَى مُذْ ثُوِّرَتْ للظّاعنين العِيسُ[(١)]
فكأنَّ أجْفانِى حَديدٌ بعدَهم وحَوَاجِبِى فى الجَفْنِ مِغْناطِيسُ

***

وقوله فى دعوة :

ياسيِّدِى أنْعِمْ فنحن برَوْضَةٍ مُخْضَلَّةِ الأزهارِ والأعْوادِ
فى الِانْتظارِ إلى قُدومِ جَنابِكم مِثْلَ انْتظارِ أهِلَّةِ الأعْيادِ

***

وقوله فى تشبيه القَرَنْفُل :

ألَا حَبَّذا فى الرَّوْضِ زَهْرُ قَرَنْفُلٍ ذَكِىُّ الشَّذَا قانِى الأديمِ مُوَرَّدِ
إذا مابَدَا للنَّاظِرِين حَسِبْتَهُ مِجَنَّ عَقِيقٍ فوقَ رُمْحِ زُمُرُّدِ

***

مثله للمُصَنِّف ، رحمه الله[(٢)] :

وَافَى القَرَنْفُلُ مُعْجِباً فينــا بمَنْظَرِه الأنِيقْ
يُبْدِى زُنُودَ زَبَرْجَــدٍ حملتْ رُؤُوساً من عَقِيقْ

***

وقولُ المترجَم :

قَرَنْفُلُنا يَحْكِى وقد ضــاعَ نَشْرُهُ ولاحَ لنــــا فى ثَوْبِه المُتَوَقِّدِ
صِحافاً من الياقُوتِ قد نُصِبَتْ لها سَواعِدُ إلَّا أنهـــا مِن زَبَرْجَدِ

***

(١) ثورت العيس : أثيرت للرحيل .

(٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ٢/٣٩٦ ، نفحة الريحانة ٢/٥٣ ، وقد نسبهما ابن شاشو فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٢٣ إلى عبد القادر بن عبد الهادى .

وأحسنُ منه قول الحسيبِ النَّسيبِ ، السيد عبد الرحمن بن النَّقيب الدِّمشْقِيّ[1] :

أهْدَى لنا الرَّوْضُ من قَرَنْفُلِهِ عَبِيرَ مِسْكٍ لديْه مَفْتُوتِ

كأنما سُوقُه وما حَمَلَتْ من حُسْنِ زَهْرٍ بالطِّيبِ مَنْعُوتِ

صَوَالِجٌ مِن زَبَرْجَدٍ خَرَطَتْ لها الغَوادِي كُرَاتِ يَاقُوتِ[2]

[3] وللفاضل [4] عثمان بن الشيخ محمد [4] الشَّمْعَة :

زَهْرُ القَرَنْفُلِ قد بَدَا في زِيِّهِ الباهِي العجيبْ

كخَدِّ ظَبْيٍ خَجِلٍ من فوق قَدٍّ كالقَضِيبْ

وقد أكْثَرَ أدباءُ العصر وغيرُهم في تَشابِيهِ القَرَنْفُل ، فلْنُمْسِكْ عِنانَ القلم عن ذلك ، لئلا يطُولَ بنا الذَّيل ، فإنه عَدَدُ نُجوم الليل .

***

وللمترجَم :

فُتِنْتُ بلَحْظٍ أحْوَرٍ كلَّما رَنَا أذاب حَشَا أهلِ الهوى باحْوِرَارِهِ

يُدِيرُ كُؤُوسَ السِّحْرِ من نَفَثاتِهِ فيُذْهِلُهم عن شِحْرِهِ بعُقارِهِ[5]

***

(١) تقدمت ترجمته في الصفحة ٢/٣٤ ، والأبيات فيها ٢/٤٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ١٢٤ ، وخلاصة الأثر ٢/٣٩٤ .

(٢) بعد هذا في س زيادة : « وقد نقله من قول أحمد بن الأرَّجاني :

بأبي العذارَ المُسْتديرَ بخَدِّهِ وكمالِ بهْجةِ حُسْنِه المَنْعُوتِ

فكأنَّما هو صَوْلَجانُ زُمُرُّدٍ مُتَلَقِّفٌ كُرَةً من الياقُوتِ »

والبيتان في ديوانه ٦٩ .

(٣) من هنا إلى آخر البيتين التاليين لم يرد في : س .

(٤) في الأصول : « محمد بن الشيخ عثمان » ، وقد نبهت إلى هذا الاختلاف في إيراد اسمه في صفحة ١٩٨ ، وتجد هناك التعريف به .

(٥) يعني بشحره العنبر الشحري ، أي رائحته الزكية الطيبة .

وله فى تشبيه لَعْلِ الكفا[1] :

حكَى لَعْلُ الكفا لمّا تَبَدَّى ... بِمَنْظَرِه الأنيقِ مِن ازْدِهاء
سِهامَ زُمُرُّدٍ حملتْ رُؤوساً ... لُجَيناً قد خُضِبْنَ من الدِّماء

***

وله :

وكأنّ سَيْفَكَ فى الكَرِيهةِ جَدْوَلٌ ... ونُحُورُهم لوُرُودِ ذاكَ صَوادِ
وكأنَّ رُمْحَكَ غُصْنُ بانٍ مائدٍ ... وطُيُورُ أنفُسِهم عليه غَوادِ

***

وله :

أفْدِيهِ من مُسْتَنْصِرٍ بِناظِرٍ ... ليس عليه لقتيلٍ قَوَدُ
نِطاقُهُ الأخضرُ فوقَ خصرِه ... كخِنْصَرٍ خاتَمُهُ زَبَرْجَدُ

***

وله[2] :

وطَرْفٍ لُجَيْنِيِّ الإهابِ تخالُه ... شِهاباً إذا ما انقضَّ فى مَوْقِفِ الزَّحْفِ
يُسابِقُ بَرْقَ الأُفْقِ حتى إذا رَنا ... يُسابِقُ فى مِضْمارِه مَوْقِعَ الطَّرْفِ

***

ومن مُعَمَّياته قولُه فى أحمد[3] :

قُمْ ياحبيبي نَصْطَبِحْ ساعةً ... على غَديرٍ ماؤُه كالنُّضارْ[4]
فقد أزاحَ الظَّبْيُ تاجَ الطِّلا ... ودارَها صِرْفاً كما الجُلَّنارْ

***

(١) اللعل : حجر كريم ، والكلمة من الدخيل . انظر المنجد .

(٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٩٦ ، سلك الدرر ٤/٢٠٨ .

(٣) إعلام النبلاء ٦/٤٩٦ ، سلك الدرر ٤/٢٠٩ .

(٤) فى ب : « قم يانديمى » ، والمثبت فى : ص ، والإعلام ، والسلك .

وقوله فى مَلِيك[1] :

أيا نسيماً قد سَرَى مُعْلِنــــاً رِفقاً بِصَبٍّ خَلَّفُوه لَقَى[2]
فناظرى مُذْ لاح بَرْقُ الحِمَى غُصْنٌ وقلبى ذاب مُذْ أبْرقَا[3]

***

وقوله فى درويش[4] :

رُبَّ رَوْضٍ قد حَلَلْنا دَوْحَهُ وتمتَّعْنا اغْتِباقاً واصْطِباحا[5]
طاف بالوَرْدِ علينـا شادِنٌ زاد بالقلبِ غَرَاماً حين لاحَا

***

وقوله فى مسلم[6] :

مُذْ بدا يَنْثنِي قَواماً مائِســاً قلتُ والعينُ بماء تَذْرِفُ
بلَمَاك العَذْبِ ياغُصْنَ النَقَا جُدْ على مُضْنًى بَراهُ الأسَفُ

***

وقوله فى أغْيَد[6] :

بَدْرُ تِمٍّ يَنْثَنِي من مَيَدٍ بقَوامٍ مائِسٍ يَسْبِي العَذَارَى
أقْسمَتْ ألحاظُه النُّجْلُ بأن تخْلَعَ النُّسْمَ على القلبِ شِعارَا

***

(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٩٦ ، سلك الدرر ٤/٢٠٩ .
(٢) فى الإعلام والسلك : « سرى موهنا » .
ولقى : مطرح مهمل .
(٣) فى الإعلام والسلك : « غض وقلبى » ، وفى الأصول : « مذ برقا » ، والمثبت فى : الإعلام والسلك .
(٤) إعلام النبلاء ٦/٤٩٦ ، سلك الدرر ٤/٢٠٩ .
(٥) الاغتباق : شرب العشى ، والاصطباح : شرب الصباح .
(٦) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٩٦ ، ٤٩٧ ، سلك الدرر ٤/٢٠٩ .

[1] وله هذا المُوَشَّح العجيب ، الفائق الغريب ، حَذا به على طريقة مُوَشَّحات الأندُلُسِيِّين ، المُقدَّم ذِكرُهم وقافيتهم ، مدَح به جَنابَ العالم العَلَّامة ، العُمْدةِ الفَهَّامة ، مولانا وأستاذنا الشيخ عبدالغنيّ النَّابُلُسيّ ، حفظه الله تعالى ، وهو [2] :

هاجَ أشْجانَ الجوى بَرْقُ الحِمَى   مُسْتَطِيراً فى دَياجِى الغَلَسِ
شَبَّ فى قلبى وأذْكَى ضَرَما   حين أوْرَى زَنْدَه كالْقَبَسِ

قد حَــكَى قلبَ الشَّجِى إذومَضَا   باضْطِرابٍ وخُفُوقٍ ووَجِيبْ
شــاقَ مُذْ ضاءَ على ذاكَ الأضَا   كلَّ صَبٍّ فى الهوَى مُضْنًى كئيبْ [3]
فهْو فى الظَّلْماءِ سيفٌ مُنْتَضَى   أو جَريحٌ من بَنِى الزَّنْجِ سَلِيبْ [4]

كاد يحكى زَيْنَباً مُبْتَسِمًا   لو تحــلَّى بالرُّضابِ اللَّعِسِ
بل حَكَى لَوْنَ طِرازٍ رُقِمَا   بنُضارٍ فى حَواشِى أطْلَسِ [5]

يارَعَى اللهُ عُهــودِى باللِّوَى   ومَغانِى الشِّعْبِ من وَادِى العَقِيقْ
حيثُ رَوْضُ الأُنْسِ مُعْتَلُّ الهوا   وبه غُصْنُ المُنَى غَضٌّ وَرِيقْ [6]
مَعْهَدٌ قد عاهَــدَ القلبَ جَوًى   فى رُباهُ بالهوَى عَهْــداً وَثِيقْ [7]

---

(١) من هنا إلى نهاية الترجمة لم يرد فى : س .

(٢) الموشح فى إعلام النبلاء ٦/٤٩٨ ـ ٥٠١ ، نقلا عن كتاب كمال الدين الغزى العامرى الدمشقى المسمى بالورد الأنسى فى ترجمة النابلسى ، وذكر مؤلفه أن الشاعر أرسل الموشح إلى النابلسى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف .

(٣) الأضاة : الغدير .   (٤) فى الأعلام بعد هذا زيادة :

أوْدَعَ الأكْبادَ نِيرانَ الغَضَا   وَمَضَى خِلْوًا من الْوَجْدِ سَلِيبْ

ولا يتفق هذا مع الالتزام الموجود فى الموشح .

(٥) ذكر الطباخ هنا دورا زائدا عما جاء فى ذيل النفحة . انظر إعلام النبلاء ٦/٤٩٨ .

(٦) فى ص : « غصن وريق » ، والمثبت فى : ب ، وإعلام النبلاء .

(٧) فى الأصول : « عهد وثيق » ، والمثبت فى إعلام النبلاء .

وسَقَتْهُ السُّحْبُ منها دِيَمَاً قد هَمَتْ بالعارضِ المُنْبَجِسِ
وشَفَتْ من تُرْبِهِ بَرْحَ الظَّمَا وجَلَتْهُ من مُرُوطِ السُّنْدُسِ (١)

يا أُهَيْلَ الشِّعْبِ كم هذا الجَفَـا لِمَشُوقٍ لم يجِدْ عنكم بَدِيلْ
أتُرَى هـل تسْمَحُوا لى بالوَفَا ويُرَى ظلُّ اللِّقـا منكم ظَلِيلْ
إن جَفْنِى من جَفاكُم ما غَفَا وغَـدَا جسمِى من الهجْرِ عليلْ (٢)

فارْحمُوا مَن صار فيكم مُغْرَمَا وبثَوْبِ السُّقْمِ منكم قد كُسِى
والهوَى جارَ به مُذْ حَكَمَا وهْو من لُقْيَاكُمُ لم يَيْأَسِ

حَـلَّ فى قلبِىَ منكم قمرُ ظَبْىُ إنْسٍ تخذَ القلبَ مُقامْ
شادِنٌ فى الثَّغْرِ منـه دُرَرُ نُظِمتْ نَظْمَ حَبابٍ فى مُدامْ (٣)
ذو لحاظٍ زانَهُنَّ الحَـوَرُ راشَ منها السِّحْرُ فى القلبِ سِهامْ

عَنْدَمِىُّ الخدِّ مِسْكِىُّ اللَّمَى جال فى فِيهِ شرابُ الأكْؤُسِ (٤)
لَذَّ فى تَعْذِيبِهِ سَفْكُ الدِّمَا وحَلاَ فيه ذهابُ الأنْفُسِ

كم ليالٍ بِتُّ فيهـا قاطِفَا زَهَرَ الوَصْـلِ بكَفِّ القُبَلِ
وغَـدَا ظِـلُّ التَّهـانِى وارِفَا بمُحَيَّاهُ ونَيْـلِ الأمَـلِ (٥)

---

(١) فى إعلام النبلاء : « وشفت من حرها » . (٢) رواية إعلام النبلاء :

إنَّ جَفْنِى مُذْ نَأَيْتُمْ ما غَفَا وغَدَا لَيْلِى مِنَ الهجْرِ طَوِيلْ

(٣) فى إعلام النبلاء : « نظمت فيه حباب فى مدام » . (٤) العندم : خشب نبات يصبغ به .
(٥) جاء مكان هذا البيت والذى يليه فى إعلام النبلاء :

لاثِمًا طَوْرًا وطَوْرًا راشِفَا شَنَبًا مِثْلَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
وبِوَاوِ الصُّدْغِ يَثْنِى عاطِفَا قَدَّهُ المُزْرِى بِقَدِّ الأَسَلِ

وانثنى نحوَ المُعنّى عاطفاً قدَّه المُزرِى بقدِّ الأسَلِ[1]
فضممتُ الخصرَ منه مِثلما ضمّتِ الأسهُمَ أعطافُ القِسِى
وغدا يحسُدنى بدرُ السَّما حيث بدرِى قد أضا فى مجلِسِى

كاد ليلى بالتَّلاقى قِصرًا يعثُرُ الفجرُ به فى الشَّفَقِ[2]
وغدا فيه لسانى حَصِرًا فتناجينا بوَحْىِ الحدَقِ[3]
وارتشفتُ الرّاحَ فيه خَصِرًا من رُضابٍ مِثلِ ذوْبِ الوَرِقِ

عطّرتْ أنفاسُهُ مِنّى فَمًا وكسا طيبُ شذاهُ نَفَسِى
فنظمتُ الدُّرَّ منّى كَلِمًا فى ثنا عبدِ الغنِى النَّابُلُسِى

نُورُ مِشكاةِ مَصابيحِ الهدى مُظهِرُ الأسرارِ فرّاجُ الكُرَبْ
مَن بأنوارِ هُداه يُقتدَى إن دجا الشكُّ وعمَّ المحتجَبْ
أطوَلُ العالَمِ فى العلمِ يدًا وأمدُّ الخلقِ فى الفضلِ سبَبْ

نفثتْ فى الرُّوعِ منه عِندما راهَقَ التَّمييزَ رُوحُ القُدُسِ[4]
وغدا عند التَّناهِى عَلَما ساطعَ الأنوارِ للمقتَبِسِ

بحرُ عِلمٍ قد طمَتْ أمواجُهُ لِذوِى الأفضالِ من خاصٍّ وعامّْ
وتناهَى فى العُلا مِعراجُهُ حيثُ لم يبقَ إلى مَرْقًى مقامْ
ولكلٍّ قد أضا مِنهاجُه فلهذا غصَّ من فرْطِ الزِّحامْ

(١) الأسل : الرماح ، ونبات دقيق الأغصان طويلها .

(٢) فى س : « كاد ليل » ، وفى إعلام النبلاء : « ليل وصل قد تناهى قصرا » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى إعلام النبلاء : « بوحى الحدق » .

(٤) الروع : سواد القلب .

ومن الفضلِ أرانا أنجُماً في دُجا الجهل البَهيمِ الحِنْدِسِ(١)
يهتدِي السَّالكُ منها عِنْدَما تُجتلَى مثلَ الجَوارِي الكُنَّسِ(٢)

يالَهُ روضٌ كالٍ ناضرٍ عطَّرَ الدنيا بزاكي عَرْفِهِ
جَمَّلَ الكوْنَ بفضلٍ باهرٍ قَصُرتْ أفهامُنا عن وَصْفِهِ
ولَكَمْ أحْيَى لعلمٍ داثرٍ بعُقودٍ نُظِمَتْ من رَصْفِهِ(٣)

وجَلا عن طُرُقِ الحقِّ عَمَى بعدَها الأفهامُ لم تَلتَبِسِ
فهْوَ مُحْيِي الدِّينِ في العصرِ وما غيرُه يسْمُو لهذا النَّفَسِ

يافريدَ الدهرِ ياقُطْبَ العُلَا يامنارَ الحقِّ إن ضلَّ الأثرْ(٤)
ها كَها عَذْراءَ زينَتْ بحُلَى وأتَتْ ترْفُلُ في بُرْدِ الحِبَرْ
وسمَتْ في مَدْحِكم بين المَلَا بعُقودٍ فصَّلَتْها بدُرَرْ

ترْتَجِي مُلْتَمَساً والاِنْتِما للمعالِي بُغْيَةُ المُلْتَمِسِ
دُمْتُمُ الدهرَ مَلاذاً وحِمَى ماعفا الحُسْنُ فيه عن مُسِي

***

ولِجَناب الممدوح المذكور ، أدام الله بقاءه ، وكان أحدُ مُريديه رأى فى مَنامِه ، أن جنابَ الشيخ نظم مُوَشَّحاً من هذه القافية والوزن ، وعلِق فى ذِهْنِه مَطْلَعَه ، ونَسِيَ بَقِيَّته ، فأخبره بذلك ، فأخذ الشيخ القلم ، وكتب ارتجالا :

---

(١) الحندس : الشديد الظلمة .

(٢) فى إعلام النبلاء : « يهتدى السالك منها بدُمَى » .

والجوارى الكنس : هى السيارة ، وهى النجوم الخمسة : بهرام، وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشترى.

(٣) فى إعلام النبلاء : « من وصفه » . (٤) فى إعلام النبلاء : « يافريد العصر » .

شكَرَ الرَّوْضُ لنا غيثَ السَّمَا إِذْ كَساهُ حُلَلًا من سُنْدُسِ
ونَسيمُ الرَّوْضِ لَمَّا نَسَمَا نُبِّهتْ منه عُيونُ النَّرْجِسِ

هكذا الرَّائى رآنى فى المَنامْ ناظِماً تَوْشِيحَ هذا هكذا
وله أَتْمَمْتُ إِنْشادَ النِّظامْ لكنِ الحِفْظُ لِذَيْن اسْتَحْوَذَا
ولِباقِيهِ نَسِى إِذْ لا مَلامْ فأَخَذْتُ الآنَ فيه مَأْخَذَا

فاسْتَمِعْ إِتْمامَ ماقد نَظَمَا فى مَنامٍ يَقْظَةً يامُؤْنِسِى
فعسى اللهُ يُجِيدُ الكَلِمَا ويُعِيدُ الآن ما منه نُسِى

قُمْ بنا يانُورَ عينى للرِّياضْ نَغْنَمُ الأوقاتَ فى العَيْشِ الهَنِى
حيثُ رَقْراقُ نَسيمِ الفَجْرِ فاضْ والأزاهيرُ بَدَتْ فى الغُصُنِ
والربيعُ الطَّلْقُ يَزْهُو بالبَياضْ واحْمِرارُ الخدِّ من نَبْتٍ جَنِى

وتأَمَّلْ مالَدينا رُقِمَا بالضِّيا فى ظُلُماتِ الحِنْدِسِ
وانْظُرِ اللَّوْحَ وهذا القَلَمَا كيف يَجْرِى فى صِحافِ الغَلَسِ

نَفْحَةُ الوردِ دَنَتْ بين الرُّبَا تُكْسِبُ العِطْرَ لأذْيالِ الغُصونْ
وغَدَا الشَّمْأَلُ يلْهُو والصَّبا بشَذَا سِرِّ العَشِيَّاتِ المَصُونْ
وأتانا من حِمَى الغَوْرِ نَبَا أَنَّ مَن تَهْواهُ فى تلك الحُصونْ

ومَليحُ الوَجْهِ لَمَّا ابْتَسَمَا لَانَ عِطفًا بعدَ ما كان قَسِى[1]
ورَمَى من مُقْلَتَيْه أَسْهُمَا فى الحَشا عن حاجبٍ مِثْلِ القِسِى

أَهْيَفُ القامةِ يَزْهو بالدَّلالْ مالَهُ بين البَرايَا من نَظِيرْ

---

(١) كسر السين لتناسب القافية .

طَرْفُهُ يُزْرِى بِأَلْحَـاظِ الغَزالْ ولهُ جِيدٌ سَبَى الظَّبْىَ الغَرِيرْ
لَيْتَه بِالعَدْلِ زانَ الاعْتدالْ ولنا من لَحْظِه كانَ يُجِيرْ

لَيْتَه كانَ سَقانا من لَمَى ثَغْرِهِ خمراً حَياةَ الأَنْفُسِ
هَجْرُهُ هـذا وذا الصَّدُّ لِمَا نَحن فيه فى أَخِيرِ النَّفَسِ

يازمانَ الوَصْلِ بالغِيدِ المِـلاحْ أَين منك العاشقُ الصَّبُّ الكَئِيبْ
ماعلَى المُشْتاقِ فى الحُبِّ جُناحْ أَنْ تَهيَّا لِمُلاقاةِ الحَبيبْ
لِلَّذِى يهْوَى يَلَذُّ الافْتضـاحْ ولِداعِى الغَىِّ تلْقـاهُ مُجيبْ

منه دَمْعُ العينِ باللَّذِّ كَرَى هَمَى وهْو من نَيْلِ المُنَى لم يَيْأَسِ(١)
كُلَّما لاحَ له بَرْقُ الحِمَى ذابَ شَوْقاً لِظباءِ الـكُنَّسِ(٢)

وصلاةُ اللهِ رَبِّى والسَّـلامْ دائماً مِنِّى على طَـهَ الرَّسُولْ
أَحمدُ المختارُ مِصْباحُ الظَّلامْ مَنْ سَمَا بالله فى أَوْجِ الوُصُولْ
وعلى الأَصحابِ والآلِ الكِرامْ وعلى الأَتْباعِ أَرْبابِ العُقولْ

مَن بِهِمْ يَدْفَعُ ماقد دَهَمَا فى الورَى عبدُ الغَنِى النَّابُلُسِى
ولَهُم يُهْدِى مَدِيحاً نَظَمَا للتَّرَقِّى فى المَقامِ الأَقْدَسِ

***

وللفاضل الأَرِيب، شارح « مغنى اللبيب »، العالم العَلّامة أحمد(٣) بن المُنلا الحَلَبِىّ عَرُوضُ ذلك، وهو ثابت فى « الأصل »(٤)، ولكن أَحْبَبْتُ إيرادَه لتَوْشِيَة هذا « الذيل »، وهو :

---

(١) فى الأصول : « من ييأس » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) الكنس : التى تكنس ، أى تدخل كناسها .
(٣) فى الأصول : « محمد » ، وهو خطأ وانظر ترجمته فى النفحة ٢/٦٥٥ .
(٤) أى النفحة ، وهو فيها ٢/٦٥٦ ـ ٦٥٨ ، وإعلام النبلاء ٦/١٤٤ ، ١٤٥ .

رُبَّ رَاءٍ رامَ قلبي فرَمَى ... فيه سهْماً جاءَ من غيرِ قِسِي [1]

مَن رأى ظَبْياً أرانا أسْهُماً ... مِنَ لحاظٍ كعُيونِ النَّرْجِسِ

يانديمى قُمْ صفَا وقتُ الهنَا ... فاملَ لى الكاسَ وعجِّلْ بالطِّلَا [2]

وأدِرْها خمرةً تُولِى المُنَى ... فزمانُ الأُنْسِ بالبِشْرِ حَلَا

والحَيَا قد ألبسَ الرَّوْضَ السَّنَا ... وعلى الدَّوْحِ من الزَّهرِ حُلَى [3]

وحَكَتْ بالأنْجُمِ الأرضُ السَّمَا ... إذْ غدَتْ بالزَّهْرِ منها تكتَسِي

وحبَا الأغْصانَ طَرْزاً مُعْلَماً ... حينَ ما ماسَ بأبهَى مَلْبَسِ

ماترى ياصاحِ أغْصانَ الرُّبَا ... مائلاتِ القَدِّ من خَمْرِ السَّحابْ [4]

رَنَّحَتْها سُحْرَةً أيدِى الصَّبا ... فصبا القلبُ إليها باكْتِئابْ

ومنَ الزَّهْرِ لها أعْلَى قِبا ... ومن الدَّوْحِ لها أعْلَى قِبابْ [5]

نقَّطتْها السُّحْبُ دُرّاً مِثْلَما ... كسَتِ الرَّوْضَ بثَوْبٍ سُنْدُسِ [6]

وشَذَا عَرْفِ نَسيمٍ هَيَّمَا ... وكذا يفعلُ زاكِى النَّفَسِ [7]

مالِلاحِ مُذْ لَحَى طابَ الهوَى ... فى حَبيبٍ وجهُهُ يحْكِى القمرْ

لَذَّ لى فى حُبِّه مُرُّ النَّوَى ... وارتكابُ الهوْلِ يوماً إن خطَرْ

ماعلَى مَن نجْمُهُ فيه هَوَى ... حين ما صَدَّ دَلالاً ونفَرْ

(١) فى النفحة : « رب ريم رام » ، وكذلك فى الإعلام .

(٢) فى إعلام النبلاء . « فاملأ الكاس » .

(٣) فى الإعلام : « الروض سنا » ، وفى النفحة : « الروض اثنا » .

(٤) عجز هذا البيت وصدر الذى يليه ساقطان من إعلام النبلاء .

(٥) فى إعلام النبلاء : « بها عالى القباب » ، وفى النفحة : « أعلى قبا . . . لها عالى القباب » .

(٦) فى الإعلام والنفحة : « بثوبه سندسى » .

(٧) فى الإعلام : « وشذا عرف نسيما هيما » ؛ وفيه وفى النفحة : « ذاكى النفس » .

أحْوَرِيُّ اللَّحْظِ مَعْسُولُ اللَّمَى أشْنَبُ الثَّغْرِ شَهِيُّ اللَّعَسِ [١]
ثَغْرُه أبْدَى لنا بَرْقَ الحِمَى وأثِيثُ الشَّعْرِ ثَوْبَ الغَلَسِ

يالَهُ بَدْرٌ حَمَى عَنِّى الكَرَى قَدُّه والطَّرْفُ عَضْبٌ وأسَلْ
فى دُجَى شَعْرٍ له بَدْرٌ سَرَى وبشمسِ الوَجْهِ ليلٌ قد نَزَلْ
خَنِثٌ فى جَفْنِه أُسْدُ الشَّرَى وعَلَى أعْطافِه لِينٌ ودَلّ

ساحرُ المُقْلَةِ مَعْشُوقُ الدُّمَى قمرُ الأُفْقِ وظَبْيُ المَكْنَسِ [٢]
ذُو لِحَاظٍ كم أراقتْ مِن دِمَا وهْى تُفْدَى بالجوارِى الكُنَّسِ

***

وأوردتُ هنا ما هو مُناسِب من مُوَشَّح ابن خَلُّوف [٣] من روح الكلام ، وهو :

لَحْظُه والجَفْنُ سَهْمٌ وسِهامْ والحُلَى والقَدُّ شمسٌ وقَضِيبْ
والسَّنَا والصُّدْغُ نُورٌ وظَلامْ واللَّمَى والرِّيقُ مِسْكٌ وحَلِيبْ
والحَيَا والخَدُّ وَرْدٌ ومُدامْ والطُّلَا والرِّدْفُ ظَبْىٌ وكَثِيبْ

قد زَها خَدًّا وعَيْنـاً وفَمَا فتحاشَى من قَذًى أو خَنَسِ
وبَدَا فى ثَغْرِه مُلْتمِساً فأرَى الشمسَ بلَيْلٍ غَلَسِ [٤]

لو رأى البدرُ سَناهُ احْتَجَبـا خَشْيَةَ الخَسْفِ بحُجْبِ الغَسَقِ

---

(١) فى الإعلام والنفحة : « فاحم الشعر شهى اللعس » .
وأشنب الثغر : بارده عذبه .

(٢) فى الأصول : « وظبى الكنس » ، والمثبت فى : الإعلام ، والنفحة .

(٣) تقدم التعريف به فى النفحة ١ / ٤٣٦ .

(٤) الغلس : ظلمة آخر الليل.

أو جَـلا للصُّبْحِ خدًّا لأَبَى ... أن يُعير الأُفْقَ ثوبَ الشَّفَقِ
مُذْ رأتْ هاروتَ عَيْنَيْهِ الظِّبَا ... آمنَتْ حقًّا بسِحْرِ الحَدَقِ

أَوْتَرَ الحاجبَ قَوْساً ورمَى ... بسِهامِ اللَّحْظِ وابى الْهَجَسِ
ونَضَا فى الحُسْنِ سيفًا وحَمَى ... حُسْنَه من نَظْرةِ الْمُختلِسِ

إن أضا الدَّيْجُورُ مِن طَلعتِهِ ... فبِخَدَّيْه البدورُ الطُّلَّعُ[(١)]
أو أرانا الوَرْدَ من وَجْنَتِــهِ ... فبِعِطْفَيْهِ الغصونُ اليُنَّعُ
أو سَبَى الآســادَ من نَظْرَتِهِ ... فبِجَفْنَيْهِ الظِّبـاءُ الرُّتَّعُ

آسُ صُدْغَيْهِ على الخدِّ نَمَا ... وعَجِيبٌ جَنَّةٌ فى قَبَسِ
وبِدُرٍّ فى عَقِيقٍ نُظِمـا ... ثَغْرُه الزَّاهِي الذَّكِيُّ النَّفَسِ

ياَلَقَوْمِي مَن مُجِيرِي من رَشاً ... لم يُؤمِّنْ خائفاً من حَرْبِهِ
كيف يُصْغِي فيه سَمْعِي للوُشـا ... وفُؤادِي خافِقٌ فى حُبِّهِ
وغَزَا سمعى وعينى والحَشـا ... وهْـولاهِ آمِنٌ فى سِرْبِهِ

غَنِمَ الكُلَّ ولَمَّــا قَسَمَا ... جارَ إذْ حازَ الحَشَا فى الخُمُسِ
ولِأحْباسِ فُؤادى هَـدَمَا ... أمِنَ الجائرِ هَدْمُ الحُبُسِ

ظالمٌ فى الحُسْنِ غصنٌ ذو اعتدالْ ... أفْتَـدِيهِ من ظَلُومٍ عادلِ
أمرَ الدَّمْعَ على خدِّى فسالْ ... ثُمَّ لم يسمَحْ بردِّ السائلِ
وأَضاع العمْرَ فى قِيــلَ وقالْ ... ياَلَعَمْرِى ضاعَ أجْرُ العاملِ

مَزَّقَ القلبَ وللطَّرْفِ عَمَى ... وبه بُرْءُ الأسَى والطَّمَسِ
وبدَمْعِى أغْرَقَ الجفْنَ كما ... أحْرَقَ القلبَ بنارِ الهَجَسِ

---

(١) الديجور : الظلام .

٣٠

صالح بن إبراهيم الدّاديخيّ*

أبْرَع من أجْرَى يَراعاً في مُهْرَق[1] ، وأبدع من وَضَع إكْليلا على مَفْرِق .

طَلَعتْ بدَائِعهُ على نَسَق ، فأرَتْ نجوماً زَواهِرَ تَجْلُو ظُلْمَةَ غَسَق .

وما شِئْتَ من بِرٍّ نَافِقَةٍ سُوقُه ، ومجدٍ شَارِقةٍ بُسُوقُه .

وطبعٍ ماشِيبَ بجُمُودِه[2] ، وذَكاءٍ ماشِينَ بخُمودِه[3] .

شَفَّ في الآدابِ على جِيله ، وزها جَوادُ سَبْقِه في غُرَّته وتَحْجِيله .

فساغَ المُنَى أطْوارا ، وفتَقَ الدُّجَى أنْوارا .

فبِشْرُه يُحَدِّثُ عن مَنائِحه ، كخَرِيرِ الماءِ يُحدِّث عن مَسائِحه .

فكلُّ رُوحٍ إلى التَّرَوُّحِ بمُناوَضتِه شائِقة ، ولولا حلاوةُ الشُّهْدِ مارَغِبَتْ إليه ذائِقة .

وهو مَطْمَحُ أَمَلي الذي اسْتأثَر[4] بجَدِّي ورَسْمِي ، وجرَى منِّي مَجْرَى أبْعاضِ قلبي وأعْشارِ جسمي .

(*) ترجمه المرادي في سلك الدرر ٢/٢٠٩ — ٢١٤ ، نقلا عن المحبي ، ونقل عنه الترجمة الطباخ في إعلام النبلاء ٦/٤٣٨ — ٤٤٣ ، وذكر المرادي في آخر ترجمته أنه لم يعرف سنة وفاته .

« والداديخي » بالدال المهملة ، هنا في الذيل وفي إعلام النبلاء وسلك الدرر ، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان ٢/٧١٦ « ذاذيخ » بذالين معجمتين وياء باثنتين من تحت وآخره خاء معجمة ، وقال : « قرية قرب سرمين ، من أعمال حلب » .

(١) المهرق : الصحيفة . (٢) في س : « بجمود » ، والمثبت في : ب .

(٣) في س : « بخمود » ، والمثبت في : ب .

(٤) في الإعلام والسلك : « استأنس » .

فأصفى هَواىَ كلَّه إليه ، وصيَّر وُدّى مادام ودُمْتُ وَقْفاً عليه .

ومما أهْداه إلىَّ من نُهْزَةِ إعْجالِه ، وخُلْسةِ ارتجالِه ، قولُه يَنُوِّهُ بى[1] :

أنَسِيمَ الخزامِ من دارِ حِبِّي   يا سَقاكِ الحَيَا وحيَّاكِ ربِّى[2]

طالَما حرَّكَ الغرامَ ادِّكارِى   قُرْبَ مَسْراكَ من مَعاهِدِ صَحْبِى

فأعِدْ أيُّها النَّسيمُ حديثاً   وإلى سِرْبِ ذلك الظَّبْيِ سِرْ بِى

وامْلِ عن لَوْعتِى وفَرْطِ اشْتياقِى   ما أُلاقِى واشْرَحْ له بعضَ كَرْبِى[3]

لَهْفَ قلبى وليت شِعْرِى أيُجْدِى   قولُ مأْسُورِ لحظِه لَهْفَ قلبِى

رشأٌ بالشَّآمِ شِمْتُ عبيرَ الْ   وَرْدِ من نَحْوِه فعطَّرَ لُبِّى

كان عِشْقِى له بجارحةِ السَّمْـ   ـعِ جزَاها العُتْبَى بلا دَخْلِ عَتْبِ

فأنا اليومَ مُوسَوِىُّ الهوَى مِن   قبلِ رُؤْياهُ هائمُ العقل مَسْبِى

غيرَ أنِّى له على سَنَنِ الرِّقِّ   مُقيمٌ فى حالِ بُعْدِى وقُرْبِى

إن يكُنْ فى هَواهُ إطْلاقُ دَمْعِى   جائزاً قد رَآه فاللهُ حَسْبِى

فسَقَى جِلِّقاً ولا غَرْوَ أن تحتا   لَ فى بُرْدَتَيْن تِيهٍ وعُجْبِ

كيف لا تدَّعِى على المُدْنِ فخراً   بأمِينٍ فَرْدِ الزمانِ المُحِبِّى

الإمامُ الهُمامُ حامِى حِمَى الآدا   بِ بالفضلِ والنَّدَى والتَّأبِّى

حاكَ وَشْياً من القَرِيضِ عجيباً   قَصَّرتْ عنه هِمَّـةُ المُتنبِّى

قَلمٌ فى يدَيْه كم حَلَّ صَعْباً   وازْدَرَى فى مَضائِه كلَّ عَضْبِ

أيُّها الفاضلُ الذى لا سِواهُ   لِلْمَعالِى رُوحٌ به الكَوْنُ يَحْبِى

---

(١) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٤٣٩ ، ٤٤٠ ؛ سلك الدرر ٣/٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) الخزام : نبت طيب الرائحة .

(٣) فى ب : « وامل من لوعتى » ، والمثبت فى : س .

هاكَ عَذْرَاءَ ليلةٍ عن نُبُوِّ الْـ ... فكرِ وَافَتْ من الخَجلةِ تَحْبِي[1]

تطلُبُ الِاعْتذارَ منك وها قد ... نَزَلَتْ من نَدَى عُلاكَ بِرَحْبِ

وابْقَ واسْلَمْ ماغَرَّدَتْ ساجِعاتُ الْـ ... وُرْقِ فى أَيْكِها ولَبَّى مُلَبِّى[2]

***

قوله فى هـذه القصيدة « فأنا اليوم مُوسَوِيُّ الهوى » إلخ ، هو من قول مُظَفَّر الدِّين الأعمى[3] :

قالوا عَشِقْتَ وأنت أعْمَى ... ظَبْيًا كَحِيلَ الطَّرْفِ أَلْمَى

وحُلاهُ ما عايَنْتَهـا ... لكنَّها طَرَقَتْك وَهْمَا[4]

ومتى رأيتَ جَمـالَهُ ... حتى كساكَ هَواهُ سُقْمَا

وبأىِّ جارِحَةٍ وَصَفْـ ... ـتَ لوَصْفِه نثرًا ونَظْمَا

والعَيْنُ دَاعِيَةُ الهوى ... وبه تَتِمُّ إذا تَنَمَّى[5]

فأجبتُ إنِّى مُوسَوِيُّ الْـ ... ـعِشْقِ إدراكًا وفَهْمَا[6]

أَهْوَى بجارِحَةِ السَّما ... عِ ولا أرى ذاتَ المُسَمَّى

(١) المعروف : حبا يحبو . وأحبى الرامى يحبى : أخطأ سهمه الغرض .

(٢) فى الإعلام والسلاك : « وقلبى ملى » .

(٣) تقدم التعريف بظافر الأعمى فى صفحة ٣١٣ ، والأبيات فى : إنباه الرواة ٣/٣٣٠ ، ٣٣١ (حاشيته) ، معجم الأدباء ١٩/١٤٩ ، ١٥٠ ، وفيات الأعيان ٤/٣٠١ ،عدا البيتين الثالث والخامس .

(٤) فى إنباه الرواة ، ووفيات الأعيان : « فتقول قد شغفتك وهما » ، وفى معجم الأدباء : « فكأنها شغفتك وهما » .

(٥) فى إنباه الرواة ومعجم الأدباء : « وبها يتم إذا استتما » .

(٦) فى الإنباه ، والمعجم ، والوفيات : « إنصاتا وفهما » .

وقد أخذ هذا من قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ سورة الأعراف ١٤٣

ومثله قولُ أبى تمّام ، فى جارية تُغنّى بالفارسيّة[1] :

ولم أفْهَمْ مَعانِيهـا ولـكنْ شَجَتْ كَبِدِى فلم أُجْهَلْ شَجاها[2]
فـكنتُ كأنّنِى أعمى مُعَنًّى أُحِبُّ الغانياتِ ولا أراها[3]

هو من قَوْلِ بشّار بن بُرْد[4] :

يا قَوْمِ أُذْنِى لبعضِ الحىِّ عاشقةٌ والأُذْنُ تَعْشَقُ قبلَ العَيْنِ أحيانا
قالوا بمَن لا تَرَى تَهْذِى فقلتُ لهم الأُذْنُ كالعَيْنِ تُوفِى القلبَ ما كانا[5]

***

وبعث إلىّ من «[6]تحائفِ فِكْرِهِ[6]» قولَهُ من قصيدةٍ ، مطلعُها[7] :

ما عَلَى ذاكَ الغزالِ الرَّبيبِ قَوَدٌ فى دمِ المُحبِّ السَّلِيبِ[8]
فلهذا تَرَى سُكارَى هَواهُ تحسَبُ الصُّبْحَ طالعاً فى المَغيبِ
كنتُ أخشاهُ حالَ سِلْمٍ نَلِمْ لا وهْوَ مُغْرًى بالهَجْرِ والتَّعْذيبِ
قُمْتُ فى حالِ سُخْطِهِ ورِضاهُ فى مَقامِ التَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ
فرَعَى اللهُ ظَبْىَ إنْسٍ غدَا مَرْ عاهُ فى الحالتَيْن حَبَّ القلوبِ
حازَ إرْثَ الجمالِ عن يُوسُفِ الحُسْ نِ وحزْتُ الأحزانَ عن يَعْقوبِ
وكَساهُ الدَّلالُ بُرْداً غدَا يَزْ دانُ عُجْباً من فَوْقِ عِطْفٍ قَشِيبِ

---

(١) ديوان أبى تمام ٤٦٧ ، سلك الدرر ٢/٢١١ .

(٢) فى الديوان : « ورت كبدى فلم أجهل شجاها » ، وفى سلك الدرر : « شجت كبدى فلم يحمد شجاها » .

(٣) فى الديوان : « فبت كأننى . . يحب الغانيات وما يراها » .
وبعد هذا البيت فى س زيادة : « وقد رأيت فى بعض المجاميع أن ابن طاهر سأل أبا تمام عن معنى هذين البيتين فقال له : هل أخذته من أحد ؟ فقال : نعم ، من قول بشار » .
والخبر فى زهر الآداب ١/١٥٢ ، وفيه أن السائل أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر .

(٤) ديوانه (الطاهر) ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، و (العلوى) ٢٢٦ ، سلك الدرر ٢/٢١١ ، والأول فى ديوانه (الطاهر) ١٩٤ .

(٥) فى الأصول : « تهدى فقلت لهم » ، وفى السلك : « تهوى فقلت لهم » ، والمثبت فى الديوان .

(٦) فى س : « لطائف » ، والمثبت فى : ب .

(٧) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٤٤٠ ، سلك الدرر ٢/٢١١ . (٨) القود : القصاص .

كَلَّمَتْهُ العيونُ لمَّا تبدَّى مُقْبِلًا إذْ غفَتْ عيونُ الرَّقيبِ

فيُرِينِي إذا بدَا بدْرَ تِمٍّ يَتَثَنَّى من فوقِ غُصْنٍ رطيبِ

عقْربُ الصُّدْغِ راحَ يحمِي جَنَى خدِّ بِهِ عن أنْ ينالَه ذُو كُرُوبِ

فخفِ اللهَ أيُّها الرِّيمُ واسْتُرْ ذا المُحَيَّا البَهِي بكفٍّ خضِيبِ

***

مثلُه قولُ مولانا الشيخ عبد الغنيِّ النَّابُلُسِيِّ من قصيدة[1] :

خَفِ اللهَ واسْتُرْ حُسْنَ وَجْهِك أوْ بِهِ تَصدَّقْ علينا نحنُ أهلُ افتقارِهِ

وأصلُه قولُ المتنبِّي[2] :

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذَا الجمالَ بِبُرْقُعٍ فإنْ لُحْتَ ذابَتْ في الخدورِ العواتِقُ[3]

***

والمترجَم ، مُعارِضاً قصيدة السيد محمد القُدْسِي[4] ، التي مطلَعُها :

يا نَسْمَةً نَمَّتْ حَبِيبِي وتَمَسَّكَتْ منه بطِيبِ

[5] :

باللهِ يا رِيحَ الجنُوبِ وُقِيتِ نَكْباءَ الخُطوبِ

إنْ جُزْتِ في وَادِي النَّقَا بين المَعاهدِ والكَثِيبِ

فاقْرِي سَلامَ المُسْتَها مِ لذلك الظَّبْيِ الرَّبِيبِ

رَشَأً كأنَّ اللهَ أسْـ كَنَ حُبَّهُ كلَّ القلوبِ

نظَرِي إليه تلَهُّفاً نظَرُ العليلِ إلى الطبيبِ

---

(١) سلك الدرر ٢/٢١١ . (٢) ديوانه ٧٠ ، سلك الدرر ٢/٢١٢ ، نفحة الريحانة ١/٢٢٤ .

(٣) في النفحة : « فإن لحت حاضت » .

(٤) تقدمت ترجمته في النفحة ١/٣٣٦ ، والقصيدة فيها : ١/٣٣٧ ، ٣٣٨ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٥) القصيدة في إعلام النبلاء ٦/٤٤٠ ، ٤٤١ ، سلك الدرر ٢/٢١٢ .

عَجَباً لفـــاتِرِ طَرْفِهِ ... يَرْنُو ازْوِراراً كالغَضُوبِ

ولِخَدِّه الجُورِيِّ لَمْ ... يكُ فى الهوَى حِيناً نَصِيبِى

ولِخَالِه المِسْكِيِّ زِيدَ الْ ... عَرْفُ من طِيبٍ رَطِيبِ

كشَفَ الطبيبُ لِفَصْدِه ... عن مِعْصَمِ الرَّشَأ الرَّبِيبِ

لِجَرَى دمُ العِرْقِ الذى ... يُغْنِيهِ من لَحْظِ الطَّبِيبِ[1]

***

هو من قول أبى الحسن الجُرْجانىّ[2]:

ياليتَ عَيْــنِى تحمَّلتْ أَلَمَكْ ... وليت نَفْسِى تَقَسَّمتْ سَقَمَـــكْ

وليت كَفَّ الطبيبِ إذْ فصَدتْ ... عِرْقَك أَجْرتْ من ناظِرَىَّ دَمَكْ[3]

أَعَرْتَهُ صِبْغَ وَجْنَتَيْــكَ كما ... تُعِيرُه إنْ لَثَمْتَ مَن لَثَمَكْ

طَرْفُكَ أَمْضَى من حَدِّ مِبْضَعِه ... فَالْحَظْ به العِرْقَ واسْتَرِحْ أَلَمَكْ[4]

ومثلُه لأبى الفضل الميكالِىّ[5]:

ومُهَفْهَفٍ أَبْدَى الجمَا ... لُ بخَدِّه رَوْضاً مَرِيعَا

فصَدَ الطبيبُ ذِراعَهُ ... لِجَرَى له دمعِى ذَرِيعَا

وأَمَضَّــنِى وَقْعُ الحدِيـ ... ـدِ بعِرْقِه أَلَماً وَجِيعَا

فأَرَيْتُه من عَبْرَتِى ... ماسالَ من دَمِهِ نَجِيعَا[6]

(١) فى ب : « يغنيه من » ، وفى الإعلام والسلك : « يغنيه من » ، والمثبت فى : ص .

(٢) تقدم التعريف به فى النفحة ١/٤٤١ .

والأبيات فى : سلك الدرر ٢/٢١٢ ، نفحة الريحانة ١/٤٤١ ، يتيمة الدهر ٤/١٠ .

(٣) فى الأصول : « أجرى من ناظرى » ، والمثبت فى المراجع السابقة .

(٤) فى اليتيمة : « وارتجز ألمك » ، وبصححه مافى النفحة : « وارتحن ألمك » .

(٥) تقدم التعريف به فى النفحة ٢/٥٤٩ .

والأبيات فى : سلك الدرر ٢/٢١٢ ، يتيمة الدهر ٤/٣٧٠ .

(٦) فى ب : « ماريقه من عبرتى » ، وفى ص ، والسلك : « فأريته من عبرتى » ، والمثبت فى اليتيمة .

وألطفُ ما قيل في ذلك قولُ الأمير المَنْجَكي[1] :

وَمُذْ كشَفَ الفَصَّادُ عن زَنْدِهِ رأى ... مَحاسِنَ ألْهَتْهُ فضَلَّ عن الرُّشْدِ

فقطب مَن أهْوَى وأبْصرَ مُغْضَباً ... وأوْقَع ظِلَّ الجَفْنِ منه على الزَّنْدِ

وأطْلَع نَوْرَ الأُرْجُوانِ وحَبَّذَا ... من الياسَمِينِ الأُرْجُوانُ على الوَرْدِ

***

وللمترجَم قوله[2] :

في الدُّجَى مُذْلاحَ طالِعْ ... مُسْفِراً تلك البَراقِعْ

أوْهَمَ الناسَ مُحَيَّــ ... ـاهُ بأنَّ الفجرَ ساطِعْ

سَحَّتِ العَيْنُ عَلَى تَرْ ... حالِهِ جَمَّ المَدامِعْ

مالَهُ في الحُسْنِ ثانٍ ... لجَمِيعِ الحُسْنِ جامِعْ

ألِفَ القلبُ هَواهُ ... فهْو في الأحْشاء راتِعْ

عَذَلُونِي قلتُ كُفُّوا ... لستُ أُصْغِي لستُ سامِعْ

ياظَرِيفَ الشَّكْلِ إنِّي ... هائمٌ والدَّمْعُ هامِعْ

لكَ رُوحِي لكَ قلْــ ... ـبِي ياتُرَى هل أنت قانِعْ

***

وقوله[3] :

ظَبْيُ إنْسٍ وَجْهُهُ قمرُ ... عَزَّ منه النَّيْلُ والظَّفَرُ

ذُو قَوامٍ زانَهُ هَيَفٌ ... زانَهُ الخَطِّيُّ والسُّمَرُ[4]

عَذَلُوا حتى إذا نَظَرُوا ... وَرْدَ خَدَّيْهِ إذاً عَذَرُوا

---

(١) تقدمت ترجمته في النفحة ١/١٣٦ ، والأبيات في ديوانه ٩٧ ، نفحة الريحانة ١/١٤٤ .

(٢) الأبيات في : إعلام النبلاء ٦/٤٤١ ، سلك الدرر ٢/٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) إعلام النبلاء ٦/٤٤١ — ٤٤٣ ، سلك الدرر ٢/٢١٣ .

(٤) الخطى : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهو مرفأ بالبحرين ، والسمر : الرماح أيضا ، وحرك الميم للقافية .

ونَهَوْا عنه فحِينَ بَدَا بتلافِي في الهوَى أمَرُوا

قِبلةُ الألحاظِ طَلْعتُه حيثُ دارتْ دارتِ الصُّوَرُ

***

هو من قَوْلِ البابِيّ(١) :

كأنّما أوْقَفَ اللهُ العيونَ على رُؤيا محاسِنِه لا صابَهـا ضَرَرُ(٢)

فلوْ بَدَا مِن وَرَا المِرْآةِ لانْحرفتْ عن أهلِها حيثُ دارتْ دارتِ الصُّوَرُ(٣)

والأصلُ فيه قولُ بعضِهم(٤) :

كأنّما أنتَ مِغْناطِيسُ أنفُسِنا فحيثُما دُرْتَ دارتْ نحوَك الصُّوَرُ

***

رَشاً يفْتَرُّ عن بَرَدٍ ناصِعٍ في ضِمنِه دُرَرُ(٥)

***

توارَد فيه مع مصطفى البَتْرُونِيّ(٦) ، في لاميّته(٧) :

شادِنٌ يفْتَرُّ عن بَرَدٍ ناصِعٍ في ضِمْنِه عَسَلُ

***

وحَواشِي نَمْلِ عارِضِه لِيَخَفَّا فيها لنـا نَظَرُ

***

(١) هو مصطفى بن عثمان البابي الحلبي ، وتقدمت ترجمته في النفحة ٤٣٣/٢ ، والبيتان في : ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ ، إعلام النبلاء ٤٤٢/٦ ، سلك الدرر ٢١٣/٢ ، نفحة الريحانة ٤٤٩/٢ .

(٢) عجز هذا البيت في الديوان :

* مرْأى محاسِنِه لا شانَها نَظَرُ *

(٣) البيت في الديوان :

فلو تجلَّى وَرَا المِرْآةِ لانْحرفَتْ إلى مُحيّاهُ عن أرْبابِها الصُّوَرُ

وفي النفحة : « حيث دارت نحوه الصور » .

(٤) إعلام النبلاء ٤٤٢/٦ ، سلك الدرر ٢١٣/٢ .

(٥) سقط هذا البيت والتعليق عليه الآتي من : س . (٦) صاحب الترجمة السابقة .

(٧) إعلام النبلاء ٤٤٢/٦ ، سلك الدرر ٢١٣/٢ .

أحسن منه قول محمد بن عَرَفة[١] :

انظُرْ إلى السِّحْرِ يجرِى فى لَوَاحِظِه وانظُرْ إلى دَعَجٍ فى طَرْفِهِ السَّاجِى[٢]

وانظُرْ إلى شَعَراتٍ فوقَ عارِضِه كأنهنَّ نِمَـــالٌ دَبَّ فى عَاجِ

***

ما رأى موسَى فَوَاعَجبَا كيف يُدْعَى أنه الخَضِرُ

مُنْصِفٍ فى الُحبِّ من رَشَأٍ مُقْلَتَـــاهُ مِلْؤُها حَوَرُ

أخَذَتْ فيها بَنُو ثُعَلٍ فهْى لا تُبْقِى ولا تَذَرُ

***

بنو ثُعَل : قبيلةٌ من العرب رُماةٌ يُضْرَبُ المَثَلُ بجَوْدةِ رَمْيِهِم ، قال امْرُؤُ القَيْس[٣] :

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَلٍ مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ من سُتَرِهْ[٤]

فهْوَ لا يُخْطِى رَمِيَّتَهُ مالَه ما عُدَّ من نَفَرِهْ[٥]

***

ضَلَّ فى دَيْجُورِ طُرَّتِهِ عُجْمُها والبَدْوُ والحَضَرُ

سائِلِى عن حالَتِى سَفَهاً ليس لى عن حالتِى خَبَرُ

رَبْعُ صَـــبْرِى فى مَحَبَّتِهِ منه لا عَيْنٌ ولا أثَرُ[٦]

---

(١) لم ترد هذه المقدمة وبيتا ابن عرفة فى : س ، وكذا جاء فى الأصول : « محمد بن عرفة » ، وفى إعلام النبلاء ٦/٤٤٢ ، وسلك الدرر ٢/٢١٣ : « ابن عرفة » فحسب ، ولم أجد محمد بن عرفة هذا ، أما ابن عرفة فهو على بن المظفر بن إبراهيم الكندى الوداعى ، وتقدم التعريف به فى النفحة ١/٣٦١ .

(٢) فى الإعلام والسلك : « فى لحظه الساجى » .

(٣) ديوانه ١٢٣ ، ١٢٥ ، إعلام النبلاء ٦/٤٤٢ ، سلك الدرر ٢/٢١٤ ، نفحة الريحانة ١/١٧٣ ، والأول فى المعمرون ٩٧ . ولم يرد هذا القول والبيتان بعده فى : س .

(٤) فى الديوان والمعمرون : « متلج كفيه » وفى الديوان : « فى قتره » ، وفى المعمرون : « من قتره » ومعنى رواية الديوان أنه يدخل كفيه فى القتر ، وهى بيوت الصائد التى يكمن فيها لئلا يفطن له الصيد فينفر منه .

(٥) فى الديوان : « فهو لا تنمى رميته » ، وفيه وفى النفحة : « لا عد » .

وعقب المؤلف على هذا البيت فى النفحة بقوله : « يقال فى الدعاء على الإنسان : لا عد من نفره . ويراد به التعجب » .

(٦) فى الإعلام والسلك خطأ : « ربع صبرى » .

سامَحَ اللهُ الظِّبَا بدَمِي ‏ ‏ ‏ ‏ فهْوَ فى شَرْعِ الهوَى هَدَرُ

***

(١) يناسِب قولهفى هذهالقصيدة «قِبْلَةَ الألحاظ» إلخ ، قَوْلُ بعضِ الأُدباء ، من قصيدةٍ بائيَّة فى دَارةِ البدر ، وهو :

خَفَقَتْ مَناطِقُ خَصْرِهِ فكأنَّما ‏ ‏ ‏ ‏ هى دَارةٌ والبدرُ فيها يلعبُ

وقائل هذا البيت ، الكاملُ الفاضل ، بديعُ زمانِه ، وفريدُ عصرِه وأوَانِه ، سَعْدِي(٢) العُمَرِيّ ، ضِمْنَ قصيدةٍ سَنِيَّة ، أحْبَبْتُ إيرادها هنا لتَتَشَنَّف بها الأسماع ، وتجْلِي صَدَأَ الطِّباع ، وهى قولُه :

قَلْبٌ على جَمْرِ الغضَا يتقلَّبُ ‏ ‏ ‏ ‏ وتَذَكُّرٌ يُضْنِي وعَيْنٌ تسكُبُ

باتتْ تُعاطِينى الكُؤوس يدُ الهوَى ‏ ‏ ‏ ‏ جَهْراً بأفْواهِ التَّذلُّلِ أشْرَبُ

وغدَتْ تُسامِرُنى أكاذِيبُ المُنَى ‏ ‏ ‏ ‏ تُبْدِى أحاديثَ الوِصالِ فأطْرَبُ

طَوْراً أُعَلَّلُ بالظُّنونِ وتارةً ‏ ‏ ‏ ‏ يتأوَّهى من مُهْجةٍ تتلهَّبُ

قد كنتُ أتَّخِذُ الصَّبابَة مَرْتَعاً ‏ ‏ ‏ ‏ لِشَريدِ آمالِى ولا أتَرَيَّبُ

فغدَوْتُ فى كَفِّ الهوانِ وليس لى ‏ ‏ ‏ ‏ إلَّا الأسَى عَوْنِى ودَمْعِي الصَّيِّبُ

يا طالَما أسْهَرْتُ جَفْنَ تَشَوُّقِى ‏ ‏ ‏ ‏ فى ليلِ وَجْدِي واللَّواحِى غُيَّبُ

فَيَبِيتُ طَرْفُ الصَّبْرِ عنِّى غافلاً ‏ ‏ ‏ ‏ وتَبِيتُ أعْيُنُ لَوْعتِى تترقَّبُ

ويَصُونُ قلبِى زَفْرةً لو صُعِّدَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ فى الشرقِ أسْفَرَ من سَناها المغربُ

ماذا التَّوَلُّهُ يا فؤادُ وهـذه ‏ ‏ ‏ ‏ سِمَةُ النُّحُولِ تُرَى فكم تتعذَّبُ

سَهْلُ الهوى صَعْبٌ وبعضُ خَطِيرِه ‏ ‏ ‏ ‏ حَتْفٌ فلا يَقْوَى عليه مُجَرِّبُ

---

(١) من هنا إلى آخر قوله : « هى دارة والبدر فيها يلعب » الآتى ، لم يرد فى : س .

(٢) فى الأصول : « محمد سعدى » ، وتقدم التعريف به فى صفحة ٣٣ ، وهذا البيت المتقدم مذكور فى سلك الدرر ١ / ٢٠٨ .

كم ذا أُداوِلُ فيه ليلًا كلَّه ... سَهرٌ وطُرَّةُ صُبْحِه تتغيَّبُ

للهِ ما تَطْوِى الضُّلوعُ على جَوًى ... أَوْرَى تلَهُّبها جفًا وتجنُّبُ

مَن مُسْعِدِى فى حُبِّ أغْيدَ طَرْفُه ... وَسِنانُ أيقظَه الفُؤادُ المُسْلَبُ

كالبدرِ إلَّا أنَّ نُقْطةَ خالِه ... نَدٌّ وواوُ الصُّدْغِ منه عقْرَبُ

يَثْنِي الدَّلالُ من الرَّفاهةِ عِطْفَهُ ... فيَغيبُ فى لَيْلِ الذَّوائبِ كوكبُ

فالظَّبْيُ فى لَفَتاتِه مُتحيِّرٌ ... والغُصْنُ من خَطَراتِه مُترَيِّبُ

أجَواهِرٌ أم ذاكَ بارِقُ ثَغْرِه ... وشَقائقٌ أم ذاكَ خَدٌّ مُذْهَبُ

أم تلك من دُرَرِ الحديثِ قلائدٌ ... أم ذاكَ جِيدٌ بالصَّباحِ مُنقَّبُ

بالرُّوحِ رَيَّانُ القَوامِ مُهَفْهَفٌ ... بادِى السَّنا حُلْوُ المُقبَّلِ أشْنَبُ

خَفَقتْ مَناطِقُ خَصْرِه فكأنَّما ... هى دارةٌ والبدرُ فيها يلعبُ

فصُدودُه لَيْلٌ وساعةُ وَصْلِه ... صُبْحٌ ومَرْشفُه كؤُدِّى طَيِّبُ

أبداً أَهِيمُ به وعنِّى نافِرٌ ... يَبْغِى القِلَى وبغيرِه لا أرْغَبُ

يا مُرْسِلًا من طَرْفِهِ سَهْمَ الرَّدَى ... لِمقاتِلِى مَهْلًا فكم تتأهَّبُ

إن كان تعذيبِى لَدَيْكَ مُحبَّبًا ... جُدْ بالذى تختارُه فمُحبَّبُ

***

وقد ضَمَّن عجُزَ قوله : « خَفَقتْ مَناطِقُ خَصْره » ، الأديبُ البارع ، الشيخ أحمد المَنِينِيّ[1] ، بقوله :

---

(١) أحمد بن على بن عمر المنينى الحنفى .

ولد بقرية منين سنة تسع وثمانين وألف ، وقدم إلى دمشق حين بلغ سن التمييز فأخذ عن علمائها ، ومهر وتصدر للاقراء والتأليف ، وله « شرح تاريخ العتبى » وغيره من المؤلفات ، وكان يقول الشعر الجيد ، ويكتب النثر الفائق .

توفى سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف ، ودفن بمرج الدحداح .

سلك الدرر ١ /١٣٣ – ١٤٥ .

والأبيات فى سلك الدرر ١ /٢٠٨ .

عابَنْتُه وكأنَّه من لُطْفِه   رَاحٌ تكادُ له اللَّوَاحِظُ تَشْرَبُ[1]

بالعَقْلِ والشِّطْرَنْجِ يلعبُ وهْو فى   فُسْطاطِ حُسْنٍ للمَسَرَّةِ يَجْلِبُ

يَحْكِى الزُّمُرُّدَ خُضْرَةً فكأنَّما   هى دارةٌ والبدرُ فيها يلعبُ

وحَذَا حَذْوَه الفاضل أحمد البِقاعِىّ[2] ، مُضَمِّناً ذلك ، بقوله :

يا رُبَّ ظَبْىٍ كالمُدامِ حديثُه   فيُسِيغُه سمعى وعَقْلِى يَطْرَبُ

قد خِلْتُه شَمْسَ النَّهارِ كَفُّه   مِرْآةُ حُسْنٍ لَوْنُها يتذَهَّبُ

والوَجْهُ فيها لائحٌ فكأنَّما   هى دَارةٌ والبدرُ فيها يلعبُ

***

وللمترجَم قولُه[3] :

أهْواهُ قد لبِسَتْ غدائرُه الدُّجَى   وصَباحُ غُرَّتِه المنيرُ تبلَّجَا

وعلَى حَوَاشِى الوَرْدِ من وَجَناتِه   قد خَطَّ رَيْحانُ العِذارِ بَنَفْسجَا

ألْمَى الشِّفاهِ يَزِينُها خالٌ لقد   طُبِعتْ على ياقُوتِها فَيْرُوزَجَا[4]

وَاحَيْرَتِى فى شادِنٍ حُلْوِ اللَّمَى   رَشَأٍ رَخِيمِ الدَّلِّ أحْوَى أدْعَجَا[5]

ما بين مُعْتَرَكِ القلوبِ ولَحْظِهِ   لا كان مُطَّلِبٌ لحاجتِه التَّجَا[6]

لا صَبْرَ لى ووَقَعْتُ فى أشْراكِه   جَهْلًا وأنْظُرُ لا أرَى لى مَخْرَجَا

---

(١) فى السلك : « لها اللواحظ » .

(٢) أحمد بن ناصر الدين بن على الحنفى البقاعى ، نزيل قسطنطينية .

ولد بالبقاع ، وقدم إلى دمشق ، فطلب العلم على شيوخها ، ومنهم الشيخ أحمد المنينى ، ودرس بالجامع الأموى وغيره ، ووصل إلى قضاء ديار بكر ، وجمع كثيرا من الأموال ولم يتزوج ، وكان أديبا فاضلا .

توفى بقسطنطينية ، سنة إحدى وسبعين ومائة وألف ، ودفن بها .

سلك الدرر ١ / ٢٠٥ ــ ٢١٤ . والأبيات فيه ١ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٣) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦ / ٤٤٣ ، سلك الدرر ٢ / ٢١٤ .

(٤) اللمى : سمرة أو سواد فى باطن الشفة يستحسن .

(٥) الأحوى : من كان فى شفته سواد إلى الخضرة ، أو حمرة إلى السواد . والدعج : سواد العين مع سعتها .

(٦) فى الأصول : « لحاجته النجا » ، والمثبت فى : الإعلام والسلك .

أَرْجُو رِضَاهُ وَلو بِسَلْبِ حُشاشَتِى فيقولُ لِى حاوَلْتَ ما لا يُرْتَجَى
ويهزُّ عِطْفَ التِّيهِ مُخْتالًا كما شاءَ الهوى فأعُودُ مُنْقَطِعَ الرَّجا

***

ومن مُقَطَّعاته[1] قولُه[2]:

أيُّها الشادِنُ المُحجَّبُ عن عَيْـ ـنِ مُحِبٍّ بِدَلِّهِ يَرْعاكا
أنتَ فى أَسْوَدِ الفؤادِ ولكنْ أَسْوَدُ العَيْنِ يشتهِى أن يَراكا

***

وقوله:

ولمَّا وَقَفْنا لِوَداعِ الظِّبـا وسارَ حادِى عِيسِهم يَحْدُو
نادَيْتُ يا ظَبْىُ ارْتَحِلْ سالمًا أمامَكَ التَّوْفِيقُ والرُّشْـدُ

***

واللّٰه سبحانه وتعالى أعلم.

هذا ما وجدناه فى مُسَوَّدات مولانا المرحوم، تَغْبِط إضاءتَه النُّجُوم.

وهو لعبيرِ النَّدِّ كما تراه نافِح، والحمدُ لله فقد خُتِم بصالِح.

فما أَبْدَعَ هذا النِّظام، وما أحسنَ حُسْنَ الخِتام.

فخِتامُه مِسْكٌ مخزون، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾[3].

مع الاعْتِراف بالقُصور عن بُلوغ القَصْد والنَّيْل، ولكنِّى تمسَّكْتُ من غَلائِل «النَّفْحة» بهذا «الذَّيْل».

لعلِّى أتأرَّجُ من نَشْرِ هذه الفوائد الحسَنة، وأبْتَهِج مع خِلَّانى بهذه الفرائد المُسْتحسَنة.

---

(١) من هنا إلى آخر الترجمة وتعقيب السؤالاتي بعده، لم يرد فى: س.

(٢) إعلام النبلاء ٦/٤٤٣، سلك الدرر ٢/٢١٤. (٣) سورة المطففين ٢٦.

ونشرعُ الآن بوافِي وَعْدِنا ، نُترْجِم المرحومَ حسَبَ جُهْدِنا .

وإن كان ما أقول ليس له عند أهل النَّقْد رَواج ، لـكنْ فضلاتُ المَزاوِد قُصارى ذَوِى الاحْتياج .

فلله دَرُّهُ من أديب[1] سحَرَ الألباب باهِرُ كلماته ، وأعْيَى البُلَغاء عن بُلوغ شأْوِ مَرْقاتِه .

فهو حَرِىٌّ بأن تَلْهَجَ أَلسِنَةُ الفصحاء بأثْنِيَتِه السَّنِيَّة ، وتتنَسَّمَ بنسائمِ المدائح عَبيرَ نَفَحاتِه النَّدِيَّة .

تَسامَى بأن تَفِي الألسُنُ بغُرَرِ محاسِنِ صِفاتِه ، واستَغْنَى عن التَّمْوِيه بما احْتوَتْ عليه بَدائِعُ مُصَنَّفاتِه .

فلا زالت سحائِبُ الرحمة على جَدَثِه هاطِلةً كلَّ آن ، وأنيسُه رِضْوانَ مَوْلاه فى كلِّ زَمانٍ وأَوان .

بمَنِّه العَمِيم ، وفضلِه الجَسِيم .

---

(١) فى ب : « أريب » ، والمثبت فى : س .

فهو :

السيد محمد الأمين بن السيد فضل الله المحبّي*

يتيمةُ الدهر ، وواحدُ العصر .

أبْلَجُ الغرّة ، طَلْقُ الأَسِرَّة :

سليلُ شِهامٍ اتّخذُوا دَارَةَ القمر دَارا ، وواسطةُ عِقْدِ كواكبَ حَفَّ بهم المجدُ ودارا .

كالغَمامِ تجُود يُمْناه ، وكالرَّوْضِ فى مُفَوَّحَتِه وجَناه .

متى حاوَل أمراً أهْطَع [1] إليه أىَّ إهْطَاع ، وكان تحت أمرِه المُطاع .

حتى أحاط به إحاطة القلائد بالأعْناق ، وحصَره حَصْراً وَثيقَ الأزِرَّة والخِناق .

أخذ من كل فنٍّ أطْيَبَه ، ومن كل علمٍ أغْزَرَه وأعْذَبَه .

وكان له خازنا أمينا ، وحافظا مُبِينا .

يبْهَر العقولَ تحْرِيرُه ، ويُدْهِشُ الألباب تقْرِيرُه .

لا يُنْسَب حلُّ المُشكلاتِ إلّا إليه ، ولا يُعوَّل فى كشف المُعْضِلات إلا عليه .

حاز الألْسُنَ واللَّسَن ، وحوَى البَراعة وكلَّ معنًى حسن .

إلى وَضاءةٍ تُخْجِل الصَّباح ، وتُذْهِل الصِّباح .

فلَكُ كوكب المفاخر ، ودَوْحةُ الفضلِ الزَّاخر .

(*) انظر مقدمة التحقيق لنفحة الريحانة . ولم ترد ترجمة المحبي فى : س ، وإنما وجدت فيها بعض مراثيه ، مخلوطة بآخر ترجمة الداديخى السابقة .

(١) فى ص : « هطع » ، والمثبت فى : ب .
وأهطع : أسرع وأقبل .

المنتسب لأمنع سيادة ضُرِب من المجد رُواقُها ، وأرفع سعادة شُدّ[1] بالمكارم نطاقُها .

طام فى سماء الكمال أعلى المنازل ، ووَرَد من مياه الفضائل والآداب أعذبَ المناهل .

ومَلَكَ من شأو البيانِ أعالى المراتب ، وفاق الشمسَ فى الإشراق وبدرَ الكواكب

امتطى غاربَ المجد ذِرْوةَ سَنامِه ، وارْتقى صَهْوةَ الحمد بأخْمصِه[2] وأقْدامِه .

فلله دَهْرٌ شمسُ نهارِه ، وعَبيرُ أزهارِه .

ماترك سبيلَ كمالٍ[3] إلّا وفيه سَلَكَ ، فإذا رأيتَه قلتَ : ﴿ ماهٰذا بَشَراً إنْ هٰذَا إلّا مَلَكٌ ﴾[4] .

فالحاصلُ أنه لا يُمكنُنى التعبيرُ عنه بعبارة ، خَلا أنّ فرسانَ العلوم والبلاغة إذا أطْلقتْ أعِنّتَها لم تَلْحَقْ غُباره .

وأنا نَفَرٌ بفضلِه غيرُ متأبّى ، فقد انتفعتُ منه بما لم أنْتفِعْ به من غيره وكان بين العالِمِين[5] مُحِبّى .

***

وله مُؤلَّفات ابتَدَعها أىَّ ابتداع ، أوْدَعها فرائدَ نوادرِه بأحسن استخْلاص وأبْدَعِ استيداع[6] .

فاح نَوْرُ كمالِها ، ولاح نُورُ جمالها .

هى من أبْكارِ الجنان ، التى لم يَطْمِثْها من قبلُ إنْسٌ ولا جانّ ، أبْهَى من الياقوتِ والمَرْجان ، انْسَحب على سَحْبانَ ذَيْلُ النِّسْيان .

---

(١) فى ص : « شيد » ، والمثبت فى : ب .　(٢) أخمص القدم : مالايصيب الأرض من باطنها .

(٣) فى ص : « كلام » ، والمثبت فى : ب .　(٤) سورة يوسف ٣١ .

(٥) فى ص : « العالم » ، والمثبت فى : ب .　(٦) فى ص : « استبدع » ، والمثبت فى : ب .

رشفتْ ماء الفضل والفصاحة من سماء المعالى ، وأشرق عليها نورُ البلاغة المتلالِى .

ومن أشهرها تاريخُه « خلاصة الأثر ، فى القرن الحادى عشر » ، تَرْجَم فيه زُهاء ستة آلاف ، ممّن ثبت فضلُهم ومجدُهم بلا خِلاف .

ومنها « نفحة الريحانة ، ورشحة طلاء الحانة » .

و « المُعوّل عليه ، فى المضاف والمضاف إليه » .

و « المُثنَّى ، الذى لا يكاد يتثنَّى » .

و « الدَّخيل ، الذى ليس له مَثِيل » .

و « الدر المرْصوف ، فى الصفة والموصوف »

وكتب حِصَّةً على « ديوان المتنَبى » تبْهَرُ ذوِى الألباب وللعقول تَسْبِى .

و حاشيةً على « القاموس » ، سماها بـ « النَّامُوس » ، هتَف به داعِى نَعيِه قبل إكمالها ، الذى أقْسَم كلُّ جِهْبِذٍ أنه لم يجْتمِعْ بمثالها .

وكتاب « أمالى » ، كعِقْدِ لآلِى .

وغيرِها من دُررِ غُرَرِه ، وتحائِفِ فِكَرِه .

***

وله شِعْرٌ تعلقتْ ذَوائبُه بالكواكب ، وهاهو فى مَيْدانِ البلاغة لذَيْلِ عُجْبِه ساحِب .

فمن ذلك قوله[1] :

ألا فى سبيلِ اللهِ نَفْسٌ وَقَفْتُها ... على مِحَنِ الأشْجانِ فى طاعةِ الحُبِّ

أعانِى جَوًى من ذِى وُلوعٍ بكَيْدِهِ ... إذا لم يُمِتْ بالصَّدِّ يقتُل بالعُجْبِ

تخيَّرْتُه من ألطفِ الغِيدِ خِلْقةً ... تكوَّن بين الرَّاحِ والمَبْسِمِ العَذْبِ

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ٤/٨٧ .

أبَى القلبُ إلّا أن يكونَ بحُبّهِ وَحِيداً على رَغْمِ النصيحةِ والعَتْبِ
فلو فَوّقَتْ سهمَ المَنُونِ جُفونُه لقلبٍ سِوَى قلبِي تَمَنَّيْتُه قلبِي

***

وكان[1] له تِرْبٌ بالشام ألِفَ بينهما المَكْتَب ، وحبيبٌ كان يرْتَعُ معه أيامَ الصِّبا ويلعب .

فكان فِراقُه عنده من أعظَمِ ذُنوب البَيْن ، وفى المثل : أقْبَحُ ذُنوبِ الدهرِ تفريق المُحِبّيْن .

فكتب إليه بهذه الأبيات ، وهو أوّلُ ماسَمَح به فِكرُه من النَّظْم :

لا كانتِ الدنيا وأنت بعيدُ ياواحداً أنا فى هواه وَحِيدُ
يامَن لَبِسْتُ لِهَجْرِه ثوبَ الضَّنَى وخلعتُ بُرْدَ اللهوِ وهْو جديدُ
وتركتُ لَذّاتِ الوجودِ بأسْرِها حتى استوَى المَعْدومُ والموجودُ
قَسَماً بما ألْقَى عليك من العِدَى ومُحِبُّ وجهِك فى الورَى مَحْسُودُ
إنّ المحبَّ كما علمتَ صَبابةً فالصبرُ ينقُصُ والغرامُ يزيدُ
ولقد مَلأْتَ القلبَ منك مَهابةً فعلىَّ منك إذا خَلَوْتُ شهيدُ
والحِرْصُ مذمومٌ بإجماعِ الورَى إلّا عليك فإنه محمودُ

***

وقوله[2] :

وأغْيَدَ يُسْكِرُ عقلَ الغِيدِ
يَصيدُ بالحُسْنِ قلوبَ الصِّيدِ
فؤادُه صُوِّرَ من حديدِ
وقلبُه أقْسَى من الجُلْمُودِ

---

(١) الخبر والشعر فى سلك الدرر ٤ / ٨٧ .   (٢) سلك الدرر ٤ / ٨٧

مَوْلًى عظيمُ الفَتْكِ بالعبيدِ
يُغْنِيهِ حُسْنُهُ عن الجُنودِ
سُكْرٌ لحاظِه بلا حُدودِ
يَصُدُّ والهَلاكُ في الصُّدودِ
قد عاقَهُ الثَّلْجُ عن الوُرُودِ
ما الثَّلْجُ إلا بَرَصُ الوُجودِ

***

وقوله، في بعض الأُمراء[1] :

بأبي وإن كان أبي سَميْذَعًا … خُلِقت يداهُ للشَّجاعةِ والنَّدَى[2]
راجَعتُه في أزمةٍ فكأنَّما … جرَّدْتُ منه على الزمانِ مُهنَّدَا
ملكٌ كريمٌ كالنَّسيمِ لَطافةً … فإذا دَجَا خَطْبٌ قسَا وتمرَّدَا
أمْواجُ إحْسانٍ أَسِرَّةُ وجهِه … لِصديقِه وسيوفُ بأْسٍ للعدَا
كالبحرِ يُنْعِمُ بالجواهِرِ ساكِنًا … كَرَمًا ويأْتي بالعجائبِ مُزْبِدَا
يُفْنِي من الأعْمارِ إن غَشِيَ الورَى … مالو حوَى أفْنَى الزمانَ وخُلِّدَا
والهامُ تَسجدُ خَشْيَةً من سَيْفِه … لمَّا أبَتْ أرْبابُها أن تسجُدَا
لا تعْجَبُوا إن لم يَسِلْ منهم دَمٌ … فالخوفُ قد أفْنَى النفوسَ وجَمَّدَا

***

وقوله، في مدح القُسْطَنْطِينيَّة، مُعارِضًا أبياتَ الحَرِيريّ في البصْرة[3] :

بلادٌ قد حوَتْ كلَّ الأمانِي … نَبِيتُ بها ونُصْبِحُ في أمانِ

---

(١) الأبيات في: سلك الدرر ٤/ ٨٧، ٨٨، نفحة الريحانة ٥/ ٦٨، ٦٩

(٢) في الأصول: «وإن كان أبي صميدعا»، والمثبت في: سلك الدرر، انظر النفحة وحاشيتها. والسميذع: السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف.

(٣) الأبيات في سلك الدرر ٤/ ٨٨.

هي البلدُ الأمينُ فليس تَخْشَى   بها ظُلْماً سوى جَوْرِ الغواني

حدائقُها من الرَّوْضاتِ حُسْناً   هي الفِرْدَوْسُ من بين الجِنانِ

وبُقْعَتُها من الدنيا جميعاً   بمنزلةِ الربيع من الزَّمانِ

وكَوْثَرُها على الحَصْباء يجْري   كذَوْبِ التِّبْرِ سال على الجُمانِ

إذا صَدَحَتْ بلابلُها أجابتْ   كواكبُها بأنْوارِ الحِسانِ

***

ومن مُقطَّعاته ، وقد تعجَّب منه بعضُ الأكابر في مَحْفَلٍ ، فقال بَدِيهاً[1] :

لئنْ أصبَحْتُ أدْنَى القومِ سِنّاً   فعَدُّ فضائِلي لا يُستطاعُ

كشِطْرَنجٍ ترى الألبابَ فيه   حَيارَى وهْو رُقْعتُه ذِراعُ

***

وقوله[2] :

كأنَّنا جَرْحَى خُطوبٍ ما لنا   الدهرَ مُرِيحْ

فلهـذا لم يكنْ يُوجَدُ شامِيٌّ صَحِيحْ

***

وله هـذه المقصورةُ الفائقة ، البديعة الرَّائعة ، خَلَص بهـا لمدْحِ النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم[3] :

دَعِ الهوى فآفةُ العَقْلِ الهوَى   ومن أطاعَه من المجدِ هَوَى

وفي الغرامِ لَذَّةٌ لو سَلِمتْ   من الهَوانِ والمَلامِ والنَّوَى

وأفضلُ النُّفوسِ نفسٌ رَغِبَتْ   عن عَرَض الدنيا وفِتْنةِ الظِّبَا

والعشقُ جهلٌ والغرام فتنةٌ   ومَيِّتُ الأحْياء مُغْرَمُ الدُّمَى

---

(١) سلك الدرر ٤/٨٨ . (٢) البيتان في سلك الدرر ٤/٨٨ .

(٣) المقصورة أيضا في الصفحة ٥/٦٠ ـ ٦٣

قالوا لنا الغرامُ حِلْيةُ الحِجَى ... قلتُ لهم بل حليةُ العقلِ التُّقَى [1]

وهل رأيتم فى الورَى أذلَّ مِنْ ... مُعَذَّبٍ تلهُو به يَدُ الهوَى [2]

أو أحداً أغْبَنَ من مُتَيَّمٍ ... تَقودُه شهوتُه إلى الرَّدَى

وللغَوانِى فتنةٌ أشَدُّ مِن ... قَتْلِ النفوسِ والفتى مَن ارْعَوَى

وما على سَاجِى الجُفونِ راقدٍ ... من دَنِفٍ يبيتُ فاقدَ الكَرَى

ومَن أعَدَّ للشِّتَا كافاتِهِ ... فلا تَرِيعُه بُرودَةُ الهوَا [3]

مَظِنَّةُ الجهلِ الصِّبا وإنَّما ... مَفْسدةُ المرءِ الشَّبابُ والغِنَى

والنفسُ ماعلَّمْتَها فإن تَجِدْ ... ذا عِفَّةٍ فزُهْدُه من الرِّبَا

والناسُ إمَّا ناسِكٌ بجَهْلِه ... أو عالِمٌ مُفَرِّطٌ أولا ولا

كأنَّهُم أفْيالُ شِطْرَنْجٍ فلا ... يُظاهِرُ المرءُ أخاهُ فى عَنَا

وإن خَفِيتَ بينهم عذَرْتَهم ... فشِدَّةُ الظُّهورِ تُورِثُ الخَفَا

منها :

وليلةٍ بِتُّ أعُدُّ نجمَها ... والدمعُ قانِى الصِّبْغِ مَحْلولُ الوِكَا

ولم يطُلْ لَيْلِى ولكنَّ الجوَى ... يُعيدُ ليلَ الصيفِ من ليلِ الشِّتَا

والشَّوقُ كالليلِ إذا الليلُ دَجَا ... والليلُ كالبحرِ إذا البحرُ طَمَا

---

(١) فى النفحة : « قلنا لهم » .

(٢) فى ب : « معذب تهوى » ، والمثبت فى : س ، والنفحة ، وانظر حاشيتها .

(٣) كافات الشتاء سبعة ، وذكرها ابن سكرة الهاشمى فى قوله :

جاء الشتاء وعندى من حَوائجِهِ ... سَبْعٌ إذا القَطْرُ عن حاجاتِنا حُبِسَا

كِنٌّ وكِيسٌ وكانونٌ وكاسُ طِلاً ... مع الكَباب وكُسٌّ ناعمٌ وكِسَا

وقد تبع ابن سكرة فى ذكره لهذه الكافات جماعة من الأدباء . انظر دمية القصر (تحقيق) ٢٦١/٢ ، مقامات الحريرى ١٨٧ المقامة الخامسة والعشرون ، النجوم الزاهرة ٣٥٨/٥ ، ٣٥٩ ، معاهد التنصيص ٢٥١/١ ، ٢٥٢ .

كأنما المِرِّيخُ عينُ أرْمَدٍ   أو جَمْرةٌ من تحت فَحْمةِ الدُّجى

كأنما السُّهَا أخو صَبابةٍ   يكاد يُخفيه السَّقامُ والعَنا(١)

كأنما سُهَيْلُ راعِي نَعَمٍ   أو فارسٌ يقْدُم جيشَه الوَغَى(٢)

كأنما الجوْزاء عِقْدُ جوهرٍ   أو سُبْحَةٌ أو مَبْسِمُ العَذْبِ اللَّمَى

كأن مُنْقَضَّ النجومِ شَرَرٌ   تُثيرُه الرِّياحُ من جَمْرِ الغَضَا

كأنما السُّحْبُ سُتورٌ رُفِعتْ   أو مَوْجُ بحرٍ أو شَوامخُ الفَلا(٣)

كأنما الرَّعْدُ زَئيرُ ضَيْغَمٍ   قد فقد الأشْبالَ أو صوتُ رَحَى

كأنما البَرْقُ حُسامُ لاعِبٍ   يُدِيرُه في يَدِه كيف يَشَا

كأنما القَطْرُ لآلٍ نُثِرَتْ   على بِساطِ سُنْدُسٍ يومَ جِلَا(٤)

منها :

كأنما الهمُّ غَريمٌ مُقْسِمٌ   أن لا يغيبَ لَحْظةً عن الحَشَا

كأنما القلبُ مُكلَّفٌ بأنْ   يحمل منه ما تحمَّل الوَرَى

كأنما وَجْهُ البَسيطِ شُقَّةٌ   لا تنْطوِى ولا لِحدِّها انْتِهَا

كأنَّنى مُوَكَّلٌ بذَرْعِها   من قِبَلِ الخِضْرِ بأذْرُعِ الخُطَا

لا أسْتقِرُّ ساعةً بمنزِلٍ   إلَّا اقْتضى أمْرٌ تجدُّدَ النَّوَى(٥)

ولا ترانى قَطُّ إلَّا راكباً   فى طَلَبِ المجدِ وتَحْصيلِ العُلَا

والحُرُّ لا يرْضَى الهوانَ صاحباً   وليس دارُ الذُّلِّ مَسْكَنَ الفتَى

والعقلُ فى هذا الزمانِ آفةٌ   وربما يَقتُلُ أهلَه الذَّكَا

(١) فى النفحة : « السقام والضنى » .

(٢) فى الأصول : « راعى نعمة » ، والمثبت فى النفحة ، وفيها : « يقدم جيشا الوغى » .

(٣) فى النفحة : « أو شوامخ القلا » ، وانظر حاشيته .

(٤) فى النفحة : « على بساط سندس » . ويوم جلا : أى يوم جلاء عروس .

(٥) فى ب : « إلا إذا اقتضى تجدد النوى » ، والمثبت فى : ص ، والنفحة .

وذو النُّهى مُعذَّبٌ لأنه يُرِيد أن ترى الأيامُ مارأى[1]
والناسُ حَمْقى ماظفِرْتَ منهمُ بعاقلٍ فى الرَّأى إن خَطْبٌ دَهى
وكُلَّما ارْتقى العُلى سَرِيُّهم كَفَّ عن الخيراتِ كَفًّا وطَوى
يهْوَى المديحَ عالمًا بنقْدِه ودون نَقْدِه تناوُلُ السُّها
وإن طلبْتَ حاجةً وَجدْتَه كمُشْجَبٍ من حيثُ جئتَ فهو لا[2]
إن أوْعَدُوا فالفعلُ قبلَ قولِهم أو وَعَدُوا فإنهم كالشُّعَرا
والآن قد رغبتُ عن نَوالِهم وتُبْتُ عن مَديحِهم قبلَ الهجا
لا ينْبغى الشِّعْرُ لِذِى فضيلةٍ كيف وقد سُدَّتْ مذاهبُ الرَّجا
وخابتِ الآمالُ إلَّا فى الذى حِماهُ مَلْجأُ العُفاةِ الضُّعفا

منها :

ياخيْرَ من يشفَعُ فى الحشرِ ومَنْ أفلَح قاصدٌ لِبابِه الْتجا[3]
كن لى شفيعاً يوم لا مُشَفَّعٌ سواكَ يُنْجِى الخائفين من لظَا
قد عظُمَ الخوفُ لِما جَنَيْتُه والعفوُ عند الأكْرمين يُرْتجى
وليس لى عُذْرٌ سوى توَكُّلى على الكثيرِ عَفْوُهُ لمن عَصَى
لولا الذنوبُ ضاع فَيْضُ جُودِه ولم يبِنْ فضلُكَ بينَ الشُّفعا
وها كَها خَرِيدةً مَقْصُورةً على مَعاليك ومَهْرُها الرِّضا
إن قُبلتْ فيالها من نِعْمةٍ وهل يخافُ واردُ البحر الظَّما
صلَّى عليك ذو الجلال كلَّما صلى عليك مُخْلِصٌ وسلَّما
وما كَرَتْ ذاكَ الضَّرِيحَ سُحْرةً حوامِلُ المُزْنِ يحُثُّها الصَّبا

---

(١) فى النفحة : « مايرى » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى فى سورة النحل ٧٦ : ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ .

(٣) فى الأصول : « أفلح قاصدا » ، والمثبت فى النفحة .

ماسُلَّ عَضْبُ الفجرِ من غِمْدِ الدُّجى   وما سَرَى رَكْبُ الحجازِ مُدْلِجا

***

ومن نثره الرَّائق ، وكَلِمه الفائق ، وحِكَمِه المُنيفة ، ونِكاتِه اللَّطيفة ، قوله[1] :

فى الأحاديث صحيحٌ وسَقيم ، ومن التَّراكيب مُنتِجٌ وعقيم .

للنفوس صَبابةٌ بالغَرايب ، وإن لم يكنْ من الأطايب .

إذا قصُرتْ يدُك عن المكافأة ، فلْيطُلْ لسانُك بالشُّكْران ، كما قال أهلُ العِرْفان .

الرَّوْضُ إن لم يشكر الغَمام بعَرْفِه ، ففى وَجْهه شاهد من عُرْفِه .

شفاعة اللسان ، أفضلُ زكاة الإنسان .

إذا ما سقط الرَّجا ، فالناسُ كلُّهم أكْفا .

لله ألطافٌ غَنيَّةٌ عن البيان ، وهو مع تنزُّهِه كلَّ يوم[2] فى شان .

للدَّهرِ نُسْخَةٌ تُعْرِب عن الأقْدار ، وحُجَّة القضاء بَيْنا هى مُسَوَّدَةٌ بالليل تراها مُبيَّضَةً بالنهار .

فبَيْنا تَراه كلياليِ المِحاق لاشموس ولا أقمار ، أعْقبَ ليالىَ مُقْمِرَةً وأيَّاماً مُشْمِسَةً تَسُرُّ القلوبَ والأبْصار .

[3]من تَواضَع رَقِىَ لِسُلَّمِ الشرف ، فإن التَّواضُعَ كما قيل رُقِيٌّ لِمَراتبِ السَّلَف[3] .

العلمُ مع المُنخَفِض والآبِى ، كالماء مع الوِهادِ والرَّوابِى .

مَن لم يكن بالفضلِ ذا رُجْحان ، يَميلُ بالخِفَّة مثلَ الميزان .

إذا زادَ قَرِينُكَ فى التَّرَقِّى ، فزِدْ أنتَ من شَرِّه فى التَّوَقِّى .

---

(١) هذه الفصول القصار بعض مافى النفحة ٥/٥٠ ـ ٥٧ .

(٢) فى س بعد هذا زيادة : « هو » ليكون اقتباسا من الآية الكريمة ، ولا يستقيم مع تقدم « هو » .

(٣) فى النفحة : « من تواضع رقى لمراتب السلف ، فإن التواضع كما قيل سلم الشرف » ، وهو أوفق .

ليست الأذْناب كالأعْراف ، ولا الأنْذالُ كالأشراف .

إذا صَحِبْتَ فاصْحَبِ الأشرافَ تَنَلِ التَّشْريف ، فإنَّ المُضافَ يكتسب من المضافِ إليه التَّنْكيرَ والتَّعْريف .

أعوذ باللهِ من الـكَساد ، فإنه أخو الفساد .

السَّآمةُ على قَدْرِ الثَّمَن ، والحَرَكةُ على قَدْرِ تَنْشيط الزَّمَن .

إذا ساعد الدهرُ على سُرُورٍ فَوَاتِه[1] ، واغْنَمْ منه دهراً[2] سَرَّ قبلَ فَواتِه .

***

وله هذه الأُرْجُوزة فى الأمثال ، وهى عديمة النَّظِير والمِثال[3] :

أحسنُ ماسارتْ به الأمثالُ ... حَمْدُ إلهٍ ما له مِثــالُ[4]

فالحمــدُ للهِ على إسْدائِهِ ... فضلاً يَكِلُّ النُّطْقُ عن إحْصائِهِ

ثُمَّ الصلاةُ للنَّبِىِّ المُحْتَرَمْ ... مَنْبَعِ أسرارِ العلومِ والحِكَمْ

وآلِهِ وصَحْبِهِ الـكرامِ ... مَن فَهِمُوا مَزِيَّةَ الـكلامِ

ما تُلِيَتْ محاسِنُ الألفاظِ ... فَشَنَّفَتْ مَسامِعَ الحُفَّاظِ

وهذه تحائِفٌ أُهْدِيهــا ... مِن حِكَمٍ لمن وَعَى أُبْدِيها[5]

سَمَّيْتُها بِرَاحةِ الأرْواحِ ... جالبةِ السُّرُورِ والأفْراحِ

قالتْ لها الأمْثالُ حُزْتِ السَّبْقا ... إذْ أنتِ فى حِفْظِ اللبيبِ أبْقَى

إن اللبيبَ يعــرفُ المَزايا ... وكم خَبايا لُحْنَ فى الزَّوايا

ورُبَّ جاهلٍ لقــد تعلَّما ... لا يَيْأَسَنَّ نائمٌ أن يَغْنَما[6]

---

(١) فواته : الفاء وفعل الأمر « واته » من واتاه يواتيه .

(٢) فى النفحة : « وقتا » . (٣) الأرجوزة فى النفحة ٥/٦٣ ـ ٦٧ . (٤) فى الأصول :

* حمْداً له ليس لهُ مِثالُ *

والمثبت فى النفحة

(٥) فى الأصول : « وهذه تحائف أبديها » ، والتصويب من النفحة .

(٦) فى النفحة : « لا يأيسن » .

مَن غَنِمَ الفُرْصةَ أدْرَكَ المُنَى ... مافاز بالكَرْمِ سِوَى الذى جَنَى

الناسُ إخْوانٌ وشَتَّى فى الشِّيَمْ ... وكُلُّهم يجْمَعُهم بيتُ الأدَمْ[(١)]

فالبعضُ منهم كالغِذاءِ النافعِ ... والبعضُ كالسَّمِّ الزُّعافِ الناقعِ[(٢)]

وهكذا بعضُ الذَّواتِ رُوحْ ... والبعضُ منها فى الحَشا قُرُوحْ

ورُبَّ شخصٍ حَسَنٍ فى الخَلْقِ ... وهو أشَدُّ من شَجًى فى الحَلْقِ

والدهرُ صَرّافٌ له تَصْريفُ ... يُروجُ فيه النَّقْدُ والزُّيُوفُ

كذاكَ ضاعتْ خُلَّصُ الأحْرارِ ... كضَيْعةِ المِصْباحِ فى النهارِ[(٣)]

تَعادُلُ الفاضلِ والمَفْضُولِ ... عرَّفَنا الفضلَ من المَفْضُولِ[(٤)]

الاعْتدالُ فى الأمورِ أعْدَلُ ... والمَسْلَكُ الأوْسَطُ فيها أمْثَلُ

هى المُـــنَى مَجْلَبةُ التَّعَنِّى ... كم عاشقٍ أهْلَكه التَّجَنِّى

قد تُحْرَمُ الآمالُ حيث الرَّغْبَهْ ... وتَسْقُطُ الطَّيْرُ لِقَصْدِ الحَبَّهْ[(٥)]

المرءُ تَوّاقٌ إلى ما لم يَنَــلْ ... وكلُّ شىءٍ أخْطَأَ الأنْفَ جَلَلْ

مَن كان يهْوَى مَنْظراً بلا خَبَرْ ... فماله أوْفَقُ من عِشْقِ القَمَرْ

مضَى الصِّبا فأيْنَ منه الوَطَرْ ... هيْهاتَ هيْهاتَ الجَنابُ الأخْطَرْ[(٦)]

مِيعادُ دَمْعِى ذِكْرُ أيامِ الصِّبا ... وجُلُّ شَجْوِى عند هَبَّةِ الصَّبا

مَضَى زَمانِى إذْ تَوَلَّى الصَّحْبُ ... ما أعْلَمَ الموتَ بمَن أُحِبُّ[(٧)]

صَبْراً على الهمومِ والأحْزانِ ... فإنَّ هَذا خُلُقُ الزَّمانِ

---

(١) الأدم : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد أو مدبوغه . والأدم أيضا : القبر . ولعله المراد .

(٢) سم زعاف : يقتل سريعا .

(٣) فى النفحة : « كذاك ضاعت » . (٤) فى نسخة من النفحة : « عرفنا الفضل من الفضول » ، وهى أولى .

(٥) فى ب : « بقصد الحبه » ، والمثبت فى : س ، وانظر النفحة .

(٦) فى النفحة : « الجناب الأخضر » . (٧) فى النفحة : « مضى نشاط » .

ثِقْ بالإلهِ كم له صُنْعٌ خَفِي … وهْو إذا حَلَّ البَلا لُطْفٌ خَفِي

خُذْ فُرْصةَ الإمْكانِ فى إبّانِهِ … واسْجُدْ لِقِرْدِ السّوءِ فى زمانِهِ

إن فاتَكَ الغَديرُ فاقْصِدِ الوَشَلْ … يَرْضَى بعقدِ الأسْرِ من وَافَى الثَّلَلْ (١)

حَدُّ العَفافِ القَنْعُ بالكَفافِ … ما ضاقَ عيشٌ والإلهُ كافِ

من لم تكنْ أنتَ له نَسيباً … فلا تُؤَمِّلْ عنـــدَه نَصيباً

والناسُ إن سألتَهم فَضْلَ القُرَبْ … حاوَلْتَ أن تجْنِيَ من الشَّوْكِ العِنَبْ

هذا زمانُ الشُّحِّ والإقتـــارِ … مضَى زمانُ الجودِ والإيثارِ

مَن كلَّفَ النفوسَ ضِدَّ طَبْعِها … أعْيَى بما لا يُرْتجَى من نَفْعِها

وإنَّ مَن خَصَّ لَئيماً بندَى … كان كمَن رَبَّى لِحَتْفِه أسَدا

قد يبلُغون رُتَباً فى الدنيا … لكنهم لا يبلُغون العَلْيا (٢)

إن المَعـــالِيَ صَعْبةُ المَراقِى … مِن دونِها الأرْواحُ فى التَّراقِى

لا تَستوِى فى الرّاحةِ الأناملُ … ورُبَّ مأمولٍ علاه الآمِلُ

قد تُورِدُ الأقْدارُ ثم تُصْدِرُ … وتَدْبِرُ الأقمارُ ثم تَبْدِرُ

بالجودِ يَرْقَى المرءُ مَرْقَى الحمْدِ … إن السَّخـــاءَ سُلَّمُ المجْدِ

وعَوِّذِ النَّعْمَا من الزَّوالِ … بكثرةِ الإحسانِ والنَّوالِ

يضُوعُ عَرْفُ العُرْفِ عندَ الحُرِّ … وإنه يضيعُ عنـــدَ الغُمْرِ

وإنّمـــا المعروفُ والصَّنيعَهْ … تُعْرَفُ عند أهلِها وَديعَهْ

الرأْيُ كلُّ الرأْيِ فى تَرْكِ الكُلَفْ … فقد مضَى عليه ساداتُ السَّلَفْ

ومَن تَغُرُّ عقـــلَه السَّلامَهْ … تخْدُمه ألْسِنَـــةُ النَّدامَهْ

---

(١) فى الأصول : « من واف الثلل » ، والمثبت فى النفحة .

والوشل : الماء القليل يتحلب من صخر أو جبل . والثلل : الهلاك .

(٢) فى ص : « قد يطلبون رتبا » والمثبت فى : ب ، والنفحة .

مَن لَزِم السِّلْمَ من الحربِ سَلِمْ ... ومَن أبَى إلّا هَوَى النفسِ نَدِمْ

يُؤَرِّجُ النَّسِيمَ عَرْفُ الرَّنْدِ ... والقَدْحُ أصْلٌ فى ثقوبِ الزَّنْدِ [1]

لكلِّ قلبٍ فى طِلابِه هَوَى ... وقِسْ عليه الدّاءَ يحتاجُ الدَّوَا

مَن طَلَبَ الدُّرَّ بقَعْرِ البحرِ ... لم يخْلُ من شُرْبِ الأُجاجِ المُرِّ

دَعْ فى الأمورِ الحَدْسَ والظُّنونَا ... لابُدَّ للمَقْدورِ أن يكونَا

ما قِيمَةُ الآمالِ للقُصَّادِ ... والموتُ للإنسانِ بالمِرْصادِ

إذا بَقِى من الجَدَى ما فَاتَكْ ... فلا تكُنْ تأْسَى على ما فَاتَكْ

رُبَّ اجْتِهادٍ دُونَه الجِهادُ ... فى راحةٍ مَن لا له مُرادُ

ما ينفَعُ التَّدْبِيرُ والتَّقْدِيرُ ... يَنْبِضُ قَوْسُه ولا تَوْتِيرُ

قَراقِعٌ ما تَحْتَهُنَّ طائِلْ ... إلّا مَحاقُ العُمْرِ والغَوائِلْ [2]

قد ذهبتْ مَكارمُ الأخلاقِ ... إلّا من الأمثالِ والأوْراقِ

تغيَّرَ الإخوانُ واختلَّ الزمنْ ... فلا صديقَ غيرُ صِحَّةِ البَدَنْ

لاتَكْتُمَنَّ داءَكَ الطَّبِيبَا ... ولا الصديقَ سِرَّكَ المَحْجُوبَا

هذا إذا كان عسى ولَعَلَّ ما ... وما أظُنُّ الدهرَ يسخُو بِهِما [3]

كَفَى عن المَخْبَرِ مَنْظَرٌ أطَلّ ... فى حُمْرَةِ الخَدِّ غِنًى عن الخَجَلْ

مَنْظَرُ كلِّ ماجدٍ مِعْيارُهُ ... إنَّ الجوادَ عَيْنُه فُرارُهُ [4]

مَن سابَقَ الجَوادَ بالحِمارِ ... جَنَتْ يداهُ ثَمَرَ العِثارِ

قد تُسْعِفُ الأقْدارُ بالسُّعُودِ ... فَتُلْحِقُ المَحْدُودَ بالمَجْدُودِ

---

(١) فى النفحة : « يأرج بالنسيم » .

والرند : نبات طيب الرائحة ، وهو من أشجار البادية .

(٢) قرقع قرقعة : أسمع صوتا جافيا ، كصوت وقوع الحديد على الحديد ، عامية . انظر المنجد ٦٥٨ .

(٣) فى بعض نسخ النفحة : « إذا كانا » .

(٤) انظر لقولهم : « إن الجواد عينه فراره » التمثيل والمحاضرة ٣٣٩ ، واللسان (فرر) ٥/ ٥١ .

كم قد نَصَبْتُ للأماني مَرْمَى　　　مُفَوَّقاً منّي إليهــا سَهْمَا

فلم يكنْ لى عنده نَصيبُ　　　ما كلُّ رامي غَرَضٍ يُصيبُ

والسَّعْدُ إنْ ما كان حيناً أبْطَا　　　فلا تقلْ بأنه قد أخْطــا

إذْ رُبَّما قد عاقَهُ الأقْدارُ　　　لكُلِّ شيء عنده مِقْدارُ[1]

فى يَدِكَ الحزْنُ متى تشــاء　　　فاغْنَمْ سُرُوراً تَرْكُه عَناء

ما كلُّ وَقْتٍ مُسْعِفٌ بما تُحِبّ　　　فإنْ تكنْ دَرَّتْ لَبُونٌ فاحْتَلِبْ[2]

مَن يطْلُبِ الخلاصَ نالَه الأسَى　　　وفى خُطوبِ الناسِ للناسِ أُسَى[3]

حُبُّ الثَّنا طبيعةُ الإنْسانِ　　　والشكرُ مَوْقُوفٌ على الإحْسانِ

الجودُ بالمَوْجودِ عُنْوانُ الشَّرَفْ　　　ومَن أضافَ لم يُبالِ بالسَّرَفْ

من يتلَقَّ الجودَ بالجحودِ　　　عرَّض نُعْماهُ إلى الشُّرُودِ

لِلْــوُدِّ عَقْدُ ذِمَّةٍ لا تُهْمَلْ　　　وللرَّجاء حُرْمَةٌ لا تُجْهَلْ

سالِفُ ما كان من الحُرُماتِ　　　يستَوْجِبُ العَفْوَ عن الزَّلّاتِ

بالفَحْصِ عن خَواطِرِ الأَحِبَّهْ　　　يُدْبَجُ بُرْدُ الوُدِّ والمَحَبَّهْ

إن الرَّقيبَ يمْنَعُ التَّراضِي　　　كالخصمِ قد يرْضَى ويأْبَى القاضِي

حتَّى متى أصْبُو ورأْسِي أشْمَطُ　　　أحْسَبُ أن الموتَ باسْمِي يغْلَطُ

ليس على فَقْدِ الحياةِ مِن نَدَمْ　　　قد استَوَى فيها الوجودُ والعَدَمْ

كلُّ نَعيمٍ فإلى فَنــاء　　　وكلُّ عَيْشٍ فإلى انقضاء

---

(١) فى ب ، والنفحة : « قد عوقته الأقدار » ، والمثبت فى : س ، وفى ب : « وكل شيء عنده بمقدار » ، وفى النفحة : « وكل شيء عنده مقدار » ، والمثبت فى : س .

(٢) اللبون هنا : الناقة والشاة ذات اللبن .

(٣) أسى ، بالضم والكسر : جمع الأسوة والإسوة ، بالضم والكسر أيضا .

عليكَ ياهذا الفَـــتَى بالتَّوْبَهْ   فانْجَحْ بِها قبل انْتهاء النَّوْبَهْ[1]

***

ومن نَفَثاته البديعة قوله[2]:

لِلقلبِ ما شاء الغرامْ   والجسمُ حِصَّتُه السَّقامْ
وإذا اخْتَبَرْتَ وجَدْتَ مِحْ   نةَ من يُحِبُّ هي الحِمامْ
عَجَبًا لمُلْــبِي لا يَمَلُّ   م جَوًى ويُؤْلِمُه المَلامْ
وأَبيكَ هٰذِي شِيمَتِي   مِن مُنْذُ أَدْرَكنى الفِطامْ
إنِّى أغارُ على الهوَى   من أن تُؤمِّلَه الأنامْ
وأَرُومُ من حَدَقِ الظِّبَا   نَظَرًا به حَتْفِي يُرامْ
أَفدِي الذي منـــه يَغا   رُ إذا بَدَا البدرُ التَّمامْ
فعلَتْ بنـــا أحْداقُه   ما ليس تفعلُه المُدامْ
إن شَطَّ عنك خَيالُه   فعلَى حُشاشتِك السَّلامْ
أَأُخَيَّ من يَكُ عاشقًا   فعلَى م يجفُوه المَرامْ
إنِّى بُلِيتُ بمِحْنةٍ   هانتْ بها النُّوَبُ العِظامْ
حتى لقد عَمِيَتْ علَيَّ   م مَسالِكِي ودَجا القَتامْ[3]
صاحَبْتُ ذُلِّي بعدَ أنْ   قد كان تفخرُ بِي الكِرامْ
والمرء يصعُب جُهدَه   ويَلين صَعْدَتَه الصِّدامْ
لاتتهِمَنَّ تَذَلُّـــلِي   فالتِّبْرُ مَعْدِنُه الرَّغامْ
وإذا جَفـــانِي مَن أُحِبُّ   م صَبَرْتُ حتى لا أُضامْ[4]

---

(١) فى النفحة: « فأنج بها ».

(٢) القصيدة فى سلك الدرر ٤/٨٨، ٨٩، نفحة الريحانة ٥/٦٧، ٦٨.

(٣) القتام: الغبار الأسود. (٤) فى النفحة: « وإذا جفانى من هويت ».

فعبُوسُ أَرْدِيَةِ الْحَيَـا عُقْباهُ لِلرَّوْضِ ابْتِسامْ
ولَئِنْ وَهَتْ لى عَزْمَةٌ فَلَرُبَّمَـا صَدِئَ الْحُسامْ
فعَسَى الذى أَبْلَى يُعِيـ ـنُ وينقضِى هذا الخِصامْ

***

وقوله[(١)] :

مُذْ قَعْقَعَتْ عُمُدُ للحَىِّ وانْتَجَعَتْ كِرامُ قُطَّانِه لم أَلْقَ من سَنَدِ[(٢)]
مضى الأُلَى كنتُ أخْشَى أن يُلِمَّ بهم رَيْبُ الزمانِ فلا أخْشَى على أَحَدِ
فأفْرَخَ الرَّوْعُ أن شالَتْ نَعامَتُهم فأفسَدَ الدهرُ منهم بَيْضَةَ البَلَدِ[(٣)]

***

ومن مُقَطَّعاته قوله[(٤)] :

وشادِنٍ قَيْدُ العقولِ وَجْهُهُ وصُدْغُه سِلْسِـلَةُ الآراء[(٥)]
شامَتُه حَبَّةُ قلبٍ مُذْ بَدَتْ جُنَّتْ بها الأحْشاء بالسَّوْداء

***

وقوله[(٦)] :

لا بِدْعَ أن شاع فى البَرايَا تَهَتُّكِى فى الرَّشَا الرَّبِيبِ
عِشْقِى عجيبٌ فكيف يَخْفَى وحُسْنُه أَعْجَبُ العجيبِ

***

---

(١) الأبيات فى : سلك الدرر ٤/٨٩ ، نفحة الريحانة ٥/٦٩ .

(٢) فى الأصول والسلك : « قد قعقعت » ، والمثبت فى : النفحة .

(٣) فى الأصول ، وأصول النفحة : « فأفرغ الروع » ، والتصحيح من سلك الدرر .
وأفرخ الروع : ذهب . وشالت نعامتهم : ذهبوا وتفرقوا .

(٤) سلك الدرر ٤/٨٩ ، نفحة الريحانة ٥/٦٩ .

(٥) فى الأصول : « قيد العقول بوجهه » ، والمثبت فى : السلك والنفحة .

(٦) سلك الدرر ٤/٨٩ ، نفحة الريحانة ٥/٦٩ .

وقوله[١] :

بِي مَن إن عايَنَتْهُ مُقْلَتِي ... يَنْمَحِي جسمي ويَفْنَى طَرَبَا

أيُّ شيءٍ راعَهُ حتى انثَنَى ... هارباً منِّي ووَلَّى مُغْضَبَا

***

وقوله، مُعَمِّياً باسم أحمد[٢] :

وَارَحْمتَا لِمُعَذَّبٍ قَلِقِ الحَشَا ... بِهُمُومِه قد بان عنه شَبَابُهُ

دَمُ قلبِه ما ساقَطَتْهُ جُفُونُه ... يومَ النَّوَى لمَّا نَأَتْ أحْبابُهُ

***

وقد اتَّفق[٣] في مجلس بعضِ الأعْيان أن دُعِيَ إليه، وكان به شيخُ الإسلام المولى الهُمام عليّ بن إبراهيم العِمادِيّ[٤]، مُفْتِي دمشق الشام، وجَنابُ الحسيبِ النَّسِيب، السيد عبد الكريم بن السيد محمد، ابن حمزة[٥]، نَقيبُ السادة الأشراف بدمشق الشام، وغيرُهما من الصُّدُور والأعيان، وأرْبابُ السيادة والعِرْفان، أن سقطت ثُرَيَّا القَناديل في ذلك المجلس، فقال مُرْتجلا :

لله مُجْتَمَعٌ كواكِبُهُ ... تلك الوُجوهُ وَضِيئَةُ الحَلَكِ

حتى النجومُ هَوَتْ له كَلَفاً ... بِنِظامِها من قُبَّةِ الفَلَكِ

وقال[٦] :

وليس سُقوطُ الثُّرَيَّا لَدَى ... نَدِيِّ المَوالِي من المنكراتِ[٧]

فإن الشُّموسَ إذا أسْفَرَتْ ... فلا حَظَّ للأنْجُمِ النَّيِّراتِ

---

(١) البيتان في : سلك الدرر ٤/٨٩، ونفحة الريحانة ٥/٦٩ .

(٢) نفحة الريحانة ٥/٦٩ (٣) القصة والبيتان في سلك الدرر ٤/٨٩ .

(٤) تقدمت ترجمته في النفحة ٢/١٢٤ . (٥) تقدمت ترجمته في النفحة ٢/٦٧ .

(٦) سلك الدرر ٤/٨٩، ونفحة الريحانة ٥/٧٠ . (٧) في النفحة : « نداء المولى » .

وقال البارع الأديب ، الحسيب النسيب ، السيد عبد الكريم النقيب[1] :

مجلسٌ ضمَّ شملنا بانسجامِ ... كالثريَّا وحبَّذا الانسجامُ

نظمتْنا به العنايةُ عقداً ... سِلكُه الوُدُّ لا عراهُ انفصامُ

والعِمادِيُّ منه وُسطاهُ والوُسْـ ... ـطَى لها الصَّدْرُ منزلٌ ومقامُ

فأدَرْنا من الحديثِ كؤوساً ... سَكِرتْ من مُدامِها الأفهامُ

ونَعِمْنا بالًا ورُوحاً وسمْعاً ... ولدَيْنا للنيِّراتِ ازدِحامُ

بينما نحن من ثُرَيَّاهُ عُجْبٌ ... وبها الزُّهْرُ زانَهُ الانتظامُ[2]

إذْ تداعتْ من أُفقِهِ وهْىَ خجْلَى ... إذْ حكَتْنا وفاتَها ما يُرامُ

وقال الأديب الكامل ، السيد سليمان الكاتب[3] :

لا بِدْعَ أن هوَتِ الثُّريَّا للثَّرَى ... فى مجلسِ المولى الأجلِّ الألمعِى

صَدْرِ الأكارمِ مَن أقرَّ بفضلِهِ ... وبسَبْقِهِ للمجدِ كلُّ سَمَيْدَعِ[4]

أعْنِى عَلِيًّا ذا المكارمِ والتُّقى ... نجلَ العمادِ الأحْوَزِيِّ اللَّوْذَعِى[5]

هو لو رأتْهُ الشمسُ وهْى بأفقِها ... هبطتْ إليه من المحلِّ الأرفَعِ

لا زال محفوظَ الحواسِ وشمْلُه ... مُتجمِّعٌ بالسَّعْدِ أىَّ تجمُّعِ

وقال أيضا :

إن الثُّريَّا إذْ رأتْ جمْعَنا ... كعِقْدِ دُرٍّ حسَنِ الاتِّحادْ

هوَتْ من الأُفْقِ لِلَثْمِ الذى ... بين يدَىْ من هو كهفُ العِبادْ

إمامُ أهلِ الفضلِ فى عصرِنا ... عَلِيُّنا المُفْتِىُّ نجلُ العمادْ

وبَشَّرتْهُ أنَّ شمْلَ العِدَى ... مبدَّدٌ مِثْلِى وهذا المُرادْ

---

(١) سلك الدرر ٤/٨٩ ، ٩٠ .
(٢) فى الأصول : « زانها الانتظام » ، والمثبت فى السلك .
(٣) تقدمت ترجمته فى الصفحة ١/٥١٠ .
(٤) السميذع : السيد الكريم الشجاع السخى .
(٥) الأحوزى : الحاذق .

لا زالَ وُسطَى عِقدِنا ما شَدَتْ　　وَرْقاء رَوْضٍ رَصَّعَتْها العِهادْ[1]

وقال الفاضل عبد الرحمن بن عبد الرزّاق[2] :

إن الثُّريّا لا عَجيبٌ إذْ هَوَتْ　　بِتبذُّلٍ وَقْتَ المَسَرَّةِ في الدُّجى

رأتِ الأهِلَّةَ صِرْنَ أفعالا لمن　　مَلَكُوا فَخاراً دونَه وَقَفَ الحِجَى

فأتَتْ تُقبِّل عند ذاكَ نِعالَهم　　لِتنالَ نُوراً من سَناهم أَبْلجا

وقال البارع السيد أسعد العُبادِي[3] :

لا تحسبُوا سَقْطَ الثُّرَيّا عن خَطاً　　منها على تلكَ الوُجوهِ الطُّلَّعِ

بل إنها من فَرْحةٍ لمّا رأتْ　　جَمْعاً لهم يُحْكَى لها في الأرْبعِ

نَثَرتْ كواكِبَها عليهم في الدُّجى　　من قابِ قَوْسَيْنِ المَحلِّ الأرْفَعِ

***

وللمُؤلِّف من الرُّباعِي[4] :

قد قلتُ لِسحرِ طَرْفِه إذْ نَفَثا　　من شاهدٍ ذاقَ أهْلَه في ما لَبِثا[5]

إذ يَكْسِرُ جَفْنَهُ لكي يَعْبَثَ بِي　　سُبْحانَكَ ما خَلَقْتَ هذا عَبَثا

***

وله[6] :

للهِ صَبٌّ مَدْحُ مَعْشُوقِهِ　　دَيْدَنُه مُتَّبِعٌ نَهْجَهْ

يفرح إنْ وَافاهُ في مَحْفَلٍ　　كَمُذْنِبٍ قامتْ له حُجَّهْ

***

وله في دَعْوةِ ماجد[6] :

---

(١) العِهاد : جمع العهد ، وهو : أول مطر الربيع .　(٢) تقدمت ترجمته صفحة ٢٠٦ .

(٣) تقدم التعريف به صفحة ٤١ .　(٤) نفحة الريحانة ٥/٧٠ .

(٥) سقطت « قد » من الأصول ، وهي في النفحة ، وفيها : « من شاهد إذا » .

(٦) نفحة الريحانة ٥/٧٠ .

بَيْتِي وكُلِّي مِلْكُ مَن يَدُهُ ... فوقَ الأَيادِي دَأْبُها المِنَحُ
فإذا نُدِبْتُ لأَمْرِ دَعْوَتِهِ ... قالوا طُفَيْلِيٌّ ويَقْتَرِحُ[1]

***

وله[2] :

قد جئتُ دارَكَ زائراً بَهِجاً ... يا مَن به قد أَشْرَقَ النَّادِي
رِجْـــلِي إليك مَطِيَّتِي ولها ... قلبي دليـــلٌ والثَّنَا حادِي

***

وله[2] :

للرَّوْضِ رُوَاً طَلْقُ المُحيَّا نَضِرْ ... لو تَمَّ بكم كما رَجَوْنا وَطَرْ
فالوَرْدُ إلى الطريقِ أصغَى أُذُنَا ... والنَّرْجِسُ عَيْنُه غَدَتْ تنتظِرْ

***

وله[3] :

مضَى الأُلَى برائقِ الشِّعْرِ وما ... أبقَوْا لنا في كأسِه إلّا العَكَرْ[4]
تمتَّعُوا بحَشْوِ لَوْزِينَجِهِمْ ... وقد حُرِمْنا نحنُ من حَشْوِ الأُكَرْ[5]

***

وله[3] :

وظَبْيٍ أُفكِّرُ في تِيهِهِ ... فلا يَخْطُرُ الوصلُ في خاطرِي
حَبانِي مُجرَّدَ وَعْدٍ له ... كَلَيْلٍ عليه بلا آخِرِ

***

---

(١) في النفحة : « فإذا انتدبت » .

(٢) نفحة الريحانة ٥/٧١ . (٣) نفحة الريحانة ٥/٧١ .

(٤) في النفحة : « في كأسنا » .

(٥) اللوزينج : حلواء يؤدم بدهن اللوز ، يشبه القطائف .

وله[1] :

إذا النَّسيمُ جرَّ أذيالَه على ساحةِ رَوْضٍ فُتِّحت أزهارُه[2]
فنَشْرُه من الثَّناء نفْحةٌ يُثْني على الْمُزْنِ بها نُوَّارُه

***

وله[1] :

جاء الربيعُ الطَّلْقُ فانْهَضْ مُحْرِزاً صَفْوَ نعيمٍ حقُّه أن يُحْرَزَا
وانظُرْ بِساطًا مِن نَسيجِ نَبْتِهِ مُنَبَّتًا بوَشْيِهِ مُطَرَّزَا

***

وله :

إن يكنْ قَطْر من رِيقَتِهِ ماءَ وَرْدٍ خَيْـاةِ الأنفُسِ
فلقد أبْدَى لنا من وَجْهِهِ عَرَقَ الفِتْنةِ عِطْرَ النَّفَسِ[3]

***

وله[4] :

وشادنٍ أزْهَى من الطَّاوُوسِ في عِشْقِهِ مَنِيَّةُ النُّفُوسِ[5]
أبْدَى لنا من الثَّنايا فَمُهُ سِينًا عسى تكونُ للتَّنْفِيسِ

***

وله مُداعِبًا[4] :

ألَا لا تَخْشَ من صَفْعٍ ولا يَأْخُذْكَ إيحاشُ
تَنَلْ شاشًا بِعِشْرتِنا فَشاشٌ قلبُه شاشُ[6]

***

(١) نفحة الريحانة ٥/٧١ (٢) في النفحة : « جرر زيله » .
(٣) ذكر المؤلف في النفحة أن عطر الفتنة من العطريات المجلوبات من الهند .
(٤) نفحة الريحانة ٥/٧٢ . (٥) في الأصول : « وشادن أشهى » ، والمثبت في النفحة .
(٦) في ب : « تنل شاشا بعزتنا » ، والمثبت في :ص ، والنفحة .
والشاش : معروف ، مولد منقول من اللغة الهندية . انظر شفاء الغليل ١٣٧ .

وله[١] :

كم حِيلةٍ أعْمَلْتُها فلم تُفِدْ ... لكنْ دعَتْنِي للهُدُوِّ والرِّضَا
إذا مَطايَا العَزْمِ أخْلَتْ بُرْهةً ... سَلِّمْ زِمامَها إلى يَدِ القَضَا

***

وله[١] :

كانتْ بقلبي غُـلَّةٌ ... حرَّاه للرَّشَإِ الْمُمَنَّعْ
حــتى دَنَوْتُ لثغْرِهِ ... فرَشَفْتُه والرَّشْفُ أنْقَعْ[٢]

***

وله[١] :

مِن صَفْوةِ الخلْقِ مليحٌ وَجْهُهُ ... جامعُ حُسْنٍ مُتْقَنْ الصَّناعَهْ
قد خُطَّ مِحْرابانِ فى قِبْلتِهِ ... لمَّا اقتضَتْهْ كثرةُ الجماعَهْ

***

وله[٣] :

فى الرَّوْضِ جرَى زُلالُ ماءٍ ... عن أحْسَنِ مَنْظَرٍ بشَفْ
أحْداقُ لُجَيْنِهِ عليهــا ... أهْدابُ زَبَرْجَدٍ تَرِفْ

***

وله[٣] :

مَن كان مَذْكُوراً بِعشْقِ الظِّبَا ... بلا خِلافٍ للنُّهَى خالَفَا
ومن يَكُنْ خالَفَ فى أمْرِهِ ... فغيرُ مذكورٍ وإن خالَفَا

***

(١) نفحة الريحانة ٥/٧٢ .

(٢) قال المحبي فى النفحة : « الرشف أنقع : مثل ، أى أن الشراب الذى يرتشف قليلا قليلا أقطع للعطش وأنجع ، وإن كان فيه بطء » .

(٣) نفحة الريحانة ٥/٧٣ .

وله[١] :

كم شِدَّةٍ حُمِّلْتُ ثِقْلَ خُطوبِها ليستْ لِمَحْمَلِها الجبالُ تُطِيقُ
ما كنتُ أضْبِطُ للزمانِ نوائِباً أَيعُدُّ أمْواجَ البحارِ غَرِيقُ

***

وله[١] :

وإذا قصدتُ حِماكَ يدْعُونى إلى ساحاتِ نائِلِه النَّعيمُ المُخْضَلُ[٢]
أمْشِى بقلبى لا بِرِجْلِى إنَّمـا تَمْشِى بحيثُ هَوَى القلوبِ الأرْجُلُ

***

وله فى تهنئة[٣] :

مَوْلَاى يَهْنِيكَ ما أَثَّرْتَ من أَثَرٍ أعطاكَ رَبُّكَ فيـه غايةَ الأَمَلِ
بَنَيْتَ دُنْيـاكَ فى دارٍ جمعتَ بِهـا كلَّ الخلائِقِ من عَلْياكَ فى رَجُلِ

***

وله[١] :

وكم لىَ من رَوْضِ فضلٍ لقدْ تَفَيَّأْتُ فيه ظِلَالَ الكَرَمْ
تَعَرَّفْتُهُ بثَنَـــاءِ النَّدَى وعَرَّفْتُه بنســيمِ النِّعَمْ[٤]

***

وله[٥] :

، غَنِيتُ وقد شاهدتُ أحْسَنَ مَنْظَرٍ من الرَّوْضِ عمَّا تصْطفِيه جِنانُ

---

(١) نفحة الريحانة ٥/٧٣ . (٢) المخضل : المندى المبلل .
(٣) نفحة الريحانة ٥/٧٣ ، وفيها زيادة : « بدار لماجد » .
(٤) قال المحبي فى النفحة ٥/٧٤ : « نسيم النعم : هو الشكر ، وهو من مبتدعات البحترى ، وكان الصاحب يستحسنه » .
(٥) نفحة الريحانة ٥/٧٤ .

فأزهارُه وَشْىٌ وسَلْسَالُ مائِه سُلافُ كؤوسٍ والطُّيورُ قِيانُ

***

وله في ثقيل[1] :

ثَقِيلُ رُوحٍ أنْكَرُوا وَطْأَهُ نَرْجِسَ رَوْضٍ حُفَّ بالسَّوْسَنِ
فقلتُ غُضُّوا الطَّرْفَ عن وَصْفِهِ فإنه يَمْشِى على الأَعْيُنِ

***

وله[1] :

شِعْرِى إذا أَبْدَيْتُهُ لِعِصابةٍ تلقَّاهُمُ لِنَشِيدِه لا يُحْسِنُوا
كالعِطْرِ تجْلُبُه لأَنْطاكِيَّةٍ فتراهُ يفسُدُ رِيحُه بل يُنْتِنُ[2]

***

وله[1] :

أَنْعِمْ صَباحاً في ظِلالِ رَوْضةٍ تَدْعُو إلى النَّشْوةِ حُسْناً وبَهَا
لمَّا غَفَا فيها النَّباتُ سُحْرةً دَغْدَغَهُ نسيمُها فانْتَبَها

***

وله[3] :

أرَى جِسْمِى تَحُطُّ به البَلايَا وما شارَفْتُ مُعْتَرَكَ المَنايَا
فإنْ أبْقانِىَ المولَى فأرْجُو بقايَا منه في عُمْرِى نَقَايَا

***

مُعْتَرَكُ المَنايا[4]: هو ما بين السِّتِّين إلى السَّبْعين ، من سِنِى أعمارِ الناس ؛ لأن النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « أَكْثَرُ أَعْمارِ أُمَّتِى ما بَيْنَ السِّتِّينَ إلَى السَّبْعِينَ » .

***

(١) نفحة الريحانة ٥/٧٤ .
(٢) شدد ياء أنطاكية لضرورة الوزن، وانظر النفحة لشرح ما في هذا البيت .
(٣) نفحة الريحانة ٥/٧٥ .
(٤) هذا الفصل منقول عن النفحة ٥/٧٥ ، وانظر تخريج الحديث في حاشيته .

ومن مُفْرَدات المُؤلِّف[1] ، رحمه الله تعالى ، الذى كلُّ مُفْرَدٍ منه لا يُعادَل ، وفى حُسْنه لا يُعائَل ؛ فإنها أبكارُ أفْكارٍ ، ومُطالعتُها تَزيد فى الأعمار ، فيالها دُرَرٌ تجْلُو القلبَ والبصَر ، أوْدَعها من حِكَمِه ورائِق كَلِمه جواهرَ ودُرَر ، ونفائسَ وغُرَر .

فمنها قوله :

ما كل دارٍ آنسَتْ دارَ الحِمَى   أو كلُّ بيضاء الطُّلَى أسْماء

وله :

وما الدهرُ من أصْلِه فاسدٌ   ولكن فسادُ الوَرَى أفْسَدَه

وله :

ولى ألْفُ وَجْهٍ فى مُخالَطةِ الهوَى   ولكنْ بلا قلبٍ إلى أين أذْهَبُ[2]

وله :

وليس عَجِيباً ما بجسْمِى من الضَّنَى   ولكنْ حياتِى يا ابْنةَ القومِ أعْجَبُ

وله :

إن الكرامَ إذا اخْتَشَوْا نَدَّ العُلَا   جعلُوا لها سِمْطَ القَرِيضِ عُقودَا

وله :

قُلْ للذى هَمُّه الفَخارُ   من دونِ ذا يَنْفُقُ الحِمارُ[3]

وله :

إذا تناءَتْ قلوبٌ   لا كان قُرْبُ دِيارِ

وله :

ما خُصَّ ذو الجهلِ الدَّنِى بُرتْبةٍ   إلَّا كما خُصَّ الخِتامُ بخِنْصَرِ

---

(١) هذه المفردات فى النفحة ٥/٧٦ ـ ٧٩ .

(٢) فى النفحة : « مخالطة الورى » .

(٣) فى ب : « اسمه الفخار » ، والمثبت فى : س ، والنفحة .

وله :

نعيمُ المرء ثوبٌ مُسْتعارٌ ... وفى الماضِى لمن يبْقَى اعتْبارُ

وله :

مَنْ رام مِن أعْدائِه نُصْرَةً ... كان كمَن فى النارِ يُطْفِى الأوارْ(١)

وله :

مَحْصُولُ وُدِّكَ فى رِضاكَ مُحصَّلٌ ... شَرْحُ العقائِدِ فى الوُجوهِ مُلَخَّصُ

وله :

غُصَصُ الحياةِ كثيرةٌ ولقد ... تُنْسِى الحوادثُ بعضها بَعْضَا

وله :

إن زَاحَمتْك نَوائِبٌ ... زَاحِمْ بعَوْدٍ أو دَعٍ(٢)

وله :

عَيْنٌ أصابتْ شَملَنا لا رأَتْ ... شَمْلًا على طُولِ المَدَى يُجْمَعُ

وله :

لكَ الوُدُّ والإخلاصُ من قلبِ عاشقٍ ... وأبْعَدُ ما حاوَلْتَ قلبُ الحقائِقِ(٣)

وله :

كلامُه فى وَعيدِى ليس يَجْرَحُنِى ... إن الوعيدَ سِلاحُ العاجِزِ الحَمِقِ

وله :

صَدَقُوا ولكنْ لستُ ممَّن يقبَلُ ... ليس المُخاطَبُ فى الهوى مَن يَعْقِلُ

وله :

ومَن لم يشْكُرِ النَّعْماءَ يوماً ... وأنْكرَها فقد رَضِىَ الزَّوالَا

---

(١) فى النفحة : « من حساده نصرة » . (٢) العود : المسن من الإبل والشاء .
ومعنى المثل : أى لاتستعن إلا بأهل المعرفة . انظر التمثيل والمحاضرة ٣٣٤ .

(٣) فى النفحة : « من قلب صادق » .

وله

ولا خيرَ فيمن غيَّرَ البُعْدُ حالَه ولا وفى وِدادٍ غيَّرتْهُ العوامِلُ[1]

وله :

لا شيء أجْرَى لِدُموعِ عاشقٍ من فُرْقةِ الأحْبابِ والمَنازلِ

وله :

مَطَلْتَنِي ثُمَّ ادَّعَيْتَ السَّخَا والمَطْلُ مَوْلُودٌ من البُخْلِ

وله :

أنا والمَنِيَّةُ فى وَجَلْ مِن سِحْرِ هاتِيكَ المُقَلْ

وله :

إذا لم أذُقْ غيرَ هَجْرِ الظِّبَا فمِن أينَ أعْرِفُ طَعْمَ الوِصالْ

وله :

كنتُ مُسْتأْنِساً إلى كلِّ شخصٍ فأنا الآنَ نافِرٌ من خَيالِي

وله :

بين اللَّواحِظِ والمَنُونِ ذِمامُ سَبَبٌ لأن تَفْنَى به الأجْسامُ[2]

وله :

كلُّ نارٍ غيرَ نارِ الْعِشْقِ بَرْدٌ وسَلامُ

وله :

الشيء يظهَرُ فى الوُجودِ بضِدِّه لولا الضَّرورةُ ما اسْتَبانَ المُنْعِمُ

وله :

تَكَتُّمُ المُغْرَمِ لا يُمْكِنُ وسَلْوةُ العاشقِ لا تَحْسُنُ

(١) فى النفحة : «غير البعد قلبه» . (٢) فى النفحة : «بين اللواحظ والمتون» .

وله :

ماكلُّ ما تحذَرُ بالكائنِ قد ينزِلُ المكْروهُ بالآمِنِ

وله :

إن الرِّجالَ لهم وَسائِلُ للمُنَى ووَسِيلتى حُبُّ النَّبِيِّ وآلِهِ(١)

وله :

لا عذَّبَ اللهُ مُتيَّماً بمــــا لَقِيتُهُ من كَثْرةِ التَّجَنِّى

وله :

إن تكنْ صُحْبَتِى تنفَّيْتَ عنها أىَّ أُحْدُوثةٍ تُحِبُّ فكُنْهَا

وله :

بالصبرِ يَرْقَى المرءُ أَوْجَ العُلا إن التَّأَنِّى دَرَجٌ للرُّقِى(٢)

***

وقال ، رحمه الله ، فى آخر كتابه « نفحة الريحانة ، ورَشْحة طِلاء الحانة »(٣) : وقد رأيتُ أن أختِمَ الكتابَ بهذيْن البيتين ، وأنا مُستَشْفِعٌ فى إصْلاح أحْوالِى بصاحبِ القِبْلتيْن ،(٤) صلَّى الله عليه وسلم ، وعلى آلِه وأصحابِه ، وذَوِيه وأحبابه(٤) .

وهما :

لئن ضاقَتْ بِىَ الأيّامُ ذَرْعاً فصَبْرِى مُذْهِبٌ ماعِشْتُ كَرْبِى

خَلصْتُ من الأمانِى فى حَياتِى فأرْجُو فى مَماتِى عَفْوَ رَبِّى

***

وأشعارُه وتَغزُّلاته ، ومراسلاته ومكاتباته ، ومُقطَّعاته ومُفْرداته ، من كلِّ فن ،

(١) فى ب : « وسائل بالمنى » ، والمثبت فى : ص ، والنفحة . (٢) فى النفحة : « درج للارتقا » .
(٣) الجزء الخامس صفحة ٧٩ . (٤) زيادة عما فى النفحة .

أكثرُ من أن تُرْقَمَ وتُحْصَى ، أو يُحيط بها العَدّ والاسْتِقْصاء ، وقد ذكر منها طرَفًا في كتابه « الأصل » .

و « ديوان شعره » فائقٌ مشهور ، أبْهَى من العُقودِ للحِسانِ في النُّحُور .

نُمْسِكُ عنه عِنانَ القلم ، لئلَّا يطُول بنا الإمْلاء والرَّقْم .

***

وكان مولده ، رحمه الله تعالى ، في سنة أربع وستين وألف[1] .

وتُوُفِّي إلى سَعَةِ رحمةِ الله ورضوانِه ، في ليلة الأربعاء ، ثامن عشر[2] جُمادَى الأُوَّل ، سنة إحدى عشرة ومائة وألف ، وصلَّى عليه العالمُ العلَّامة ، والعُمْدَةُ الفَهَّامة ، الشيخ عثمان القَطَّان[3] ، في الجامع الأُمَوِيّ ، ودُفِن في جَبَّانة مَرْجِ الدَّحْداح ، خارج باب الفَرادِيس[4] ، من أبواب دِمَشْق المعروفة بالغُرَباء . تُجاه مَرْقَدِ الشيخ أبي شامَةَ[5] ، رضي الله عنه .

وقد أكْثَر أُدَباء دمشق الشَّام ، الرِّثاء في شَمائِله ببديع النِّظام .

فأوَّلُ من نَظَم الجواهرَ من المَحابر ، بعد أن نَثَرها من سُودِ المَحاجِر .

وجادت قَرِيحتُه ببَوادِعَ كالغَوادِي ، البارع الأديب ، والكامل الأَلِيب ، السيد مصطفى الصُّمادِيّ[6] .

بقوله :

كُن خليلِي على البُكاء مُعِينَا   وأفِضْ ماء مُقْلَتَيْكِ مَعِينَا

---

(١) ذكر المرادى أن مولده كان سنة إحدى وستين وألف . انظر مقدمة التحقيق للنفحة صفحة ٥ .

(٢) في ب بعد هذا زيادة : « من » ، والمثبت في : ص .

(٣) تقدمت ترجمته في النفحة ١/٥٩٤ ، وله ترجمة في تراجم بعض أعيان دمشق ١٣١ ، ١٣٢ .

(٤) باب الفراديس من شمالي دمشق ، وهو الآن في سوق العمارة الممتد إلى جامع بني أمية . منادمة الأطلال ٤٢ .

(٥) يعني عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ، المؤرخ المشهور ، صاحب « الروضتين » ، و « الذيل على الروضتين » ، المتوفى سنة خمس وستين وستمائة .

انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٨/١٦٥

(٦) تقدمت ترجمته صفحة ١٧٥ .

وابك فَرْدَ الزمانِ إنسانَ عينِ الدَّ ... هرِ مولَى الأنام هذا الأمينـا[1]

الإمامُ الهُمامُ عـلَّامةُ الْـ ... ـعصرِ وختمُ الأكارمِ الأفضَلينا

كعبةُ الفضْلِ رُكْنُ بيتِ مُحِبِّ الدِّ ... ينِ كهفُ الأفاضلِ المحْسنينا

بدرُ عِـلْمٍ رَقَى سماء كمالٍ ... لا يُدانيه فى العُـلا الرَّاقُونا

ألمعِىٌّ حوَى بديعَ معـانٍ ... ليس يحْوِى البديعُ منها الدُّونا[2]

فاق فى الفضـلِ من مَضَى وبه الْـ ... ـفَخْرُ على الأوَّلين للآخِرينا

لستُ أُحصِى يسيرَ أخْلاقِه الْـ ... ـغُرِّ ولو عِشْتُ فوق دهرِى سنينا

لَهْفَ رُوحِى عليـه كَنْزَ وقارٍ ... وبهاء فى التُّرْبِ أمْسَى رَهِينا

ما دفنَّاه وحْدَه بـل دفنَّا الْـ ... ـعُفْفَ والظَّرْفَ والحِجا والسُّكُونا

لو يُفَدَّى بروحِ كلِّ عزيزٍ ... يُجْتَبَى فى الوجودِ كُنَّا فدينا

غيرَ أنَّ المَنُونَ حوْضٌ وكلٌّ ... وارِدُوه وخـيْرُنا السابقونا

يالعَمْرِى وليس ذا العُمْرُ إلَّا الْـ ... ـجسْرَ للقـبرِ والورَى عابرونا

فالسَّعِيدُ السَّعِيـدُ من ليس يغـ ... ـتَرُّ بدارٍ فنـاؤُها يُفنينا

قد أرعْنا اليَراعَ حـتى دعَونا ... هُ ليُمْـلِى رِثاءه أو يُبينا

فأتانا مُنكَّسَ الرأسِ يهْمِى ... دَمْعُه فى الطُّروسِ يُبْدِى الأنينا

لا تظُنُّوا سطورَ تلك المَراثِى ... من مِدادٍ بهـا سَواداً تُرِينا

إنمـا لُبِّسَتْ ثِيابَ حِدادٍ ... عُفِّرَتْ فى الترابِ تحكِى الحزينا

ودموعُ العيونِ ليستْ دُموعاً ... من جُفونٍ يخالُها الناظِرونا

إنما هذه القلوبُ لقـد ذا ... بتْ بنارِ الأسَى تفيضُ عُيونا

إن يكنْ قد قضَى وفارق داراً ... قد أباها من قبْـلِه الأكْمَلُونا

---

(١) فى ب : « مولى الزمان » ، والمثبت فى : س . (٢) يشير إلى بديع الزمان الهمذاني .

فلقد حَلَّ في جِنانِ خلودٍ   في جوارٍ لأَكرمِ الأكرمينا

وحَبـــاهُ بعفْوِه ثُمَّ حَيَّا   هُ بِرِضْوانِه ...از يَقينـــا

ودَوَاعِي الرِّضَا عليـــه من اللَّـ   ـهِ تُناديه مَرحَبـــاً قد رَضِينا

وسَمِعنا هَواتِفَ الغَيْبِ تُمْلِي   خَبَراً مُقْلِقًا إليـــه صَفِينا

إنَّ تاريخَ مَوْتِه قد فَقَـــدْنَا   أَوْحَداً في زمانِه وأَمِينـــا[1]

***

ومن ذلك قولُ الفاضل البارع ، محمد صادق[2] بن محمد ، الشهير بابن الخرَّاط[3] :

هذا المُصابُ الذي كُنّا نُحـاذِرُهُ   القلبُ من هَوْلِه شُقَّتْ مَرائِرُهُ

بئسَ الصَّباحُ صَباحُ البَيْنِ لاطَلَعتْ   شُموسُه بل ولا لاحَتْ بَشائِرُهُ

أبْدَى لنـــا جُمَلَ الأَكْدارِ مَطْلَعُهُ   فلا رَعَى اللهُ ما أهدَتْ بوادِرُهُ[4]

وليت لاكان دَهْرٌ بالفِراقِ قَضَى   ما بيننا ومَضَتْ فينـــا أَوامِرُهُ

يا طالَما بِتُّ أخْشَى غَدْرَهُ وأرَى الْـ   أَيَّامَ تَشْغلُنى عَمَّـــا أُحاذِرُهُ

وطالَما بِتُّ في رَوْضِ المُنى زَمَناً   أَجْنِي الأمانِى وتَجْنِى لى أَزاهِرُهُ

لا أخْتَشِى طارِقًا في الدهر يَطْرُقُني   ولا يرَى القلبُ مِنِّى ما يُكَدِّرُهُ

لكِنَّما قَلَمُ الأكْدارِ خَطَّ على   لَوْحِ الوُجودِ قضاءً لستُ أُنْكِرُهُ

وهذه الدارُ لا تُبْـــقِى على أحدٍ   وطارِقُ الموتِ مَغْلوبٌ مُصادِرُهُ

فلا تَغُرَّنْكَ أيامٌ بِهـــا وصَلَتْ   ولا يَغُرَّنْكَ دهرٌ بِتَّ تشكُرُهُ

كم هَدَّمتْ أَرْبُعًا بالمجدِ عامرةً   وبَيْتَ عِزٍّ بها زاحَتْ مَآثِرُهُ

---

(١) جاء حساب هذا التأريخ في ص هكذا :

إن تاريخ موته قد فقدنا   أوحدا في زمانه وأمينا

٤٥١ ١٠٤ ٢٣٥   ٢٠ ٩٠ ١٠٣ ١٠٨ ١١١١

(٢) في الأصول : « محمد صادق » ، وتقدم التعريف به في صفحة ١٨٤ .

(٣) ذكر المرادى في سلك الدرر ٤/٩١ الأبيات الثلاثة الأولى من هذه المرثية .

(٤) في سلك الدرر : « جمل الأكدار مطلقة » .

والموتُ ما زال نَقَّاداً كما نقلُوا ... والعِقْدُ لا تُجتَنَى إلّا جواهرُهُ

فيا خليلَيَّ كونا مُسْعِفَيْنَ على ... نَدْبِ الهُمامِ الذى عَزَّتْ نَظائِرُهُ

واستمْطِرا لىَ دَمْعاً من جُفونِكما ... فإنَّ جَفْنِي جَفَّ اليومَ مَاطِرُهُ

وحدِّثانِىَ عمّا حلَّ فى خَلَدِى ... من لَوْعةٍ بعضُها ما كنتُ أحصُرُهُ

إن الليالىَ خانتْنِي على عجَلٍ ... وقد رَمَتْنِي ببَيْنٍ كنتُ أحْذَرُهُ

حتى فقدتُ الذى قد كان فى أَمَلِي ... أنِّى أُساهِمُه عُمْرِى وأشْطُرُهُ

الألْمَعِيُّ الأمينُ البحرُ طَوْدُ عُلًا ... نِظامُ عِقْدِ لآلِي الفضلِ ناثِرُهُ(١)

العالِمُ الجِهبِذُ النِّحْرِيرُ من بَهَرتْ ... أوْصافُه الغُرُّ مَن وَافَى يُناظِرُهُ(٢)

فَرْدُ الزمانِ وَحيدُ العصرِ عالِمُهُ ... بحرُ الفضائلِ كَنْزُ العِلمِ ناشِرُهُ

مَن حازَ فى المَهْدِ أنواعَ الكمالِ ومَن ... بنَشْرِ آدابِه زادتْ مَفاخِرُهُ

خِدْنُ العُلَا رُكْنُ بيتٍ لم يزلْ أبداً ... بفضلِه فى الورَى تَسْمُو شَعائِرُهُ

فذاكَ بيتُ مُحِبِّ الدين لا بَرِحتْ ... منه المكارمُ تُزْرِى مَن يُفاخِرُهُ

لَهْفِي عليه أخَا فَضْلٍ لقد فقدتْ ... يَراعَهُ بين أهليه مَحابِرُهُ

فالجهلُ من بعدِه قد باتَ فى فَرَحٍ ... والفضلُ فى تَرَحٍ تَهْمِي مَحاجِرُهُ

ياليت شِعْرِىَ والأيامُ غادرةٌ ... من بعدِه هل أرَى خِلًّا أُسامِرُهُ(٣)

فيا سقَى اللهُ أياماً به سلَفتْ ... أيامَ كنّا بما يُمْلِي نُذاكِرُهُ

ولا رعَى اللهُ وَاشِي السّوءِ حيثُ سعَى ... ما بيننا بالذى كنّا نُحاذِرُهُ

وليت مِن بعدِه لا عاشَ حاسِدُه ... وليت لو عَمِيَتْ عنه نَواظِرُهُ

ولم تزلْ رحمةُ الرحمنِ ما طلَعت ... شمسُ النهارِ تُوافِيه وتغمُرُهُ

---

(١) فى ب : « الأمين البحر الطود علا » ، وفى س : « الأمين بحر طود علا » ، ولعل الصواب ماأثبته .

(٢) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء .

(٣) فى ب : « خلا يساميه » ، والصواب فى : س .

ما ناح طيرٌ وما هبَّ النسيمُ عَلَى … روضِ الأجارعِ فاهتزَّتْ نواضرُهُ
وما أتاهُ بشيرٌ من عنايتِهِ … بالعفوِ من ربِّهِ حقًّا يُبشِّرُهُ

***

ومن ذلك قولُ الفاضل الأديب ، والكامل الأريب ، الألمعيّ ، محمد بن أحمد الكنجي[1] :

قِفَا صاحِبَيَّ أعينَا الحزينَا … ويا عينُ سُحِّي على ما لَقِينَا
ويا طُولَ شوقِي لدهرٍ مَضَى … ويا لَهفَ قلبي على الظَّاعنينَا
لقد خان دهرى وعزَّ اللِّقا … وما كان ظنِّي به أن يخُونَا
وقد كنتُ أبكِي أبى والعشيرَ … فها أنا ذا اليومَ أبكِي الأمينَا
أخا الفضلِ والعلمِ والارتقَا … وذا الحسَبِ الطاهرِ المُستَبينَا
إمامٌ رَقَى فى بُروجِ الكمالِ … وساد على قومِهِ الأكرمينَا
لَعَمْرِى لقد عطَّر الكائناتِ … «نفحة» أفضالِه ما بَقِينَا[2]
ذَوُو الفضلِ كانوا إذا ما رأوْ … هُ خرُّوا على «ذَيْلِهِ» ساجدينَا
وكلٌّ تراهُ «مُضافًا إليه» … وفى كلِّ علمٍ له راجعونَا
فلو كان يُفدَى جعلْنَا فِداهُ … من الموتِ أرواحَنا والبنينَا
سأبكيك يا فَرْدَ هذا الوجودِ … بما ليس يُبكَى به الأوَّلُونَا
وأُملِي بذكرِك حتى اللِّقا … وأنعِيك طولَ المَدَى والسِّنينَا
عليك من اللهِ أوفَى الرِّضا … ولا زلتَ من كلِّ سوءٍ أمينَا
وصيَّرَ مثواكَ أعلَا الجِنانِ … وأولَاكَ فى ذِرْوَةِ الصالحينَا

---

(١) تقدمت ترجمته صفحة ٥٥ . (٢) يشير فى هذا البيت والبيتين التاليين له إلى بعض مؤلفات المحبي .

مَدَى الدهرِ ما غرّدتْ فى الرُّبَا ⁂ حَمامُ الأَراكِ فأبْـكَتْ حزينَا

***

ومن ذلك قول السيد سليمان الـكاتب الحَمَوِيّ(1) ، راثياً ومُؤرِّخا ، بقوله :

لو يَفْدِى الحىُّ مَيْتاً لفَدَينَا ⁂ بأعزِّ النفوسِ مِنَّا الأَمِينَا

غيرَ أنَّ القضَاء حَمٌ وما فى ⁂ وُسْعِنا حِيـلةٌ تَرُدُّ المَنُونَا

إنما تلـكمُ المَنِيَّةُ كاسٌ ⁂ كُلُّنا من مُدامِها شارِبُونَا

ليت قلبي لو صار لَحْدَ دَفِينٍ ⁂ فَقْدُه قد أثار داء دَفِينَا

رُبَّ خِلٍّ أتى يُسائِلُ عنه ⁂ فأجَبْناه عُدْ كَئِيباً حزينَا

عن فَرادِيسِ جِلِّقٍ خُذْ يَمِيناً ⁂ وابكِ مَن كان للـكمالِ قَرِينَا

الشريفَ الحسيبَ ذا النَّسَبِ البا ⁂ هرِ فَخْرَ السُّلالةِ الطَّاهِرِينَا

حائزَ المجدِ والفضائلِ إرْثاً ⁂ عن جُدودٍ لم تَلْقَ فيهم ضَنِينَا

الأديبَ الأريبَ فَرْعَ مُحِبِّ الدِّ ⁂ ينِ مَن كان عُمْدَةَ الطَّالِبِينَا

جِهْبِذَ الأَلْسُنِ الثلاثِ فَفى كُلْـ ⁂ ـلِ لسانٍ مِنْهُنَّ يُبْدِى فُنُونَا

ذو المعانى المُخَدَّراتِ اللَّوانِى ⁂ لم يَحُزْهُنَّ قَبلَهُ المُفْلِقُونَا(2)

فى نِظامٍ من البلاغةِ يَحْوِى ⁂ مِن نَفِيسِ الـكلامِ دُرًّا ثَمِينَا

يترُكُ الضِّدَّ لا يُحِيرُ جواباً ⁂ حين يَرْوِيه عندَه المُنْشِدُونَا

من أتَى آخِراً ففاق ابنَ خاقا ⁂ نَ ونَجْلَ الخطيبِ فى الأوّلينَا(3)

خطفَتْهُ يدُ المَنُونِ وأبقَتْ ⁂ لاعِجاً فى الضُّلوعِ مِنّا كَمِينَا

أيها السيدُ الذى كان يَزْدا ⁂ نُ به المَحافِلُ الأكْمَلُونَا

---

(1) تقدمت ترجمته فى الصفحة ١/٥١٠ .

(2) آثرهنا الرفع فى « ذو المعاني » ، ونصب فى الأبيات السابقة عطفا على مفعول « ابك » .
وفى ب : « لم يجزهن قبله » . والمثبت فى : س .

(3) تقدم التعريف بالفتح بن خاقان فى الصفحة ١/٤٨ ، كما تقدم التعريف بلسان الدين ابن الخطيب فيها ٢/٤٧ .

كنتَ رَيْحانَنا الذى إن شَمَمْنا ... نَفْحَةً من كمالِه تُنْشِينَا

ليت شِعْرِى من بعدِ تلك السَّجايا الْـ ... ـغُرِّ مَن ذا بلُطْفِه يُسْلِينَا

بالنِّكاتِ العِذابِ والأدبِ الْغَضِّ ... وحُسْنِ الرُّوَا يَسُرُّ الحزينَا

إنَّ آثارَك الحِسانَ البَواقِى ... غُصَصٌ لا تُسيغُها الشَّامِتُونَا

رَاغَ عنها الثَّعالِبِىُّ وقد كا ... نَ يُجِيدُ التَّصْنيفَ والتَّدْوِينَا

هم شُهودٌ على كمالِك والفضْـ ... ـلِ عُدُولٌ يا حبَّذا الشاهِدُونَا

وَيْحَ قلبِى قد كنتُ أُهدِيك مَدْحًا ... فلقد صِرْتَ للرِّثاء قَرِينَـــا

وصديقٍ لخِلِّهِ قال والجَفْـ ... ـنُ بفَيْضِ الدموعِ أضْحَى ضَنِينَا

كُنْ خليلِى على البُكاء مُعِينًا ... وأفِضْ ماءَ مُقْلتَيْك مَعِينَا

قلتُ فَرْطُ البكاءِ لو كان يُجْدِى ... لأَسَلْنَــــا من العيونِ عُيونَا

وشَقَقْنا قلوبَنا مثلَ ماشَقَّـ ... ـمِ عليه القَرِيضُ قلبًا حزِينَا

صار شَطْرَيْن كلُّ بَيْتٍ فشَطْرٌ ... آخِذٌ يَسْرَةً وشَطْرٌ يَمِينَا

فسقَى اللهُ تُرْبَه ثم حَيَّـا ... هُ برَوْحِ الفِرْدَوْسِ حِينًا فحِينَا

كلما عَنَّ ذِكْرُه قلتُ بَيْتًا ... هو تاريخُ ذا المُصابِ يَقِينَا

رَحِمَ اللهُ سيِّدِى وعزِيزِى ... وصديقِى أعنِى الحليمَ الأمِينَا[1]

***

ومن ذلك قول الأديب عبد الحىّ بن على بن الطَّوِيل، الشهير بالخال[2]:

لو أسْمَعُوا ناعِيكَ رَضْوَى إذْ نَعَى ... لَوَهَى ومالَ إلى الثَّرَى مُتصدِّعَا[3]

---

(١) جاء حساب هذا التأريخ فى ص هكذا:

رحم	الله	سيدى	وعزيزى	وصديق	أعنى	الحليم	الأمينا	
٢٤٨	٦٦	٨٤	١١٠	٢٢٠	١٣١	١١٩	١٣٣	١١١١

(٢) تقدمت ترجمته صفحة ١٣٨. (٣) فى ب: «لوهى وحال». والمثبت فى: ص.
ورضوى: جبل بالمدينة، تقدم ذكره كثيرا.

قسماً ولو نُبليتُ مآثرك التى ... حُمِدت على صخرٍ بكى واسترجعا
إن الورى لو أنصفوك لما بكوا ... بالدمع بل أذروا النفوس توجّعا
أمّا أنا فالدمـع جفّ وهذه ... قطراتُ روحٍ قد بذلتُ منجّعا[1]
قد كان علمى الطودُ من فوق الثرى ... فرأيتُ طوداً تحته قد أودعا[2]
جُرِّعتَ كاساتِ المنون وبعدها ... جرّعتنا الأكدار كأساً مُترعا
لو كنتَ تُفدَى لافتداك أولو النهى ... بالروح لكنْ فيه لم نرَ مطمعا
يا غادياً متغنّيـاً سِرْ لا تنِ ... واطوِ المهامهَ والفـلا والبلقعا[3]
من فوق صهوةِ ضامرٍ طُفْ كلَّ قُطْـ ... ـرٍ عامرٍ واسمعْ فديتُك مُسمِعا
نعىَ الشريف العالمِ النَّدْبِ الذى ... حاز الفضائلَ قبلَ أن يترعرعا[4]
علّامةُ الدنيا وفاضلُها ومَن ... فى المهدِ غيمُ الجهـل عنه تقشّعا
طلّاعُ كلِّ ثنيّـةٍ للفضل لو ... أنّ السحابَ بهـا يمرُّ تقطّعا
قسُّ الفصـاحةِ لا يُقاسُ به ولو ... جاراه فى نطقٍ لراح مروّعا
رزءٌ بكلكلِه أناخ بحيّنا ... فالشملُ شُتّتَ والمنا قد جُمّعا[5]
مَن ذا يهنّى الجاهلين بموته ... أو من يعزّى الدينَ والدنيا معا
من للفصاحةِ والبـلاغةِ بعدما ... ولّى أمينُهما مجيباً من دعا
فسقى الحيـا جدثاً تضمّنه الحيا ... وسقيتَ فضلَك حيث كان المشرعا
وعليك تترى كلَّ آنٍ رحمةٌ ... لتعمَّ جسمَك إذ غدتْ لك مضجعا
ثم السلامُ عليـك تحمله الصبا ... تأتى به كالمسكِ حين تضوّعا

***

(١) منجعا هنا بمعنى : طيبة بها نفسه . (٢) أى قد كان علمى أن الطود . .

(٣) فى ب : « ياغاديا متعينا » . (٤) الندب : الخفيف السريع فى الحوائج (٥) الكلكل : الصدر.

ومن ذلك قول الفاضل ، القاضي زين الدين بن سُلْطان[(١)] ، راثِياً ومؤرِّخاً له[(٢)] ، بقوله[(٣)] :

هُمامٌ حَوَى عِلْماً وحازَ فضائلًا   بتأْلِيفهِ قد شرَّفَ الوَقْتَ والنَّادِي

أديبُ الورَى دارتْ كُؤُوسُ حديثِهِ   فَرَوَّتْ ظَمَا المُعتَلِّ فضلًا عن الصَّادِي

أمينُ الثَّنا خانَ الزمانُ بفَقْدِهِ   فأبْكَى دَماً من حرِّ قلبٍ وأَكْبادِ

ومُذْ حَلَّ في الأرْماسِ لاحَ لِيَ الرِّثا   لِيُصْغِي سَماعاً حاضِراً كانَ أو بادِي[(٤)]

فَزِدْ وَاحِداً في العَدِّ واحْسِبْ مُؤَرِّخاً   أَمِينُ المُحِبِّي قد رَقِي جَنَّةَ الهادِي[(٥)]

***

ومن ذلك قول الفاضل عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرزّاق[(٦)] :

خَطْبٌ أَلَمَّ وأدْمُعٌ تتقطَّرُ   ونَوائِبٌ منها الحَشَا تتفطَّرُ

وجليلُ رُزْءٍ قد أثار لَوَاعِجاً   وفِراقُ إِلْفٍ نارُه تتسعَّرُ

ومُصِيبةٌ يُطْوَى لِشِدَّةِ هَوْلِها   بُرْدُ الشَّبابِ وكلُّ رَوْعٍ يُنشَرُ

فأعِنْ أخَيَّ على الزمانِ ولم يزلْ   يفْتَرُّ عن فَزَعٍ ولكنْ يَغْدِرُ

ويُرِيكَ من وَقْعِ الحوادثِ والرَّدَى   مِحَناً يَشِيبُ لها الوَلِيدُ الأصْغَرُ

لا تَغْتَرِرْ إنْ سالَمَتْكَ فِعالُهُ   فهو الذي كالصِّلِّ كان مُحَذِّرُ

يا طالَما قد كنتُ أَخْشَى خَطْبَهُ   ولَطالَما قد بِتُّ منه أُحَذِّرُ

حتى رُمِيتُ بفَقْدِ بَدْرٍ كاملٍ   ومضَى وخَلَّفَ مُهْجَةً تتفطَّرُ

---

(١) تقدمت ترجمته صفحة ١٨٦   (٢) ساقط من : س ، وهو في : ب .

(٣) الأبيات في سلك الدرر ٢/١١٩ .

(٤) في الأصول : « ومدخل في الأرمات » ، والتصويب من سلك الدرر .

(٥) جاء حساب هذا التأريخ في س هكذا :

أمين	المحبي	قد	رقى	جنة	الهادى	
١٠١	٩١	١٠٤	٣١٠	٤٥٣	٥١	١١١٠ + ١ = ١١١١

(٦) تقدمت ترجمته صفحة ٢٠٦ .

ذاكَ الأمينُ البارعُ النَّدْبُ الذى ... مَلَكَ العُلَا وبه المَعالِى تَفْخَرُ

نَسْلُ المَيامِينِ الكرامِ ومَن لهم ... فى الخافقَيْن فَضائلٌ لا تُحْصَرُ

الجِهْبِذُ النِّحْرِيرُ مَن أقلامُه ... تُنْشِى البديعَ وللنَّواظِرِ تَسْحَرُ

يا طالَما أهْدَتْ بدائعُ وَشْيِهِ ... لأُولِى النُّهى أبْكارَ فكرٍ تُؤْثَرُ

أسَفاً عليه لو يُفَدَّى بالأرواحِ ... من أهلِ الفضائلِ مَعْشَرُ (١)

ما كنتُ أحسَبُ والحوادثُ جَمَّةٌ ... لَفَدَتْهُ من قبلِه أنَّ الجبالَ تُسَيَّرُ

كلَّا ولا من قبلِ وَقْعِ حِمامِهِ ... أنَّ الأهِلَّةَ والكواكبَ تُقْبَرُ

يا لَهْفَ نفسى كيف أنْعَمُ بعدَه ... وَاحَرَّ قلبى والحوادثُ تَكْثُرُ

أم كيف يَرْثِيه امرُؤٌ قد مَسَّهُ ... خَطْبٌ فأضْحَى بعدَه لا يَشْعُرُ

هذا الذى أوْصافُه مِلْءُ الدُّنَا ... لِسِواهُ لم يَبْقَ ثَناءٌ يُذْكَرُ

كلَّا ولا أبْقَتْ بدائعُ فِكْرِه ... مَعْنًى يُنَظَّمُ أو عُقودٌ تُنْثَرُ

هيهاتَ قُلْ من بعدِه لمن ارْتَقَى ... يتطاولُ الجَوْزا بفَهْمٍ يَقْصُرُ

حاوَلْتَ أمراً جَلَّ يُدْرِكُ بعضَه ... كالمُبْتغِى العَنْقاءَ فيها يَظْفَرُ

يا دافِنِيهِ والكمالَ جَميعَهِ ... مَهْلًا ففى ذا اليومِ قامَ المَحْشَرُ

كَسَفَتْ شُموسُ العِلْمِ بعدَ فِراقِهِ ... والفضلُ أمْسَى بالتُّرابِ يُعَفَّرُ

فسقَى ضَرِيحاً ضَمَّهُ صَوْبُ الرِّضا ... وغَدَا سحابُ العَفْوِ فيه يُمْطِرُ

ما ناحتِ الوَرْقاءُ فوقَ أرِيكةٍ ... تَشْكُو الفِراقَ وماتَوالَى الأعْصُرُ

***

ومن ذلك قولُ الأديبِ الأريب، مصطفى بن أحمد التَّرْزِى، راثياً (٢):

وَقْعُ الحوادثِ فوقَ وَقْعِ الأسْهُمِ ... تُضْنِى القلوبَ بحُرْقَةٍ وتَألُّمِ

---

(١) هكذا «بالأرواح» فى الأصول، ولو صحح إلى «بالورى» لاستقام الوزن». وسقط «لفدته» من ب، وهو فى: ص.

(٢) تقدمت ترجمته صفحة ٢٣٤.

إن الليـــالى لا يدمن على المدى تعب الحزين ولا هنا المتنعم
والدهر فى أطواره متلاعب بالناس فى حالاته كالأرقم
متستر يبدى الصداقة للورى فى ضمنها غدر الحقود المكتم
فلو اعتبرت بعين فكرك فعله ما كنت للآثام بالمتقحم (١)
هب من زمانك للتفكر برهة فالعيش عيش العارف المستفهم
كنت الجدير بنصح نفسك لو تعى وعظ الزمان من القضاء المبرم
إنى لأصبر للخطوب تجلدا بسكون جأش مثل جأش الضيغم
وألاقها بمجن زهدى دارعا فى حصن صبر ليس بالمتهدم
وأقحم النفس الشدائد والبلا يوم الهياج أقول دونك فاقدم
قل الكريم بنفسه وبماله أهوى الصديق وكان كالمستعدم
فعن المصائب لا تكن مستخبرا فى الناس قطعا لا بكيف ولا لم (٢)
تعسا لفعل النائبات وما جنت من قبح ذنب فوق ذنب المجرم
خطب لو اعتبر اللبيب مصابه أذرى دموع العين من قانى الدم (٣)
هـــذا المحبى قد قضى وكأنه ملء البلاد من الثناء الأعظم
فرع نمـــاه من المعالى محتد زاكى الجدود إلى الفخار الأقدم
أعيى الزمان بكل معنى نادر بالاقتراح كغرة فى أدهم
ومضى كريم النفس غاية إربه جمع الكمال عن الحطام المحطم
بنقى عرض طاهر ما شانه دنس البخيل وعاش غير مذمم
حكم كمنبلج الصباح إضاءة متنضدات مثل نظم الأنجم

(١) تقحم الأمر : رمى نفسه فيه بمشقة وشدة .
(٢) كسر ميم : « لم » لحركة القافية .
(٣) فى الأصول : « أذرى ودمع » ، والصواب ما أثبته .

أَنْشَا وَوَشَّى فى البـــديعِ بَدائِعاً ... تُزْرِى على زَهْرِ الرُّبا المُتبسِّمِ (١)

نَطَقَ الفصاحةَ وهْو طفلٌ يافِعٌ ... وحَوَى العُلومَ بخِبْرَةٍ وتعلُّمِ

واقْتادَ من أقْصَى البلادِ شَوارِداً ... حتى أبانَ لهـــا اتِّضاحَ المُبْهَمِ

لَهْفِى على تلك الفضائلِ لَيْتهــا ... سلِمَتْ على مَرِّ المَدَى لم تُعْدَمِ

نَدْبٌ على نَظْمِ البدائِهِ قادِرٌ ... نَطِسٌ بأدْواءِ الكلامِ المُفْحَمِ (٢)

فَلتَبْكِهِ تلك الدَّواوينُ التى ... بالفضلِ عامرةُ البناءِ المُعْظَمِ

لو تَسْتطِعْ تلك السُّطورُ لأُمْحِيَتْ ... بمَدامعٍ حُمْرٍ كَلَوْنِ العَنْدَمِ (٣)

نَفَحتْ مَنائِحُهُ الذين تقدَّموا ... بتَراجِمِ الفُضَلا وكُلِّ مُفَخَّمِ

حتى أبانَتْ عن مَناقبِ فَضْلِهم ... بفَصيحِ لَفْظٍ ليس بالمُسْتَعْجِمِ

أثْنَى على تلك المَكارِمِ مُخْبِراً ... بعَجائبٍ عن فَضْلِ كلِّ مُتَرْجَمِ

ليتَ الليالى لا عَدَتْنا فى المَدَى ... أضْحَتْ له كلُّ المَناقبِ تَنْتَمِى

هيْهاتَ أوْدَى والمَنايا غَيَّرَتْ ... تلك المَحاسنَ بالتُّرابِ المُقْتِمِ

لكنه أبْقَى الجميـــلَ من الثَّنا ... حتى يُصاحِبَ مُنْجِداً مع مُتْهِمِ

فكَساكَ من حُلَلِ الجِنانِ مَواهِباً ... فاللهُ يَمْنَحُها جَزاءَ المُنْعِمِ

وهَمَى على ذاك الضَّريحِ حَيَا الرِّضا ... يُهْدِى إليك لَطائفاً من مُكْرِمِ (٤)

أبداً وتَنْفَحُ تُرْبَ قبرِكَ نَسْمَةٌ ... من طِيبِ رَوْحِ تَحَنُّنٍ وتَرَحُّمِ

وسَقاكَ عن دَمْعِ الأَسَى سُحْبُ السَّمَا ... تَهْمِى عليك من الغَمامِ المُرْزِمِ (٥)

***

(١) فى ص : « زهر الربا المتقسم » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى الأصول : « على نظم البداية » ، ولعل الصواب ما أثبته ، وهو يعنى أنه ينظم على البديهة غير محتاج إلى تمهل وإعمال نظر . والنطس : العالم الحاذق فى علمه .

(٣) هكذا : « لو تستطع » للوزن .

(٤) هذا البيت والتاليان له فى ص ، وهم هناك مخلوطون بآخر ترجمة صالح بن إبراهيم الداديخى .

(٥) فى ص : « وسقاك من دمع الأسى » ، والمثبت فى : ب .

والغمام المرزم : الذى اشتد صوت رعده .

ومن ذلك قولُ الفاضل سُعودى بن يحيي العبَّاسيّ ، الشهير بالمُتَنَبِّي [1] :

عليك المَعالى لا على البَدْرِ تأسفُ ... لأنَّك أسمى فى الكمالِ وأشرفُ

وقد كنتَ فَرْداً فى المَكارمِ واحداً ... وزهْرُ المَعالى من رياضِك يُقْطَفُ

وفيك عُيونُ الفضلِ قرَّتْ ومُذْ نأى ... مُحَيَّاك أضْحتْ بالمَدامعِ تَذْرِفُ

نأيْتَ فبدرُ التِّمِّ غاب سَناؤه ... فكادتْ شموسُ الأُفْقِ بعدك تُكْسَفُ

فلا غرْوَ أنَّ الدهرَ بعدك يرتَدِى ... بثَوْب حِدادٍ والمَسرَّةَ يأنَفُ

أيا رَوْضةَ الآدابِ كم لك نفحة ... إذا ما شَذاها فاحَ فالطِّيبُ يَعْرُفُ [2]

وكم لك فى فَنِّ البديعِ بَدائعٍ ... أرَقُّ من السِّحْرِ الحلالِ وألْطَفُ

وبِكْرِ مَعانٍ قد أدارتْ على النُّهَى ... كُئوسَ قَوافٍ ضِمْنَ ذلك قَرْقَفُ [3]

فهل لِلْمُحِبِّ بعد أن سار أوْبَةٌ ... يَمُنُّ بها الدهرُ الخَؤُونُ ويَعْطِفُ

يَميناً لقد هَدَّتْ مَواقِعُ خَطْبِه ... رُبُوعاً بها وُرْقُ المَسرَّةِ تهتِفُ

فخَلِّ خليلِى ما تَرُومُ من المُنَى ... وصبراً لِرُزْءٍ بعضه ليس يُوصَفُ

وسلِّمْ إلى مولاك فى كلِّ حالةٍ ... فما لامْرِئٍ عمَّا مَضَى اللهُ مَصْرَفُ

وقُلْ رحمةُ الرحمنِ تسْقِى ضَرِيحَ مَنْ ... تناءَى وأبْقَى لى حَشاً تتلهَّفُ

مَدَى الدهرِ ماوَرْقاء بانَتْ من الجوَى ... تنُوحُ على إلْفٍ لها وتُرَفْرِفُ

وإنْسانُ عَيْنِ المجدِ ذاب من الأسَى ... على فَقْدِ إنْسانٍ به الفَخْرُ يَشْرُفُ

***

ومن ذلك قولُ الكامل محمد بن السَّمَّان ، يَرْثِيه أيضا [4] :

مافوقَ خَطْبِ المَنُونِ طارِقْ ... بصَوْتِه يصْدَعُ الخلائِقْ

---

(٣) تقدمت ترجمته صفحة ٢٥٤ .

(١) يعرف : أى ينتشر عرفه . (٢) القرقف : الخمر .

(٣) جاءت هذه القصيدة فى س مخلوطة بآخر ترجمة الداديخى .

ولا سوى أكؤسِ المنايا تُذيقنا خمرةَ البوائقْ
وغيرُ سهمِ المنونِ يُغني وسَهْمه لا يزالُ راشِقْ
وكلُّ رُزْءٍ يهونُ إلّا فِراقَكَ الخِلّ والمُصادِقْ
فخلّني من لذيذِ عيشٍ به صروفُ الرّدى لَواحِقْ
فليس بالرّيّ كلُّ غيثٍ بإثرهِ تَدْهَمُ الصّواعِقْ (١)
ولا صفاءٌ بظلِّ دارٍ على ذُراها الغُرابُ ناعِقْ
الصبرُ باللهِ في مُصابٍ تَشيبُ من هَوْله المَفارقْ
مُصابِ تاجِ الفَخارِ طَرْزِ الـ كمالِ مُسْتَحْسَنِ الخلائقْ
مَن خلّفَ الفضلَ في البَرايا مُتيّماً كالغريبِ وامِقْ (٢)
ومن بكَتْ حسرةً عليه مَغاربُ الأرضِ والمَشارِقْ
مَوْلًى هو الشمسُ في المَعالي وطَلْعةُ البدرِ في الغَواسِقْ
كأنه الشاهُ حيث كُنّا برقعةِ الكونِ كالبيادِقْ (٣)
فقُلْ لمَن يدّعي بجهلٍ بأنه في الفنونِ حاذِقْ
حَسِبْتَ أن الفضولَ فَضْلٌ وخِلْتَ سُوقَ النِّفاقِ نافِقْ
أأنْ تُجاري أخا كمالٍ غدا على الأوّلين سابِقْ
كم مُشْكِلٍ حلّه سريعاً وجاء بالمَقْصِدِ المُطابِقْ
وكم عويصٍ من المعاني أزال عن وجهه العوائقْ (٤)
وكم أتى في رقيقِ نَظْمٍ كما نَسيمُ الصّباحِ رائقْ
وكم له من مؤلَّفاتٍ عن فضلِه أصبحتْ نواطِقْ

(١) في ب : « فليس بالمرء » ، وفي س : « فليس بالراى » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) الوامق : المحب . (٣) الشاه والبيادق : من أدوات لعبة الشطرنج .
(٤) في س : « عن وجهه العوائق » ، والمثبت في : ب .

و « نَفْحَةُ الطِّيبِ » منه دَلَّتْ ... بأنه زَهْرَةُ الحدائقْ[1]

يا وَيْحَ مِن بعدِه علومٍ ... نَعَتْهُ من قبلِ أن يُفارِقْ

ويا شَقَا حالِ كلِّ فَنٍّ ... رَثاه من دَمْعِه عقائقْ

قد أقْسَم المجدُ يومَ ولَّى ... سِواهُ فى الناسِ لا يُرافِقْ[2]

وقالت المكرُماتُ دَعْنِى ... أموتُ بالحُزْنِ فى المضائقْ

عليه مِـــنِّى تَرَحُّماتٌ ... تفُوق بالهَلِّ كلَّ وادِقْ[3]

ما ناحَتِ الوُرْقُ فى الرَّوابى ... ولاح بالأبْرَقَيْنِ بارِقْ

***

ومن ذلك قول جامعه الفقير محمد المَحْمُودِىّ ، راثياً ومؤرِّخاً[4] :

أضْحَتْ رُبُوعُ الفضلِ بعدَك خالِيَهْ ... وعيونُه من أجلِ فقْدِك باكيَهْ

من بعدِ مَوْتِك صار لا يرجو البقا ... مَن كان ذا عقْلٍ وأُذْنٍ واعِيَهْ

بك عُطِّلَتْ أجْيادُ آداب وقد ... كانتْ بلُؤْلُئِك المُنَظَّمِ حالِيَهْ

كُسِفَتْ شُموسُ مَعارفٍ وبدائعٍ ... وغدَتْ نُجومُ الفضلِ بعدَك هاوِيَهْ

رحَلتْ جُيوشُ العلْمِ يقْفُو إثْرَها ... أدبٌ وأخلاقٌ حِسانٌ زاكِيَهْ

يا طالَمــــا حاوَلْتَ فَضْلَك فى الورَى ... وحَفَوْتَ بالبِدَرِ الحِسانِ الغالِيَهْ[5]

يا ليت شِعْرِى أين أوْقاتٌ مضَتْ ... كانتْ عيونُ الدهرِ عنَّا ساهِيَهْ

نَجْنِى ثمارَ العِلْمِ من رَوْضِ المُنَى ... ونَهُزُّ عِطْفــــاً والحواسِدُ نائيَهْ

أوَّاهُ مِمَّـــا قد لَقِيتُ لِفَقْدِها ... أوَّاهُ مِمَّـــا حَلَّ فى أحْشائِيَهْ

لم يَبْقَ كَهْفٌ للفضـــائلِ يُرْتَجَى ... بعدَ المُحِبِّى ذى المعالِى الزَّاهِيَهْ[6]

---

(١) يعنى بنفحة الطيب « نفحة الريحانة » .

(٢) فى س : « لايوافق » ، والمثبت فى : ب .

(٣) ودق المطر : قطر .

(٤) هذه القصيدة موجودة أيضا فى : س ، مخلوطة بآخر ترجمة الداديخى .

(٥) البدر : جمع البدرة ، وهى كمية عظيمة من المال فى كيس ونحوه .

(٦) فى س : « لم يبق كهف للأفاضل » ، والمثبت فى : ب .

الفاضلُ النِّحْرِيرُ أوْحَدُ عصرِه مَن حازَ أنواعَ الفُنونِ الباهيَهْ
الجِهْبِذُ النقَّادُ دُرَّةُ شامِنَـــا كنزُ الدَّقائِقِ والعلومِ الوافيَهْ
لمَّا قضَى واعْتاضَ بالأُخْرَى وها تيكَ القصورِ مع القُطوفِ الدَّانيَهْ
نادَيْتُ صَحْبِي إن يكنْ قد فارق الدُّ م نيــــا الدَّنِيَّةَ والدِّيارَ الفانيَهْ
لا تحْزَنُوا قد جاءنا تاريخُهُ ذَهَب المُحِبِّي لِلْجِنانِ الباقيَهْ (١)
فعليْه رحمـةُ ربِّنـــا طُولَ المَدَى وسحائبُ الرِّضْوانِ تَهْطِلُ هاميَهْ
ما ناحتِ الأَطْيارُ فوقَ غصونِها أو أَسْبَلتْ دَمْعاً سَحابٌ باكيَهْ

***

وهذا ما أفاض اللهُ به على عبدِه ، ومَنَحَهُ من إنْعامِه ورِفْدِه ، وهو جامعُهُ الفقيرُ إلى رحمةِ مَوْلاه ، الغنيُّ به عمَّن سِواه ، محمد بن محمود بن محمـــود السُّؤالاتِيُّ الحنَفِيُّ العُثْمانِيُّ ، لَطَفَ اللهُ به وبالمسلمين أجمعين .

وقد يَسَّر اللهُ جَمْعَ ما وُجِد في مُسوَّدات المَوْلَى المرحومِ المُؤلِّفِ ونَشْرِه ، في أواخِرِ شَوَّال ، سنة إحدى عشرة ومائة وألف .

والحمدُ للهِ وَحْدَه ، والصلاةُ والسلام على مَن لا نَبِيَّ بعدَه ، وعلى آلِه الطاهِرِين ، وذُرِّيَّتِه المُبارَكين ، وصَحابته أجمعين ، والتَّابعين ، وتابعِيهم بإحْسانٍ إلى يومِ الدِّين ، والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين .

(١) جاء حساب هذا التاريخ في س هكذا :

ذهب	المحبي	للجنان	الباقيه	
٧٠٧	٩١	١٦٤	١٤٩	١١١١

فهرس المترجَمين

رقم الترجمة		رقم الصفحة
	مقدمة السؤالاتى	٣ ـ ٥
	مقدمة المحبي	٦ ـ ٨
	الفصل الأول :	
	فى من انقشا من بلغاء دمشق الشام	٩ ـ ٣٠٤
١	ـ محمد بن إبراهيم العمادى	١١ ـ ٣٤
٢	ـ محمد بن حسين القارى	٣٥ ـ ٣٨
٣	ـ عبد السلام بن محمد الكاملى	٣٩ ـ ٤٨
٤	ـ أحمد بن محمود الكنجى	٤٩ ـ ٥٤
٦	ـ ولده : محمد الكنجى	٥٥ ـ ٧٤
٧	ـ صالح بن إبراهيم بن المزور	٧٥ ـ ٧٨
٨	ـ محمد بن محمود الحمودى	٧٩ ـ ١٠٠
٩	ـ محمد مراد بن محمد بن يحيى السقامينى	١٠١ ـ ١٣٣
١٠	ـ أسعد بن محمد بن على بن الطويل	١٣٤ ـ ١٣٧
١١	ـ عمُّه : عبد الحى بن على بن محمود ، الشهير بالخال	١٣٨ ـ ١٥٧
١٢	ـ السيد يوسف بن السيد حسين الحسينى	١٥٨ ـ ١٧٤
١٣	ـ السيد مصطفى بن السيد حسين الصمادى	١٧٥ ـ ١٨٥
١٤	ـ زين الدين بن محمد بن سلطان	١٨٦ ـ ١٨٨
١٥	ـ أحمد بن محمد السلامى ، المعروف بابن اكرى بوز	١٨٩ ـ ١٩٩
١٦	ـ عمر بن مصطفى الرجيحى	٢٠٠ ـ ٢٠١

الفهارس العامة



١ — فهرس الآيات القرآنية

٢ — فهرس الأحاديث النبوية

٣ — فهرس الأمثال

٤ — فهرس اللغة[1]

(ا)

(١) يحتوى هذا الفهرس على : المعرب والدخيل ، الألفاظ التى لم ترد فى المعاجم ، الألفاظ التى شرحها المحبى ، الاستعمالات المولدة والمحدثة .

٥ — فهرس المعمّيات

٦ — فهرس الشعر

ا ـ الأبيات والمقطوعات والقصائد

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
	(ء)		
داء	الحسين بن الضحاك	٣	٥٧
الْخيلاء	عبد الغنى النابلسى	٢	١٧٣
ماء	النظام	٤	١٩١
أسماء	المحبى		٤٢٥
وَفاؤُهُ	ابن عابدى	١٢	٣١٥
أحشاؤُهُ	محمد أمين المدنى	١٦	٣١٥ ، ٣١٦
	(ءِ)		
وَسْناء	محمد القارى	٢	٣٦
خضراء	السقامينى	٢	١٠٤ ، ١٠٥
زرقاء	السقامينى	٢	١٠٥
البُلَغاء	مصطفى الصمادى	٢	١٨٣
بعَلاء	الخال	١٣	١٨٣ ، ١٨٤
عنائِى	مصطفى الصمادى	٢	١٨٥
وبَهاء	سعودى	١٣	٢٥٥ ، ٢٥٦
أسْماء	سعودى	٩	٢٥٨ ، ٢٥٩
بانقضاء	محمد صادق البترونى	٥	٣٦٠
الماء	ابن بيرى	٢	٣٧٠ ، ٣٧١

(رَ)

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
بِغزارِ	مصطفى الصمادى	٦	١٧٨ ، ١٧٩
كنهارِ	مصطفى الصمادى	٢	١٨٠
إضمارِ	عبد الصمد البغدادى	٢	١٩٢
الجُلَّنارِ	عبد الرحمن ، ابن عبد الرزاق		٢١٨
والأنوارِ	سعودى		٢١٨
الأخْبارِ	عبد الرحمن ، ابن عبدالرزاق		٢١٩
والأنهارِ	سعودى		٢١٩
الأوتارِ	عبد الرحمن ، ابن عبد الرازق	٢	٢١٩
الأخْيارِ	سعودى	٢	٢١٩
النهارِ	عبد الرحمن ، ابن عبدالرزاق	٢	٢١٩
الأنوارِ	سعودى	٢	٢١٩
المنارِ	عبد الرحمن ، ابن عبدالرزاق	٢	٢١٩
والزَّهَرِ	عبد الرحمن ، ابن عبدالرزاق	٢	٢٢٧
بأزْهارِ	مصطفى الترزى	٢١	٢٤٣ ، ٢٤٤
الفجرِ	منجك	٢	٢٥٧
والكوثرِ	سعودى	٧	٢٥٧
والأسْمرِ	محمد بن السمان	٧	٢٥٨
الأحْوَرِ	المحبى	٧	٢٥٨
الدُّرِّى	حسين بن الجزرى	٢	٢٦٣
النَّواظرِ	سعودى	٨	٢٦٥ ، ٢٦٦
الخضرِ	فتح الله بن النحاس	٢	٣٢٥
والبَشَرِ	أبو بكر العمرى		٣٤٤

(قِ)

(مْ)

(نُ)

(نَ)

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فأنّا	عطاء الله العانى	١٢	٣٥٢، ٣٥٣
أحْيانَا	بشار بن برد	٢	٣٨٩
مَعِينَا	مصطفى الصمادى	٢٦	٤٢٩ ـ ٤٣١
لَقِينَا	محمد الكنجى	١٥	٤٣٣، ٤٣٤
الأمِينَا	سليمان الحموى	٣١	٤٣٤، ٤٣٥
مَحاسِنَهُ	ابن بيرى	٢	٣٧٢
رَنّهْ		٦	١٩٥، ١٩٦

(نِ)

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أجْفانِى			٢٩
عِنانِى	أحمد الكنجى	٦	٥٢
المَعانِى	أحمد الكنجى	٢	٥٢
والخِلّانِ	أحمد الكنجى	٢	٥٢
مَيْنِ	السقامينى	٤	١٠٣
باليَدَيْنِ	الخال	٥	١٠٣
الغُصونِ	السقامينى	٣٤	١١٥، ١١٦
الجَفْنِ	ابن خفاجة الأندلسى		١٣٩
أمانِ	الخال	٢	١٥٦
التَّوانِى	الشهاب الخفاجى		١٥٦
أمانِ	يوسف الحسينى	١٥	١٦٥، ١٦٦
حَيْنِى	يوسف الحسينى	٣	١٧١، ١٧٢
باليَدَيْنِ	محمد بن الدرا	٢	٢١٢
بجُسْمانِى	ابن السمان	٨	٢٢٥، ٢٢٦

القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
النَّزِهِ	ابن جدى	٤	٣٣٣
	(هْ)		
المِراهْ	الأرجانى	٤	١٨٢
التَّمَوُّهْ	عمر الرجيحى	٣	٢٠١
ـِجاهْ	سليمان المدرس	٢	٣٦٦
	(الألف اللينة)		
الصِّبَا	يوسف الحسينى	٤٠	١٦١ – ١٦٤
	(وَ)		
اسْتَوَى		٢	٧٦
	(يُ)		
أزَلِيُّ	سعودى	١٠	٢٦١ ، ٢٦٢
	(يَ)		
المنايَا	المحبى	٢	٤٢٤
المَزِيَّهْ	عبد الكريم ، ابن حمزة	٢	٤١
الزَّوا كِيَهْ	محمد المحمودى	٥	٩١
سَمِيَّهْ	السقامينى	١٣	١١٠ ، ١١١
الأزْبكيَّهْ	المحبى		١٤٧
الطَّرِيَّهْ	الخال	١٢	١٤٧
با كِيَهْ	محمد المحمودى	١٧	٤٤٣ ، ٤٤٤
	(يِ)		
الأَلِفِيِّ	المحبى	٣٠	٣٦ – ٣٨

ب — أنصاف الأبيات

ج — الرجز

د — الرباعيّات

هـ — المخمّسات

و — الموشّحات

ز — المواليا

٧ — فهرس النثر

ا ـ الرسائل

ب — الفصـــول

٨ — فهرس مسائل العلوم والفنون

(أدب)



٩ — فهرس الأعلام

(ا)

(١) لعله محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ، أبو السعود . انظره فى هذا الفهرس .

الحمدانى = الحارث بن سعيد ، أبو فراس

على بن عبد الله ، سيف الدولة

ابن حمزة = عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن النقيب، السيد

عبد الكريم بن محمد بن محمد ، النقيب

حمزة بن عبدالمطلب ٣١٠

الحمصى= حسين ، السيد

الحموى = سليمان بن نور الله بن عبد اللطيف ، الكاتب ، السيد

على بن يحيى بن أحمد الكيلانى ، القادرى

ياقوت بن عبدالله الرومى

ابن حميد الدين = أحمد بن الحسين بن أحمد

الحنبلى = عبدالجليل بن أبى المواهب بن عبدالباقى ، الدمشقى

عمر بن على ، الدمشقى ، زين الدين ، ابن عادل

ابن الحنبلى = محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبى ، الحنفى

الحنبلى = محمد بن عيسى بن محمود الكنانى ، الصالحى ، الدمشقى ، الخلوتى

أبو المواهب بن عبد الباقى ، الدمشقى

الحنفى = أحمد بن على بن عمر المنينى

أحمد بن عمر بن أبى السعود الدمشقى ، المليحى

أحمد بن كمال الدين بن محيى الدين البكرى ، الصديقى ، الدمشقى

أحمد بن محمد بن حسن الكواكبى ، الحلبى

أحمد بن محمود بن محمد الكنجى ، الدمشقى

أحمد بن ناصر الدين بن على ، البقاعى

أسعد بن أحمد بن كمال الدين البكرى ، الصديقى ، الدمشقى

أسعد بن يحيى المحاسنى ، الدمشقى

حامد بن على بن إبراهيم العمادى ، المفتى

= خضر بن محمد بن عمر العرضى ، الحلبى ، السيد
درويش بن أحمد بن عمر الدمشقى ، المايحى
زين الدين بن محمد بن محمد بن أبى بكر ، الدمشقى ، ابن سلطان
زين الدين بن إبراهيم بن محمد ، ابن نجيم
سعيد بن محمد أمين بن خليل السعسمانى الدمشقى ، سعسمانى زاده
سليمان بن خالد بن عبد القادر ، الحلبى ، المدرس
صادق بن محمد بن حسين بن الخراط ، الدمشقى
صالح بن إبراهيم بن خليل ، الدمشقى ، المزور
عبد الحى بن على بن محمد الطالوى ، الدمشقى ، الخال ، ابن الطويل
عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد ، الدمشقى ، ابن عبد الرزاق
عبد العزيز بن عبد اللطيف ، ابن ملك
عبيد الله بن الحسن الكرخى ، أبو الحسن
محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن العمادى ، الدمشقى
« « محمد التركمانى ، الدمشقى ، الدكدجى ، الصوفى
« « يوسف الحلبى ، ابن الحنبلى
« أحمد بن محمود الكنجى ، الدمشقى
« عبد الله الخليفتى ، العباسى ، المدنى
« محمود بن محمود الحمودى ، السؤالاتى ، العثمانى
مصطفى بن حسين بن محمد الصمادى ، الدمشقى ، السيد
« « محمد ، الحلبى ، البترونى ، ابن بيرى
موسى بن أسعد بن يحيى المحاسنى ، الدمشقى
يوسف بن أبى بكر السكاكى
يوسف بن حسين الحسينى ، الدمشقى ، السيد ، جمال الدين ، أبو المحاسن

(خ)

أحمد بن عمر بن أبي السعود ، الحنفي ، المليحي

« « كمال الدين بن محيي الدين البكري ، الصديقي ، الحنفي

« « محمود بن محمد الكنجي ، الحنفي

أسعد بن أحمد بن كمال الدين البكري ، الصديقي ، الحنفي

« « « عبد الكريم العبادي

« « محمد بن علي الشافعي ، ابن الطويل

« « يحيي المحاسني ، الحنفي

حسين بن أحمد ، ابن مصلي

درويش بن أحمد بن عمر ، الحنفي ، المليحي

زين الدين بن محمد بن أبي بكر الحنفي ، ابن سلطان

سعدي بن عبد القادر بن بهاء الدين العمري ، الشافعي ، ابن عبد الهادي

أبو السعود بن يحيي بن محيي الدين المتنبي ، العباسي ، الشافعي

سعيد بن محمد أمين بن خليل السمسماني ، الحنفي ، سمسماني زاده

صادق بن محمد بن حسين بن الخراط الحنفي

صالح بن إبراهيم بن خليل الحنفي ، المزور

عبد الجليل بن أبي المواهب بن عبد الباقي الحنبلي

عبد الحي بن أبي بكر البعلي ، طرز الريحان

« « علي بن سعودي الغزي ، الشافعي

« « علي بن محمد الطالوي ، الحنفي ، الخال ، ابن الطويل

عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الحنفي ، ابن عبد الرزاق

« « محمد بن علي التركماني ، النحلاوي ، الشافعي ، البهلول

عبد السلام بن محمد بن علي الكاملي ، الشافعي

عثمان بن محمد بن رجب الشافعي ، البعلي ، الشمعة

= عمر بن علي الحنبلي ، زين الدين ، ابن عادل

عمر بن مصطفى الرجيحي

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن العمادي ، الحنفي

محمد بن إبراهيم بن محمد التركاني ، الدكدجي ، الحنفي ، الصوفي

محمد بن أحمد بن عبد الله الشافعي ، ابن جدي ، بهاء الدين

محمد بن أحمد بن محمود الكنجي ، الحنفي

محمد بن زين العابدين الجوهري

محمد بن عبد اللطيف الذهبي

محمد بن عيسى بن محمود الكناني ، الحنبلي ، الصالحي ، الخلوتي

محمد بن علي الكاملي ، الشافعي ، شيخ الإسلام

محمد بن محمد الغزي ، العامري ، كمال الدين

محمد بن محمود بن إبراهيم الحبال ، الشافعي ، الأشعري ، المزي

محمد بن نور الدين ، ابن الدرا

مصطفى بن أحمد بن حسين الترزي

مصطفى بن حسين بن محمد الصمادي ، الحنفي ، السيد

منجك بن محمد بن منجك ، الأمير

أبو المواهب بن عبد الباقي الحنبلي

موسى بن أسعد بن يحيى المحاسني ، الحنفي

يوسف بن حسين الحسيني ، الحنفي ، السيد ، جمال الدين ، أبو المحاسن

يوسف بن عبدالله الطباخ ، الخلوتي

يوسف بن محمد بن تاج الدين القباقبي ، الخزرجي ، الشافعي

الديلمي = مهيار بن مرزويه

الدينوري = أحمد بن داود ، أبو حنيفة

(ش)

(ص)

(ط)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)


مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

١٠ — فهرس القبائل والأمم والفرق

١١ — فهرس الأماكن والبلدان والمياه

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ن)

١٢ — فهرس الأيام والوقائع والحروب



١٣ — فهرس الكتب

(ا)

١٤ — فهرس مراجع التحقيق

استعنت في ذيل النفحة بالمراجع التى أثبتها فى آخر فهارس نفحة الريحانة

استـــــدراك

الصفحة	السطر	
١٥٢	١٩	يُحذف ماجاء فى الحاشية رقم ٤ عدا فروق النسخ ، ويوضع مكانه: هو الحسين بن عبد الله بن رواحة ، أديب ، فقيه ، شهد وقعة مرج عكا ، واستشهد فيها ، سنة خمس وثمانين وخمسمائة . معجم الأدباء ٤٦/١٠ . والبيتان الأخيران فيه ١٠/٥٥
١٩٣	١٣	سقطت الباء والراء من « يَبْرَا » فى الطبع
٢٦٢	١٨	يضاف بعده : وهذا المصراع هو الأخير من قصيدة لابن الخيمى . انظر معاهد التنصيص ٢/١٧٩

« وَالْحَمْدُ لِلّهِ حَقَّ حَمْدِهِ »

رقم الإيداع بدار الكتب
(١٩٧١/٣٠٧٠)